٣٠١٠٢٠٠٠٠٣٧٣٧

المملكة العربية السعودية
مكة المكرمة - جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا الشرعية
قسم الكتاب والسنة

٣٧٣٧
٠١٦٤٢

الرضا والغضب
في
الكتاب والسنة

دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالبة

حنان الحسين عبد الله العطاس

إشراف

الدكتور محمد الخضر بن الناجي ضيف الله

الجزء الأول

العام الدراسي

١٤٢٠ - ١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين , والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

أما بعد :

فهذا ملخص بحث (الرضا والغضب في الكتاب والسنة) المقدم من الطالبة : حنان الحسين العطاس , ولقد بدأت بحثي بمقدمة بينت فيها أهمية البحث والسبب الباعث على الكتابة فيه ومنهج البحث , ولما كان ما يقارب نصف البحث متعلق بصفتي الرضا والغضب لله تعالى وهما صفتا فعل له تعالى , وما يقال في إحداهما يقال في الأخرى , فقد أفردت الحديث في مذهب أهل السنة والجماعة في هاتين الصفتين خاصة , وفي الأسماء والصفات عامة , في مدخل صدّرت به البحث وجعلته بعنوان (مذهب أهل السنة والجماعة في صفتي الرضا والغضب لله تعالى) , ثم قسمت بحثي إلى بابين رئيسيين هما (الرضا والغضب) , يحتوي كل منهما على فصلين , الفصل الأول منها : ما يتعلق بالله تعالى , والثاني : ما يتعلق بالبشر , فكان الباب الأول : الرضا , الفصل الأول : رضا الله تعالى , بينت فيه كون رضاه تعالى أكبر مثوبة وأجرا من كل نعيم , لذلك كان طلب رضاه أسمى غاية المؤمنين , كما بينت أسباب رضاه تعالى ليتبعها المؤمن , الفصل الثاني : رضا البشر , ويشمل الرضا المحمود , والرضا المذموم , فالمحمود منه ما حثّ عليه الله ورسوله ويشمل : الرضا بالله ربا , وبالإسلام دينا , وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا . والمذموم منه : ما ذمه الله تعالى , وكذا الباب لثاني وهو الغضب اشتمل على الفصل الأول : غضب الله تعالى – نعوذ بالله من غضب الله – الفصل الثاني : غضب البشر , ومنه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم , فالمحمود منه : ما كان لله ولرسوله وللدين أو الدفاع عن الحرمات ونيل المكرمات , والمذموم منه : ما ذمّه الله تعالى ورسوله الكريم وحثّ على كظمه وعلاجه إن بدر من العبد لأن فيه غضب الله تعالى , ثم ختمت بحثي بخاتمة ذكرت فيها نتائج وتوصيات الباحثة , ولقد كانت أهم نتائج البحث التي توصلت إليها :

١. الرضا والغضب لله تعالى : صفتا فعل له تعالى يعرف المؤمن بهما ربه , ويتعبده بها فيرجو رضاه تعالى , كما يحذر ويخشى من غضبه .
٢. من لوازم الرضا بالله : الغضب له تعالى , فمن رضي به ربا , سخط عبادة ما سواه , واشتد غضبه عند انتهاك محارم الله في الأرض.
٣. الموفق من وفقه تعالى لرضاه وحال بينه وبين هواه فحفظه في غضبه ورضاه , وألهمه كلمة الحق في الرضا والغضب , والمخذول من خذله تعالى ووكله لنفسه فأسرف في المعاصي والموبقات فخسر الدنيا والآخرة (ذلك هو الخسران المبين) .

أسال الله تعالى أن يبلغنا رضاه , وأن يجنبنا ما يسخطه ويقلاه , والحمد لله رب العالمين , والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

توقيع الطالبة	توقيع المشرف	توقيع العميد
حنان الحسين عبدالله العطاس	د/ محمد الخضر الناجي	د/ محمد حامد نوردي

المقدمة :

الحمد لله واهب النعم ، ومجزل العطاء بالكرم ، خالق الوح والقلم ، معلم الإنسان ما لم يعلم ...، حمدا كثيرا طيبا ملء السماوات والأرض ، وما بينهما ، وملء ما شاء ربي من شيء من بعد .

(الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة)[١]

فأخرجهم من الظلمات إلى النور ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، وإلى دار الخلود ، نحمده تعالى حتى يرضى ، ونحمده تعالى إذا رضي ، ونحمده على حمدنا إياه .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين . . ، الرحمةُ المهداة . . ، والنعمة المسداة ..، سّيدُ من رضي اللهُ عنه وأرضاه نبيًا : محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه وحزبه ومن سار على نهجه ، وإقتفى أثره ، واهتدى بهداه إلى يوم الدين .

وبعد : -

فإن من نعم الله تبارك وتعالى العظام ، على أمة خير الأنام : حفظ هذا الدين .. ، حيث تكفل سبحانه بحفظ كتابه العزيز . . ، فلا يأتيه الباطل من بين يديه . . ،ولا من خلفه . إلى يوم الدين . . فقال جل من قائل :((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)) [٢]

ومن تمام حفظ الله تعالى لكتابه الكريم حفظه لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم المبينة لكتابه ، والأصل الثاني من أصول دينية فلقد ميز سبحانه هذه الأمة بالإسناد المتصل على صاحبها، أفضل الصلاة ، وأتم التسليم ، رغم تقادم العصور .. وكر الدهور ، فقيض لهذه الأمة من الرواة الثقات ، و الجهابذة الحفاظ من يحفظ لها سنة نبيها صلى الله عليه وسلم عن طريق دراسة الحديث سنداً ومتناً فوضعوا لهذا العلم شروطاً وقواعد تدل على عظيم اهتمامهم لذلك كان جواب عبد الله بن المبارك رحمه الله [٣] حين سئل : (أما تخشى على هذا الحديث أن يفسدوه ؟) قال كلا فأين جهابذته ؟) [٤] .

---

(١) الجمعة (٢)

(٢) الحجر (٩)

(٣) عبد الله بن المبارك : هو الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح بن المنظمي مولاهم التركي ثم المروزي عالم أهل فرسان ولد سنة ثمان عشر ومائة ، طلب العلم وهو ابن عشرين ، كان يعرف بزهده وورعه وشدة طلبه لعلم ، واقتفاء لسنن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، قال عبد الرحمن بن مهدي : مازلت أنصح لأمة محمد من عبد الله بن المبارك ، وقال ابن عينة : نظرت في أمر الصحابة وأمر عبد الله فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا بصحبتهم النبي صلى الله عليه وسلم وغزوهم معه . قال النسائي لا نعلم في عصراً بعد المبارك أجلّ ولا أعلى ولا أجمع لكل خصلة محمودة منه . توفي عام إحدى وثمانون ومائة من الهجرة .
(تهذيب التهذيب لإ بن حجر ٥/ ٣٣٤ ، سير أعلام النبلاء ٣٧٨/٨)

(٤) إبن عبد البر : الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ا لنمري القرطبي ت ٤٦٣ هـ ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، الطبعة (بدون) ، تحقيق : عبد الله بن الصديق المغرب : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية) ٦/١

ولما كان شرف العلم تابعاً لشرف المعلوم ، كان العلم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أفضل العلوم ؛ وأجلها قدراً ، وأوفرها حظاً ، وأعظمها أجراً عند الله تعالى ، فالعلم بالكتاب والسنة هو العلم الحقيقي الذي يستحق أن يبذل في سبيله النفس والنفيس.

العلم قال الله ، قال : حدثنا   وما سواه فوسواس الشياطين .

ولقد كان يحدوني ا لأمل أن ييسر الله لي بحثاً يربطني بكتاب الله العظيم وبسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم في كتب الحديث والسنة ..، وهي هي جلالة وقدر ا حتى غدت علماً بين كتب الحديث ..، ومن ثم شرعت أقرأ كتاب الله تعالى ، وأحاديث الكتب والسنة ، وغيرها ، قراءة الفاحص المتدبر فعن لي أن أكتب في (الرضا والغضب) وألفيته موضوعاً مهماً وذلك بسبب ما رأيت فيه من التصاق مباشر بالحياة اليومية ورأيت أن الإ شتغال بمثل هذا البحث إنتساب لأهل الكتاب والسنة ، ورجوت من الله تعالى أن يشرفني بخدمة كتابه الكريم ، وسنة نبيه الأمين عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وشرعت فيه _ سائلة إياه الرشد والسداد _ مستشعرةً أهميته التي أو جزها في الأمور التالية :

أهمية هذا الموضوع :

١- التصاق هذا الموضوع بحياة البشر اليومية،فا لإنسان يتقلب دوماً بين الرضا والغضب ، ولما كان الأغلب في حال الإنسان السخط والجزع نتيجة التعلق بالدنيا كما قال الله تعالى (إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعًا) المعارج(١٩-٢٠) كان التنبه ضرورياً للاتصاف بخلق الرضا ليحل محل السخط .

٢- عدم وجود كتاب مستقل -فيما أعلم -بجميع الآيات والأحاديث المختصة بهذه الأحوال في موضع واحد مستقل عن غيرها . إذ أن هذا الجمع لها ييسر دراستها دراسة موضوعية حسب العناصر المختصة بها ومقابلة إحداها بالأخرى لأنها أحوال متقابلة فالرضا يقابل الغضب .

٣- أهمية تحقيق عبودية المؤمن من خلال توجيه مشاعره نحو الرضا بالله والرضا بالرسول صلى الله عليه وسلم والرضا بالدين .

٤- أهمية بيان الأثر المترتب من هذه الأحوال على النفس البشرية وعلى المجتمع ثم أهمية عرض علاج الآثار السيئة منها .

٥- أهمية تهذيب هذه الصفات من الرضا والغضب عند الناس وفق المنهج الإسلامي والإستفادة منها في واقع عملي من خلال التأسي بالمصطفى صلى الله علية وسلم

٦- أهمية الوقوف على دلالة الأحاديث الخاصة بالرسول صلى الله علية وسلم في الرضا والغضب وأخذ العبرة والقدوة منها حيث تكشف هذه الأحاديث عن :

أ – إثبات بشريته صلى الله علية وسلم فهو بشر يجري علية ما يجري على البشر من رضا وغضب

ب- كونه صلى الله علية وسلم القدوة والأسوة الحسنة لأمته , فمعرفة أحواله ومشاعره ضرورية لكي يتسني الإقتداء به

ج- تحقيق عبوديته صلى الله علية وسلم وكمال طاعته لله في كل أحواله فقد كان صلى الله علية وسلم لا ينسيه الغضب والرضا صلته بالله تعالى , وعبوديته له فلا يرضى ولا يغضب إلا لله عز وجل , ذاكرا لله تعالى في كل أحواله

وقد اجتهدت في حسن الترتيب , ومنهجية التبويب فجاءت خطة البحث على النحو التالي :

خطة البحث :

تتكون خطة هذا البحث من مقدمة ومدخل وبابين رئيسيين وخاتمة

١] المقدمة : وتتضمن ما يلي :
١- الخطبة والسبب الباعث على الكتابة , والشكر والتقدير
٢- خطة البحث .
٣- منهج البحث .

٢] : المدخل : ويحتوي على مذهب أهل السنة والجماعة في صفتي الرضا والغضب لله تعالى

٣)الباب الأول : الرضا

ويشمل فصلين الفصل الأول : رضا لله تعالى , الفصل الثاني رضا البشر
الفصل الأول : رضا الله تعالى
ويشمل تمهيد وعدة مباحث

المبحث الأول : رضا الله أكبر مثوبة وأجرا

المبحث الثاني : رضا الله تعالى غاية المؤمنين
وفية تمهيد وعدة مطالب :

المطلب الأول : ثناء الله على المؤمنين لابتغائهم وطلبهم مرضاته
المطلب الثاني : دعاء الأنبياء والصالحين بطلب العمل المرضي عند الله
المطلب الثالث : أثر الكلمة في تحقيق رضا الله

المبحث الثالث : أقوام قد رضي الله عنهم وفية تمهيد وعدة مطالب

المطلب الأول : الأنبياء
المطلب الثاني : إتباع الأنبياء
المطلب الثالث : التابعون لهم بإحسان

المبحث الرابع : أسباب رضا الله تعالى

أولا : عباده الله
ثانيا : التقوى
ثالثا : الإخلاص لله
رابعا : الاعتصام بحبل الله
خامسا : الصبر
سادسا : الصدق
سابعا : القنوت
ثامنا : الإنفاق في سبيل الله
تاسعا : الشكر

عاشرا : الهجرة في سبيل الله
الحادي عشر : الجهاد في سبيل الله
الثاني عشر : الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين
الثالث عشر : ذكر الله
الرابع عشر : السوك

تنبيه :
خاتمة :

المبحث الخامس : ارتباط رضاه تعالى برضا بعض البشر
ويشمل تمهيد عدة مطالب :

المطلب الأول : رضا الرسول صلى الله علية وسلم
المطلب الثاني : رضا الوالدين
المطلب الثالث : رضا الزوج

خاتمة الفصل الأول

الفصل الثاني :
رضا البشر
وينقسم إلى الرضا المحمود - الرضا المذموم

أولا : الرضا المحمود
وفية مدخل وتمهيد أربع مباحث

المبحث الأول : الرضا بالله والرضا عن الله

المطلب الأول : الرضا بالله

ويشمل عدة مسائل
المسألة الأولى : معنى الرضا بالله وحقيقته
المسألة الثانية : أقسام الرضا بالله
المسألة الثالثة : منزلة الرضا بالله
المسألة الرابعة : كيفية تحقق الرضا بالله
المسألة الخامسة : علامات تحقق الرضا بالله
المطلب الثاني : الرضا عن الله
ويشمل عدة مسائل
المسألة الأولى : معنى الرضا عن الله
المسألة الثانية : منزلة الرضا عن الله
المسألة الثالثة :الفرق بين الرضا عن الله والرضا بالله

المطلب الثالث : نماذج لأحاديث الرضا بالله والرضا عن الله
النموذج الأول
النموذج الثاني
النموذج الثالث
النموذج الرابع
النموذج الخامس
النموذج السادس

المطلب الرابع : الرضا بالقضاء والقدر وفية مسائل

المسألة الأولى : تعريف القضاء والقدر لغة وشرعا
المسألة الثانية : منزلة الإيمان بالقضاء والقدر
المسألة الثالثة :مذهب السلف في القضاء والقدر
المسألة الرابعة : حكم الرضا بالقضاء والقدر
المسألة الخامسة : تعليمه صلى الله علية وسلم أمته الرضا بالقضاء والقدر

المطلب الخامس : الرضا بالمثوبة والأجر

المطلب السادس : المصطفى ﷺ سيد الراضين
وفية مسائل
المسألة الأولى :رضاه ﷺ عن نفسه وعن ربة
المسألة الثانية :رضاه ﷺ بما قسم الله تعالى علية من ضيق العيش
المسألة الثالثة :رضاه ﷺ فيما أبتلي به في الدنيا من مصائب
المسألة الرابعة :حثه ﷺ أمته على الرضا
المسألة الخامسة :تعليمه ﷺ أمته طلب رضا الله
المسألة السادسة :جزاء رضاه ﷺ

المبحث الثاني: الرضا بالرسول ﷺ
وفية مطالب
المطلب الأول :معنى الرضا بالرسول ﷺ

المطلب الثاني :تحقيق الرضا بالرسول صلى الله علية وسلم

المطلب الثالث :علامات الرضا بالرسول صلى الله علية وسلم

<u>المبحث الثالث</u> :الرضا بالدين

وفيه مطالب :

<u>المطلب الأول</u> :معنى الرضا بالدين

<u>المطلب الثاني</u>: كيفية تحقيق الرضا بالدين

<u>المطلب الثالث</u> :علامات الرضا بالدين.

<u>المبحث الرابع</u> :ثمار الرضا

<u>ثانيا :</u>

<u>الرضا المذموم</u>

ويشمل **<u>المبحث الأول</u>** : الرضا بالدنيا من الآخر ه .
الثاني : الرضا بالكفر .
الثالث : الرضا بالمعاصي .
الرابع : الرضا بالخزي والعار .
الخامس : الرضا بالذل والهوان .

خاتمة الفصل الثاني :

٤) الباب الثاني : الغضب

وينقسم إلى فصلين :

الفصل الأول : غضب الله تعالى نعوذ بالله من غضب الله .

الفصل الثاني : غضب البشر .

الفصل الأول : غضب الله تعالى – نعوذ بالله منه -

ويشمل تمهيد وعدة مباحث .

المبحث الأول : الاستعاذة به وبصفاته تعالى من غضبة

المطلب الأول : الاستعاذة به تعالى من غضبة

المطلب الثاني : الاستعاذة بصفاته تعالى من غضبه .

المبحث الثاني : رحمته تعالى سبقت غضبه وفيه مطالب.

وفيها مطالب

المطلب الأول : النصوص على سبق رحمته تعالى

المطلب الثاني : مظاهر سبق رحمته تعالى على غضبه .

المطلب الثالث : توجيه معني قوله صلى الله عليه وسلم عنه تعالى (غلبت رحمتي غضبي)

المبحث الثالث : المغضوب عليهم وفيه مطالب

المطلب الأول :المراد من اليهود .

المطلب الثاني : النصوص علي غضب الله عليهم .

المطلب الثالث : أسباب غضب الله علي

المطلب الرابع : أجر من آمن منهم .

المبحث الرابع : ارتباط غضبه تعالى بغضب بعض البشر .

المطلب الأول : غضب الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفيه مسائل :

المسألة الأولى : الاستعانة بالله من غضبه صلى الله عليه وسلم :

المسألة الثانية :حذر الصحابة الكرام من غضبه صلى الله عليه وسلم .

المسألة الثالثة : إغضاب آل بيته سبب لغضبه صلى الله عليه وسلم .

المسألة الرابعة : جزاء من غضب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

المطلب الثاني : غضب الوالدين .

المطلب الثالث : غضب الزوج .

المبحث الخامس : أسباب غضب الله تعالى وفيه مطالب :

أولا : الشرك .

ثانيا : الكفر .

ثالثا : النفاق .

رابعا : القتل العمد .

خامسا : التولي يوم الزحف .

سادسا : الإبتداع في الدين .

سابعا : الظلم .

ثامنا الطغيان .

تاسعا :الكذب .

خاتمة الفصل الأول:

الفصل الثاني : غضب البشر

وينقسم إلى : الغضب المحمود .

والغضب المذموم .

أولا : الغضب المحمود :

وفيه مدخل وتمهيد و خمس مباحث

المبحث الأول : حقيقة الغضب المحمود وضوابطه .

المبحث الثاني : كيفية التخلق بالغضب المحمود .

المبحث الثالث : نماذج من الغضب المحمود لبعض من الأنبياء عليهم السلام .

المبحث الرابع: غضب المصطفي صلى الله عليه وسلم.

وفيه تمهيد وعدة مطالب

المطلب الأول : غضبه صلى الله عليه وسلم لأهله وذويه .

المطلب الثاني : غضبه صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه وأزواجه .

المطلب الثالث : أسباب غضبه صلى الله عليه وسلم . وفيه مسائل
أولا : إنتهاك محارم الله .
ثانيا : الغلو في الدين .
ثالثا :التعنت في السؤال .
رابعا : التنازع والخلاف .
خامسا : عدم تحمل المشقة واستعجال النصر .
سادسا : مظنة المعصية .
سابعا : التباطؤ في تنفيذ أمره صلى الله عليه وسلم .
ثامنا : التخلف عن الجهاد في سبيل الله .
تاسعا : التقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .
عاشرا : الظلم بالورثة .
الحادي عشر : انتقاص قدرة صلى الله علية وسلم والطعن في عدالته
الثاني عشر : التفاضل بين الأنبياء عليهم السلام بقصد انتقاصهم .
الثالث عشر : نقد الصحابة لبعضهم البعض بقصد الانتقاص .

المبحث الخامس : نماذج من الغضب المحمود لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : الغضب المذموم
المبحث الأول : حقيقة الغضب المذموم وصفاته

المطلب الأول : حقيقة الغضب المذموم
المطلب الثاني : صفته .

المبحث الثاني : أقسام الناس في الغضب المذموم

المبحث الثالث : النهي عن الغضب المذموم والحكمة من النهي عنه .

المطلب الأول : النهي عن الغضب المذموم .

المطلب الثاني : الحكمة من النهي عنه .
أولا : آثار الغضب .
ثانيا : فوائد التحكم في الغضب المذموم .

المبحث الرابع : فضل كضم الغيظ والعفو والحلم .

المطلب الأول : فضل كضم الغيظ

المطلب الثاني : فضل العفو

المطلب الثالث : فضل الحلم

المبحث الخامس : علاج الغضب المذموم .

المطلب الأول : علاج الغضب علميا .

المطلب الثاني : علاج الغضب علميا .

المبحث السادس : مواقف لتعامل المصطفي صلى الله عليه وسلم مع الغضبان .

: الموقف الأول .

: الموقف الثاني .

: الموقف الثالث .

: الوقف الرابع .

: الموقف الخامس

: الموقف السادس

: الموقف السابع

المبحث السابع : بعض الأحكام المتعلقة بالغضب المذموم

المطلب الأول : النهي عن القضاء حين الغضب

المطلب الثاني : طلاق الغضبان

المطلب الثالث : حكم اليمين والنذر في الغضب

٥) **خاتمة البحث**

وقد شمرت عن ساعد الجد والاجتهاد مستعينة بالله تعالى سائلة إياه التوفيق والسداد ..... وكان تعالى بي رحيما ... جوادا كريما .. حيث أسبغ علي من فضلة ما فتح به علي بكتابة هذا البحث ابتداءً , وبإتمامه انتهاءً ... حتى استوى على سوقه , وبدا في حلته الأخيرة .. , وشاء تعالى برحمته وفضلة أن يخرج هذا البحث إلى الوجود – رغم الكثير من أعباء الحياة ومتطلباتها – فله تعالى الحمد أولا وآخراً – ولقد سرت في بحثي هذا على النهج التالي :

المنهج والعمل في هذا البحث :

١- تقسيم البحث إلى بابين أساسيين هما الرضا والغضب ثم تقسيم كلا من البابين إلى فصليين أساسيين فيشمل باب الرضا على : رضا الله ورضا البشر كما أن باب الغضب يشمل غضب الله وغضب البشر

٢- نظرا لإحتواء ما يقارب نصف البحث – على صفتي الرضا والغضب لله وهما صفتا فعل له سبحانه وتعالى وما يقال في إحداهما يقال في الأخرى فقد أفردت الحديث في هاتين الصفتين خاصة ,ومذهب أهل السنة والجماعة عامة في الأسماء والصفات – في مدخل صدرت به البحث وجعلته بعنوان : (مذهب أهل السنة والجماعة في صفتي الرضا والغضب لله) .

٣- الرجوع إلى القرآن الكريم وذلك بجمع الآيات الكريمة التي تحدثت عن صفتي الرضا والغضب مستعينة في ذلك بمعاجم القرآن الكريم اللفظية والموضوعية , ومن ثم تصنيفها وترتيبها حسب عناصر البحث , مع التزامي بعزو الآيات الكريمة التي أستشهد بها إلى سورها , وبيان أرقامها .

٤- جمع الأحاديث من الكتب الستة الخاصة بصفتي الرضا والغضب , ثم ترتيبها حسب عناصر البحث مراعية الحد ما أمكن من تكرار الأحاديث لغير ضرورة خشية الإطالة .

٥- التزمت عند استشهادي بالأحاديث والآثار – غير المنصوص عليها بلفظ الرضا أو الغضب أو معناهما بتخريجها في الهامش من مصدر حديثي أو أكثر مع بيان حكم العلماء عليها ما أمكن , أما الأحاديث في الكتب الستة التي نص عليها بلفظ الرضا والغضب أو ما يقاربها وهي ما تربو على المائة والسبعين حديث فهي صلب بحثي حيث أتبعت فيها ما يلي :

أ – قمت بتخريج هذه الأحاديث تخريجا وافيا

ب- إذا كان الحديث في صحيح البخاري ومسلم أو أحدهما فإني أذكر الحديث وجميع من أخرجه من الكتب الستة دون الإشارة إلى حكمة فقد ثبتت صحة الحديث , واكتفى بذلك ولا أزيد علية إلا إذا دعت الحاجة لذلك نحو إضافة لفظ أو فائدة .

ج- إذا كان الحديث في غير صحيح البخاري ومسلم – أو أحدهما – فإني أخرج الحديث من باقي الكتب الستة وغيرها كمسند الإمام احمد وسنن الدرامي والدارقطني وموطأ مالك ....

د- ويلي تخريج الحديث الحكم على الحديث تحت لفظ (إسناده) حيث أتبعت رجال سند الحديث والحكم عليهم . وأقوال العلماء في الحكم على الحديث , وقد أذكر حكم الحديث بما يفتح الله علي تحت لفظ (قلت) عند عدم وجود حكم علية – فيما أعلم –

هـ- استثنيت من أدلة الرضا البشري : الرضا الواقع في المعاملات الشرعية نحو قولة تعالى : (**فإن أراد فصالا عن تراض منهما**)[1] وحديث (لا يفترقن اثنان إلا عن تراض)[2] وحديث (فرضي القوم وقبلوا الأرش)[3] .. وغيرها .. لأنها ليست من موضوع البحث – حيث اقتصرت في فصل الرضا البشري على الرضا الديني .
كما اقتصرت في بحثي على الرضا الخاص بالمؤمنين فاستثنيت رضا غيرهم من كفار أو أهل كتاب نحو قولة تعالى : (**ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا**)[4] وقولة تعالى : (**ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله**)[5] كما استثنيت من الأحاديث ما جاء بلفظ البغض والكرة لله تعالى – تحرزا من القول في الله بغير علم – إلا ما كان من صفته السخط لمرادفتها لمعنى الغضب عند العلماء .

---

(1) البقرة من آية (٢٢٣)

(2) أخرجه أبو داود كتاب البيوع برقم : ٣٤٥٨

(3) أخرجه البخاري كتابا لصلح برقم (٢٧٠٣)

(4) (المائدة من آية ٢)

(5) (الحديد من آية ٢٧)

أما ما كان من صفة البغض والكرة والغيظ لدى المصطفى صلى الله علية وسلم فقد اعتمدتها دون استيعاب – لا سيما إذا قرنت بالغضب نصا أو إشارة –

٦- أخّرت تعريف الرضا والغضب – لغة وشرعا – إلى الفصل الثاني لكلا البابين وذلك لان الفصلين الأولين للرضا والغضب يختص بالله تعالى – وهي صفات فعل على ما يليق بجلالة والتعريف اللغوي خاص بما يتعلق بالنشر وهو الفصل الثاني لكلاهما

٧- وثقت ما نقلت من كلام العلماء في مؤلفاتهم فإن كان بنصه جعلته بين علامات التنصيص وإن كان بتصرف نبهت على تصرفي فيه.

٨- عرجت بذكر بيانات كل كتاب عند ذكره للمرة الأولى – وذلك عدا كتب التخريج وكتب التراجم ، ومعاجم اللغة ، والتعريفات وغيرها.

٩- عرّفت ما يحتاج إلى تعريف من مصطلحات البحث ، وشرحت الكلمات الغريبة في متون الأحاديث والآيات أو في سياق نقلته أو قلته ، وعرفت بالأماكن والبلدان في الغالب .

١٠- ترجمت للأعلام من الصحابة ، وغيرهم ، عند ذكرهم لأول مرة في الأعم الأغلب ، ولم أستثن من ذلك إلا من عمت شهرته كالخلفاء الراشدين ، وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأبنائه وغيرهم.

١١- عند الانتهاء من البحث أعددت فهارس علمية تسهل الرجوع إليه ، والاستفادة منه فأعددت فهارس للآيات الكريمة والأحاديث النبوية ، ولأحاديث البحث وفهارس للأعلام ، وقائمة للمراجع والمصادر ، وأخرى للموضوعات.

وحين يأتي الشكر بلا استئذان ليطرق باب رسالتي ، فإن الشكر أولاً : لمن أنطق اللسان ..، وهدى الجنان ..، ووفق لصالح الأعمال ..، وأسبغ نعمه بالليل والنهار .. ، شكراً متصلاً على تيسيره طلب العلم في البلد الحرام .. ، وتفضله بإخراج هذا البحث بهذه الحلة ..، التي أرجو أن تكون حلة طيبة ظاهراً وباطناً ..، مقبولة في الدنيا والآخرة يعم نفعها القريب والبعيد ..، ويبقى أجرها إلى يوم الدين.

ثم هو موصول بعد ذلك لوالدي الكرام الذين لم يذخرا جهدا في تربيتي وتعليمي في صغري ...., والدعاء لي في كبري , حيث أدين لهما بالفضل بعد الله تعالى , فلهما مني الطاعة وخفض الجناح والدعاء ما حييت . فكم بذلا , وكم تحملا من أجلي الكثير .. وكم غرسا .. وقد حان القطاف .

ثم هو موصول لزوجي العزيز , الذي ضحى بوقته ؛ وماله , وراحته من أجلي،
فلولاة بعد الله تعالى لما خرج هذا البحث .. فكم من مرات ينتابني اليأس والكرب أمام معضلة .. فيشحذ همتي ويقوي عزيمتي لأرجع خيرا مما كنت , وكم استشرته في بعض المسائل فأجد فيه الناصح الأمين , والصديق المخلص ...
وكم تحمل من أجلي في سرور معاناة الطبع والتصويب فجزاه الله عني خير الجزاء , وييسر الله له طريقا إلى الجنة كما يسر لي طريقا إلى العلم .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لشيخي ومشرفي الفاضل :
سعادة / الدكتور : محمد الخضر ناجي.
على ما بذل من نصح وإرشاد أثناء كتابة البحث حيث تفضل علي بالكثير من وقته وجهده فجزاه الله على ما بذل خير الجزاء ..

كما أشكر :

سعادة / الدكتور : عبدالله سعاف .
وسعادة / الدكتور : أمين باشا.

على تفضلهما قبول مناقشة هذا البحث فلهما مني كل تقدير واحترام.

كما أتقدم بالشكر لأشقائي الأعزاء حفظهم الله جميعاً وأخص بالذكر منهم الأخ العزيز أيمن العطاس ، والأخ العزيز طاهر العطاس ، اللذين كانا لي حلقة الوصل بين مسكني في جدة وبين جامعة أم القرى.

كما أتقدم بالشكر لكل من له أياد بيضاء بنصح أو مشورة أو إعارة كتاب ..، وأخص بالذكر الدكتور الفاضل : أحمد العبداللطيف الذي ما زالت رسالتي تتألق بطيب آراءه وجميل نصحه فله مني كل شكر وتقدير ، والدكتور الفاضل : محمد موسى عقيل الذي لم يألُ جهداً في النصح وإبداء الرأي حيث أفدت منه الكثير – فجزاه الله عني خير الجزاء.

والدكتور الفاضل : علي عمر بادحدح، والدكتور الفاضل وصي الله عباس، والأستاذة الفاضلة سعاد بابقي ، والأخت الفاضلة : ابتسام باصديق، والأخت الفاضلة : سناء سعداوي والأخت الفاضلة : جوهرة الصبحي والأخت الكريمة وابنة العم : ندى العطاس..، فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء..

كما يطيب لي أن أرفع شكري لجامعة أم القرى الحبيبة التي احتضنتني خلال دراستي الجامعية ودراسة الماجستير أعواماً عديدة ، ولجميع القائمين عليها..،
وهاأنا ذي أضع بين أيديكم خلاصة جهدي، بهذا البحث بعد أن استوى على سوقه ..، حيث أرجو أن أكون قد وفقت فيه بالجمع بين التفسير الموضوعي وشرح الحديث النبوي ، وترتيب العناصر والأفكار ، مع إتقان أفضل الأقوال والآثار.

ويجدر بي في نهاية المطاف أن أقول : إني قد بذلت في هذا البحث جهدي وهو جهد العاجز الضعيف ، فلا أدعي فيه الكمال ، ولا يؤخذ بشرط البراءة من العيب فما كان فيه من صواب فمن الله ، وما كان فيه غير ذلك فمن نفسي والشيطان – وأستغفر الله –

وكما قيل : لا يكتب أحد كتاباً إلا ويقال فيه : لو أنه قال كذا ، ولو أنه ترك كذا ، فكل إمرء يؤخذ منه ويرد إلا صاحب ذاك القبر عليه من الله أفضل الصلاة والسلام ، وعلى القارئ التكرم بنصح أو نقد أو مشورة ليؤجر ، ويدعا له بخير.
أسأل المولى جل وعلى أن يصلح أعمالنا ، ويخلص نياتنا ، وأن يجعل علمي وعملي في رضاه.

(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)[1](ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم)[2](وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم)[3]

كتبته الفقيرة إلى الله

حنان الحسين العطاس

عفا الله عنها ووالديها

---

[1] البقرة من آية (٢٨٦)

[2] البقرة من آية (١٢٧)

[3] البقرة من آية (١٢٨)

مدخل :

مذهب أهل السنة والجماعة

في صفتي

الرضا والغضب

لله تعالى

تمهيد

الإيمان بأسماء [1] الله تعالى وصفاته [2] ركن أساسي من الأذكار الثلاث التي يقوم عليها التوحيد ، فلا يتم إيمان العبد حتى يؤمن بأن لله تعالى أسماء حسنى وصفات علا يعرف بها العبد ربه ويعبده بها وتوحيد الأسماء والصفات يستلزم توحيده تعالى بأسمائه وصفاته معاً فلا يسمى من آمن بالأسماء وأنكر الصفات مؤمناً .

وصفتي الرضا والغضب لله تعالى من صفاته تعالى التي يجب الإيمان بها فما هو مذهب السلف الصالح في الأسماء والصفات عامة ؟

وفي صفتي الرضا والغضب لله خاصة ؟

من خلال هذا المدخل نتبين الإجابة على هذه التساؤلات .

---

(1) أسماء الله : هي أعلام وأوصاف أعلام باعتبار دلالتها على الذات وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني ، وهي على المعنى الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد وهو الله عز وجل ، وبالاعتبار الثاني متباينة لدلالة على واحد منها على معناه الخاص به فمعنى الحي غير معنى العليم غير معنى القدير .. [الشيخ العثيمين ، محمد صالح ، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، الطبعة [بدون] التاريخ [بدون] ص٨

(2) الصفات جمع صفة : وهي النعت والحلية " لسان العرب لابن منظور " ، ٣٥٦/٩ ، والصفة للشيء : هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات " التعريفات للجرجاني " ، ١٣٣.

صفات الله تعالى :

الصفات :

جمع صفة وهي نعوت الجلال والجمال والكمال التي وصف تعالى بها نفسه أو وصفه به رسوله الكريم ﷺ ، وهي صفات عظيمة ، بالغة الحسن والجمال ، لأنها صفات الله العظيم ، ذو الجلال والإكرام وهذه الصفات منها ما هو مشتق من أسمائه الحسنى تعالى ، فلكل اسم له تعالى صفة تدل عليه .

فكل اسم من أسمائه تعالى يدل على الذات كما يدل على الصفة التي يحتويها هذا الاسم ، فالصفة ملازمة لهذا الاسم الدَّال عليها ، فصفة الحياة مثلاً ملازمة لاسمه تعالى الحي .

يقول الإمام ابن تيمية (١) رحمه الله :

(وكل اسم من أسمائه يدل على الذات المسماة ، وعلى الصفة التي تضمنها الاسم،كالعليم:يدل على الذات والعلم، والقدير يدل على الذات والقدرة، والرحيم يدل على الذات والرحمة)(٢) «فأسمائه تعالى كلها تدل على معان عظيمة ، وصفات جليلة يجب الإيمان بها ..

---

(١)الإمام ابن تيمية : هو شيخ الإسلام الناقد الفقيه المجتهد:تقي الدين أبو العباس أحمد بن المفتي بن شهاب الدين بن عبدالسلام الحراني ، عُني بالحديث ، وخرج وانتقى ، وبرع في الرجال ، وعلل الحديث ، وفي علوم الإسلام وعلم الكلام ، غير ذلك وكان من بحور العلم من الأذكياء ا لمعدودين والزّهاد ، فقد كان نادرة عصره أوذي في الله مراراً ..حتى أعلا الله مناره ، وجمع قلوب أهل التقى على محبته والدعاء له ، وتصانيفه اشهر من أن تذكر فقد امتلأت بها= =البلاد والأمصار منها (اقتضاء الصراط المستقيم)و(الكلم الطيب) و(رفع الملامةعن الأئمة الأعلام)...وغيرها كثير توفي عام ٧٢٨هـ معتقلاً في الشام عليه رحمة الله ،

انظر(تذكرة الحفاظ للذهبي ، ١٤٩٦/٤، ترجمة رقم ١١٧٥؛ طبقات الحفاظ للسيوطي ص٥٢٠ ؛ طبقات المفسرين للداودي،٤٦/١-٥٠ ، ترجمة رقم(٤٢))

(٢)[مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، الطبعة:[بدون] ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر ، المملكة العربية السعودية – الرياض، ١٤١٢هـ-١٩٩١م]، ٣٣٣/١٣

ومن هذه الصفات ما هو غير مشتق من أسمائه تعالى ، فهناك صفات له تعالى ليس لها أسماء مثل صفة الرضا والغضب والكلام والنزول والوجه واليدين .. ونحوها

وعلى ذلك فالعلاقة بين الأسماء والصفات ..علاقة عموم وخصوص مطلق فالصفات أعم من الأسماء ، فلكل اسم صفة تدل عليه ، وليس لكل صفة اسم .

وجميع هذه الصفات يجب الإيمان بها كما وردت في الكتاب والسنة ومن أنكر صفة من صفاته تعالى فقد كفر ..

فكما يجب الإيمان بأن له تعالى أسماء بالغة الحسن والكمال وإثباتها كما وردت في الكتاب والسنة على ما يليق بجلاله وكماله .يجب الإيمان بأن له كذلك صفات بالغة الحسن والكمال وإثباتها كما وردت في الكتاب والسنة على ما يليق بجلاله وكماله .

ولا يُسمى من آمن بالأسماء وأنكر الصفات مؤمناً..كمن يقول تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً (عليم بلا علم ، قدير بلا قدرة) فتصبح أسمائه تعالى ألفاظاً مجردة لا معنى لها ، فيعبد هذا الجاهل ذاتاً قد سلبها كل صفات الجمال والجلال ولكمال ، حتى صارت ذاتاً ناقصة عاجزة ..

ولقد توعد الله تعال الذين يلحدون [1] في أسمائه تعالى فيحرفونها عن صفاتها الحقيقية التي تدل عليها [2] بالجزاء السيئ يوم القيامة فقال تعالى {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون }(الأعراف:١٨٠)

---

(١)أصل الإلحاد في كلام العرب : العدول عن القصد والجور والإعراض

(٢) قسّم الشيخ محمد العثيمين – حفظه الله – الإلحاد إلى أربع معان ، جميعها تدل في معنى الألحاد وهي ١- أن ينكر شيء منها كما فعلت المعطلة ٢-أن يجعلها دالة على صفات تشابه المخلوقين ٣- أن يسمى الله بما لم يسم به نفسه كما يسمي النصارى له "أب" ٤- أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام كاشتقاق العزى من العزيز ..، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، ص١٦-١٧

أقسام الصفات :

صفات الله تعالى نوعان : صفات ذاتية وصفات فعلية .

فالصفات الذاتية : هي الصفات التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها كالحياة [1] و القدرة والعلم واليدين سميت بذلك لأنها ملازمة للذات لا تنفك عنها .

وصفات الله تعالى الذاتية منها ما هي معنوية ، ومنها ما هي خبرية [2] ،

فالمعنوية مثل الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والحكمة والخبرية : مثل اليدين والوجه والعينين

وصفاته تعالى الذاتية - بنوعيها المعنوية والخبرية - هي صفات الكمال والجلال الملازمة له تعالى التي لا تنفك عنه ولا يجوز أن يوصف تعالى بضدها لأن في انتفائها نقصاً وعيباً يتنزه الله تعالى عنه .

فلو لم يكن عالماً لكان جاهلاً ، ولو لم يكن قادراً لكان عاجزاً ، ولو لم يكن سميعاً لكان أصمّاً – حاشاه تعالى – .

وهذه الأضداد كما نرى صفات نقص وعيب يتنزه عنها الله تعالى [3] يقول الإمام ابن تيمية : (أما صفات النقص مثل النوم ، فإن الحي اليقظان أكمل من النائم الوسنان والله لا تأخذه سنة ولا نوم ، وكذلك من يفعل ولا يتعب أكمل ممن يتعب والله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام وما مسّه من لغوب ، ولهذا وُصف الربُّ بالعلم دون الجهل ، والقدرة دون العجز ، والحياة دون الموت،والسمع والبصر والكلام دون الصمم والعمى والبكم،والضحك دون البكاء، والفرح دون الحزن) [4]

---

(١)[الشيخ : محمد الصالح العثيمين ، شرح العقيدة الواسطية ، تخريج سعد بن فواز الصميل ، الطبعة الرابعة ن دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية ن ١٤١٧هـ] ١/٧٧-٧٨

(٢)المصدر السابق

(٣)وهذه الأضداد هي الصفات السلبية التي نفاها الله عن نفسه – ولم أذكر تقسيم الصفات إلى ثبوتية وسلبية ، بل بدأت مباشرة في الصفات الثبوتية لتعلق بحثي في صفات الرضا ولغضب لله بالصفات الثبوتية (انظر القواعد المثلى ص٢١ وغيرها)

(٤)مجموع فتاوى ابن تيمية ، ٦/٩٣

الصفات الفعلية :

وهي الصفات المتعلقة بمشيئته تعالى حيث يفعلها متى شاء ، وهي الصفات التي يجوز أن يوصف بها تعالى وبضدها كالرضا والغضب والعطاء والمنع [١]

وهذه الصفات يجوز أن يوصف بها وبضدها لأن ضدها لا يوجب نقصاً أو عيباً - كما هو الحال في الصفات الذاتية - بل الكمال في الاتصاف بهما معاً

وصفات الفعل منه تعالى منها ما هو متعلق بسبب معلوم كالرضا والغضب والحب والكُره فإنه إذا حدث سبب الرضا من الإيمان والطاعة رضيٌ تعالى عن عبده وأحبه وإن حصل سبب الغضب من كفر ونفاق وتكذيب غضب تعالى على عبده [٢]

وكذا من صفات الفعل (أثره متعده مثل الرضا والغضب والخلق والإعطاء ، ومنها ما هو لازم له تعالى كالإستواء والمجيء والإتيان ، وكلاهما حاصل بمشيته وقدرته ، وهو متصف به) [٣]

وهناك من صفات الله تعالى ما يجتمع فيها نوعي الصفات إذ هي صفة ذاتية فعلية : كصفة الكلام له تعالى فهي صفة ذاتية لله تعلى باعتباره متكلماً منذ الأزل سبحانه فهو لم يزل ولا يزال متكلماً ، إذ نقيض الكلام البكم وهو عيب يتره الله عنه ..

وهي كذلك صفة فعلية باعتبار أنه تعالى يتكلم بما شاء متى شاء ، فمن حيث إن كلامه تعالى كائن بمشيئته واختياره أرادته سبحانه .

---

(١)شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين ، ١/٧٨-٧٩

(٢) المصدر السابق

(٣)مجموع فتاوى ابن تيمية بتصرف ٦/٢٣٣

مذهب السلف الصالح في الصفات :

مذهب السلف الصالح واحد في جميع صفات الله تعالى ، وميزانهم في ذلك ميزان ثابت لا يتغير ولا يختل ولا ينحرف ولا يعوّج - كما يحدث لغيرهم من الفرق الضالة - فهم يرون أن لله تعالى ذاتاً واحدةً لا يدرك كنهها ، ولا يعرفُ كيفيتها إلا هو سبحانه وتعالى ، وهذه الذات المقدسة متصفة بصفات مقدسة هي غاية في الكمَال والجلال والجمال .. وهذه الصفات كذلك لا يدرك كنهها ولا تُعرفُ كيفيتها .

فالصفة تابعة للموصوف بها لكن نعرفُ عنها ما عرَّفه لنا الله في كتابه الكريم أو في سنة رسول ه ﷺ ، فصفات الله تعالى توقيفية (١) على الكتاب والسنة .

فيجب الإيمان بهذه الصفات كلها كما وردت في الكتاب والسنة من غير تحريف (٢) ولا تعطيل (٣) ولا تكييف (٤) ولا تمثيل (٥)

فالله تعالى قد نزه نفسه عن الولد والكفو فقال تعالى{لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}(الإخلاص:٣)

ونزه نفسه عن ضرب النّد والمثيل فقال تعالى {فلا تجعلوا لله أنداداً}(البقرة من أية٢٢) وقال {ليس كمثله شيء}(الشورى من آية ١١)

---

(١)توقيفية:أي لا مجال للعقل فيها سميت بذلك لوقوفها على الكتاب والسنة وعدم تجاوزهما،انظر:القواعد المثلى لابن العثمين ص٢٨

(٢)التحريف:التغيير غالباً ما يكون في المعنى دون اللفظ- وهو الذي عبر عنه العلماء بالتأويل والتعبير بالتحريف أولى من التأويل لأن لفظ التحريف جاء في القرآن"يحرفون الكلم.."ومن التأويل ما هو حسن وما هو قبيح بخلاف التحريف(شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين ١/ ٨٦-٩١)

(٣)التعطيل بمعنى التخلية والترك والمراد به : إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات سواء كان كلياً او جزئياً ، وسواء كان ذلك بتحريف أو بجحود فهذا كله يسمى تعطيلاً (شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين ١/ ٩١)

(٤)التكييف : هو أن تذكر كيفية الصفة كأن يقال: كيف سمعه أو كيف يرضى ...(انظر شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين ، ١/ ٩٧)

(٥)التمثيل : ذكر مماثلة الشيء وبينه وبين التكييف عموم وخصوص مطلق ، فكل ممثّل مكيف وليس كل مكيف ممثلاً لأن التكييف ذكر كيفية غير مقرونة بمماثل .

كما نزه نفسه عن ضرب الأمثال فقال {فلا تضربوا لله الأمثال}(النحل من آية:٧٤) إشعاراً بأنه لا مثيل له تعالى في الأفعال والصفات ، فكما أنّ له تعالى ذاتاً لا تشبه ذوات المخلوقين كذلك فإن له صفات لا تشبه صفات المخلوقين (١)

وفي هذا المعتقد نقول كما يقول القائل :

ولكننا والحمد لله لم نزل	على قول أصحاب الرسول نُعول
نقر بأن الله فوق عباده	على عرشه لكنما لكيف يـجهل
وما أثبت الباري تعالى لنفسه	من الوصف أو أبداه من هو مرسل
فنثبته لله جل جلالُه	كما جاء لا ننفي ولا نتأول
هو الواحدُ الحيُّ القديم له البقا	مليك ، يولي من يشاء ويعزل
تنزه عن ند وولد ووالد	وصاحبةٍ فالله أعلى وأكملُ
وليس كمثل الله شيٌ وماله	شبيه ولا ندّ بربك يعدلُ (٢)

(١)انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/١٣-١٦

(٢)هذه الأبيات تنسب إلى الشيخ الفاضل أحمد بن مشرف رحمه الله تعالى [علي بن سليمان آل يوسف ، اربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة ، الطبعة الثانية ، دار النشر[بدون] ، ١٣٧٩هـ] ص٧٥ .

من خلال ما سبق يتبين لنا مذهب أهل السنة والجماعة في الصفات حيث يقوم على ثلاث أسس (١)

١- إثبات جميع ما أثبته الله تعالى لنفسه أو صح عن رسول ه ﷺ من الأسماء والصفات دون تحريف أو تبديل ، أو زيادة أو نقصان ، أو نفي أو إنكار ، فلا يتعرض لنفيها ، ولا يُتهجم على الله بنفي ما أثبته لنفسه فنؤمن بصفات الجلال والكمال الثابتة بالكتاب والسنة .

٢- تتريه الله عن مشابهة الخلق لقوله تعالى {ليس كمثله شيء}(الشورى: من آية١١) فنؤمن بصفاته تعالى على أساس التتريه والتفريق بين الخالق والمخلوق وفق ما جاءت به النصوص الشرعية وتقتضيه العقول السليمة -كما جاء في قوله تعالى{وهو السميع البصير}بعد قوله{ليس كمثله شيء}

٣- قطع الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية ، لأن إدراك الكيفية مستحيل ، وهذا ما نص الله عليه حيث قال {يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً }(طه: ١١٠)

وحول هذه الأسس الثلاث تمثل مذهب السلف الصالح ، وتمثل موقفهم إزاء العدد من نصوص الصفات في الكتاب والسنة ، فلقد علموا أنه من المحال درك ذات الله تعالى ، وما لا تدرك كيفية ذاته لا تدرك كيفية صفاته إذ القول في الصفات كالقول في الذات (٢) فقطعوا الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية ، مع علمهم بوجوب الإيمان المطلق ، والتسليم الكامل بهذه النصوص، وإثباتها على الحقيقة، لا على المجاز ..فصدرت أقوالهم في هذه المعاني التي هي بمثابة القواعد للخلف من بعدهم في وجوب التسليم والإيمان بالصفات دون الخوض فيها ، أو محاولة التكييف أو التمثيل .

---

(١)أسس مذهب أهل السنة والجماعة مجموع من الكتابين التاليين ، [بدر الدين بن جماعة ، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ، الطبعة الأولى ، دار السلام ، ١٤١٠هـ –١٩٩٠م] ص٣٩

[الشيخ:محمد الأمين الشنقيطي ، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ، الطبعة:[بدون] ، مطبوعات ا لجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ،١٤٠٠هـ]ص٢٥

(٢)القول في الصفات كالقول في الذات هذه العبارة من قول الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٨/٣، ، وهو بذلك يقرر قاعدة ثابتة للسلف في إثبات صفات الله تعالى ، فالذات والصفات من باب واحد ما يقال في أحدهما يقال في الآخر ، يقول رحمه الله تعالى(فإن قال قائل : كيف يفعل ربنا كذا؟ قيل له: كيف هو؟ فإذا قال: لا أعلم كيفيته قيل له : ونحن لا نعلم كيفية فعله ،إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف وهو فرع له ، وتابع له ، فكيف تطالبني بكيفية تكليمه ، واستوائه ، ونزوله وأنت لا تعلم كيفية ذاته)أهـ فتاوى ابن تيمية

يقول الإمام وكيع (1) في أحاديث الصفات(نسلم هذه الأحاديث كما جاءت،ولا نقول : كيف هذا؟ ولا لم جاء هذا؟) ويقول الإمام ابن عيينة (2) (كل شيء وصف الله به نفسه في القرآن فقرائتة تفسيره لا كيف ، ولا مثل)

وفي قول الإمامين الجليلين (3) بيان للأساس الأول والثاني من أسس مذهب السلف وهو إثبات هذه الصفات كما وردت في الكتاب والسنة مع تنزيهه تعالى عن مماثلة المخلوقين فنؤمن بها بلا تمثيل ولا تعطيل .

ثم يرشدا الأمة إلى قاعدة جليلة في الصفات وهي ضرورة إمرار هذه النصوص على ظاهرها بالتسليم المطلق والإيمان بها مع عدم الخوض فيها ، شعارهم في ذلك (امضها بلا كيف) (4) كما ورد ذلك عن أئمتهم وفضلائهم .. لأنه لا دَرْكَ لكيفيته تعالى وما لا تُدرك كيفيته ؛ لا تُدرك كيفيةُ صفاته .. وهذا المعنى يندرج تحت الأساس الثالث من أسس مذهب أهل السنة والجماعة في الصفات .

ولقد صرح لنا إمام دار الهجرة (5) - رحمه الله - أن الكيف في الصفات مجهول ...لكن هذه الجهالة لا تمنع من الإيمان بها ، فقد أُمرنا بالإيمان بصفاته تعالى ، ولم نؤمر بمعرفة كيفية الصفات ،

يقول رحمه الله حين سُئل عن كيفية استواء الله تعالى (الاستواء معلوم ، والكيف مجهول والإيمان به واجب ،

---

(1)الإمام وكيع: الإمام الحافظ الثبت محدث العراق: ابو سفيان وكيع بن الجراح بن قليح لرؤاسي الكوفي أحد الأئمة الفضلاء ، عُرف بالعلم والورع والعبادة ، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل : ما رأت عيني مثل وكيع قط ، يحفظ الحديث ، ويذاكر الفقه مع ورع واجتهاد.. توفي عام١٩٧هـ(انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ١١/١٠٩-١١٤ ، ترجمة رقم(٢١١)؛ تذكرة الحفاظ للذهبي ،١/٣٠٨، ترجمة رقم ٢٨٤ ؛ سير أعلام النبلاء للذهبي كذلك ، ٩/١٤٠؛ طبقات الحفاظ للسيوطي ، ١٣٣)

(2)الإمام ابن عيينة: هو الحافظ شيخ الإسلام أبومحمد سفيان بن عيينة بن أبي مهران ا لهلالي الكوفي ثم المكي ، كان إماماً حجة واسع العلم صاحب التفسير ، طلب الحديث وهو غلام ، ولقي الكبار وحمل منهم علماً جماً ، وأتقن وجوّد وجمع وصنف وازدحم عليه الخلق ، وانتهى إليه علو الإسناد، ورُحِل إليه من البلاد كان ثبتاً في الحديث ، من أعلم الناس بحديث الحجاز ، عُمِّر ما يربو على التسعين ، توفي عام ١٩٦ وقيل ١٩٨هـ ، ترجم له الإمام الذهبي ترجمة وافية ، سير أعلام النبلاء ،٨/٤٥٤-٤٧٤ ؛ طبقات المفسرين للداودي،١/١٩٦

(3)كلا هذين الأثرين أروده الإمام الدار قطني في كتابه [الإمام: أبي الحسن علي بن عمر الدار قطني ، النزول وكتاب الصفات تحقيق الدكتور د.علي بن ناصر الفقيهي ، الطبعة الأولى،دور النشر:[بدون]، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م] ص٧٠-٧١ ؛ وكذلك أخرجه في السنة [الإمام عبدالله بن أحمد بن حنبل ، السنة ، الطبعة الثانية ، دار المؤتمن ، دار رمادي للنشر ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م]ص٢٦٧

(4) رُوي هذا الأثر عن الأوزاعي ، ومالك بن أنس وسفيان الثوري ، والليث ..أخرجه الدار قطني في كتاب النزول ص٧٥

(5)(إمام دار الهجرة) : الإمام الجليل أبوعبدالله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، أحد أئمة المذاهب الفقهية المتبعة ، ولم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبه مالكاً في العلم والفقه والجلالة والحفظ ، فهو عالم زمانه بالمدينة المنورة ،قال الإمام الشافعي :إذا ذكر العلماء فمالك النجم ، اشتهرعنه الموطأ في الفقه المالكي / له تراجم مطولة في معظم كتب التراجم ، توفي عام١٧٩هـ رحمه الله تعالى (انظر طبقات الفقهاء للشيرازي ٥٣-٥٤؛ تهذيب التهذيب ١٠/٥ ؛ الديباج المذهب لابن فرحون ، ١/٨٢-١٣٩ ؛سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٨-١٣٤)

والسؤال عنه بدعة) [1]

وفي هذه الإجابة الجامعة الشاملة للسائل منهجاً للخلف في الطاعة والامتثال دون السؤال عما لا ينبغي ، ولا يرجى نفعه . عملاً بقوله تعالى {ولا تقف ما ليس لك به علم}(الإسراء:٣٦)وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ..) (الحجرات من آية : ١)

وأهل السنة والجماع لا يتقدمون بين يدي الله ورسوله .. واقفون عند لهم نفياً وإثباتاً . فيثبتون له تعالى ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله الكريم ﷺ ، كما ينفون عنه تعالى ما نفاه تعالى عن نفسه أو نفاه عنه رسوله الكريم ﷺ .

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله : الأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله نفياً وإثباتاً فيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفى عنه ما نفاه عن نفسه ، وقد عُلم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل ، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه ، مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير الحاد ، لا في الأسماء الحسنى ولا في آياته فان الله ذم الذين يلحدون في أسمائه كما قال تعالى : {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون } (الأعراف: ١٨) فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات ، مع نفي مماثله المخلوقات إثباتا بلا تشبيه ،وتتريها بلا تعطيل كما قال تعالى { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } (الشورى:١١)) [2]

(١) [الشيخ:محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي ، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية ، الطبعة الثالثة ، المكتب الإسلامي : بيروت ، دار الخاني للنشر والتوزيع - الرياض ، ١٤١١هـ-١٩٩١م] جـ١/١٩١

(٢)مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/١٣-١٦

فأهل السنة يؤمنون بهذه الصفات المثبتة ، ويتعبدون الله بها ، فهم يذكرونه ويدعونه ويتوسلون إليه بها كما يدعونه بأسمائه الحسنى اقتداءً بالمصطفى ﷺ فقد روي عنه ﷺ قوله"يا ذا ا لجلال والإكرام " (1) ، وقوله ﷺ "يا حي ياقيوم برحمتك أستغيث" (2) والجلال والإكرام والرحمة كلها صفات يُدعى بها الله تعالى ويتوسل بها .

لأنهم بهذه الصفات عرفوا ربهم تعالى ، وبدون هذه الصفات تبقى الأسماء ألفاظ مجردة لا معنى لها .

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب (3) رحمه الله تعالى : (فأهل السنة والجماعة عرفوا ربهم بما تعرف إليهم من صفات كماله اللائقة بجلال الله فأثبتوا له تعالى ما أثبته لنفسه وأثبته له رسول إثباتاً بلا تمثيل وتتريهاً بلا تعطيل، وعرفوه بأفعاله وعجائب مخلوقاته ، ومأأظهره لهم من عظيم قدره وبما أسبغه عليهم من عظيم نعمه فعبدوا رباً واحداً صمداً إلها واحداً وهو الله الذي ألوهيته وصفه ، فالخلق خلقه ، والملك ملكه ،لاشريك له في ألهيته ولافي ربوبيته ولا في ملكه تعالى وتقدس فتنـــزهه عن كل ما تره عنه وعن كل ما فيه عيب ونقص) (4)

وهذا الرب الواحد الأحد أحبوه وأحبوا صفاته فأحبهم تعالى لحبهم إياه ففي الصحيح أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاقم فيختم بـــ{قل هو الله أحد } فلما رَجَعوا ذُكر ذلك للرسول ﷺ فقال : " سلوه لأي شيءٍ يصنع ذلك " فسألوه فقال:لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال رسول الله ﷺ "أخبروه أنّ الله يحبه " (5)

---

(1)كان ﷺ إذا سلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول "اللهم أنت السلام ومنك ا لسلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام " أخرجه مسلم – واللفظ له – كتاب: المساجد ، باب:استحباب الذكر بعد الصلاة ، حديث رقم(592) ؛ والترمذي ، جـــ5 ، كتاب للدعوات ، باب:92 ، حديث رقم (3524) بلفظ "الظو بياذا الجلال واالإكرام " أي الزموها في دعائكم ..

(2)ففي الحديث كان ﷺ إذا كربُه أمر قال : يا حي ياقيوم برحمتك أستغيث ، أخرجه الترمذي جـــ5 ، كتاب ا لدعوات، باب:92،حديث رقم(3524)، وقال هذا حديث غريب .

(3) الشيخ محمد بن عبد الوهاب : هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن أحمد التيمي النجدي ، زعيم النهضة الدينية الحديثة في جزيرة العرب ، ولد في العيينة من بلاد نجد ونشأ بها ورحل مرتين إلى الحجاز ومكث في المدينة مدة قرأ بها على بعض علمائها ، ودخل البصرة فأوذي فيها ، وعاد إلى نجد وقام بالدعوة إلى العمل بالكتاب والسنة ، وكان رحمه الله على منهج السلف الصالح ، داعيا إلى التوحيد الخالص ، ونبذ البدع ، وتحطيم ما علق بالاسلام من أوهام ودعوته هي الدعوة الوهابية أو السلفية ، له كتب كثيرة منها : كتاب التوحيد " و " أصول الايمان " و " الامر بالمعروف والنهي عن المنكر " وغيرها ، توفي عام 1206هـــ (أنظر الاعلام للزركلي 257/6؛ معجم المؤلفين ، رضا كحالة : 473/3)

(4)[الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، مجموعة التوحيد ، الطبعة [بدون] ، التاريخ:[بدون]]

(5)متفق عليه : أخرجه البخاري ، جـــ8 ، كتاب التوحيد،باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله ، حديث رقم 7335 ؛ ومسلم جـــ1 ، كتاب : صلاة المسافرين ، باب:فضل قراءة قل هو الله أحد ، حديث رقم (813)

مذهب السلف في صفتي الرضا والغضب لله تعالى :

تبين مما سبق أن صفة الرضا والغضب لله تعالى من الصفات الفعلية التي يفعلها الله متى شاء ، كما إنها من الصفات المتعدية إلى خلقه المتعلقة بسبب من طاعة أو معصية

ولما كان السلف الصالح يثبتون صفات الله تعالى كما وردت في الكتاب والسنة من غير تعطيل ولا تأويل ولا تكييف ولا تمثيل - كما أسلفت - فإنهم يثبتون لله تعالى أسمائه وصفاته التي أثبتها لنفسه تعالى لأنه لا أحد أعلم بالله من نفسه .

كما يثبتون له الأسماء والصفات التي أثبتها له رسوله ، لأنه لا أحد من خلقه أعلم به تعالى من رسول الله ﷺ .

ولما كانت صفتي الرضا والغضب من الصفات الثابتة له تعالى التي أثبتها لنفسه .

فقد أثبت تعالى صفة الرضا لنفسه فهو يرضى عن عباده المؤمنين ، ولا يرضى عن الكافرين فقال تعالى {رضي الله عنهم ورضوا عنه}(المائدة:١١٩) {ولا يرضى لعباده الكفر[١] }(الزمر:٧) كما أثبتها له رسوله ﷺ فقال " إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ...)[٢]

وأثبت لنفسه تعالى صفة الغضب فقال تعالى : { ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه } (النساء : من آية ٩٣)

---

(١) عدم الرضا منه تعالى المذكور في الآية متعلق بالإرادة الشرعية الدينية لا الكونية ، يقول ابن أبي العز شرح العقيدة الطحاوية (وقد اتفق أهل السنة على أن يأمر بما يحبه ويرضاه ، وإن كان لا يريده ولا يشاؤه ، وينهى عما يسخطه ويكرهه ويبغضه ، ويغضب على فاعله ، وإن كان قد شاءه وأراده فقد يحب ويرضى ما لا يريده ، ويكره ويسخط لما أراده)أهـ [الإمام: علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي ، شرح العقيدة الطحاوية ، الطبعة : [الأولى] ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مكتبة دار البيان - دمشق ، توزيع:مكتبة المؤيد - الطائف ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م] ص٢٢٥-٢٢٦

(٢) أخرجه البخاري- واللفظ له - جـ٧ ، كتاب: الرقاق ، باب: حفظ اللسان ، حديث رقم (٦٤٧٨) من حديث أبي هريرة ﷺ ؛ والترمذي جـ٤ ، كتاب: الزهد ، باب:في قلة الكلام حديث رقم (٢٣١٩) بنحوه من حديث بلال المزني ﷺ .

كما أثبتها له رسوله الكريم فثبت قوله ﷺ يوم الحشر " إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله)(١)

فلا ريب أن يثبتها السلف الصالح على الحقيقة لا على المجاز ، فيؤمنون بها ولا يسلّطون عليها التأويل ، ولا يكيفونها أو يشبهونها بصفات الخلق ، بل يعتقدون أن هاتين الصفتين ـ من صفات الفعل ـ وهي من صفات الكمال والجلال الثابتة له تعالى ، التي يجب الإيمان بها وإثباتها كما يليق بجلاله تعالى وجلاله ، فكماله وجلاله في الاتصاف بهما معاً .

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله :

(أما الغضب مع الرضا ،والبغض مع الحب ،فهو أكمل ممن لا يكون منه إلا الرضا والحب دون البغض والغضب للأمور المذمومة التي تستحق أن تذم وتبغض، ولهذا كان اتصافه بأنه يعطى ويمنع ،ويخفض ويرفع أكمل من اتصافه بمجرد الإعطاء ، والإعزاز ، والرفع، لان الفعل الآخر حيث تقتضي الحكمة ذلك – أكمل ممن لا يفعل إلا أحد النوعين ويخل بالآخر في المحل)(٢) المناسب له)أهـ

---

(١) هذا الحديث طرف من حديث الشفاعة الطويل الذي مقدمته (أنا سيد الناس يوم القيامة) أخرجه البخاري – واللفظ له –جـ٥ ، كتاب: تفسير القرآن باب: ذرية من حملنا مع نوح حديث رقم (٤٧١٢) ؛ ومسلم ، جـ١ ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها حديث رقم (١٩٤) بنحوه ؛ والترمذي جـ٤ ، كتاب: صفة القيامة ، باب: ماجاء في الشفاعة ، حديث رقم (٢٤٣٤) بنحوه جميعهم من حديث أبي هريرة ﷺ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/٩٣ – ٩٤

ولقد تعرضت صفتي الرضا والغضب لله تعالى للنفي - من قبل أهل التعطيل النفاة - الذين ينفون الأسماء والصفات أو ينفون الصفات فقط ، فقد نفوا صفات الله تعالى جميعها فقالوا عن الله تعالى - تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا عليمٌ بلا علم ، قدير بلا قدرة ، سميع بلا سمع .. ، وهؤلاء قد عُلم - لكل ذي عقل - ضلال قولهم ، وفساد معتقدهم ، إذ لا يمكن وجود ذات بغير صفات لهذه الذات ، وبدون صفات تبقى الأسماء مجردة عن معاني الحسن والجمال - وقد وصف الله تعالى أسمائه بأنها غاية الحسن والجمال لعظم ما تدل عليه من معان حسنة وهذه المعاني الحسنة : هي صفاته العليا ، فقال تعالى {ولله الأسماء الحسنى ..} (الأعراف من آية :٢٨) وهؤلاء أنكروا هذه الصفات لأنهم حملوا معاني هذه النصوص على مشابهة الخلق بالمخلوق ، فأنكروها ظناً منهم أنهم بذلك قد نزهوا الله عما لا يليق به ، وهم بذلك قد وقعوا في الكفر بما اثبته الله لنفسه في كتابه ، وهؤلاء تَرُدُّ عليهم جميع آيات[1] الصفات في كتاب الله نحو قوله تعالى {بل يداه مبسوطتان..}(ص:من آية٧٥) ، وقوله تعالى {ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام}(الرحمن :من آية٢٧)

كما تعرضت هذه الصفتين للكثير من التأويل من قبل المؤولة[2] فهم يؤولون صفات الله تعالى لغير المعاني الحقيقية التي تدل عليها، وهذا باطل .. وهم ينطلقون في بطلان قولهم على أصول وقواعد وحجج ضآلة ..: فقالوا إن الرضا الميل والشهوة والغضب : غليان دم القلب وهذا لا يليق بالله تعالى ، فأرادوا تتريهه تعالى عن التشبيه فوقعوا في تأويل صفات الله تعالى .

---

(١)ولقد أجاد الشيخ بن العثيمين في الرد عليهم (انظر القواعد المثلى ٣٨-٤٦)

(٢) يقول الشيخ في شرح العقيدة الواسطية (٨٨-٨٩) (التأويل له معان متعددة : يكون بمعنى التفسير ، ويكون بمعنى العاقبة والمآل ، ويكون بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره وهذا الأخير ينقسم إلى محمود ومذموم ، فإن دل عليه دليل ، فهو محمود ويكون من القسم الأول وهو التفسير ، وإن لم يدل عليه دليل فهو مذموم ويكون من باب التحريف ، وليس من باب التأويل ، وهذا الثاني هو الذي درج عليه أهل التحريف في صفات الله) أهـ

ولقد بين الشيخ الشنقيطي [١] - رحمه الله - عظم ضلال وانحراف المؤولة ، حيث بيّن أن سبب وقوع المؤولة في التأويل هو ظنهم أن الظاهر المتبادر من آيات الصفات: هو ما يختص المخلوقين دون الخالق .. فأرادوا تنزيه الله عن التشبيه فوقعوا في التأويل ، ومعنى ذلك أنهم شبهوا أولاً ، ثم أوّلوا ثانياً ..، وتأويلهم كان بسبب فهمهم الخاطئ لآيات الصفات في كتاب الله .. ثم يشير إلى أن ذلك افتراءً وكذباً على الله بغير علم ..كما ينبه إلى الطريقة السليمة للإيمان بالصفات : وهي التنزيه التام لله عن مشابهة الخلق فيقول (لا بد من تحقيق المقام الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من آيات الصفات كالاستواء واليد مثلاً . فغلط في هذا خلق لا يحصى كثرةً من المتأخرين فزعموا أن الظاهَر المتبادِر السابق إلى الفهم من معنى الاستواء واليد مثلاً في الآيات القرآنية هو مشابهة صفاتِ ا لحوادث وقالوا: يجب علينا أن نصرفه عن ظاهرة إجماعاً لأن اعتقادَ ظاهرِه كفرٌ ولا يخفى أن هذا القول من أكبر الضلال ومن أعظم الافتراء على الله جل وعلا .

والحق الذي لا يشك فيه أدنى عاقل أن كل وصفٍ وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ ظاهرُه المتبادِرُ منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث .

والجاهل المفتري الذي يزعم أن ظاهر آيات الصفات لا يليق بالله لأنه كفر وتشبيه إنما جر إليه ذلك تنجيس قلبه بقذر التشبيه بين الخالق والمخلوق فأداه شؤم التشبيه إلى نفي صفات الله جل وعلا هو الذي وصف بها نفسه فكان هذا الجاهل مشبهاً أولاً ومعطلاً ثانياً فارتكب ما لا يليق بالله ابتداءً وانتهاءً ولو كان قلبه عارفاً بالله كما ينبغي ، طاهراً من أقذار التشبيه لكان المتبادِرُ عنده السابق إلى فهمه : أنّ وصف الله جل وعلا بالغ من الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن والسنة الصحيحة مع التنزيه التام عن مشابهة الخلق على نحو قوله { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } (الشورى:١١)) [٢]

---

(١)الشيخ الفاضل: محمد الأمين بن محمد المختار الجَكَنيُ الشنقيطي ، كاتب إسلامي معاصر اشتهر عنه تفسيره المعروف بأضواء البيان ، توفي عام ١٣٩٣ رحمه الله تعالى

(٢)[الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، الطبعة : [بدون] ، مكتبة بن تيمية – القاهرة – توزيع:مكتبة المغني – الرياض ، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م [جـ٢/٢٨٥-٢٨٦ .

ولقد اتخذ تأويل المؤولة لصفتي الرضا والغضب لله تعالى عدة جوانب

فتارة تأول الرضا والغضب بالإرادة المشيئة ففسروا رضا الله عن عبده :إرادة الإحسان له أو إرادة الخير له وغضبه عليه : إرادة الشر له أو إرادة الانتقام وتارة يفسر الرضا والغضب بالثواب والعقاب وتارة يفسر بالجنة والنار..، وكل هذه التأويلات باطلة غير حقيقية لمعنى الرضا والغضب .

والواجب على كل مؤمن أن يفسر رضاه تعالى بالرضا وغضبه تعالى بالغضب .. على الحقيقة لا على المجاز يقول الحافظ بن عبدالبر رحمه الله [1]

"أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في القرآن والسنة والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، ولا يكييفون شيئاً من ذلك " [2]

فلا يصح أن يفسر الرضا والغضب بالإرادة لأن الإرادة صفة أخرى ثابتة لله تعالى .. ولقد أنزل الله تعالى كتابه بلسان عربي مبين .. فجاء بلغة العرب وكل عربي يفهم المراد من كتابه الكريم ، كما أن صفات الله تعالى جميعها من باب واحد فالقول في بعض الصفات كالقول في بعض ..

فإن كانت صفتي الرضا والغضب تقتضي التشبه والتمثيل بالمخلوق فكذلك صفة الإرادة تقتضي ذلك وإن كانت الإرادة صفة ثابتة لله على ما يليق بجلاله .. فكذا الرضا والغضب صفات ثابتة لله على ما يليق بجلاله لاتقتضي التشبيه والتمثيل بين الخالق

---

(١)ابن عبدالبر : الحافظ الإمام أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النِّمري القرطبي ، لم يكن بالأندلس مثله في الحديث ، انتهى إليه مع إمامته علو الإسناد ، له تصانيف مفيدة منها : التمهيد شرح الموطأ ، الاستيعاب في الصحابة ، فضل العلم ، الكنى والأنساب وغيرها توفي عام ٤٦٣هـ (انظر: تذكرة الحفاظ ١١٢٨/٣ ؛ طبقات الحفاظ للسيوطي ص٤٣٢؛شذرات الذهب ٣١٤/٣)

(٢) التمهيد لابن عبد البر ٦/ ١٤٥

(فكما أن ذاته لا تشبه ذواتنا وحياته لا تشبه حياتنا ، فرحمته ومحبته ورضاه وغضبه كذلك ، فلا يجوز التفريق بين المتماثلين في الصفات ، فكيف تثبت له إحدى الصفتين ، وتنفي عنه الأخرى ، مع ورود الجميع في كتاب الله ، وليس في العقل ولا في السمع ما يوجب التفريق) (١)

فلا يجوز إذاً التفريق بين الصفات لأن القول في أحدها كالقول في الأخرى والصفات جميعها من باب واحد

يقرر هذه الحقيقة الإمام ابن تيمية رحمه الله كما يردُّ رداً مفحماً لمن يؤول الصفات تُوصِلة – إن أراد الحق– إلى الإقناع وترك رأيه الباطل الفاسد في التأويل فيقول (القول في بعض الصفات كالقول في بعض ، فإن كان المخاطب ممن يقول: أن الله حي بحياة عليم بعلم قدير بقدرة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام مريد بإرادة ويجعل ذلك كله حقيقة وينازع في محبته ورضاه وغضبه وكراهته فيجعل ذلك مجازاً ويفسره إما بالإرادة وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات ، فيقال له : لا فرق بين ما نفيته وما أثبته بل القول في أحدهما كالقول في الآخر ، فإن قلت أن إرادته مثل إرادة المخلوقين فكذلك رضاه وغضبه وهذا هو التمثيل ، وإن قلت: أن له إرادة تليق به كما أن للمخلوق إرادة تليق به ، قيل لك : وكذلك له محبة تليق به ، وللمخلوق محبة تليق به ، وله رضا وغضب يليق به وللمخلوق رضا وغضب يليق به ، وإن قلت الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام فيقال له : والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة فإن قلت : هذه إرادة المخلوق قيل لك : وهذا غضب المخلوق وكذلك يلزم القول في كلامه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته إن نفى عنه الغضب والمحبة والرضا ونحو ذلك مما هو من خصائص

---

(١)[الشيخ:محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية، الطبعة الثالثة ، المكتب الإسلامي : بيروت ، دار الخاني للنشر والتوزيع – الرياض ، ١٤١١هـ–١٩٩١م] جـ١/١٠٠

المخلوقين فهذا منتف عن السمع والبصر والكلام وجميع الصفات ، وإن قال : أنه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين فيجب نفيه عنه قيل له وهكذا السمع والبصر والكلام والقدر ، فهذا المفرِّق بين بعض الصفات وبعض يقال له : فيما نفاه كما يقوله هو لمنازعه فيما أثبته) [١]

كما أن الثواب والعقاب أو الانتقام والجنة والنار جميعها من نتائج رضا الله وغضبه تعالى وآثار مترتبة عليهما ، وليست هي رضا الله وغضب الله ، وقد فارق الشارع حين ذكرهم في موطن واحد فاجتماع الرضا بالجنة أعظم دليل على أن لكل منهما معنى خاص به

١- قال تعالى عن المؤمنين {يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم}(التوبة:٢١)

فدلّت هذه الآية على أن الرحمة غير الرضوان وأنهما غير الجنان وهذا من المعلوم في نصوص كثيرة ..

٢- قوله تعالى {فلما آسفونا انتقمنا منهم }(الزخرف من آية : ٥٥)

(في الآية رد على من فسر السخط والغضب بالانتقام لأنه جعل الانتقام غير الغضب لأن الشرط غير المشروط) [٢]

٣- قال الإمام ابن القيم [٣] رحمه الله : (والقرآن مملوء بذكر سخطه وغضبه على أعدائه ، وذلك صفة قائمة به

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ٣/١٧-١٨

(٢)العقيدة الواسطية : ١/٢٧٠

(٣)ابن قيم الجوزية : هو أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي ، قال ابن رجب كان رحمه الله ذا عبادة وتهجد وطول صلاة ولهج بالذكر والإنابة لم أشاهد مثله ولا رأيت أوسع منه علماً ولا أعلم بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان به أهـ ، وكان قد أوذي مرات وسجن مع شيخه ابن تيمية رحمهما الله تعالى ، كتب بخطه مالا يوصف كثرة وصنف تصانيف نافعة كثيرة جدا منها " مدارج السالكين" و" طريق الهجرتين وباب السعادتين " و"الوابل الصيب " و " الكلم الطيب " وغيرها توفي عام ٧٥١هـ (شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ٦/١٦٨؛ معجم المؤلفين ٣/١٦٤)

يترتب عليها العذاب واللعنة لا أن السخط هو نفس العذاب واللعنة بل هما أثر السخط والغضب وموجبهما ولهذا يفرق بينهما كما قال تعالى {ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاءه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنـــــه}(النساء من آية :٩٢) ،

ففرّق بين عذابه وغضبه ولعنته ، وجعل كل واحد غير الآخر ، وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم"اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك" (١)

فتأمل ذكر استعاذته صلى الله عليه وسلم بصفة (الرضا) من صفة (السخط) وبفعل المعافاة من فعل (العقوبة) فالأول للصفة والثاني لأثرها المترتب عليها ثم ربط ذلك كله بذاته سبحانه ذلك كله بذاته سبحانه وأن ذلك كله راجع إليه وحده لا إلى غيره) (٢)

---

(١) أخرجه مسلم – واللفظ له – جـ١ ، كتاب الصلاة ، باب: ما يقال في الركوع والسجود ، (٤٨٦)،جـ١ ، كتاب الصلاة ، باب: الدعاء في الركوع والسجود ، حديث رقم (٨٧٩) بنحوه ؛ وابن ماجة ، جـ٢ في أبواب الدعاء ، باب: ما تعوذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حديث رقم (٣٨٨٦) بلفظه ؛ والنسائي جـ١ ، كتاب الطهارة ، باب: الوضوء من مس الرجل امرأته بدون شهوة ، حديث رقم (١٦٩) ؛ وفي التطبيق ، جـ٢ ، باب: نصب القدمين في السجود ، حديث رقم (١١٠٠) كلاهما بنحوه .

(٢) [الإمام ابن قيم الجوزية : أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م] ١/٢٧٨-٢٧٩

الباب الأول : الرضـــــا

الفصل الأول : رضا الله تعالى

الفصل الثاني : الرضا عند البشر

الفصل الأول

وفيه مباحث

المبحث الأول : رضا الله أكبر مثوبة وأجراً

المبحث الثاني : رضا الله تعالى غاية المؤمنين

المبحث الثالث : أقوام قد رضي الله عنهم

المبحث الرابع :أسباب رضا الله تعالى

المبحث الأول : ارتباط رضاه تعالى برضا بعض البشر

تمهيـــــد :

رضا الله تعالى غاية كل مؤمن ، وأمنية كل موحد ، لأن رضاه تعالى أعظم مثوبة وأكرم أجراً ينتظر المؤمن عند ربه يوم القيامة ، فهو أعظم نعيم في الجنان ، بل هو أعلى وأكبر من الجنان .

ورضاه تعالى هدف المؤمن وأسمى مناه ، وهو الغاية التي يكدُّ من أجلها المؤمنون ويتنافس في بلوغها المتنافسون ، ويجدُّ في نيلها الموحدون ، فإن تحققت غايته كان التوفيق حليفه ، والسعادة طريقه ، والفوز عاقبته ، وإن تكاسل ومنّى نفسه الأماني دون عمل ، فقد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

فلقد [نَدَبَ الله تعالى إلى الرضا ، وأثنى على أهله ، وأخبر أن ثوابه رضاه عنهم الذي هو أعظم وأكبر وأجلُ من الجنان وما فيها ، فمن رضي عن ربه رضيَّ الله عنه. بل إن رضا العبد عن الله من نتائج رضا الله عنه ، فهو محفوف بنوعين من رضاه عن عبده : رضا قبله أوجب له أن يرضى عنه ورضا بعده هو ثمرة رضاه عنه ، ولذلك كان الرضا باب الله الأعظم ، وجنةُ الدنيا ، ومستراح العارفين ، وحياة المحبين ، ونعيم العابدين](1)

فلا أجلّ من أن يحيا المؤمن برضاه تعالى حيث عَبَده حق عبادته واتبع رضاه فرضيّ عنه تعالى ، ولا أجلّ من أن يموت المؤمن على رضاه تعالى ، فيختم له بالرضا .

ولا أجلّ ولا أعظم من أن يبعث فيبشر بالرضا والقبول ، ورضاه تعالى ملازم للعبد في دورة الثلاث(2) ، فما طابت الدنيا إلا برضاه ، ولا أنِس العبدُ في قبره إلا برضاه وما طابت الجنة إلا برضاه .

وقد يسأل سائل : أليس دخول الجنان دليلاً على الرضا؟ أليس مثوبة الرضا لاحقة بمثوبة الجنة ولازمة لها ؟

الإجابة : بالطبع : بلى.

فلم إذا نص تعالى في كتابه على الرضوان بعد ذكر الجنان ؟ كما في قوله تعالى { وعدَ الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم}(التوبة:٧٢)

---

(1) [الإمام ابن قيم الجوزية ، أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م] جـ١٨١/٢.

(٢) المصدر السابق ١٨٢/٢ حيث قال [الرضا والمحبة حالان من أحوال أهل الجنة ، لا يفارقان المتلبس بهما في الدنيا ولا في البرزخ ولا في الآخرة ؛ بخلاف الخوف والرجاء ، فإنهما يفارقان أهل الجنة بحصول ما كانوا يرجون ، وأمنهم مما كانوا يخافون – أهـ]

قوله تعالى (قل أونبئكم بخير من ذلكم للذين أتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) (آل عمران ١٥)

يقول الامام الألوسي للأجابة على هذا التسأول :

قد بدأ سبحانه في هذه الآية أولاً بذكر المقر – وهو الجنات ، ثم ثنى بذكر ما يحصل به الأنس التام – وهو الأزواج المطهرة ، ثم ثلث بذكر الأكسير الأعظم والروح لفؤاد الواله المغرم – وهو رضا الله عز وجل (١) أهـ ففي هذا القول إشارة إلى أن الآية الكريمة بدأت بالأدنى إلى الأعلى وختمت بالرضوان الأكبر كما قال تعالى (ورضوان من الله أكبر) (التوبة من آية ٧٢) حتى يحرص المؤمن عليه ويطلبه من ربه ويسعى لتحقيقه ، ولعله كذلك نص على لفظ الرضوان رغم أنه من لوازم الجنان فلا دخول لأهل الجنة الجنة إلا برضاه تعالى حتى تطمئن النفوس المؤمنة إلى أبدية النعيم في الجنان بخلاف نعيم الدنيا ، فإن المرء في الدنيا قد يحصل على شيء من النعيم فيشعر بسعادة غامرة واطمئنان نفسي ، لكن سرعان ما تزول هذه السعادة بزوال هذه النعمة ، أو بنزول بعض المصائب التي تنغص عليه استمتاعه بالنعم . فلئلا يتطرق إلى الإنسان ورود مثل هذا ا لاحتمال في نعيم الجنان قياساً على نعيم الدنيا ، كان تخصيص ذكر الرضا بالذات في كتابه تعالى بعد الجنان ليطمئن على استمرارية النعيم في الجنة ، فلا تتكدر النفوس خشيةَ زوالِها ، فرضاه تعالى عنهم يشعرهم بالنعيم الأبدي المقيم الذي لا يلحقه تكدير أو تنغيص ،

ومن خلال تتبع النصوص في الكتاب والسنة لصفة الرضا لله تعالى نجد أن الشارع الكريم عبّر عن رضاه تعالى بلفظ "رضوان " بالتنكير وزيادة الألف والنون ، مما يجعل المرء يتبادر إليه تساؤلان آخران هما :

علام يدل التنكير في هذه الصفة ؟

لم عُبّر بالرضوان بدل الرضا؟

للرد على التساؤل الأول : قال العلماء فيه قولان :

القول الأول : أن التنكير في صفة رضا الله تعالى لإرادة التقليل . أي أن أدنى رضوان منه تعالى لا يساويه شيء من اللذات

(١) الامام الالوسي : ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الطبعة : الاولى ، دار الكتب العلمية : بيروت ، ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م] جـ ٢ / ٩٩

وإن كانت على غاية ليس بعدها غاية [١].

القول الثاني : أن التنكير لإرادة التكثير والتعظيم فقالوا : رضوان : أي رضا عظيم على مايشعر به التنوين[٢] رضاً كثيرا فوق وصف الواصفين ، وتصور المتصورين [٣]

وللإجابة على التساؤل الثاني : قال العلماء :

لم يعبّر القرآن بالرضا بدل الرضوان تعظيماً لشأن الله في نفسه ، لأن في الرضوان من المبالغة ما لا يخفى[٤] فلما كان أعظم الرضا رضا الله تعالى، خُص لفظ الرضا في القرآن بما كان من الله تعالى ، ولم يستعمل في القرآن في غير رضاه تعالى[٥]

ولما كان رضا الله تعالى أعظم أجراً ينتظر المؤمنين في الجنان ؛ فلقد أضحى غاية كل مؤمن ومبتغى كل موحد، بذل في سبيل رضاه النفس والنفيس ، ويتقرب إليه بكل سبب من أسباب رضاه ، ويسير اليه تعالى بالقرابات .. ، وسار على نهج الأنبياء الكرام ، والصحابة الأبرار والتابعين لهم بإحسان ، ثم وهو مع ذلك حريص على رضا كل من تعلق رضاه تعالى برضاه من البشر كرضا المصطفى ﷺ ، ورضا الولدين ...

وعلى ذلك فإن مباحث الفصل الأول هي :

المبحث الأول : رضا الله أكبر مثوبة وأجراً

المبحث الثاني : رضا الله تعالى غاية المؤمنين

المبحث الثالث : أقوام قد رضي الله عنهم

المبحث الرابع : أسباب رضا الله تعالى

المبحث الخامس : ارتباط رضاه تعالى برضا بعض البشر

وفيما يلي تفصيل هذه المباحث :

---

(١)][الإمام الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدّراية في علم التفسير ، الطبعة الأولى، دار ابن كثير – دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت ١٤١٤هـ-١٩٩٤م] بتصرف

(٢) روح المعاني للألوسي

(٣) فتح القدير للشوكاني ٢/٣٩٣-٣٩٤

(٤) روح المعاني للألوسي (٣٥٦/٥) وقوله: فيه من المبالغة ما لا يخفى : كما هو معلوم أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى

(٥) [الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن، الطبعة:[بدون]- دار المعرفة، بيروت – لبنان- تحقيق: محمد سيد كيلاني التاريخ:[بدون]] ص١٩٧

المبحث الأول:

رضا الله أكبر مثوبة وأجراً

تمهيد

رضا الله تعالى أعظم كرامةٍ يُكرم بها المؤمن في الدنيا - حيث يُوفقُ لفعل الطاعات ، وترك المنكرات - وهو أكبر مثوبة وأعظم أجراً يتفضل به تعالى لأوليائه في الجنان .. فهو أكبر من كل نعيم .. وأفضل من كل أجر ولقد نص تعالى على ذلك بقوله - بعد أن ذكر نعيم الجنان {ورضوان من الله أكبر }(التوبة::٧٢)

أما عن سبب كون رضوان الله تعالى أكبر من كل نعيم فقد أجاب عن ذلك الإمام ابن الجوزي[١] بقوله (ففيه جوابان : أحدهما : أن سرور القلب برضا الرب نعيم يختص القلب[٢] ، وذلك أكبر من نعيم الأكل والشرب ، الثاني : أن الموجب للنعيم : الرضوان ، والمُوجَب ثمرةُ الموجِب فهو الأصل)[٣]

وأضاف الإمام الألوسي[٤] جواب ثالث بقوله (رضوانه أكبر من كل نعيم لأنه مبدأُ حلول دار الإقامةِ ، والوصولِ إلى كل سعادة ، وهو غاية إرب المحبين ، ومنتهى أمنية الراغبين)[٥]

ورضوانه تعالى خير بشارة يبشرُ بها المؤمنُ عند الموت ، وعند الحساب ، لأنه أكبر وأعظم من كل ما في الجنان ، فإذا تفضل به المنعم جل وعلا على أولياءه ، فأحلَّ عليهم رضوانه ، أضحوْا وكأنهم لم يلقوْا نعيماً قط فما يلْقَونه من عظيم رضوانه تعالى عليهم ، يفوق كل نعيم ،

---

(١)الإمام ابن الجوزي : هو الإمام العلامة الحافظ الواعظ المفسر جمال الدين أبو الفرج ، عبدالرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد الجوزي ، قال عنه الإمام السيوطي: صاحب التصانيف السائرة في فنون العلم ، وما علمت أحداً من العلماء صنف ما صنف من تصانيفه الوفا بفضائل المصطفى ، وزاد المسير في التفسير ، والمغني في علوم القرآن وغيرها كثير ، توفي عام ٥٩٧هـ (انظر:تذكرة الحفاظ للذهبي،٤/ ١٣٤٢؛ طبقات الحفاظ للسيوطي،٤٨٠ ؛ طبقات المفسرين له أيضاً ،ص١٧ ؛ شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ، ٣٢٩/٤)

(٢)وفي هذا المعنى يقول الإمام الرازي في تفسيره (واعلم أن هذا هو البرهان القاطع على أن السعادات الروحانية أشرف وأعلى من السعادات الجسمانية) [الإمام الرازي: فخر الدين بن العلامة ضياء ا لدين بن عمر ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر للطباعة ن بيروت - لبنان ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م]جـ١٣٦/١٦ ؛ ويقول الإمام الشوكاني في فتح القدير (جـ٤٣٥/٢)(وذلك لأن في رضوانه تعالى سعادة ا لروح ، وهي أعظم وأكمل وأشرف من سعادة الجسد) أهـ

(٣)[الإمام ابن الجوزي: أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي ، زاد المسير في علم التفسير ، الطبعة : الرابعة ، المكتب الإسلامي ، بيروت - دمشق ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م]جـ ٣ / ٤٦٩ بتصرف .

(٤)الإمام الألوسي : هو الإمام أبو الثناء ، شهاب الدين السيد محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي البغدادي كان رحمه الله شيخ العلماء في العراق وانتهت إليه الرئاسة فيهم لمزيد فضله ، وآية آيات الله العظام جمع كثيراً من العلوم حتى صار محدثاً لا يجارى ن ومفسِراً لكتاب الله لا يبارى ، سلفي الاعتقاد شافعي المذهب توفي عام ١٢٧٠هـ رحمه الله تعالى (الأعلام للزركلي ١٧٦/٧ ؛ التفسير والمفسرون ٣٥٢/١)

(٥)روح المعاني جـ٩٩/٢

ويعلو كل أجر - نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا من أوليائه أهل رضوانه المتقين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ..

وحول هذه المعاني إليك النصوص على أن رضوان الله أكبر

(١) يبين الله تعالى في كتابه الكريم أن رضاه أعظم أجراً وأكبر فوزاً وأفضل مثوبة يكرم به تعالى أوليائه في الجنان فيقول تعالى { وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن و رضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم }التوبة:٧٢

عند تأمل هذا النص القرآني نلاحظ أن الله تعالى عدَّد نعيم المؤمنين في الجنان ، ثم ختم تعالى نعيم الجنة بقوله تعالى {ورضوان من الله} إشارة إلى أن رضوانه تعالى أفضل نعيم وأعظمه .

ثم صرح بهذه الإشارة بوصفه تعالى لرضوانه بأنه {أكبر} فهو أكبر من كل نعيم ، وأعظم من كل أجر

هذه الحقيقة - أن رضوان الله تعالى أكبر مثوبة وأجراً - أقرَّها الله في محكم التنزيل كما أسلفت ، وأجمع عليها أهل العلم ، وإليك طائفة من أقوالهم :-

قال الإمام الطبري[١] والإمام البغوي[٢]: قوله تعالى "ورضوان من الله أكبر" معناه :رضي الله عنهم أكبر من ذلك كله .

---

(١) الإمام الطبري : هو الإمام العلَم الحافظ المجتهد عالم عصره : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري صاحب التصانيف، كان من أفراد الدهر علماً وذكاءً قل أن ترى العيون مثله فقد كان رأساً في التفسير ،إماماً في الفقه والإجماع ، علامة في التاريخ عارفاً بالغة والقراءات فقد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد غيرة من عصره، له كتاب التفسير لم يصنف مثله ..)أهـ ترجم له الداودي ترجمةً وافية وله ترجمه في معظم كتب التراجم (تذكره الحفاظ للذهبي ٢/٧١٠ ؛ طبقات المفسرين للداودي ٢/١١٠-١١٨)

(٢)البغوي: الأمام أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي صاحب التصانيف ،عالم أهل خرسان كان محدثاً مفسراً فقيهاً صنف في الفقه التهذيب وشرح السنة وغيرها توفي عام ٥١٦ هـ (شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ٤/٤٨ ؛ معجم المؤلفين ١/٦٤٤)

(٣)[الإمام الطبري : أبي جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، الطبعة:[بدون] ، حققه وعلّق عليه:محمود شاكر ، دار المعارف ، مصر]جـ١٤/٢٥٤ .

[الإمام البغوي : أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي ، تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ، الطبعة الثالثة ، إعداد وتحقيق : خالد العك ومروان سوار - دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م]جـ٢/٣١٠ .

وقال الحافظ بن كثير[١] : أي رضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعم[٢]

وقال الإمام الشوكاني[٣] :

فيه دليل على أنه لا شيء من النعم وإن جلّت وعظمت يماثلُ رضوان الله [٤] وقال غيرهم[٥] بذلك ، ولم أقف على من خالف على هذا القول عند أهل العلم ..

وإنما كان رضوانه تعالى أكبر من كل نعيم

(لأنه مبدأ لحلول دار الإقامة والوصول إلى كل سعادة) نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل رضوانه

---

(١)الحافظ بن كثير : هو الإمام المحدث الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير البصروي الدمشقي الشافعي، كان رحمه الله مفسراً نقاداً وفقيهاً ومحدثاً متقناً كثير التصانيف أخذ الكثير عن ابن تيمية رحمه الله وكان يفتي برأيه في بعض المسائل له كتاب التفسير قال عنه السيوطي : لم يؤلف على نمطه مثله – من أفضل كتب التفسير بالمأثور ، والبداية والنهاية ، تهذيب الكمال ، وطبقات الشافعية ..وغيرها كثير . (ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي ٣٦٧ ؛ طبقات المفسرين للداودي ١/١١٢ ؛ طبقات الحفاظ للسيوطي ٥٣٤)

(٢)[الحافظ بن كثير : أبي الفداء بن كثير الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، الطبعة:[بدون] ، دار الفكر ، بيروت- لبنان ١٤١٤هـ-١٩٩٤م] جـ٢/ ٤٥١

(٣)الإمام الشوكاني : هو الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن نشأ بصنعاء وولي قضاءها ، ومات حاكماً بها .

(٤)فتح القدير ٢/٤٣٥

(٥) وقال غيرهم : قال بذلك ايضاً الامام الرازي في تفسيره حيث قال : المعنى ان رضوان الله اكبر من كل ما سلف أهـ (التفسير الكبير جـ ١٦ / ١٣٦) ؛ وقال الامام الخازن في تفسيره يعني ان رضوان الله الذي ينزله عليهم اكبر من كل ما سلف ذكره من نعيم الجنة جـ ٢ / ٣٨٤ [علاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير الخازن – تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، ضبطه وصححه عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م] ؛ وكذلك قال السيوطي في الدر المنثور : إذ اخبروا ان رضوان الله عنهم اكبر فهو اكبر عندهم من النعم . وأورد حديثا يؤيد هذا المعنى وعزاه الى ابن ابي حاتم في تفسيره عن النبي صلى الله عليه وسلم (لنعيم اهل الجنة برضوان الله عنهم افضل من نعيمهم بما في الجنان) [الامام السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، الطبعة [بدون] ، مطبعة الانوار المحمدية ، التاريخ [بدون] ٣ / ٢٧٩

(٢) إن أعظم ما يسعد المؤمنين في الجنان ، ويقرُ أعينهم ، ويريح بالهم اطمئنانهم إلى أن رضا الله تعالى عنهم رضاً ، خالد ، رضاً لا يشوبه كدر ، ولا يلحقه سخط أبدا

ففي الحديث القدسي – قال رسول الله ﷺ : (إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! يقولون : لبيك وسعديك [١].

فيقول: هل رضيتم ؟ فيقولون ومالنا لا نرضى ؟ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا : يا رب! وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول : أُحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً) [٢]

فإخباره تعالى أنه سيعطيهم أفضل من إعطاءه الجنان والنعيم دليل على ما ذكرناه أن الرضا أعظم ثواب أهل الجنة، وأنه أكبر من الجنان[٣] وقوله تعالى في الحديث"أحل عليكم رضواني"(أي أنزله وفيه تلميح بقوله تعالى{ورضوان من الله أكبر}) [٤]

فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة ، بل هو غاية نعيم أهل الجنة ، وأعظم ما يلقاه أهل الجنة من الأجر والمثوبة ولا يلزم من إنزال الرضا استمراره أبداً في الجنان ، لذلك قال تعالى حتى تطمئن القلوب المؤمنة "فلا أسخط عليكم بعده أبداً " (ففي هذا الحديث أن النعيم الذي حصل لأهل الجنة لا مزيد عليه)[٥]

([١]) لبيك وسعديك : لبيك : من لبّا يدل على اللزوم والثبات والمعنى أنا مقيم على طاعتك ومعنى لبيك وسعديك : إجابة ومساعدة والمساعدة المطاوعة كأنه قال:أجيبك إجابة وأطيعك طاعة ولم نسمع بسعديك منفرداً،والتثنيه للتكرير والتكثير فالمراد : إجابة بعد إجابة،ومساعدة بعد مساعدة(انظر غريب الحديث للدينوري١/٤١ ،الفائق في غريب الحديث للزمخشري٢/١٧٩ ،معجم المقاييس في اللغة لابن فارس، ص٩٣٤)

([٢])متفق عليه . أخرجه البخاري واللفظ له – كتاب : الرقاق ، باب: صفة الجنة والنار ، حديث رقم (٦٥٤٩) ، ومسلم كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة ، حديث رقم (٢٨٢٩) والترمذي جـ كتاب صفة الجنة باب : ١٨ حديث رقم (٢٥٥٥) كلاهما بنحوه ، جميعهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣)ولقد وردت نصوص أخرى أن رؤيته تعالى أعظم نعيم أهل الجنة كما في تفسير الزيادة في قوله تعالى {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة}(يونس:من آية٢٦) ، يقول الإمام ابن كثير في تفسيره ، ٢/٥٠٤ في قوله تعالى {زيادة} يشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحور والرضا عنهم ، وما أخفاه من قرة أعين ، وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم ، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أُعطوه لا يستحقونها بعملهم ، بل بفضله ورحمته أهـ ما يشعر بأن رؤيته تعالى أعظم ما في الجنان من نعيم ، وأن رضاه دون الرؤية في المكانة والمنزلة والأمر ليس كذلك .. فليس بين الرضا والرؤية تضاد ومقارنة ، وإنما علاقتهما علاقة سبب ومسبب ، فالرضا منه سبب لرؤيته تعالى ولا تتم رؤيته إلا برضاه ، يقول الإمام الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/٦٤٨)(وإنما رفعت منزلة الرضا لأنه لا يحصل النظر إلا بالرضا فلا يكون لهم ذلك إلا عند رضاه) أهـ وعلى ذلك جرى التنبيه والتوضيح – والله أعلم–

(٤) [الحافظ ابن حجر : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الطبعة: [بدون] ، ترقيم : محمود عبدالباقي ، تصحيح الطبع : محب الدين الخطيب ، دار الكتب العلمية – بيروت ،]جـ٧/٢٩٩

(٥) الإمام المباركفوري : أبي العلاء محمد بن عبد الرحمن ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، الطبعة : [بدون] ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ج ٧/ ٢٩٩

وهكذا نرى أن أعظم أجر للعبد عند الله تعالى رضاه تعالى ، فيعطيه إياه في الدنيا حيث يسعد به في الدنيا ، ويهنأ به في العيش ... ويذخر له الجزء الأكبر يوم القيامة ... فيجد أعظم نعيم ينتظره في الجنان هو رضوانه تعالى فهو أكبر وأعظم وأعلى من كل نعيم لارتباطه بالله تعالى لذلك كان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أشد الناس تحرياً لمرضاته تعالى في الأعمال ... حيث سجل لهم القرآن الكريم عظيم ابتغائهم مرضاته تعالى فاستحقوا أن يكونوا خير أهل رضا الله ...

فرضي الله عنهم وأرضاهم .

وفيما يلي يتم عرض الآيات الواردة في ابتغائهم مرضات الله تعالى في الطاعات ورضوان الله عليهم بذلك .

تحت مبحث :

رضا الله غاية المؤمنين .

المبحث الثاني:

رضا الله تعالى غاية المؤمنين

ويشمل

المطلب الأول : ثناء الله تعالى على المؤمنين وطلبهم مرضاته

المطلب الثاني : دعاء الأنبياء والصالحين بطلب العمل المرضي عند الله

المطلب الثالث : أثر الكلمة في تحقيق رضا الله

تمهيد :

المؤمن الحق هو الذي يبتغي رضا الله تعالى بالأعمال الصالحة التي يتقرب بها إليه وذلك لأن رضوانه تعالى أعظم مثوبة ، وأكبر أجراً ، وأجل نعيم ينتظره العبد لينال سعادة الدنيا والآخرة .

كما قال تعالى {ورضوان من الله أكبر }التوبة:٧٢ ، فرضاه تعالى غاية المؤمن التي من أجلها يحيا ، وأسمى أمانيه التي لها يعيش... فلرضاه تعالى يعمل العاملون ، ويتنافس المتنافسون ، ويجدُّ المجتهدون ، فمن تحققت غايته فقد فاز ؛ ومن تكاسل ومنّى نفسه الأماني دون عمل، وتخلف عن ركب السائرين فقد خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين،

والمؤمنون الخلص استجابوا لربهم ، وعلموا أن رضاه تعالى أعظم مثوبةً وأجراً ينتظرهم ، فسارعوا إلى الطاعات ابتغاء مرضاته فاستحقوا ثناء ربهم المنان ، ولهجت ألسنتهم بالدعاء بطلب رضوانه وتحروا رضاه تعالى في أقوالهم فحرصوا على التلفظ برضاه واجتناب ما يسخطه من الأقوال والأفعال ، فلقّاهم تعالى رضاه ، فرضي عنهم وأرضاهم.

وإليك الآيات والأحاديث التي تدور حول هذه المعاني ضمن مطالب ثلاث :

المطلب الأول : ثناء الله على المؤمنين لابتغائهم وطلبهم مرضاته

المطلب الثاني : دعاء الصالحين بطلب العمل المرضي عند الله

المطلب الثالث : أثر الكلمة في تحقيق رضا الله .

المطلب الأول : ثناء الله على المؤمنين لابتغائهم وطلبهم مرضاته :

امتدح الله تعالى المؤمنين ، وأثنى عليهم في مواطن عدة من كتابه الكريم لأدائهم طاعات وعبادات مختلفة ، يجمعها سبب واحد : هو ابتغاؤهم في تلك الطاعات والعبادات رضوانه تعالى ، فخلّد ذكرهم سبحانه وتعالى في كتابه العزيز مشيداً بطاعتهم مبيناً عظيم إخلاصهم ، مرغباً في الاقتداء بأثرهم والسير على منوالهم وإليك هذه الآيات :

[١] امتدح الرب تبارك وتعالى المؤمنين لابتغائهم مرضاته وبذلهم لذلك مهجهم وأرواحهم بقوله تعالى { ومن الناس من يشري [(١)] نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد} (البقرة: ٢٠٣)

يقول تعالى في معرض المدح والثناء مخبراً عن أهل الصدق من المؤمنين أن منهم من يبيع نفسه بما وعد الله المجاهدين في سبيله وابتاع به أنفسهم بقوله {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة } (التوبة: ١١١)

فقد باعوا أنفسهم لأجل مرضاته تعالى ، وقد ذكر تعالى هذا الفريق من المؤمنين في مقابلة أهل الفسق والضلال من الكفرة والمنافقين [(٢)] فبعد أن ذمهم تعالى في قوله { ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام }(البقرة الآيات من ٢٠٤-٢٠٦)، عرّج بمدح الفريق المؤمن المخلص المتفاني في طلب رضا الله بقوله تعالى {ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد} ،

أما عن المراد بهذا الفريق فقد قال الإمام الطبري (اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية فيه ومن عُنيَ بها فقال بعضهم : نزلت في المهاجرين والمجاهدين في سبيل الله،وقال بعضهم : نزلت في رجال من المهاجرين بأعيانهم [(٣)]

---

(١) لفظ البيع والشراء يستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر وشريت بمعنى بعت أكثر وابتعت بمعنى اشتريت أكثر ، قال تعالى { وشروه بثمن بخس}أي باعوه .. وقوله {إن الله اشترى من المؤمنين } فقد ذكر ما اشترى به وهو قوله {يقاتلون في سبيل الله } ومنه قوله { ومن الناس من يشري نفسه } فمعنى يشري يبيع] المفردات في غريب القرآن ٢٦٠/١ بتصرف .

(٢) انظر جامع البيان ٢٤٦/٤-٢٤٧ .

(٣) قال بذلك الإمام الألوسي في تفسيره ٤٩٢/١ ؛ والإمام الشوكاني ٢٤١/١ ؛ وأخرج الواحدي في أسباب النزول أنها نزلت في صهيب الرومي ثم أخرج الأثر للقول الثاني : أنها نزلت في الآمر بالمعروف دون ترجيح .

حيث نزلت في صهيب بن سنان[١] وأبي ذر[٢])[٣]

قال الحافظ بن كثير (وأما الأكثرون فحملوا ذلك على أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله)[٤] وهذا ما رجحه الإمام الطبري حيث قال : (والذي هو أولى بظاهر هذه الآية من التأويل ما روى عن عمر بن الخطاب من أن يكون عُني بــها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر)[٥]

ولا منافاة بين هذه الأقوال فقد تكون جميعها مرادة وغيرها كذلك ، فكل من شمله ظاهر اللفظ يدخل في عموم هذه الآية لأن الآية وإن نزلت في صهيب الرومي أو آخر بعينه فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذا ما يدور عليه كلام الإمام الطبري حيث قال (وأما ما روي عن نزول الآية في أمر صهيب ، فإن ذلك غير مستنكر ، إذ كان غير مدفوع جواز نزول آية من عندالله على رسوله ﷺ بسبب من الأسباب والمعنيُّ بــها كل من شمله ظاهرها ، فالصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله عز ذكره وصف شارياً نفسه ابتغاء مرضاته ، فكل من باع نفسه حتى قتل فيها أو استقتل وإن لم يُقتل فمعنيٌّ بقوله { ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله } في جهاد عدو المسلمين كان ذلك ، أو في أمر بمعروف أو نهيٍ عن منكر)[٦]

---

(١) أبو يحيى صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل الرِّبعيّ النَّمَري كان من العرب وإنما قيل الرومي لأن الروم سبوه صغيراً فنشأ بالروم فصار ألكن فابتاعه رجل من كلب ... ثم قدموا به إلى مكة فاشتراه عبدالله بن جدعان فأعتقه ، كان من السابقين إلى الإسلام أسلم بعد بضعة وثلاثين رجلاً وكان من المستضعفين الذي أوذوا وعُذبوا في سبيل الله وفي هجرته نزل قول الله تعالى { ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله } توفي بالمدينة سنة ثمان وقيل تسع وثلاثين (انظر: الإصابة لابن حجر ٣٦٤/٣ ترجمة رقم (٤١٢٤) ؛ أسد الغابة لابن الأثير ٤١٨/٢ ترجمة رقم ٤٢١)

(٢) أبو ذر الغفاري : هو جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن حليل بن صُعير بن حرام بن غفار بن كنانة بن خزيمة بن مدركة الغفاري كان من كبار الصحابة وفضلائهم أسلم بعد أربعة وكان خامسهم ، أول من نادى بالشهادتين بأعلى صوته في مكة يومين متتاليين فضُرب وأوذي في سبيل الله ثم انصرف بعد إسلامه إلى بلاده يدعو للإسلام مات بالربذة عام إحدى وثلاثين وقيل اثنين وثلاثين من الهجرة (انظر :الإصابة لابن حجر ، ١٠٥/٧ ، ترجمة رقم(٩٨٧٧) ؛ أسد الغابة لابن الأثير، ٩٩/٥ ، ترجمة رقم (٥٨٦٢).

(٣) جامع البيان للطبري ، ٢٤٧/٤

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢٠٧/١.

(٥) جامع البيان للطبري ٢٥٠/٤-٢٥١.

(٦) جامع البيان للطبري ٢٥٠/٤-٢٥١.

[٢] كما يظهر ثناؤه تعالى جلياً على المؤمنين لابتغائهم مرضاته بالجهاد وكثرة الصلوات حتى ظهرت الطاعات عليهم ، فبان أثر السجود على وجوههم..قال تعالى{محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود...}(الفتح:٢٩)

فهؤلاء الصحابة الكرام رضوان الله عليهم إنما تفانوا في الصالحات من أجل رضاه تعالى عنهم فاستحقوا عظيم ثنائه سبحانه لهم في هذا الأسلوب الرائع حيث وُصفوا بكثرة العبادات من أجل رضا الرحمن قال تعالى {تراهم ركعاً سجداً} أي تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين يطلبون ثواب الله ورضاه عنهم (١)) (٢)

[٣] ثم يثني عليهم تعالى لابتغائهم مرضاته في الصدقات ، ويمايز بينهم وبين من ينفق ماله في غير رضا الرحمن من خلال ضرب المثال الرائع ..فيقول تعالى{ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابــها وابلٌ فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابلٌ فطلٌ والله بما تعملون بصير}(البقرة:٢٦٥)

ففي الآية تشبيه رائع للمتصدق ماله ابتغاء مرضات الله ، فبعد أن شبه تعالى صدقة المرائي بحفنة تراب على حجر أملس تذهب به الأمطار فلا تبقى منه شيء (٣) كناية عن الصدقة غير المتقبلة ، والعمل المُحبط ، عرّج تعالى بتشبيه الصدقة المقبولة التي أنفقت ابتغاء مرضات الله بالجنة فوق ربوة مرتفعة ـ حيث تكون أكثر عرضة للريح والشمس فتربوا أفضل ما تربو الجنان

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٥/٦٦

(٢) قلت : فيه إشارة إلى ما ينبغي للمصلي من ابتغاء رضوان الله فإن كلمة يبتغون: حال من تراهم ركعاً فركوعهم وسجودهم مقيد بحالهم يبغون فضلاً من الله ورضواناً .

(٣) قال تعالى {كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابلٌ فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين } (البقرة:٢٦٤)

ويلاحظ تكرر إنزال المطر في الحالتين ، إلا أنه في الحالة الأولى يمحو ويمحق ، وفي الحالة الثانية يُربي ويُخصب ، فالمنفق ماله الطيب ابتغاء مرضات الله هو الباذر بذرة طيبة في أرض طيبة إذا أتاها المطر الشديد ربت ضعفي ما يربو غيرها من الجنان ، وإن لم يأتيها الوابل فإنها لطيب غرسها يكفيها المطر الخفيف أو الندى فتربو وتزكوا على الطل [1]

[٤] وهؤلاء المؤمنون الخلص لا يكتفون ببذل المال لله بل ويبذلون معه المهج والأرواح ويتركون الديار والأهل والأولاد من أجل رضا الرحمن قال تعالى { للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون } (الحشر:٨) .

فالآية الكريمة تضمنت ثناؤه تعالى الحسن على المهاجرين المؤمنين حيث أشاد بصدق أعمالهم ، وأثبت حقهم في مال الفيء[2] لما كانوا عليه من إخلاص ونصرة وجهاد في سبيل رضا الرحمن .

قوله تعالى { يبتغون فضلاً من الله ورضواناً } طالبين منه تعالى رزقاً في الدنيا ومرضاة في الآخرة [3] ، فهؤلاء المهاجرين (وصفوا أولاً : بما يدل على استحقاقهم للفيء من الإخراج من الديار والأموال وقيّد ذلك ، ثانياً : بما يوجب تفخيم شانهم ويؤكده مما يدل على توكلهم ورضاهم بما قدره المليك العلام) [4] فاستحقوا أن يصفهم تعالى بقوله {أولئك هم الصادقون} أي الكاملون في الصدق [5] في دعواهم الإيمان حيث فعلوا ما يدل أقوى دلالة عليه من إخراجهم من أوطانهم وأموالهم من أجله) [6]

---

(١) انظر [الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية : أمثال القرآن،الطبعة:الثانية، تحقيق الدكتور ناصر الرشيد، مطابع الصفا-مكة المكرمة،١٤٠٢هـ-١٩٨٢م]ص٥٠ [سيد قطب:التصوير الفني في القرآن الكريم ،الطبعة السادسة، دار الشروق، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠] ص٣٥

(٢) قال الإمام الألوسي (روح المعاني ٢٤٤/١٤) قال ابن عطية (للفقراء المهاجرين ...)بيان لليتامى والمساكين وابن السبيل في الآية السابقة في قوله تعالى {ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل } ، والمراد بالفيء:الغنيمة التي لا يلحق فيها مشقة فيء وقيل سمي بالفيء الذي هو الظل تنبيهاً أن أشرف إعراض الدنيا يجري مجرى ظل زائل (المفردات للراغب الأصفهاني ص٣٨٩)

(٣) روح المعاني ٢٤٥/١٤

(٤) المصدر نفسه

(٥) قوله "الكاملون" مأخوذ من تعريف جزيء الجملة {أولئك هم الصادقون} ولما كان هناك من الصادقين غيرهم حُصر حصر غير حقيقي فحصر الكمال في الصدق ، لذا قال " الكاملون في الصدق"

(٦) فتح القدير للشوكاني ٢٣٩/٥ ، روح المعاني للالوسي ٢٣٥/١٤

[٥] اتباع المؤمنين رضوان الله تعالى : ثم يأتي السياق القرآني مبيناً فضل المؤمنين حيث استجابوا لله ورسوله ، فتوكلوا عليه سبحانه ، وابتغوا رضاه ، يقول تعالى ذاكراً لهم في معرض الثناء والمدح{الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم}آل عمران (١٧٣-١٧٤)

فهؤلاء المؤمنين عند الخوف تلفظوا بهذه الكلمة الخالدة التي قالها خليل الرحمن من قبل فنجاه الله من النار ، ففي الصحيح ({حسبنا الله ونعم الوكيل } قالها إبراهيم حين ألقي في النار وقالها محمد حين قالوا{إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل }) (١) فاستحقوا ثناء الله عليهم حيث ابتغوا مرضاته تعالى فسلكوا سبيل رضاه .

[٦] وكما سارع المصطفى ﷺ وصحابته الكرام إلى طلب رضوان الله حين قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

سارع من قبلهم موسى عليه السلام طلباً لرضا الله فأسرع عليه السلام للقائه ومناجاته فتقدم حيث إنه اختار سبعين رجلاً لميقات ربه فسار بهم ثم عجل في سيره إلى ربه شوقاً إليه ،

يصف هذه الحادثة القرآن الكريم حيث يقول تعالى { وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك ربي لترضى }(طه:٨٣-٨٤) فيثني عليه الرب عز وجل من خلال هذا السؤال الذي يتضمن الرضا عنه

(١) أخرجه البخاري كتاب التفسير ، باب الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم ، حديث رقم (٤٥٦٣)

عليه السلام والمديح له بقوله تعالى {وما أعجلك عن قومك يا موسى}– وهو تعالى أعلَم به – فيجيب عليه السلام مبيناً أن طلبه لرضا الله وشوقه في ابتغاء مرضاته كان السبب في مسارعته وتقدمه عن قومه .

فالأنبياء جميعاً عليهم أفضل الصلوات وأتم التسليم – أعرف الناس بربهم وأهل رضا الله كما سيأتي – أكثرهم بغية لرضا الله وحرصا على نيل مرضاته [١]

وهكذا نرى أن الله قد امتدح المؤمنين لابتغائهم مرضاته تعالى في أبرز شعائر الدين ومعالمه من صلاة وجهاد وصدقة وهجرة في سبيل الله وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ..فاستحقوا بأن يكونوا أهل رضوانه تعالى

[٧]ويلاحظ كيف يصف تعالى المؤمنين بأنهم متبعي رضوانه ويفرق بينهم وبين متبعي السخط والغضب منه تعالى:

أ– فيقول تعالى { أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ، هم درجات عند الله }(آل عمران:١٦٢–١٦٣) فيظهر ثناءه تعالى على المؤمنين المتبعي رضوانه من خلال هذا الاستفهام الإنكاري الذي يفرق فيه تعالى بين متبعي رضوانه تعالى وبين متبعي سخطه ، فالاستفهام من الله تعالى بمعنى الإنكار والنفي أي ليس من اتبع رضوانه تعالى وابتغى رضاه في اتباع أوامره واجتناب نواهيه ، وأخلص في عبادته لله راجيا بذلك فضل الله ورضوانه – فاستحق رضوانه ونجا من عذابه كمن انصرف متحملاً سخط الله وغضبه فاستحق عقابه

ثم عقب على الآية بقوله تعالى{هم درجات عند الله} فهم ذوو درجات أو هم درجات عند الله [٢]

فليست درجات من اتبع رضوان الله كدرجات من باء بسخط الله ،

([١]) جامع البيان للطبري ٣٦٦/٧ ؛ فتح القدير للشوكاني ٤٥٢/١ ؛ روح المعاني للألوسي ٣٢٣/٢؛ [أضواء البيان للشنقيطي ٢٦١/١

(٢) لفظ درجات : خبر للمبتدأ هم ، ولما استحيل أن يكون المخاطب درجات قدرت لإمكان الإخبار بها والتقدير هم ذوو درجات "وذلك من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه بدلاً عنه.

فشتان شتان بين طريق أهل السعادة وطريق أهل الشقاء ..، وبين التقى والضلال .. ، والفلاح والغواية ، وشتان بين رضا الرحمن حيث خير الدنيا والآخرة وبين غضب العظيم الجبار .. ، فأولئك في أرفع وأعلى الدرجات وهؤلاء الكفرة في أسفل الدرجات (والأشهر في منازل جهنم الدركات ، فلأهل الرضا من الله درجات في الجنة ولأهل السخط والغضب دركات في النار) [١] ، فهذان الفريقان كما أنـــهما لا يستويان في الدنيا ، فهم أشد تمايزاً وتغايراً في الآخرة حيث الموازين القسط .

ب- كما بين تعالى هذا الفرق العظيم، والبون الشاسع بين من أسس بنيانه على رضا الله ومن أسسه على غضبه والنار.

يقول تعالى { أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار [٢] فانهار به في نار جهنم } (التوبة:١٠٩)

فينكر جل وعلا أن يستوي من أسس دينه على قاعدة وهي تقوى الله ورضوانه بمن أسسه على سخط الله فهي قاعدة ضعيفة لا تلبث أن تنهار بصاحبها في نار جهنم [٣]

---

(١) [الإمام القرطبي: أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م] جـ٤/ ٢٦٣ بتصرف .

(٢) جرف هار : يقال للمكان الذي يأكله السيل فيجرفه أي يذهب به جَرفٌ وقد جرف الدهر ماله أي اجتاحه تشبيهاً له (مفردات القرآن للأصبهاني كتاب الجيم ص١٩) .

(٣) وذلك حين بنى المنافقون مسجد الضرار لمضاراة المسلمين والتفريق والإرصاد فصيرهم النفاق إلى النار (انظر تفسير البغوي ٣٢٨/١)؛ روح المعاني ٢٢/٦)

المطلب الثاني : دعاء الأنبياء والصالحين بطلب العمل المرضي عند الله

وفي سعي المؤمنين الحثيث في طلبهم الطاعات ونبذ المعاصي والمنكرات، تلهج ألسنتهم دائماً بالدعاء والتضرع طلباً لرضاه ، فرضاه تعالى غاية المنى ومن أعظم ما يتوصل به إلى رضاه تعالى هو دعاؤه جلا وعلا وسؤاله الرضوان ، ولقد ورد في القرآن الكريم الأدعية بطلب رضاه تعالى على لسان الأنبياء والصالحين وفي ذكر الله تعالى لهذه الأدعية بألفاظها ونسبتها إلى أصحابها إشارة إلى عظيم ثناء الله عليهم بدعائهم لطلب الرضا وجزيل مديحه لهم حيث سلكوا طريق الخير فطلبوا رضاه ، وإرشاداً لغيرهم بأن يقتفوا أثرهم فيسلكوا طريقهم ويهتدوا بهداهم –

أ– الأنبياء :

١)ورد في القرآن دعاء بطلب الرضا عن العمل على لسان أنبياء الله سليمان وزكريا [١] عليهما وعلى نبينا الكريم أفضل الصلاة وأتم التسليم – فيخبرنا تعالى في كتابه على لسان سليمان بسؤاله العمل الصالح المرضي عند الله حيث قال تعالى على لسانه { قال رب أوزعني [٢] أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين }(النمل:١٩)

فها هو سليمان يسأل(ربه أن يلهمه شكر النعم كما يسأله أن يلهمه ويرزقه أن يعمل بطاعته العمل الصالح المرضي)[٣] فليس كل من عمل مرضي عند الله ، وليس كل عمل مرضي وتام الرضا) [٤]

---

(١) هناك من السنة الكثير من دعائه ﷺ بطلب الرضا والمصطفى ﷺ يدخل من باب أولى في لفظ الأنبياء ، بل هو خير الأنبياء وأفضلهم ، إلا أنني فضلت إفراد دعائه ﷺ في مبحث مستقل – كما سيأتي خوف الإطالة – واكتفاء مني في هذا المبحث بما ورد في القرآن الكريم فقط من دعاء الأنبياء السابقين للمصطفى عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

(٢) أوزعني معناه ألهمني تحقيقه أو أعنّي على ذلك واجعلني حيث أزع نفسي من الكفر أي كفّي عنه (المفردات للأصفهاني/٥٢٢)

(٣) انظر: جامع البيان ٤٤٠/١٩ ؛ فتح القدير ١٥٢/٤ ؛ روح المعاني للألوسي ٧٦/١٠

(٤) لفظ ترضاه في قوله تعالى {وأن أعمل صالحاً ترضاه}: أي كامل الرضا لأن ترضاه صفة مخصصة أومؤكدة أُريد بها كمال الرضا (جامع البيان للطبري ٤٤٠/١٩)

٢) كما ورد في القرآن دعاء بطلب الرضا للذرية على لسان زكريا عليه السلام :

فيخبرنا القرآن أن زكريا عليه السلام عندما كبر أراد الولد ، لم يسأل الله أن يؤتى هذا الولد قوة أو مالاً أو غيره من متاع الدنيا وإنما سأله أن يؤتيه الولد الرضي الطيب (١) فيخلد القرآن ذكره حيث يسطر له ذلك الدعاء الرائع بطلب رضا الله المتضمن عظيم ثناء الله عليه لدعائه بهذا الدعاء

قال تعالى على لسانه عليه السلام {قال ربي إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً * وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً * يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً}(مريم: ٤-٦)

فسأل الله تعالى أن يكون هذا الولي الذي يهبه له مرضياً عند الله ، وعند الناس ديناً وخلقاً، صالحاً طائعاً لله تعالى يرضى عنه تعالى قولاً وفعلاً (٢) فلا يكون مرضياً إلا إذا عمل بطاعة الله ... ، ولقد استجاب الله دعائه عليه السلام فوهبه ابناً طيباً مباركاً وتفضل عليه بغاية الرضا إذ جعله نبياً وجعل من ذريته النبوة التي هي أعظم دليل لأعظم وأجلّ رضاً من الكريم المنان .

ب-الأولياء الصالحين : وبدعاء سليمان عليه السلام دعا الصالحون من أولياء الله عند بلوغهم الرشد قال تعالى عنهم { حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة (٣) قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه}(الأحقاف:١٥)

فـ (سأل المولى أن يلهمه الشكر والعمل الصالح المرضي المقبول وهو العمل بطاعته تعالى وبطاعة رسوله ﷺ عملاً وفق رضاه تعالى سالماً من أسباب عدم القبول كالعجب والرياء) (٤)

---

(١) ففي سورة آل عمران(من آية ٣٨) { قال تعالى : رب هب لي من لدنك ذرية طيبة } وفي الآية إرشاد وتوجيه للدعاء بطلب الابن الطيب المرضي قبل خلقه ، فكم من أبناء يأتون نقمة على والديهم بل وسبباً في كفرهم ،

(٢) جامع البيان للطبري ١٤٧/١٨ ؛ أنظر روح المعاني للألوسي ، ٣٨٢/٨

(٣) قال ابن كثير في تفسيره : فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدّد التوبة والإنابة إلى الله ويعزم عليها (١٩٢/٤)

(٤) روى الشوكاني في(فتح القدير ٢٤/٥)؛ والإمام الألوسي في تفسيره(روح المعاني ١٧٦/١٣) ؛ وغيرهما أنها نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ وكما هو معلوم فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

المطلب الثالث : أثر الكلمة في تحقيق رضا الله

الكلمة لها أثر عظيم في تحقيق رضا الله تعالى ، فبها يحصل المرء على رضا الله تعالى عليه ، محبته له – إن أحسن إخراجها – وبها قد يكون هلاكه ، إن أساء استخدامها .

الكلمة لها شأن عظيم في الإسلام ، فقد تكون أشد خطراً من العمل وذلك لأن المرء قد يحذر من صغائر الذنوب من الأعمال – إن وفقه الله – لكنه لا يملك لسانه فيزل به في كثير من مساوئ الأقوال ، فمن مَلَك لسانه فقد ملك الخير ونجا من الشر ، فبه يدخل الناس في الجنان – إن ملكوه – وبه يقعون في نار جهنم – إن أفلتوا زمامه،

يبين لنا هذه الحقائق المصطفى ﷺ في حديثه لمعاذ [1] المشهور حيث قال (ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه...رأس الأمر الإسلام وعمودُهُ الصلاة وذروةُ سنامه الجهاد)، ثم قال:(ألا أخبرك بملاك ذلك كُلِّه؟) قلت : بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه وقال: كُفَّ عليك هذا) فقلت: يا نبيَّ الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يُكبُّ الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم) [2]

بهذا الأسلوب الرائع يعلمنا ﷺ قدر الكلمة في ميزان العبد يوم القيامة فإن العبد { ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد}(ق:١٨)، فَلَرُبَّ كلمة أوْدت بصاحبها في نار جهنم،

---

(١) معاذ بن جبل : بن عمرو بن أوس بن عائذ أبو عبدالرحمن الأنصاري الخزرجي ، الإمام المقدم في علم الحلال والحرام ، شهد بدراً وهو ابن إحدى وعشرين ، وما بعدها ، كان من أفضل شباب الأنصار حلما وحياء وسخاء ، ومناقبه كثيرة جداً ، وقدم من اليمن في خلافة أبي بكر ، وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة ثمان عشرة وعاش أربعاً وثلاثين سنة [الإصابة لابن حجر ١٠٧/٦ ، ترجمة رقم (٨٠٥٥)

(٢) أخرجه الترمذي ، كتاب:الإيمان ، برقم(٢٦٢٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح ؛ وابن ماجة ، جـ٢ ، في أبواب الفتن برقم(٤٠٢١)

لذلك كله لا بد أن يكون المؤمن شديدَ الحذر في كلامه، شديد الحرص على ألا يخرج من فِيهِ إلا ما يرضي الله تعالى، لأنه يعلم أن الكلمة قد تكون سببا لرضاه تعالى، وقد تكون سبباً في غضبه والنار يقول ﷺ (إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً [1] يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي[2] بها في نار جهنم) [3] وفي رواية (ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة) [4]

لذا كان المصطفى ﷺ – أعلمُ الخلق بالله وأخشاهم له ، وأسوتنا وقدوتنا الحسنة في كل شأننا – لا يخرج من فِيهِ الشريف

ﷺ إلا الرضا وإن داهمته الخطوب،وإن فُجع في فلذة كبده ﷺ وابنه إبراهيم فتدمع عينه ﷺ عند المصاب ولا يزيد على

أن يقول قولته الخالدة " إن العين تدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا " [5]

---

(١) قال الحافظ بن حجر رحمه الله : (لا يلقي لها بالاً : أي لا يتأملها بخاطره ، ولا يتفكر في عاقبتها ، ولا يظن أنها تؤثر شيئاً وهي من نحو قوله تعالى {...وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم}(النور:من آية ٥) ، فتح الباري جـ١١/٣١١

(٢) يهوي : ينحط ويسرع "النهاية في غريب الحديث (٥/٢٨٤)

(٣) سبق تخريجه ص٣١

(٤) هذه رواية الترمذي السالفة الذكر

(٥)متفق عليه : أخرجه البخاري – واللفظ له – جـ٢ ، كتاب : الجنائز ، باب : قول النبي ﷺ " انا بك محزنون " حديث رقم (١٣٠٣) ؛ ومسلم : جـ٤ كتاب : الفضائل ، باب : رحمته ﷺ بالصبيان والعيال ، حديث رقم (٢٣١٥) ، كلاهما من حديث أنس بن مالك

وهكذا نرى أن الله تعالى امتدح المؤمنين وأثنى عليهم في عدة آيات من كتابه الكريم في مواطن مختلفة ، وطاعات متنوعة ، ولقد استحقوا هذا الثناء الحسن منه تعالى لما كانوا عليه من حرص عظيم وتفان منقطع النظير على طاعاته تعالى لنيل رضاه ، فدأبوا على القربات ، ولهجت ألسنتهم بالدعاء بطلب الرضوان ، وراقبوا الله في أقوالهم وأفعالهم فلم يبتغوا بأفعالهم غير رضا الرحمن ، ولم يتلفظوا بغير رضاه فرضيٌ تعالى عنهم وأرضاهم ولا ريب أن هؤلاء المؤمنين الذين سطر لهم القرآن أروع الثناء الحسن فرضي عنهم تعالى وأرضاهم ... ، لا ريب أنهم صحابة رسول الله ﷺ حيث في الثناء عليهم نزلت الآيات.... ، وفي عظيم إخلاصهم خُلِّدت كلمات القرآن ... ، فهم خير الخلق رضوان الله عليهم بعد الأنبياء بلا مراء ... ، ويليهم التابعون إذا تبعوا طريقهم بإحسان ...

فعلى ذلك فإن الأقوام المرضي عنهم عند ربهم هم على التوالي :

الأنبياء ثم أتباع الأنبياء ثم التابعون لهم بإحسان

وهذا ما سنتناوله في المبحث التالي .

المبحث الثالث:

أقوام قد رضي الله عنهم

- الأنبياء
- أتباع الأنبياء
- التابعون لهم بإحسان

تمهيد :

من المعلوم من الدين بالضرورة : رضا الله تعالى عن جميع أنبيائه ورسله ، فلولا رضاه تعالى لما اجتباهم ولما اصطفاهم لحمل رسالته ، وتبليغ دعوته ، ونشر دينه في الأرض ، فاستحقوا أن يحظوّا بقصب السبق حيث نالوا الفضيلة بوسام وشرف الخيرية على جميع الخلق .. فقد فضلهم تعالى على جميع خلقه بالنبوة والرسالة .. ، فالنبوة والرسالة تكليف وتشريف واختيار من عند الله تعالى للمصطفين الأخيار {الله أعلم حيث يجعل رسالته}(الانعام : من آية ١٢٤) وهؤلاء هم الرحمة المهداة إلى خلق الله، فهم مصابيح الهدى والحق عبر التاريخ، يخرج الله بهم من شاء تعالى من الظلمات إلى النور.

ويلي الأنبياء في المكانة والفضل والشرف - أتباع الأنبياء - الذين أيدوا ونصروا وجاهدوا وقاتلوا وقتلوا ... سيما صحابة رسول الله ﷺ الذين في رضا الله عنهم نصت الآيات ،وفي الثناء على بذلهم وهجرتهم وجهادهم .. تترلت الرحمات ، فرضي الله عنهم وأرضاهم على ما بذلوا وجزاهم عن نبيهم ورسولهم خير ما يجزي أمة عن نبيها ورسولها ...

ثم يليهم في الفضل والشرف والمكانة .. التابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وهم كل من سار على نهجهم القويم ، وصراطهم المستقيم فلم يبدلوا ولم يغيروا ، فاتبعوا ولم يبتدعوا ، واهتدوا ولم ينحرفوا .. فحق لهم أن يتبعوا صحابته رضوان الله عليهم في رضا الله وأن يُشركوهم في شفاعة المصطفى ﷺ والورد على حوضه ﷺ ثم دخول الجنان وأما من غيّر وبدّل ، وضل وأضل ، وخالف المصطفى ﷺ فهؤلاء عن شفاعته معزولون ، وعن الورود على حوضه ﷺ محرومون

ففي الصحيح يقول ﷺ "إني على الحوض انتظر من يَرِد عليَّ منكم . فوالله ! ليُقطَعنّ دوني رجالٌ . فلأقولَن : أي رب! مني ، ومن أمتي . فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك . ما زالوا يرجعون على أعقابهم " (١)

نسأل الله تعالى ألا يجعلنا منهم ...

وعلى ذلك فإن الأقوام المرضيُ عنهم عند ربهم هم :

أولاً : الأنبيــــــــــاء

ثانياً : أتباع الأنبيـــــاء

ثالثاً : التابعون لهم بإحسان

---

(١) أخرجه مسلم :جـــ٤ ، كتاب:الفضائل ، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ، حديث رقم (٢٢٩٤)

المطلب الأول : الأنبياء

لغة الأنبياء : (جمع نبي ، مشتق من نبأ بالهمز أي أخبر فيكون معنى النبي : هو من أنبأ عن الله : أي أخبر، أو مشتق من النبوة والنباوة وهو ما ارتفع من الأرض فإن أخذت النبي منه فلارتفاع قدره لأنه أرفع خلق الله ولأنه شُرِّف على سائر الخلق [1]

النبي شرعاً :

هو المبعوث لتقرير شرع من قبله ، والرسول : هو من أوحي إليه بشرع جديد [2]

فالأنبياء : خير خلق الله ، وأفضل الأولين والآخرين ، وهم ذاك الركب المبارك عبر التاريخ من لدن آدم إلى نبينا محمد عليهم جميعاً أفضل الصلوات وأتم التسليم .. ، اصطفاهم الله من جميع خلقه فأكرمهم بالوحي ، وجعلهم أمناء الله على دينه ، فهم قادة الهدى .. ، وأعلام التقى ..، ومنابر الحق إلى يوم الدين .. ورضا الله تعالى على أنبيائه أمر معلوم من الدين بالضرورة ، لا يحتاج إلى دليل وبرهان ، فاصطفائه تعالى لهم واجتباؤه لهم دون جميع خلقه أكبر دليل على رضاه تعالى عنهم ، وحبه لهم .

(يكفي في فضلهم وشرفهم أن الله سبحانه وتعالى اختصهم بوحيه ، وجعلهم أمناء على رسالته وواسطة بينه وبين عباده ، وخصهم بأنواع الكرامات : فمنهم من اتخذه خليلاً ، ومنهم من كلمه تكليماً ، ومنهم من رفعه مكاناً علياً على سائرهم درجات ، ولم يجعل لعباده وصولاً إليه إلا من طريقهم ، ولا دخولا إلى جنته إلا خلفهم ،

---

(١) لسان العرب مادة نبأ جـ١٥/٣٠٢ ؛ الصحاح للجوهري ٦/٢٥٠٠

(٢) روح المعاني للألوسي : ١٧/١٥٧ ،

أما التعريف بأن النبي من أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ والرسول أُمر بالتبليغ في (شرح العقيدة الطحاوية) وغيرها ففيه نظر إذ يخالفه الواقع فإن جميع الأنبياء دعوا أقوامهم واجتهدوا في بلاغهم وما ذلك إلا لأنهم أُمروا بالبلاغ تماماً مثل الرسل فقد أرسلهم الله كما أرسل الرسل قال تعالى {وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ..} (انظر: عُمر الأشقر ، الرسل والرسالات ، دار النفائس – الأردن ، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م]ص١٤-١٥

ولم يكرم أحداً منهم بكرامة إلا على أيديهم ، فهم أقرب الخلق إليه وسيلة وأرفعهم عنده درجة ، وبالجملة فخير الدنيا والآخرة إنما ناله العباد على أيديهم ، فبهم عُرِف الله ، وبهم عُبِد الله وأُطيع ، وبهم حصلت محابه تعالى في الأرض) (١)

فقد رفع شأنهم الرب تبارك وتعالى وجعلهم أفضل خلق الله ،

في قوله تعالى {وكلاً فضلنا على العالمين}(الأنعام : من آية ٨٦) أي كل واحد منهم فضلناه بالنبوة على العالمين فهم أفضل من كل العالمين (٢) وهم بالتالي أفضل من جميع الأولياء والصالحين بلا منازع .. كما أن أفضلهم على الإطلاق محمد بن عبدالله سيد ولد آدم ، عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام ..

يقول الإمام ابن تيمية - رحمه الله - : "وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه ، وأفضل أنبيائه هم : المرسلون منهم وأفضلُ الرسل أُولي العزمِ منهم ، وأفضل أولي العزم محمد ﷺ خاتم النبيين ، وإمام المتقين ، وسيد ولد آدم " (٣) أهـ

فهو صلى الله عليه وسلم خير الأنبياء بلا مراء ... ، وأحبهم لله تعالى ، وأقربهم إليه زلفى وأخشاهم له ، وأكملهم رضاً لله تعالى .. صلوات ربي وسلامه عليه

---

(١) [شمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية ، طريق الهجرتين وباب السعادتين ، تحقيق : بشير محمد عيون - مكتبة دار البيان - دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م]ص٢٥٧

(٢) التفسير الكبير ٧٠/٧ ؛ فتح القدير للشوكاني ١٥٦/٢ .

(٣) [الإمام ابن تيمية : تقي الدين أحمد بن المفتي الحراني ، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، الطبعة الأولى ، تحقيق وتخريج : بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان ، دمشق - بيروت ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م] ص٨ بتصرف .

ولما كان رضا الله تعالى عن الأنبياء من المعلوم من الدين بالضرورة ، لا يحتاج إلى دليل وبرهان لذا فإنا لم نجد في كتابه تعالى غير آية واحدة نصت على رضا الله عن جميع الأنبياء والرسل وهي قوله تعالى { عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ، إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا} (الجن:٢٦-٢٧)

فقد بين عز وجل أنه عالم ما غاب عن عباده فلا يطلع على هذا الغيب أحداً من البشر إلا من رضي عنه سبحانه من رسله وأنبيائه فإنه تعالى يطلعهم ما يشاء من علم الغيب لأنه يستدل على نبوته بالآية المعجزة التي تخبر عن الغيب [١]

ونلاحظ كيف حصر الله تعالى النبوة والرسالة في المرضي عنهم بقوله تعالى{إلا من ارتضى من رسول} فالله تعالى لا يطلع أحداً على شيء من الغيب إلا الأنبياء والرسل المرضي عنهم فإنه يطلعهم بإذنه ما يشاء من الغيب ففي الآية دلالة على أن جميع من أوحي إليه من الأنبياء والرسل مرضيٌّ عنهم غاية الرضا بنص القرآن الكريم،كما أن فيها دليل على أن من ادعى الغيب من غير نبوة أو رسالة فهو كاذب،لأن الآية حصرت حكم الله بإعطاء الغيب للرسل دون غيرهم.

وقد وصف تعالى إسماعيل عليه السلام بأنه رضي فأثبت تعالى رضاه عنه قال تعالى عنه {وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا}(مريم:٥٥) فإسماعيل عليه السلام مرضياً لأن الله رضيه للنبوة والرسالة [٢] -كما أسلفنا-فكل نبي ورسول مرضيٌّ عند ربه لأن الله رضيه للنبوة والرسالة[٢] فهو عليه السلام رضي زاكي صالح في دنياه، مرضيٌّ عند ربه [٣]

---

(١) روح المعاني ١٠٧/١٥

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥٤/٣

(٣) فتح القدير للشوكاني : ٣٩٩/٣

لكن قد يعبر القرآن عن رضا الله عنهم بألفاظ أخرى هي من لوازم رضاه تعالى كالاجتباء والاصطفاء والهداية للرسالة ، فلولا رضاه تعالى عنهم لما اجتباهم ، ولما اصطفاهم لرسالته ، وهذه الألفاظ وهي كثيرة في كتاب الله كقوله تعالى {وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء}(آل عمران:١٧٩) وقوله تعالى على لسان يعقوب ليوسف عليهما السلام {وكذلك يجتبيك ربك}(يوسف:٦) وقوله تعالى {إن الله اصطفى آدم ونوحا..}(آل عمران:٣٣) وقوله تعالى {يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي }(الأعراف:١٤٤)

بل لقد بين تعالى أنه أنعم عليهم غاية الإنعام والقبول،حيث هداهم للرسالة واجتباهم لها قال تعالى{أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا} (مريم:٥٨)

فقد اختصهم الله تعالى بهذه المنازل الرفيعة لهداية الله لهم، حيث اختارهم للرسالة،قال تعالى{ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده..} (الأنعام:٨٧-٨٨)

فقد شمل الله جميع الأنبياء بالهداية والاجتباء وهذه الهداية وذلك الاجتباء إنما حصل لهم بتوفيق الله لهم وهدايتهم إيـــاها(١)، فهي فضل وشرف ونعمة أنعم بها تعالى على الأنبياء رحمة للعباد ولطفا منه تعالى لخلقه،فالنبوة منحة إلهية ونعمة ربانية لا مجال لكسب العبد فيها فلا تنال بالجد والاجتهاد ، ولا بتكلف الطاعات (٢) ، إنما يجعلها تعالى فيمن شاء من عباده ممن علم تعالى عن أهليته لها {الله أعلم حيث يجعل رسالته}(الانعام من آية:١٢٤)

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥٤/٢

(٢) انظر الرسل والرسالات ، د.عمر الأشقر ص ٥٩

المطلب الثاني : أتباع الأنبياء :

أ. رضا الله عن أتباع الأنبياء السابقين :

فلقد امتدح الله تعالى المؤمنين من أتباع الأنبياء السابقين عليهم جميعاً السلام حيث نصروهم وأيدوهم ، وجاهدوا معهم ، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل رضا الله عنهم .. وما نصر الله لهم وإظهارهم على أعدائهم وإنجائهم مع أنبيائهم عند نزول العذاب ، وثناء الله عليهم في الكثير من آياته إلا لرضاه تعالى عنهم .

فلقد امتن تعالى في كتابه الكريم بإنجاء التابعين الصالحين مع أنبيائهم عند نزول العذاب في الكثير من الآيات:

قال تعالى عن نجاة قوم هود {ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه}(هود:٥٨)

وقال تعالى عن نجاة قوم صالح{فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه }(هود:٦٦)

وقال تعالى عن نجاة قوم لوط {إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر}(القمر:٣٤)

وقال تعالى عن نجاة قوم موسى { وأنجينا موسى ومن معه أجمعين}(الشعراء:٦٥)

فكل من آمن بالأنبياء والرسل السابقين ، وصدق ونصر هو من أهل رضوان الله الذين استحقوا نصر الله لهم ونجاتهم مع أنبيائهم قال تعالى {ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا ..}(يونس:١٠٩) فلا ينجي الله تعالى إلا المؤمنين الأتقياء البررة قال تعالى {ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون}(فصلت:١٨) فهم الأتقياء الأطهار الذين يستحقون النجاة في الدنيا وفي الآخرة حيث يفوزون بالجنان لأنــــهم أهل رضا الله .

وإن لم ينص تعالى على رضاه عنهم فقد ظهر من أحوالهم وصدق يقينهم ومسارعتهم إلى امتثال أمر الله وطاعة رسوله وبذل النفس والمال ابتغاء مرضات الله ما فيه أعظم دليل على رضاه تعالى عنهم وإعلاء قدرهم ورفع شأنهم وإن كانوا دون صحابة رسول الله ﷺ منزلة وفضلاً ومكانة ، لتفضيل الله الأمة المحمدية على سائر الأمم {ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء} (المائدة:٥٤)

فأتباع جميع الأنبياء السابقين هم من أهل رضوان الله حيث شرفهم تعالى بصحبة رسله ونصرتهم .

إلا أني أخص بالذكر من أتباع الأنبياء أتباع المصطفى ﷺ خاصة من صحابة رسول الله ﷺ – الصحابة الكرام .. أفضل الخلق بعد المصطفى ﷺ – الذين نص تعالى على رضاه عنهم في محكم التنزيل ، وفيما يلي الحديث عنه خاصة

ب : الصحابة - رضوان الله عليهم -

ذكرت فيما مضى أن المراد من المؤمنين في الآيات التي أشاد الله تعالى لهم فيها بابتغائهم مرضاته بالعمل الصالح والدعاء الحسن إنما هم صحابة رسول الله ﷺ الذين فيهم نزلت الآيات ولهم مباشرة كان الخطاب منه تعالى .

أكمل الناس إيماناً بعد المصطفى ﷺ ،وأعظمهم يقيناً، وأعلمهم بكتاب ربهم وسنة رسوله ﷺ –فمن هم الصحابة؟ وما المراد بهم ؟

الصحابة لغـــة :

جمع صحابي مشتق من الصحبة .

تعريف الصحابة :

جمع صحابي ، هو من لقي النبي ﷺ مسلماً ثم مات على الإسلام . (١)

---

(١) [الحافظ ابن حجر :أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة – دراسة وتحقيق الشيخ عادل أحمد – الشيخ علي محمد معوضي – دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥] جـ١ / ٨ هذا التعريف قال عنه الحافظ ابن حجر أنه اصح ما يقف عليه..وهو أشمل التعريفات وأولها بالصواب،قال عنه الإمام السيوطي في تدريب الرواي بعد أن ذكر عدة تعريفات: والأصح ما قيل .. وذكر هذا التعريف

الأدلة على رضا الله عن الصحابة ، وعلى عظيم فضلهم

أ- الأدلة التي نص فيها على الرضا عن الصحابة – رضوان الله عليهم –

١- { والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ..}

(التوبة :من آية:١٠٠)

ففي الآية يمتن الله تعالى بالثناء لعباده المؤمنين من صحابة رسول الله ﷺ حيث صدقوا ما عاهدوا عليه الله فهاجروا ونصروا وبذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله .. وخص تعالى السابقين منهم لعظيم فضلهم على من بعدهم وإلا فجميع الصحابة أهل رضا الله تعالى ورضوان الله عليهم أجمعين، فنص تعالى على رضاه عنهم بقوله تعالى{رضي الله عنهم} فأثبت سبحانه لهم رضاه ورضاهم عنه حيث قال{ورضوا عنه} فبادلهم سبحانه وتعالى الرضا وهو ربهم الأعلى ، وهم عباده المخلوقين .

٢- قوله تعالى { لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ... } (الفتح من آية :١٨)

فأثبت تعالى رضاه عن أهل بيعة الرضوان .

٣-كما ورد النص على رضاه ﷺ عن بعضهم ، والدعاء لهم بالرحمة والمغفرة ، والرضوان وكما هو معلوم فإن رضاه ﷺ ملازم لرضا الله تعالى ، فلا يرضى ﷺ إلا عمن رضي الله عنه .

ففي الصحيح عن عمر بن الخطاب ﷺ حينما سئل أن يستخلف وهو يحتضر قال " لا أجد بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو راض عنهم) [١]وسمى عدداً من صحابته ﷺ "

(١) أخرجه البخاري – واللفظ له – ، جـ٤ ، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب: مناقب علي بن أبي طالب ، حديث رقم (٣٧٠٤)

ب- الأدلة على عظيم فضل الصحابة – رضوان الله عليهم :

هناك الكثير من الأدلة في فضل الصحابة - رضوان الله عليهم - نذكر بعضاً منها لتضمنها رضا الله تعال ، فثناء الله عليهم ومديحه لهم ، وتفضيله لهم على ما سواهم ، وثناء المصطفى ﷺ عليهم يدل دلالة قاطعة على رضا الله عنهم - فضلاً عما نص عليه سابقاً من رضى الله عنهم صراحة .. ، وفيما يلي هذه الأدلة :-

١- قال تعالى { محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود }(الفتح:٢٩) (فانظر كيف قرن تعالى بين الثناء على رسوله وبين الثناء على صحابته رضوان الله عليهم فجعلهم معه ﷺ في الثناء سواء ، وكفى بذلك شرفاً وفضلاً وكرامة لهم - رضوان الله عليهم أجمعين - ثم أتبع هذا الثناء الحسن بذكر صفاتهم التي استحقوا بها الثناء من شدة وغلظة على الكفار ، ورحمة على المؤمنين ، وكثرة الصلوات المفروضة والتطوع حتى ظهر أثر السجود على محياهم) (١)

فزادهم جمالا وجلالا كما قال تعالى { سيماهم في وجوههم من أثر السجود} ، وهم في طاعاتهم لله تعالى يبتغون رضوانه تعالى ، فلا غَرو أن يكرمهم تعالى بالرضا والقبول .

٢-قوله تعالى {كنتم خير أمة أخرجت للناس}(البقرة من آية:١١٠) وقوله تعالى {وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس}(البقرة من آية : ١٤٣) ،

(١) الامام ابن حجر الهيثمي : شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي – الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندق – وبهامشه كتاب تطهير الجنان واللسان لابن حجر الهيثمي – الرئاسة العامة للاشراف الديني بالمسجد الحرام – مكتبة الحرم المكي] بتصرف ١٢٤

فقد أثبت سبحانه للصحابة الخيرية كما أثبت لهم كونهم شهداء الله على خلقه فإن الآيتين وإن نصتا على خيرية الأمة المحمدية إلا أنه مما لا ريب فيه أن (المشافهون بهذا الخطاب على لسان رسوله ﷺ حقيقة فانظر إلى كونه تعالى خلقهم عدولاً وخياراً ليكونوا شهداء على بقية الأمم ولا يستشهد بغير عدول)[١]

٣-قوله تعالى {للفقراء الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون، والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أُوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون}(الحشر:٨-١٠)

فتأمل بما وصفهم الله من هجرة ونصرة لله ورسوله وابتغاء لمرضات الله ، فرضي عنهم وأرضاهم .

٤- قوله تعالى { لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى } (الحديد:١٠)

(١) المصدر السابق بتصرف قليل ص١٢٥

فبعد أن بين تعالى أن مسلمي قبل الفتح من صحابة رسول الله ﷺ مقدّمون على مسلمي بعد الفتح في الفضل والأجر بيّن تعالى وعده الصادق لكلا الفريقين بالجنة بقوله تعالى { وكلاً وعد الله الحسنى}(النساء من آية : ٩٥) فوعدهم سبحانه الجنة جميعهم بلا استثناء ، وهذا الوعد الصادق منه بالجنان دليل على رضاه عنهم جميعاً ، فالجنة ثواب أهل رضاه ومحبته .

٥–قوله ﷺ " لا تسبوا أصحابي لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه " (١)

٦–قال ﷺ " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم " (٢)

٧– قوله ﷺ " أصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب اصحابي أتى أمتي ما يوعدون " (٣)

٨–كما ثبت قوله ﷺ للأنصار " أنتم أحب الناس إليّ .." (٤) وما حبه لهم ﷺ إلا لرضاه عنهم ، ورضاه ﷺ من رضا رب العالمين .

---

(١) أخرجه مسلم جـ٤ ، كتاب : فضائل الصحابة ، باب:تحريم سب الصحابة ، حديث رقم (٢٥٤٠)

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري جـ٧ ، كتاب: الرقاق ، باب: من غدر من زهرة الدنيا رقم(٦٤٢٩) ؛ ومسلم جـ٤ كتاب فضائل الصحابة ، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم حديث رقم(٢٥٣٣)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب:فضائل الصحابة، باب:بيان أن بقاء النبي ﷺ أمنة لأصحابه..حديث رقم(٢٥٣١)

(٤) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار ، حديث رقم (٣٧٨٦)

رضا الله تعالى عن جميع صحابة رسول الله ﷺ :

قد يتبادر إلى الذهن تساؤل:

هل جميع الصحابة مرضيٌّ عنهم ؟ وهل من لابس الفتن[1] منهم يدخل في رضا الله تعالى؟

للإجابة على هذا التساؤل :

أقول وبالله التوفيق – إن جميع الصحابة قد رضي الله تعالى عنهم بلا استثناء ، ولقد شُرِّع الترضي عنهم جميعاً – رضوان الله عليهم – فلا يذكر أحد منهم إلا ويترضى عليه بعد ذكر اسمه – فيقال فلان من الصحابة (رضي الله عنهم) – فالترضي عنهم سنة متبعة من سلف الأمة وخلفها إلى ما شاء الله – وهذا الترضي عنهم على سبيل الإخبار لا الدعاء لأن لدينا نصوص شرعية ، وشهادة قرآنية على رضا الله عنهم ، بخلاف غيرهم ممن أتى بعدهم فلا يُشرع الترضي عنهم – بعد وفاته – فإن قيل لغيرهم – رضي الله عنه – فهو على سبيل الدعاء له برضا الله عنه لا على سبيل الإخبار كما هو الحال في الصحابة – – لأن الله تعالى لم ينص على رضاه إلا على صحابة رسول الله ﷺ .

ولا يُشهد إلا لمن شهد الله له بالرضوان ، ولقد أجمع علماء الأمة الذين يؤخذ بقولهم ويعتد برأيهم – على تزكية جميع الصحابة وإثبات رضا الله عنهم جميعاً . وإليك فيما يلي بعض أقوالهم :

(١) لابس الفتنة:أي شارك في الفتن التي حدثت كفتنة فقتل عثمان ، وفتنة الجمل وصفين ، وفتنة فقتل علي كرم الله وجهه .

يقول الإمام ابن حجر الهيثمي [1] : (اعلم أن الذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل مسلم تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم ، والكف عن الطعن فيهم ، والثناء عليهم فقد أثنى الله سبحانه عليهم في آيات من كتابه ما يقتضي ا لقطع بتعديلهم ، ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق ، على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة ، والجهاد ، ونصرة الإسلام ببذل المهج والأموال ، وقتل الآباء والأولاد ، والمناصرة في الدين ، وقوة الإيمان واليقين : القطع بتعديلهم والاعتقاد لنزاهتهم وأنهم أفضل من جميع الجائيين بعدهم ، هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد قوله) [2]

فعلى ذلك فان الصحابة رضوان الله عليهم جميعهم عدول بلا استثناء سواء منهم من لابس الفتن أم اعتزلها فجميعهم مرضي عنه عند الله تعالى

(١) ابن حجر الهيتمي : هو الإمام أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، فقيه ، مشارك في أنواع من العلوم ، أخذ من علماء مصر ، حفظ القرآن في صغره ، أفتى ودرس وهو دون العشرين ، وبرع في علوم كثيرة من التفسير والحديث والكلام والفقه له تصانيف كثيرة منها(تحفة الأشراف لشرح المنهاج)و(الصواعق المحرقة)و(الإعلام بقواطع الإسلام)و(شرح مختصر الروض) توفي رحمه الله عام ١٩٧٢هـ (شذرات الذهب ٣٧٠/٨ ؛ معجم المؤلفين ٢٩٣/١)

(٢) الصواعق المحرقة (١٢٥-١٢٦)

يقول الإمام ابن الصلاح [1] رحمه الله :

(الأمة مجمعة على تعديل الصحابة ، ومن لابس الفتنة منهم فكذلك ، بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع ، وإحساناً للظن بهم ، ونظراً إلى ما لهم من مآثر ، وكأن الله أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة والله أعلم) [2]

ولقد فصّل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - عذرهم في ذلك

فبين ان ما شجر بين الصحابة - رضوان الله عليهم - من قتال [3] ما يحكى عليهم فيه فكثير منه كذب لا يؤخذ به ، والصدق منه يرد عليه بأن الصحابة الكرام كانوا فيه معذورون لأنهم مجتهدون والمجتهد إذا أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر وخطأهم مغفور لهم ، وإن قُدّر لهم ذنوباً ، فإن ذلك لا يوجب لهم طعناً وسائر أهل السنة والجماعة لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة ولا القرابة ولا السابقين بل يجوز وقوع الذنب منهم ، والله تعالى يغفر لهم بالتوبة أو مكفرات من المصائب أو حسنات وقربات ثم إن لهم من الحسنات من هجرة ونصرة للرسول

---

(١) ابن الصلاح : هو الحافظ شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمرو: عثمان بن عبدالرحمن بن موسى الكردي الشهرزوري الشافعي ، كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال ، وما يتعلق بعلم الحديث واللغة ، تفقه فبرع في الحديث وعلومه ، وصنف التصانيف ، ولقد كان من أفضل كتبه كتابه (علوم الحديث) المعروف بمقدمة ابن الصلاح فكم من شارح له ومختصر وناضم ، توفي سنة ٦٤٣هـ رحمه الله تعالى .(شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي /٢٢٠ ، معجم المؤلفين ٢/٣٦١)

(٢) [الحافظ زين الدين عبدالرحيم العراقي ، التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح ، وبذيله المصباح على مقدمة ابن الصلاح ، الطبعة الثانية ، دار الحديث للطباعة ، بيروت – لبنان ن ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م]ص٢٦٠ بتصرف يسير

وبذلك قال الإمام السيوطي في كتابه تدريب الراوي (الصحابة كلهم عدول ، من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به وحملاً لهم في ذلك على الاجتهاد المأجور فيه كل منهم) [الحافظ جلال الدين السيوطي ، تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م] جـ٢/٢١٤

(٣) كقتال علي ومعاوية وطلحة وعائشة رضي الله عنهم أجمعين .

وفضل ما يمحو الله به سيئاهم وذنوبهم إن وقعت منهم ، وما حدث من قتال الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا عند النبي ﷺ بمترلة الخوارج (١) المارقين الذين أمر بقتالهم ، وظهر من علي ﷺ السرور بقتالهم ، أما ما أخبر عنه من قتال الصحابة فقد مدح الصلح بينهم ، ولم يأمر بقتالهم ولم يظهر فيه سرور لقتالهم ، بل ظهر منه الكآبة ، وتمنى أن لا يقع ، وبرّأ الفريقين من الكفر والنفاق وأجاز الترحم على قتلى الطائفتين ، وأمثال ذلك من الأمور التي يُعرف بها اتفاق الصحابة على أن كل واحدة من الطائفتين مؤمنة) (٢)

يقول الحافظ ابن أبي حاتم (٣) الرازي فيهم :

فأما أصحاب رسول الله ﷺ فهم الذين شهدوا الوحي والتتريل ، وعرفوا التفسير والتأويل ، وهم الذين أختارهم الله بصحبة نبيه ﷺ ونصرته ، وإقامة دينه ، وإظهار حقه ، فرَضيهم له صحابةً ، وجعلهم لنا أعلاماً وقدوة ، فحفظوا عنه ﷺ ما بلغهم عن الله عز وجل ، وما سنَّ وشرَّع ، وحكم وقضى ، وندب ، وأمر ونهى ، وحظر وأدّب ، ووعوه وأتقنوه، ففقهوا في ا لدين، وعلِموا أمر الله ونهيه ومراده بمعاينة رسولَ الله ﷺ ، ومشاهدهم منه تفسير القرآن وتأويله ، وتلَقُفهم منه واستنْبَاطهم عنه ، فشرّفهم الله عز وجل بما منَّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة ، فنفى عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والغمز ، وسمّاهم عدول الأمة فقال عز وجل ذكره في محكم كتابه {وكذلك جعلناكم أمة وسطاً}(البقرة:١٤٣)، ففسر النبي ﷺ عن الله قوله وسطاً قال: عدلاً ، فكانوا عدول هذه الأمة وأئمة الهدى وحجج الدين ونقلة الكتاب والسنة، وندب الله عز وجل إلى التمسك بهديهم، والجري على منهاجهم، والسلوك لسبيلهم،والاقتداء بهم فقال{ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُولِّه ما تولى..}(النساء من آية ١١٥) (٤) أهـ

---

(١)الخوارج : هم فرقة خرجت على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وقد أخبر عنهم ﷺ وأمر بقتالهم ..

(٢) فتاوى ابن تيمية ٢٣١٠٢٣٢/٤ ؛ جـ٦٩/٣٥-٧١ بتصرف

(٣) الحافظ ابن أبي حاتم الرازي هو الإمام الحافظ أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي ، أخذ علم الحديث منذ صغره عن والده الإمام أبوحاتم الرازي وأبو زرعة وغيرهما ، كان إمام عصره كمالك بن أنس وسفيان الثوري ، كان ممن يحوز العلم ، طوف بالبلاد وبرع في المتن والاسناد وجمع وصنف وجرح وعدل .. قال الخطيب كان أحد الائمة الحفاظ مشهورا بالعلم مذكورا بالفضل له كتاب الجرح والتعديل والمسند والزهد .. وتصانيف أخرى مفيدة .. توفي بالري عام خمس وقيل سبع وسبعين ومائتين من الهجرة (طبقات الحفاظ للسيوطي ، ٢٥٩ ؛ سير أعلام النبلاء للذهبي ، ١٣ / ٢٦٣)

(٤) [الإمام الحافظ : أبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي ، الجرح والتعديل ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، ١٢٧١هـ-١٩٥٢م إص٧

وعلى ذلك فإن (معتمد القول عند أئمة السنة أن الصحابة - رضوان الله عليهم - كلهم عدول ، بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق المعتبرين)[١]

فيما سبق تبين مكانة صحابة رسول الله ﷺ .. وعذر من أخطأ منهم .. فإنهم قوم كرام اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه وصفيه من خلقه ، ففازوا بالفضل والشرف والسؤدد ، فمشهد واحد يشهده يقضيه أحدهم مع رسول الله ﷺ خير الدنيا وما فيها ،

يقول الصحابي الجليل سعيد بن زيد[٢] عاشر العشرة المبشرين بالجنة - رضي الله عنهم أجمعين -

"والله لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يَغْبَرُّ فيه وجهه خير من عمل أحدكم ، ولو عُمّر عمر نوح "[٣]

ولقد فهم سلف الأمة رضوان الله عليهم جميعاً رضاه تعالى عنهم :

يقول الحافظ بن كثير عنهم في تفسيره (رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل الجنة مثواهم وقد فعل)[٤]

ويقول غيره في تفسير قوله تعالى {والسابقون الأولون ...}(التوبة:من آية ١٠٠) : جميع أصحاب رسول الله ﷺ في الجنة محسنهم ومسيئهم ! فلما سئل : من أين تقول هذا يقول: اقرؤا قوله تعالى {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه}(التوبة: من آية١٠٠) [٥]

---

(١) لوامع الانوار للشيخ السفاريني ٢ / ٣٧٧

(٢) هو سعيد بن زيد بن نفيل بن عبد العزى . أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، أسلم قديما قبل دخول رسول الله دار الارقم ، وهاجر وشهد أحدا والمشاهد بعدها ، ولم يكن بالمدينة زمان بدر لذلك لم يشهدها ، كما شهد اليرموك وفتح دمشق ، كان من فضلاء الصحابة ، وكان اسلام عمر عنده في بيته ، توفي سنة أحدى وخمسين وقيل اثنين وخمسين ودفن بالعقيق - رضي الله عنه (الاصابة ٣/٧٨ ، ترجمة رقم (٣٢٧١))

(٣) أخرجه أبوداود جـ٤ ، كتاب: السنة ، باب: الخلفاء ، حديث رقم (٤٦٥٠)

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢٤٧/٤)

(٥) هذا القول روي عن محمد القرظي في تفسير البغوي ٣٢٢/٢ .

أكمل الصحابة رضا :

قد بينا أن الصحابة - رضوان الله عليهم - أهل رضا الله - فقد وعدهم سبحانه جميعهم بلا استثناء - الجنة والرضوان - لكن هذا الرضوان يتفاوت بينهم بتفاوت منزلتهم وسبقهم للإسلام وبذلهم في سبيل الله ، فهم وإن كانوا جميعهم خير القرون وأفضل ممن بعدهم في السبق والفضل والرتبة إلا أنهم فيما بينهم متفاوتون ، فلقد اختار الله تعالى الصحابة (من جملة العالمين واختار منهم السابقين الأولين واختار منهم أهل بدر وأهل بيعة الرضوان)[1]

ومن هذه المراتب ما لم يرد نص صريح على رضى الله عنهم ، فلم يَرد نص صريح على رضى الله على جميع أهل هذه المراتب إلا على رضاه على أهل بيعة الرضوان ، والسابقين الأولين -كما سيأتي- لكن لما كان جميع الصحابة مرضيٌّ عنهم - بلا استثناء - ولما أجمع العلماء على تقديم العشرة المبشرين بالجنة وأهل بدر وأهل أحد على أهل بيعة الرضوان[2] فقد قدمتهم على أهل بيعة الرضوان ، وذكرت مراتبهم بإيجاز حيث لا يسعني تجاوزهم بأهل بيعة الرضوان - فضلاً عن أن تصريحه تعالى برضاه عن أهل بيعة الرضوان - مع كون أهل تلك المراتب مقدمون على أهل بيعة الرضوان يدل على رضاه تعالى عنهم من باب أولى ، فلذلك ذكرتهم تحت عنوان (أكمل الصحابة رضاً) وذلك بترتيب أفضليتهم كما رتبها العلماء حيث قالوا : أفضل الصحابة على الإطلاق هم :- الخلفاء الراشدون ، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل أحد ، ثم المهاجرين ، ثم الأنصار ، ثم من أسلم قبل الفتح ، ثم من أسلم بعد الفتح[3] وإليك هذه المراتب :

---

(1) الإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية - زاد المعاد في هدي خير العباد، الطبعة الثالثة ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عبدالقادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م] ٤٤/١-٤٥

(2) يقول الشيخ السفاريني في كتابه لوامع الأنوار البهية شرح الدرة المضيئة ، ٣١٢/٢ "فقد أجمع أهل السنة والجماعة أن أفضل الصحابة : أبوبكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، ثم سائر العشرة المبشرين بالجنة ، ثم باقي أهل بدر ، ثم باقي أهل أحد ، ثم باقي أهل الرضوان، ثم باقي الصحابة ، هكذا أجمع أهل الحق)

(3) انظر التقييد والإيضاح لزين الدين العراقي ص٢٦٤ ؛ [الحافظ جلال الدين السيوطي ، تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ، تحقيق : عبدالوهاب عبداللطيف ، الطبعة الثانية ، دار إحياء السنة ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م]جـ٢/٢٢٢-٢٢٤

(١) الخلفاء الراشدون :

أ- أبو بكر الصديق ﷺ :

فأفضل الصحابة بل أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة خليفة رسول الله ﷺ وأحب الخلق إليه [١] من الرجال وأقربهم إلى قلبه ﷺ ، وأبَ أحب الخلق إليه ﷺ على الإطلاق - عائشة بنت أبي بكر الصديق - الطيبة الطاهرة المبرأة من فوق سبع سماوات - رضي الله عنهم أجمعين ، (فهو أفضل الصحابة ، وخيرهم ، فقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن أفضل الصحابة والناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : أبوبكر الصديق ﷺ فأبوبكر الصديق أفضل هذه الأمة لا ينازع في ذلك إلا زائغ)[٢]

سماه الرسول ﷺ صديقاً لمبادرته إلى تصديق الرسول ﷺ قبل الناس كلهم[٣]،وفيه نزل[٤] قوله تعالى{وسيجنبها الأتقى *الذي يؤتي ماله يتزكى *وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى * ولسوف يرضى}(الليل:١٧-٢١) ،

يقول الإمام البغوي (قوله تعالى {ولسوف يرضى} المراد أن أبابكر ﷺ ما أنفق ماله إلا لطلب رضوان الله ، ولسوف يرضى الله عنه،وهذا عندي أكمل مِن القول أنه وعد أبابكر أن يرضيه في الآخرة بثوابه ؛ لأن رضا الله عن عبده أكمل من رضاه عن ربه[٥]-

---

(١) ففي الصحيح أنه سئل ﷺ : أي الناس أحب إليه؟ قال :عائشة ، قال : من الرجال قال : أبوها) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أبي بكر الصديق ، حديث رقم (٢٣٨٤)

(٢) لوامع الأنوار للسفاريني ٢/٢١٣ .

(٣) قال ﷺ " ما دعوت أحداً إلى الإيمان إلا كانت له كبوة إلا ابابكر فإنه لم يتعلثم) أخرجه ابن كثير في تفسيره ٤/٢٥٠ ؛ وفي البداية والنهاية ١/١٠٨ ، ٣/٢٧ .

(٤) انظر أسباب النزول للواحدي ص٥٢٦

(٥) تفسير البغوي ٤/٤٩٧ بتصرف

يقول الحافظ ابن كثير (وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ – حتى أن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين[1] على ذلك ، ولا شك أنه داخل فيها ، وأولى الأمة بعمومها ، فإن لفظها لفظ العموم ، لكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف ، وسائر الأوصاف الحميدة كان صديقاً تقياً كريماً بذالاً لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ ، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ، ولم يكن أحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها لكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل فكيف بمن عداهم [2]

ب– عمر بن الخطاب ﷺ :

وهو الفاروق : عمر بن الخطاب بن نُفيل القرشي خليفة خليفة رسول الله ﷺ وثاني العشرة المبشرين بالجنة الذي فرّق الله به بين الحق والباطل وأعز الله به الإسلام .. ومناقبه وفضله لا يخفى على كل ذي إيمان .. فلقد كان إسلامه فتحاً وهجرته نصراً ، وخلافته رحمة [3] رضي الله عنه وأرضاه ، ولقد نص على رضا رسول الله ﷺ عنه خاصة[4] في حديث وفاته الطويل .. حيث قال له ابن عباس ﷺ (.. يا أمير المؤمنين لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض...)[5]

كما نعلم فإن رضا المصطفى ﷺ لا ينفك عن رضا الله تعالى ، فرضاه ﷺ عن عمر هو رضا الله عنه .

([1]) انظر جامع البيان للطبري ٤٨٠/٢٥ ؛ تفسير البغوي ، ٤٩٧/٤ ؛ وكذلك صرح بإجماع الأمة على ذلك الإمام الرازي في تفسيره ، حيث قال (الأمة مجمعة على أن أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أبابكر الصديق ﷺ ، فإن كان المراد من هذا الأتقى : أفضل الخلق وجب أن يكون المراد هو أبوبكر الصديق ﷺ)التفسير الكبير (١٦ / ٢٠٥) .

([2]) تفسير القرآن العظيم ، ٦٣٥/٤

([3]) أخرج بن سعد في طبقاته عن ابن مسعود ﷺ : كان إسلام عمر فتحاً وكانت هجرته نصراً وكانت إمامته رحمة) لذا أفردته بالذكر هو وأبوبكر الصديق– رضي الله عنهما – عن باقي العشرة ا لمبشرين بالجنة .

([4]) حيث في أبي بكر رضي الله عنه ورد إجماع الأمة أنه الأتقى الذي يرضى الله عنه ، وفي عمر ﷺ نص على رضا رسول الله ﷺ عنه خاصة ورضاه ملازم لرضا الله لذلك أفردته بالذكر عن سائر العشرة المبشرين بالجنة .

([5]) أخرجه البخاري–واللفظ لـه– جـ٤، كتاب:فضائل أصحاب النبي ﷺ ،باب:مناقب عمر بن الخطاب ﷺ،حديث رقم(٣٦٩٢)

جـ- باقي العشرة المبشرين بالجنة (١) :

وفي مقدمتهم باقي الخلفاء الراشدين : عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ثم:سعد بن أبي وقاص (٢)، سعيد بن زيد ، طلحة بن عبيد الله (٣) ، الزبير بن العوام (٤) ، عبدالرحمن بن عوف (٥) ، أبوعبيدة عامر بن الجراح (٦) الّذين نُص على رضا رسول الله عنهم صراحةً على لسان عمر ﷺ في رواية أخرى لحديث وفاته الطويل حينما طلب منه أن يستخلف من بعده ، قال (لا أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعد وعبدالرحمن (٧))

---

(١) ففي الحديث قال ﷺ (أبوبكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة ، وسعد في الجنة ، وسعيد في الجنة، وأبوعبيدة بن الجراح في ا لجنة) أخرجه الترمذي جـ٥،كتاب:المناقب ، باب:مناقب عبدالرحمن بن عوف ، حديث رقم (٣٧٤٧)

(٢) سعد بن أبي وقاص : هو أبو إسحاق : سعد بن مالك بن أُهيب وقيل وهيب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب القرشي الزهري أحد العشرة وآخرهم موتاً ، وأحد الستة أهل الشورى ، كان أحد الفرسان وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وكان مجاب الدعوة دعا له النبي ﷺ وكان رأس من فتح العراق وولي الكوفة لعمر وهو الذي بناها توفي عام إحدى وخمسين وقيل ست وقيل ثمان وخمسين من الهجرة - رضي الله عنه وأرضاه (الإصابة ، ٦١/٣ ، ترجمة رقم (٣٢٠٢))

(٣) طلحة بن عبيدالله : هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد القرشي التميميّ ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، كان في وقعة بدر في تجارة بالشام : فضرب له النبي ﷺ بسهمه وشهد أحداً ، وأبلى فيها بلاءً حسناً ووقى النبي ﷺ بنفسه ، واتقى النبل بيده حتى شلّت اصبعه ، كان كثير العطاء والإنفاق في سبيل الله حتى سماه الرسول ﷺ الفيّاض فكان يلقب بطلحة الفيّاض ، رُمي بسهم يوم الجمل في ركبته فمات منه سنة ست وثلاثين من الهجرة - رضي الله عنها وأرضاه (الإصابة لابن حجر ، ٤٣٠/٣ ، ترجمة رقم (٤٢٨٥)

(٤) الزبير بن العوام : هو أبو عبدالله : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب حواري النبي ﷺ وابن عمته صفية، هاجر الهجرتين ، وأبلى في الإسلام بلاءً حسناً ، شهد المشاهد ، جمع له ﷺ بين أبويه يوم بدر ، وكان من الذين استجابوا لله ورسوله يوم أحد .. قتله ابن جرموز غدراً في وقعة الجمل سنة ست وثلاثين من الهجرة (الإصابة لابن حجر ، ٤٥٧/٢ ، ترجمة رقم (٢٧٩٦) ؛ وأسد الغابة لابن الأثير ، ترجمة رقم (١٧٣٢))

(٥) عبدالرحمن بن عوف : هو أبو محمد عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبدالحارث القرشي الزهري. أحد العشرة المشهود له بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى الذين أخبر عمر أن رسول الله توفي وهو عنهم راض، وأسند رُفقته أمرهم إليه حتى بايع عثمان . أسلم قديماً قبل دخول دار الأرقم ، وهاجر الهجرتين وشهد بدراً وسائر المشاهد .

قال عنه عمر بن الخطاب:عبدالرحمن سيد من سادات المسلمين".. وقد استخلفه على الحج سنة وليَّ الخلافة كان جواداً كريماً أعتق ثلاثين ألف نسمة وأنفق ماله في أوجه الخير ، توفي عام اثنين وثلاثين -رضي الله عنه وأرضاه (الإصابة لابن حجر ، ٢٩٠/٤ ، ترجمة رقم (٥١٩٥))

(٦) أبو عبيدة عامر بن الجراح : هو عمر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أُهيب ويقال وهيب القرشي الفهري مشهور بكنيته ، أمين هذه الأمة ، أحد العشرة السابقين إلى الإسلام ، هاجر الهجرتين ، وشهد بدراً وما بعدها ، وهو الذي انتزع الحلقتين من وجه النبي ﷺ فسقطت ثنيتاه ، قتل أبيه ببدر فنزل فيه قوله تعالى { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ..} مات في طاعون عمواس بالشام سنة ثمان عشرة رضي الله عنه وأرضاه (الإصابة لابن حجر ، ٤٧٥/٣ ، ترجمة رقم (٤٤١٨) ؛ أسد الغابة ، ترجمة رقم (٢٧٠٥))

(٧) يقول الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٦٧/٧) : (وأبوعبيدة عامر بن الجراح وسعيد بن زيد رضي الله عنهما منهم ولم يذكرهما عمر بن الخطاب في الحديث لوفاة أبوعبيدة ﷺ قبل ذلك وأما سعيد فلم يذكره عمر لأنه ابن عمه وزوج أخته فلم يذكره مبالغة في التبريء من الأمر فلم يرد الخلافة في آل الخطاب من بعده)

(٣) أهل بدر : [١]

البدريون لهم منزلة عظيمة ورتبة عالية عند الله وعند الصحابة رضوان الله عليهم ، فبهذه الفئة الصابرة القليلة نصر الله الإسلام وأعز الدين ، ولقد أعلى الله شأن كل من قاتل في تلك الغزوة لنصرة الإسلام من الإنس والملائكة ففي الصحيح (جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة)[٢]

فكل من شهد بدراً مرضيٌّ عنه مقدم على جميع الصحابة بإجماع العلماء والعشرة المبشرين بالجنة منهم[٣]**، فهم أهل رضا الله ، قد غفر الله ذنوبهم وتجاوز عن سيئاتهم ، وبشرهم بالرحمة والغفران قبل مماتهم ، ولقد صرح ﷺ بعظم منزلة أهل بدر جميعاً في قصة حاطب بن أبي بلتعة**[٤] **ﷺ حينما أرسل لقريش كتاباً يخبرهم بقدوم النبي ﷺ يبتغي بذلك يداً فيهم فَأَطْلَعَ الله رسوله بذلك فجيء به وبالكتاب، فلما جيء به (قال عمر:يارسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال ـ ﷺ ـ إنه شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم)**[٥]

---

(١) بدر: قرية مشهورة ، ولم تزل من يومئذ بأهل الإسلام معمورة ، تقع على نحو أربع مراحل من المدينة ، قيل نسبة إلى بدر بن مخلد ، وقيل : بدر بن الحارث ، وقيل بدر بن كلدة ، وقيل بل بدر اسم بئر فيها لصفائها واستدارتها ، وقيل : بل هو علم على البلد المذكور كغيرها من أسماء البلدان ، والبدريون نسبة إلى غزوة بدر أي أهل بدر .

(٢) أخرجه البخاري ، جـ٥ ، كتاب المغازي ، باب:شهود الملائكة بدراً ، حديث رقم(٣٩٩٢)

(٣) إلا سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما لم يشهدا بدراً لأن الرسول ﷺ أرسلهما يطلبان خبر عير قريش فعادا يوم اللقاء ببدر ، ولقد ضرب لهما الرسول ﷺ في الغنيمة والأجر .. فهما من أهل بدر .

(٤) هو الصحابي الجليل : حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير اللخمي حليف بني أسد بن عبدالعزى ، شهد بدراً وفيه نزل قوله تعالى{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء...}(الممتحنة:من آية١) مات في خلافة عثمان ﷺ سنة ٣٠هـ وله خمس وستون سنة (الإصابة لابن حجر العسقلاني، ٤/٢)

(٥) اخرجه البخاري – واللفظ له – جـ٥ ، كتاب المغازي ، باب : غزوة الفتح ، حديث رقم ٤٢٧٤ ؛ ومسلم جـ٤ كتاب : فضائل الصحابة باب : من فضائل أهل بدر حديث رقم ٢٤٩٤ ؛ والترمذي : جـ٥ كتاب التفسير ، باب : من سورة الممتحنة ، حديث رقم ٣٣٠٥ ؛ جميعهم من حديث علي بن أبي طالب ؛ وأبو داود : جـ ٤ كتاب السنة : باب : في الخلفاء ، حديث رقم ٤٦٥٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ (فلعل الله اطلع ..) دون لفظ الرضا .

وفي رواية أن عبداً لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً فقال : يارسول الله ! لَيَدخُلن حاطبٌ النار . فقال رسول الله ﷺ : كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدراً...)[1]

(٤)أهل أحد [2] :

ثم يأتي بعد أهل بدر أهل أحد في المترلة والمكانة وفي غزوة أحد التي لاقى فيها الصحابة رضوان الله عليهم الشدة والمشقة فاستجابوا لله وللرسول وبذلوا أنفسهم وأموالهم رخيصة في سبيل الله ،

يقول تعالى عن أهل أحد في معرض الثناء والمدح مخبراً عما قدموه من بذل وتضحية { الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ، الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله }آل عمران:١٧٢-١٧٤

فهؤلاء المؤمنون اتبعوا رضوان الله فأطاعوا الله والرسول وصبَروا عند المصاب فلاقاهم تعالى جنة منه ورضوان .

---

(١) صحيح مسلم ، جـ٤ ، كتاب: فضائل الصحابة ، باب: من فضائل أهل بدر ، حديث رقم (٢٤٩٤)

(٢) أُحد : بضم الهمز والحاء والدال مهملتين : هو جبل أحمر ليس بذي شناجب بينه وبين المدينة أقل من فرسخ وهو في شمالها إلى الشرق ، سُمي أحداً لتوحده وانقطاعه عن جبال آخر ، أو لما وقع من أهله من نصرة التوحيد وفي الحديث "أحد جبل يحبنا ونحبه"

(٥) أهل بيعة الرضوان (أهل الشجرة)[1] :

وهم الذين بايعوا الرسول ﷺ على الحرب والنصرة وذلك بالحديبية[2] تحت الشجرة لذلك يسمى أصحاب بيعة الرضوان : أصحاب الحديبية ، وأهل الشجرة ، ومن خلال تسمية هذه البيعة بيعة الرضوان نستشعر عظم رضا الله عن هؤلاء المبايعين فلم تسم بيعة الرضا إنما سميت بيعة الرضوان على التعظيم ومعنى الرضوان : أي الرضا الكثير العظيم من الله ، وبالرغم مما تشعر به هذه التسمية من تعظيم وتفخيم لرضا الله تعالى عنهم فقد نص صراحة في كتابه على رضاه عنهم فقال تعالى {لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً } (الفتح:١٨)

فهذه الآية وردت في بيعة أصحاب رسول الله ﷺ بالحديبية حيث بايعوه على مناجزة قريش الحرب ، وعلى ألا يفروا ولا يولوهم الدبر، وكانت بيعتهم إياه هناك تحت الشجرة ، وكان سبب هذه البيعة أن رسول الله ﷺ لما أراد دخول مكة مع أصحابه معتمراً أرسل عثمان بن عفان برسالته إلى الملأ من قريش فأبطأ عثمان بن عفان عليه فظن أنه قد قُتل فدعا أصحابه على تجديد البيعة فبايعوه هذه البيعة[3]

وقوله تعالى{فعلم ما في قلوبهم وأثابهم فتحاً قريبا}: (أي فعلم ربك يا محمد ما في قلوب المؤمنين من أصحابك إذ يبايعونك تحت الشجرة من صدق النية والوفاء بما يبايعونك عليه والصبر معك فأنزل الطمأنينة والثبات على ما هم عليه من دينهم ، وعوضهم في العاجل مما رجوا الظفر به من غنائم أهل مكة بقتالهم أهلها فتحاً قريباً)[4]

---

(١) الشجرة تسمى شجرة الربيعة،وشجرة الرضوان، وهي شجرة خضراء سَمُرة بفتح المهملة وضم الميم من شجر الطلح وهو نوع من العضاة أو من سدر كما رواه مسلم عن جابر .

(٢) والحديبية بحاء مضمومة فدال مهملتين والدال مفتوحة فموحدة مكسورة فتحتية مفتوحة بالتخفيف والتشديد - قريبة من مكة أكثرها من الحرم وفي صحيح البخاري عن البراء (الحديبية بئر) ، قال ابن حجر يشير إلى المكان المسمى بالحديبية سُمي ببئر كانت هناك هذا اسمها ثم عُرف المكان كله بذلك وبينها وبين مكة مرحلة ، وبينها وبين المدينة تسع مراحل ، كانت في السنة السادسة ، وكان عددهم أربع عشر مائة وأكثر من ذلك ...(معجم البلدان ٢/٢٢٩)

(٣) جامع البيان للطبري ٢٢/٢٢٣

(٤) المصدر نفسه ٢٢/٢٢٧-٢٢٨

وفي هذه البيعة المباركة اعتبر سبحانه نفسه المبايع فيها ، فيده تعالى فوق أيديهم قال تعالى { إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً}(الفتح:١٠) فهو سبحانه وتعالى حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانـــهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسول الله ﷺ)[١]

قال الإمام أبو جعفر الطبري(يقول تعالى ذكره لنبيه { إن الذين يبايعونك } من أصحابك على ألا يفروا عند لقاء العدو ولا يولوهم الأدبار إنما يبايعون ببيعتهم إياك الله ، لأن الله ضمن لهم الجنة بوفائهم له بذلك)[٢]

ولما كانت هذه البيعة ـ بيعةً على الموت[٣] – سميت هذه البيعة بيعة الرضوان حيث نص تعالى على رضاه عنهم خاصة ، فقال تعالى { لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة}(الفتح:١٨)، وقال ﷺ عنهم (لا يدخل النار إن شاء الله منهم أحد)[٤] قال الإمام النووي (أي لا يدخلها أحد منهم قطعاً وإنما قال إن شاء الله للتبرك لا للشك)[٥]

(٦) مسلمو قبل الفتح[٦] :

ولقد جعل الله مسلمي قبل الفتح مقدمين على مسلمي بعد الفتح في الفضل والأجر والمثوبة فهم أفضل ممن أسلم بعد فتح مكة وإن اشتركوا جميعاً في المغفرة والرضوان ،

يقول الله تعالى { لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجةً من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير }(الحديد:١٠)

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٢٢٥-٢٢٦ بتصرف

(٢) جامع البيان ٢٢/٢٠٩

(٣) ففي صحيح البخاري عن سلمة بن الأكوع سئل(عن أي شيء كنتم تبايعون يومئذ، قال: على الموت)جـ٤كتاب الجهاد ،باب:البيعة في الحرب، حديث رقم (٢٩٦)

(٤) صحيح مسلم جـ٤ كتاب فضائل الصحابة-باب فضائل أصحاب الشجرة ص١٩٤٢ حديث رقم(٢٤٩٦).

(٥)[الامام النووي : محي الدين بن شرف النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ط٢ دار احياء التراث بيروت ، ١٣٩٢هـ -١٩٧٢م] جـ٨/٥٨

(٦) الفتح : هو صلح الحديبية سمي فتحاً لأنه كان فتحاً ونصراً للإسلام / انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ١٥٢/٣

وإجمالاً فقد فضّل تعالى السابقين إلى الإسلام على ما سواهم ، فقد نص تعالى على رضاه عنهم خاصة حيث قال تعالى{والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه}(التوبة:من آية ١٠٠) والسابقين في الإسلام مقدّمون على غيرهم في الفضل والرتبة لكن اختلف العلماء في المراد بـهؤلاء السابقين على أربعة أقوال[١] :

١- أنـهم من صلى القبلتين .

٢- أنـهم أهل بيعة الرضوان .

٣- أهل بدر

٤- من أسلم قبل الفتح

فعلى ذلك فإن جميع هذه الأقوال في معنى السابقين – عدا القول الأول – تدخل دخولاً أولياً في الأصناف التي ذكرناها سواءً كانوا أهل بدر أو الرضوان أو مسلمي قبل الفتح .. لذا لم أخصص السابقين بعنصر مستقل

كما نلاحظ في الآية تقديم المهاجرين على الأنصار كما هو الحال في كثير من الآيات ، فالمهاجرون مقدمون على الأنصار كذلك في الفضل والرتبة ، وإن كانوا جميعاً أهل رضوان الله وكرامته فهم خير الأمم[٢] ، وخير القرون[٣] ، وأفضل الخلق جميعاً بعد رسول الله ﷺ وأفضل ممن جاء بعدهم إلى يوم الدين ، فلهم رضوان الله عليهم السبق على من بعدهم في الفضل والمنزلة ، بما اصطفاهم تعالى واجتباهم لصحبة رسوله وحمل دينه ، عليهم وعلى رسولنا أفضل الصلاة وأتم التسليم –

---

(١)انظر [الحافظ ابن كثير ، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، الطبعة[بدون] ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، التاريخ [بدون]]ص١٨٣ ؛ تدريب الراوي للسيوطي ، ٣٠٧-٣٠٨

(٢)لقوله تعالى {كنتم خير أمة أخرجت للناس}

(٣) لقوله ﷺ (خير القرون قرني ثم الذين يلونـهم ثم الذين يلونـهم)

المطلب الثالث: التابعون لهم بإحسان :

فالتابعون للصحابة الكرام في الإيمان والإحسان ، والأعمال الصالحة هم من أهل رضا الله في أي زمان أتى بعد الصحابة .

ومعنى التابعي الاصطلاحي : من صحب الصحابي[1]

لكن هذا المعنى غير مراد من لفظ التابعين في هذا المبحث ، إنما المراد كل من تبع الصحابة الكرام إلى يوم الدين ، فكل من تبع الصحابة في أعمالهم الصالحة إلى يوم الدين هو من التابعين للصحابة بإحسان ، هذا ما قاله أهل العلم – في الآيات الخاصة بالثناء على التابعين وإليك هذه الآيات:

قال تعالى { والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ..الآية} (التوبة:١٠٠)

({ الذين اتبعوهم بإحسان} هم الذين سلكوا سبيلهم في الإيمان والهجرة أو النصرة إلى يوم القيامة وقيل هم الذين يذكرون المهاجرين والأنصار بالترحم والدعاء)[2] (فالتابعون لم بإحسان اللاحقون بالسابقين من كل فريق مهاجرين أو أنصار والذين اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة)[3] فهؤلاء الأبرار قد منّ الله عليهم بالرضا فاشتركوا مع الصحابة في قوله تعالى {رضي الله عنهم ورضوا عنه} فكلا الصحابة والتابعين مرضيٌّ عنهم وإن تقدم عليهم الصحابة بالسبق والفضل .

يقول الإمام ابن القيم معقباً على الآية مبتدئاً بالصحابة الكرام رضي الله عنهم (فهؤلاء السعداء الذين ثبت لهم رضا الله عنه وهم أصحاب رسول الله ﷺ وكل من تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، ولا يختص ذلك بالقرن الذين رأوهم وإنما خص التابعين بمن رأوا الصحابة ليتميزوا بهم عمن بعدهم ، فقيل التابعون مطلقاً لهذا القرن فقط ، وإلا

---

(١) التقييد والإيضاح لابن الصلاح ص٢٧٤ ؛ الباعث الحثيث لابن كثير ص١٩١

(٢) روح المعاني ، ٣٢١/٢ بتصرف

(٣) فتح القدير ، ٤٥٣/٢

فكل من سلك سبيلهم فهو من التابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة ، فالتبعية ليست مطلقة ولكن تبعية مصاحبة للإحسان والإحسان في المتابعة شرط حصول رضا الله عنهم وجناته)[1]

وهذه هي الآية الوحيدة التي نصت على رضا الله عن التابعين بإحسان .. ، وما يلي هذه الآية من آيات أخرى فإن الثناء الحسن على التابعين ، ما يتضمن الرضا ، دون التصريح بلفظ الرضا وهي :

أ–قوله تعالى{والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان}(الحشر:١٠)

قال ابن كثير رحمه الله : (فهؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق من فقرائـــهم من مال الفيء وهم المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم بإحسان كما قال في آية براءة { والتابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه}(التوبة: ١٠٠)، فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة الداعون لهم في السر والعلانية لهذا قال تعالى {يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا ...}أهـ[2]

ب– قوله تعالى { هو الذي بعث في الأميين[3] رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين ، وآخرين منهم لما يلحقوا بـــهم وهو العزيز الحكيم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم}(الجمعة : ٢–٤)

فقوله تعالى { وآخرين منهم لما يلحقوا بـــهم} أي لم يأتوا بعد وسيجيئون ، فكل لاحق بالصحابة رضوان الله عليهم هو من الآخرين الذين لم يكونوا من الأوليين الذين كان رسول الله ﷺ يتلو عليهم من آيات الله[4] .

فكل من تبع الصحابة بإحسان في أي قرن كان هم من التابعين الذين رضي الله تعالى عنهم .

---

(١)[الإمام ابن قيم الجوزية ، زاد المهاجر إلى ربه ، قدم له الدكتور محمد جميل غازي ، الطبعة:[بدون] ، مكتبة المدني ، جده ، التاريخ:[بدون]] ص٤٢–٤٣ بتصرف .

(٢)تفسير ابن كثير ٤٠٨/٤

(٣) الأميّون : هم العرب الذين ليس لهم ، وقيل الغفلة والجهلة ، وقيل الأمي منه : هو قلة المعرفة (مفردات الراغب الأصفهاني،ص٢٣)

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ٤٠٨/٤

وهكذا نرى أن الأقوام الذين قد رضي الله عنهم هم الأنبياء – أفضل خلق الله الذين أكرمهم الله بحمل رسالته ، وتبليغ دينه ـ ويليهم الصحابة الكرام .. الذين قد نص الله تعالى على رضاه عنهم .. حيث صدقوا ونصروا ، وجاهدوا ، وبذلوا في سبيل الله المهج والأرواح .. والنفس والنفيس ، ويليهم : التابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين .. فلك من سار على نهجهم فهو : من أهل رضوان الله وأهل طاعته حيث يستحق أن ينال شرف شفاعة المصطفى ﷺ وورود حوضه ...

وهذه بشرى نزفها لكل مؤمن موحد .. سار على هدى الحبيب ﷺ فاتبع ولم يبتدع ، وبقي على العهد فلم يبدل ولم يغيّر .. بأنه من أهل رضوان الله تعالى ، فلم يجعل تعالى للشيطان عليهم سبيلاً ، وبأنهم خير البشرية الباقية على الخير والفلاح القابضة على الدين رغم كثرة الفساد ،

فهم الذين عناهم ﷺ بقوله (لن تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من ضل إلى يوم القيامة)[١]

واعتبرهم إخواناً له ﷺ تمنى رؤياهم ... وهو ينتظرهم على الحوض ليدخلهم الجنان [٢]

وعند ختم مبحث أهل الرضوان ـ نسأل الله أن يجعلنا منهم بمنّه وفضله وكرمه ـ أرى من المناسب أن افتتح مبحثاً آخر نتعرّف من خلاله على صفات هؤلاء الذين رضي الله عنهم وأرضاهم ،

فما هي صفات هؤلاء السعداء؟

وما هي الأعمال التي بها استحقوا أن يكونوا من أهل رضوان الله ؟

فيما يلي هذه الأعمال تحت مبحث بعنوان :

أسباب رضا الله

---

(١) أخرجه البخاري ،جـ١ ، كتاب:العلم ، حديث رقم: (٧١) وأحمد في مسنده (٤/ ٤٣٤) بلفظ (لن تزال طائفة من أهل الاسلام يقاتلون على الحق)

(٢) أخرجه مسلم جـ١ ، كتاب:الطهارة ، باب:استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ، حديث رقم(٢٤٩) ، قوله ﷺ "وددت أنا قد رأينا إخواننا) قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: (أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد) قالوا:كيف تعرف من لم يأت من أمتك؟.. قال:(فإنهم غرّ محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ..) .

المبحث الرابع : أسباب رضا الله

تمهيـــــد

أولاً : عبادة الله

ثانياً : التقوى

ثالثاً : الإخلاص لله

رابعاً : الاعتصام بحبل الله

خامساً : الصبر

سادساً : الصدق

سابعاً : القنوت

ثامناً : الإنفاق في سبيل الله

تاسعاً : الشكر

عاشراً : الهجرة في سبيل الله

الحادي عشر : الجهاد

الثاني عشر : الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين

الثالث عشر : ذكر الله

الرابع عشر : السواك

تنبيـــــه

خاتـــــمة

تـمهـــــيد :

إذا تأملنا الآيات التي نص فيها تعالى على رضاه عن المؤمنين نجد أن هؤلاء المؤمنين المرضي عنهم قد وصفهم الله بصفات استحقوا بـــها أن يكونوا من أهل رضوانه .

يقول الله تعالى { قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ، الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار، الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار} (آل عمران:١٥-١٧)

فوصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآيات بالتقوى ،والصبر ، والصدق والقنوت والإنفاق في سبيل الله وبذكر الله تعالى وحدّد من الذكر "الاستغفار في السحر"

وقال تعالى { قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنـــهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم } (المائدة:١١٩)

وقال تعالى { الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان ...} (التوبة:٢٠-٢١) ، فوصفهم الله تعالى بالصدق وبالجهاد في سبيله .

وهكذا نرى أن النصوص القرآنية وغيرها من السنة حددت لنا صفات لهؤلاء المؤمنين البررة من أنفاق في سبيل الله وصدق وصبر وتقوى وجهاد ودعاء وإخلاص وغيرها ليتصف بـــها المؤمن كي ينال رضوان الله تعالى ، فقمت بجمعها من خلال النصوص مع بيان تحقق رضا الله من هذه الصفة وجعلتها تحت مبحث الأعمال الموجبة لرضا الله تعالى ولا يمنع ذلك وجود أعمال أخرى لرضاه تعالى، فلم أُرِد في هذا المبحث حصر رضا الله في هذه الصفات بل إن هناك من العبادات والخلال من صيام ، وحج ، وبر للوالدين ، ووفاء عهد ، وحلم ، وعفو وغيرها كثير هي بلا ريب مواطن رضاه تعالى لم أذكرها في هذا المبحث اكتفاء مني بما نص عليه الشارع الكريم من الأعمال بلفظ الرضا.

فكل طاعة وقربى هي موطن رضاه تعالى ، وليس المقصد استعراض جميع الطاعات والقربات فشعب الإيمان كثيرة ، إنما المقصد القربات التي جاء النص صريحاً عليها بالرضا في القرآن الكريم والكتب الستة .

ومن هذه الاسباب ما هي : أسباب عامة تدخل فيها جميع الطاعات والقربات كعبادة الله والتقوى والاعتصام بالدين ومنها ما هي طاعات وقربات معينة كالصدق والصبر وإليك هذه الأعمال :-

أولاً: عبادة الله :

أصل العبودية الخضوع والتذلل، يقال طريق معبد، وإبل معبد أي مذلل[1] ويأتي بمعنى الطاعة، فالتعبد:التنسك [2]، والعبادة : الطاعة [3]

فعلى ذلك فإن أصل لفظ العبادة معناه : الخضوع ، الذل ، الطاعة .. وهي معان مترادفة ، يضيف إليها الإمام ابن تيمية رحمه الله معنى جديد لا تتحقق العبادة إلا به وهو الحب له تعالى فيقول (ولكن العبادة المأمور بـــها تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له ، فمن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له ، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له ، كما قد يحب ولده وصديقه ، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله ، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله)[4]

العبادة اصطلاحاً : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة [5]

والعبادة موطن رضا الرب تعالى ، فهي أفضل المنازل ، وخير ما وصف به المؤمن ، وأسمى ما لُقب به ، بل (ليس للمؤمنين صفة أتم ولا أشرف من العبودية ، لهذا أطلقها الله على نبيه في أشرف المواطن ونعته في أكمل أحواله[6] فقال في الإسراء {سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً ..}(الإسراء:من آية١)، وقال في الإيحاء {فأوحى إلى عبده ما أوحى }(النجم:١٠)، وقال في الدعوة {وأنه لما قام عبدالله يدعوه...}(الجن:من آية ١٩)

ورحم الله القائل :

ومما زادني شرفـــاً وتيـــهاً	وكدتُ بأخمصي أطـــأ الثريــــا
دخولي تحت قولك يا عبادي	وأن صيرت أحـــمد لي نبــــيا [7]

([1]) لسان العرب مادة عبد ٢٧١/٣

([2]) المفردات للراغب الأصفهاني ١٤٦

([3]) لسان العرب ٣/ ٢٧٢

([4]) مجموع الفتاوي ١٥٣/١٠ بتصرف

([5]) المصدر نفسه

([6]) انظر [أبي العون محمد بن أحمد السفاريني ، نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار، أشرف عليه:عبدالعزيز الهيدان – عبدالعزيز الدخيل ، الطبعة الأولى ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦] ص٢٧٠

([7]) نسبة الإمام السفاريني هذه الأبيات إلى القاضي عياض – نتائج الأفكار ص٢٧٤

وتشمل العبادة : جميع الطاعات من الواجبات والمستحبات ، وجميع الخلال الحميدة والأخلاق النبيلة ، يقول الإمام ابن تيمية (فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة)[1]

بل تشمل العبادة العادات وسائر المباحات من طعام وشراب[2] ونكاح[3] ونوم[4] إذا ابتغى بها وجه الله

وبعبارة أدق فإن العبادة تشمل كل نواحي الحياة قال تعالى {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين } (الأنعام:١٦٢)

ولما كانت العبادة هي كل محاب الله ، فإن كل ما يرضى الله عنه تعالى ويحبه فهو عبادة ، فالعبادة موطن رضاه تعالى وغايته من إرسال الرسل قال تعالى { وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون}(الأنبياء:٢٥)،

بل هي الغاية من خلق الثقلين قال تعالى { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون }(الذاريات:٦)

ولقد بين لنا المصطفى ﷺ أن الله يرضى عن عباده إذا عبدوه فلم يشركوا به شيئاً قال ﷺ " إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً ،فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً... الحديث" [5]

---

(١) فتاوى الإمام ابن تيمية ١٤٩/١٠

(٢)فيأكل ويشرب ليتقوى بالطعام والشراب على طاعة الله لأن المؤمن القوي حبيب عند الله قد أطاع ربه فأعطى نفسه حقها ، ففي الصحيح "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف"، أخرجه مسلم جـ٤ برقم(٢٦٦٤) ؛ "إن لربك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا "أخرجه البخاري جـ٢ برقم(١٩٦٨) .

(٣) ففي الصحيح عن معاذ ﷺ قال: أما أنا فأنام وأقوم ، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي " أخرجه البخاري جـ٥ ، كتاب: المغازي ، حديث رقم (٤٣٤٤) .

(٤) ففي الصحيح عن النبي ﷺ قال " وفي بضع أحدكم صدقة "

(٥) تفرد به الامام مسلم في كتابه – من اصحاب الكتب والسنة – فاخرجه في كتاب : الاقضية ، باب : النهي عن كثرة المسائل ونحوها من غير حاجة ، حديث رقم (١٧١٥)

فالعبادة سبب رضاه تعالى ، وموطن حبه لعباده .. فمن عَبَد الله تعالى فقد أدى حق الله عليه الذي من أجله خُلق، ففي الصحيح قال ﷺ "حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً "[1]

فمن فارق الدنيا على عبادته تعالى حق العبادة فلم يشرك به فنبذ الشرك وأهله استحق أن يكون من أهل رضوان الله، قال ﷺ "من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة مات والله عنه راض" [2]

فرضاه تعالى يكمن في عبادة المرء لله تعالى ، فإن عَبَد الله كما يجب وحقق الغاية من وجوده في هذا الكون – فقد استحق أن يفوز برضا الرحمن .

ويلاحظ قوله ﷺ " من فارق الدنيا .." أي عَبَد الله تعالى طوال حياته إلى أن مات وهو على طاعة الله ماض في تنفيذ شرع الله ، وهو مصداق قوله تعالى {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين } (الحجر : ٩٩)

وقوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون}(آل عمران: ١٠٢)

([1]) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الرقاق باب: من جاهد نفسه في طاعة الله حديث رقم (٦٥٠٠)

([2]) أخرجه ابن ماجة – واللفظ له – ، المقدمة ، باب:الإيمان ، حديث رقم (٥٨) ؛ والحاكم في مستدركه ٣٣٢/٢ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ؛ والمنذري في الترغيب والترهيب ٥٧/١ ولم يذكر لفظ العبادة ، جميعهم من طريق أنس بن مالك ﷺ .

إسناده : قال عنه الشيخ البوصيري في زوائده ص٣٧ (هذا إسناد ضعيف ، الربيع بن أنس:ضعيف ، قال ابن حبان في الثقات: الناس يتقون حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه لأن في أحاديثه عنه اضطراباً كثيراً ، ورواه الحاكم من طريق أبي جعفر وقال صحيح الإسناد) و أبو جعفر هذا هو عيسى بن ابي عيسى بن عبدالله بن ماهان قال عنه الحافظ ابن حجر : صدوق سيئ الحفظ (تقريب ترجمة ٨٠١٩) كما أن في السند الربيع بن أنس البكري ضعيف كما سلف ، قال عنه الحافظ بن حجر "صدوق له أوهام " (التقريب ترجمة رقم ١٨٨٢) فعلى ذلك فإن الحديث بهذا السند ضعيف .

ثانياً: التقوى:

التقوى لغة بمعنى الاتقاء والوقاية ؛ وهو الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته وصيانة النفس عما تستحق العقوبة من فعل أو ترك ، ففي الطاعة يُراد به الإخلاص ، وفي المعصية يراد به الترك [1] ،

وتقوى الله سبب رضاه تعالى ، صرح بذلك القرآن الكريم حيث رتب سبحانه وتعالى الأجر العظيم والمغفرة والرضوان للأتقياء قال تعالى{ للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله }(آل عمران:من آية ١٥)

قوله تعالى{ للذين اتقوا } الذين خافوا الله فأطاعوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه .[2] هؤلاء الأتقياء البررة وعدهم الله تعالى وامتن عليهم سبحانه بإكرامهم جزاء تقواهم بالنعيم الخالد العظيم من جنان وأنهار وأزواج ثم ختم تعالى بأكبر أجر وأعظم نعيم في الجنان فقال تعالى {ورضوان من الله} أي ورضا عظيم أعظم مما أعطاهم من النعيم المقيم [3] (وإنما ذكر الله جل ثناءه فيما ذكر للذين اتقوا عنده من الخير رضوانه لأن رضوانه أعلى منازل كرامة أهل الجنة وخص المتقين لأنهم المنتفعون بذلك الأجر والثواب)[4] فاستحقوا أن يكونوا من أهل رضوان الله ، فبتقواه تعالى ومراقبته يتحقق الإخلاص الذي هو سر قبول الأعمال ... ، وبتقواه تعالى تجتنب السيئات دقها وجلّها... ، وبتقواه تعالى تحصل محابه في الأرض ورحم الله القائل عندما سئل عن التقوى فقال : أما سلكت طريقاً ذا شوك؟ قال : بلى . قال:فما عملت؟ قال: شمرت واجتهدت . قال: فذلك التقوى .

---

(1) (١)التعريفات للجرجاني ص٦٥

(2) جامع البيان ٢٦١/٦-٢٦٢

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ٤٣٤/١

(4) جامع البيان ٢٦٢/٦ ؛ فتح القدير ٣٧١/١

وفي هذا المعنى قيل :

خل الذنـــوب صغيرها وكبيرها ذاك التقـــــى
واصنـــع كمـــاشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تـــحقرن صغـــيرة إن الجبال من الحصـــى [1]

وتقوى الله هو وصاية الله للأولين والآخرين قال تعالى {ولقد وصينا الذين أتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله }(النساء:١٣١)

وهي خير ما يتزود به العبد في الدنيا قال تعالى {وتزودوا فإن خير الزاد التقوى}(البقرة:١٩٧)

ولقد قرن تعالى بين التقى وبين الفلاح والفوز والنجاة في الكثير من آي القرآن كقوله تعالى : {واتقوا الله لعلكم تفلحون } (البقرة:١٢٣) وقوله تعالى : { إن للمتقين مفازاً }(النبأ: ٣١) وقوله تعالى : {وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم }(الزمر:من آية ٦١) وما ذاك إلا لأن المتقين هم : أهل رضوانه تعالى ، وخاصة خلقه من أوليائه الذين حباهم بتقواه فقد حصر تعالى المتقين بولايته وخصهم بـــها دون غيرهم فقال تعالى { إن أولياءه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون}(الأنفال:٣٤)

---

(١)هذه الابيات لابن المعتز وقد ذكرها الإمام ابن كثير ١/٥٥) في تفسير قوله تعالى {ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين}(البقرة:٢)

ثالثاً : الإخلاص لله :

الإخلاص لغة : تنقية الشيء وتهذيبه ، يقال خلصته فخلص أي أزال عنه شوبه بعد أن كان فيه فصار صافياً ومنه قوله تعالى {من بين فرث ودم لبن خالصاً سائغاً ..} فخلوص اللبن ألا يكون فيه شوب من دم أو فرث كما أن خلوص الدين أو العمل ألا يكون فيه شوب قصد ما سوى الله [1]

اصطلاحاً : التبرّي عن كل ما دون الله [2] ، وقيل تخليص القلب من كل شوب يكدر صفاءه [3] ، أي المراد تنقية القلب وتخليصه من كل ما سوى الله ليصبح صافياً[4] ، خالصاً ليكون الأجر تاماً ،

فالإخلاص أساس صلاح الأعمال ، حيث به يتحقق قبول العمل عند الله ، وهو أعلى مقامات الطاعة ، إذ به يتحقق معنى الإحسان ، وكل طاعة ليست قائمة على الإخلاص لله فهي محبطة، ردٌّ على صاحبها ، هباء يوم القيامة ، ليس لصحابـــها فيها إلا التعب[5] ، فقد أمر تعالى بإخلاص العبادة له فإخلاص العبادة له هو أمر الله تعالى للأولين والآخرين ، قال تعالى {وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء }(البينة:٥)، ففي إخلاص الدين لله إخلاص العمل لله رضا الله تعالى فهو إذاً غاية المؤمنين ، وسبيل الموحدين ، ومنتهى أمنية الراغبين لأنه به يتحقق رضا الله على أتـــمّه ،

فمن مات على الإخلاص لله ، فقد استحق شرف رضا الله تعالى ، حيث الفوز بجناته والنجاة من نيرانه ، قال ﷺ (من فارق الدنيا على الإخلاص لله، وعبادته لا شريك له، وأقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، مات والله عنه راض)[6]

([1]) لسان العرب مادة خلص ٢٦/٧؛ المفردات للراغب الأصفهاني ١٥٤-١٥٥؛ معجم مقاييس اللغة ٣٢٧ .
([2]) المفردات للراغب الاصفهاني ص١٥٥
([3]) التوقيف على مهمات التعريف للمناوي ص٤٣
([4]) فإخلاص الدين لله : توحيده وضده الشرك ، وإخلاص العمل لله :ابتغاء مرضاته تعالى وابتغاء وجهه تعالى بالعمل وضده الرياء..
ومحرك ذلك كله ومبعثه إخلاص النية لله : وهو تطهيرها وتجريدها من قصد غير الله [الدكتور أحمد الشرباحي ، موسوعة أخلاق القرآن ، ط٢ ، دار الرائد العربي بيروت – لبنان ، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م] ١٨٢/٢)
([5]) ففي الحديث (رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، وربَّ قائم ليس له من قيامه إلا السهر) أخرجه ابن ماجة في سننه جـ١ ، أبواب ما جاء في الصيام ، باب ماجاء في الغيبة والرفث في الصيام حديث رقم (١٦٩٢) والمنذري في الترغيب والترهيب جـ٢ ترهيب الصائم من الغيبة والفحش حديث رقم (١٦٠٥) والحاكم (٤٣١/١) وقال هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي
([6]) تقدم تخريجه قريباً في عبادة الله ص ٩٧

وكل ما يلي ذكره من أسباب رضا الله لا يتحقق فيها رضوان الله إلا إذا أخلص المرء فيها عمله لله ونيته لمرضاته فإذا استكمل الإخلاص لله استكمل رضوانه ، فكلما ارتقى في الإخلاص في أعماله، كلما ارتقى في رضوان الله ؛ فـ{هم درجات عند الله}(آل عمران:١٦٣)،

وفي المبحث السابق – رضا الله تعالى غاية المؤمنين- نلاحظ كيف خصّ تعالى الأجر العظيم والمثوبة لمن ابتغى بعمله مرضات الله ، فأخلص فيه ولم يقصد بعمله ذلك غير الله ففي اجر الصدقة قال تعالى {ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة...}(البقرة:٢٦٥) ، وفي الآمر بالمعروف قال تعالى{ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد}(البقرة:٢٠٧)، وفي أجر الأمر بالصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس يقول تعالى {لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً}(النساء:١١٤)، فخص تعالى الأجر بمن فعل ذلك ابتغاء مرضات الله .

ويعلمنا المصطفى ﷺ صدق التوجه إليه تعالى بنفي الرياء عن العمل والابتغاء لرضا الله بهذا العمل ليكون ذلك أدعى لمغفرة الذنب وقبول العمل ، ويتلفظ بلسانه أنه لم يفعل هذا الفعل رياء ولا سمعةً ، ولا بطراً وكبراً .. بل كان عمله من أجل مرضاة الله .. ليتحقق معنى هذه الألفاظ في القلب .

يقول ﷺ (من خرج من بيته إلى الصلاة فقال اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وأسألك بحق ممشاي هذا فإن لم أخرج أشراً [1] ولا بطراً [2] ولا رياء ولا سمعة وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك ، فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت – أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك) [3]

والإخلاص ضد النفاق ، ولما كان المنافقون {يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً " (النساء: ١٤٢)

فإن المؤمنين يخلصون عملهم لله ويذكرون الله كثيراً .. وأول ما يجب على المنافق عند توبته أن يتطهر من أقذار الرياء فيخلص عمله لله ويعتصم به فيصلح عمله قال تعالى{إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين..}(النساء:١٤٥-١٤٦)

لذا كان إخلاص العمل لله أو – ابتغاء مرضات الله – ونبذ الرياء والسمعة من أهم مطالب الشرع من العبد تجاه عمله حتى يحصل على مثوبة ذاك العمل .. ، وإلا خسر الدنيا والآخرة [4] .. يقول ﷺ فيما يرويه عن ربه " أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك) [5]

([1]) الأشر : البطر وقيل أشد البطر (النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ٥١/١)

([2]) البطر : الطغيان عند النعمة وطول الغنى (النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ١٣٥/١)

([3]) تفرد به ابن ماجة – من أصحاب الكتب الستة – جـ١ ، كتاب المساجد والجماعات ، باب المشي إلى الصلاة ، حديث رقم (٧٦٢) ؛ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ٢٥٦/١ وإسناده : قال البوصيري في زوائده عن هذا الحديث رقم (٢٦٣) حديث مسلسل بالضعف كلهم ضعاف لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٨٤-٨٥) من طريق فضيل بن مرزوق فهو صحيح عنده –

وإسناده مسلسل بالضعف كما قال الإمام البوصيري:فرواته هم:أبو بكر محمد بن يزيد بن ابراهيم التستري قال عنه الحافظ في تقريبه مقبول ترجمة رقم(٥٩١٥) والفضل بن الموفق بن ابي المُتّئد الكوفي فيه ضعف(تهذيب التهذيب ٢٥٨/٨)و(تقريب التهذيب ترجمة رقم ٥٤٢٠) والفضيل بن مرزوق الأغر بالمعجمة والراء الرّقاشي الكوفي أبو عبدالرحمن صدوق يهم (تقريب التهذيب ترجمة رقم ٥٤٣٧) وعطية بن سعد بن جُنَادة بضم الجيم بعدها نون خفيفة العوفي الجَدَلي الكوفي صدوق يخطئ كثيراً وكان شيعياً مدلساً (تقريب التهذيب رقم ٤٦١٦) وأخرجه ابن السني من طريق الوازع بن نافع العقيلي قال عنه النووي في الأذكار ص٣٢ حديث ضعيف أحد رواته الوازع بن نافع= =العقيلي وهو متفق على ضعفه وأنه منكر الحديث أهـ – وأما حديث ابن خزيمة وأحمد وابن السني الذي رووه عن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي فإن في هذه الطرق كلها عطية العوفي وهو مدلس يدلس الحديث ولم يصرح بالسماع فالحديث على ذلك ضعيف

([4])أنظر موسوعة أخلاق القرآن للشرباحي ١٧٤/٢ - ١٧٥

([5])أخرجه ابن ماجه في ابواب الزهد برقم (٤٢٥٥) ؛ وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠١) بنحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواة ابن ماجة ثقات كما قال المنذري في الترغيب والترهيب ١ / ٨٤

بل يخبرنا الصادق المصدوق ﷺ أن أول من تسعر بـــهم النار يوم القيامة ثلاث قد حازوا أفضل الأعمال من استشهاد في سبيل الله ، وتعليم كتاب الله ، وتَصدُّق في أوجه الخير ، وهذه أعمال عظيمة ... لكن لما افتقدت هذه الأعمال الإخلاص–شرط قبول الأعمال–فلم يُقصد بـــها وجه الله إنما فعلها أربابـــها رياءً وسمعةً ،صارت وبالاً على أصحابـــها ، بل وسبباً في دخولهم النار – نسأل الله العافية – قال ﷺ (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه : رجل استشهد فأُتِي به فعرَّفه نعمهُ فعرَفها قال: فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت قال:كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل تعلّم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأُتِي به فعرّفه نعمه فعرَفَها قال: فما عملت فيها؟ قال : تعلمتُ العلمَ وعلمته وقرأتُ فيك القرآن قال:كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار ، ورجل وسّعَ الله عليه وأعطاه من أصناف المال كلها فأُتِي به فعرّفه نعمه فَعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال: ما تركت من سبيل تحبُّ أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال:كذبت ، ولكنك فعلت ليقال : هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار)[1]

([1]) أخرجه مسلم – واللفظ له – جـ٣ ، كتاب الامارة حديث رقم (١٩٠٥) والترمذي كتاب الزهد حديث رقم (٢٣٨٢) بنحوه

رابعاً : الاعتصام بحبل الله:-

الاعتصام : من العصمة والاحتماء وهو الاستمساك والتمسك بالشيء[1]

والاعتصام بحبل الله المتين فيه اجتماع المسلمين وعدم تفرقهم ، بل وفيه سعادتهم في الدنيا والآخرة ،

والاعتصام بحبل الله تعالى سبب رضا الرب ، وعملٌ موجب لرضاه تعالى ، ففي الصحيح (إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً)[2]

فحث ﷺ في الحديث بالاعتصام بحبله تعالى مبيناً أن في هذا الاعتصام رضاه تعالى، غاية المؤمنين في الوجود .. ليبادر المؤمن إليه فإن أجره ما بعده أجر، وأعظم من كل أجر ألا وهو رضوان الله قال تعالى{ ورضوان من الله أكبر ....}(التوبة:٧٢)

والاعتصام بحبل الله تعالى يوجب الهداية للعبد واتباع الدليل والسير على الصراط المستقيم .. كما يحميه من البدع وآفات العمل [3]

وحبل الله تعالى يطلق على عدة أمور مترادفة – كلها تصلح أن تكون معنى حبل الله تعالى (فقيل حبل الله : دين الله وقيل أي عهد الله وقيل القرآن الكريم الذي هو حبل الله المتين والنور المبين ... وقيل تمسكوا بأمر الله وطاعته

---

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ٣/ ٢٤٩

(٢) سبق تخريجه ص ٩٦

(٣) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (٢/ ١٩٥ – ١٩٧) بتصرف

فحافظوا على طاعته ولا تتفرقوا كما تفرقت اليهود والنصارى)[١] وكما نرى فان هذه المعاني مترادفة فالتمسك بأوامر الله وطاعته هو التمسك بالإسلام أو بعهد الله، وهو ذاته التمسك بالقرآن الكريم...

كما قيل أن معنى الاعتصام بحبل الله : هو الاعتصام والتمسك بالجماعة المسلمة فالمراد (تمسكوا بالجماعة ولا تتفرقوا بعد هذا الاجتماع فترجعوا قبائل متناحرين يضرب بعضكم رقاب بعض .)[٢]

ولقد أمر الله تعالى بالاعتصام بحبله في محكم التتريل فقال تعالى { واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا } (آل عمران:١٠٣)

فأمرهم بالاعتصام بحبله تعالى وعدم التفرق ممتناً تعالى على المؤمنين إذ جمعهم بالإسلام بعد فرقتهم وتشاحنهم سنوات طويلة[٣] فقال تعالى {واذكروا نعمة الله عليكم إذا كنتم أعداءً فألفَّ بين قلوبكم فأصبحتم بنعته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون }(آل عمران:١٠٣)

---

(١) جامع البيان للطبري ٧ / ٧١ – ٧٣ ؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ / ٤٧٧

(٢) جامع البيان للطبري ٧/ ٥٧ ؛ تفسير البغوي ١ / ٣٣٤

(٣) قال الإمام البغوي في تفسيره ١/٣٣٤ كانت الأوس والخزرج أخوين لأب وأم فوقت بينهما عداوة بسبب قتيل قتل بينهم فتطاولت تلك العداوة والحرب بينهم عشرين ومائة عام إلى أن أطفأ الله ذلك بالإسلام ، وألَّفَ بينهم بمحمد ﷺ .

خامساً: الصبر

لغة : الإمساك والحبس [1]

اصطلاحاً : هو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع[2]

وفي تعريف أدق : هو حبس النفس عن الجزع والتسخط ، وحبس اللسان عن الشكوى والمكابدة في تحمله وانتظار الفرج [3]

وحقيقة الصبر : ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى[4]

والصبر من أعظم المنازل وأفضل الخلال التي يتقرب بها العبد إلى ربه بل هو أول صفا ت أهل الرضا عند الرحمن حيث قال تعال يصفهم بعد أن امتن عليهم بالرضا {الصابرين والصادقين والقانتين ...} ولقد تكرر الصبر في القرآن في أكثر من تسعين موضع[5] فللصبر منزلة عظيمة في الإيمان فهو شطر الإيمان وما ذاك إلا لأن الدنيا لا تخلو من نعمة ونقمة ،وسراء وضراء فعند النعمة يُطلب الشكر وعند البلاء يُطلبُ الصبر ، فما الإيمان إلا شكر وصبر [6] فهو نصف الإيمان وأفضل ما يتحلى به المؤمن ، بل وخير ما يعطى المؤمن يقول ﷺ (ما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر)[7] ،

فلولاه ما تحمل المؤمن الصعاب والبلاء ، ولولاه لما اتقى المؤمن المعاصي والشهوت ، ولولاه لما عُبِد الرحمن فاصطُبِر على عبادته فاستُحقَ به دخول الجنان قال تعالى {وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا...} (الإنسان:١٢)

([1]) المفردات للراغب الأصفهاني ٢٧٣-٢٧٤

([2]) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٣٠٣/١١

([3]) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ٢ / ١٦٢

([4]) [الشيخ محمد جمال الدين القاسمي ، موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ، الطبعة:[بدون] ، دار الفكر ، بيروت ، التاريخ:[بدون]]ص٣٤٣ .

([5]) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص٤٠٠ ، مادة صبر ، وقد جمع الإمام ابن قيم الجوزية في هذه المواضيع في مدارج السالكين تحت ستة عشر نوعاً من أمر به ونهي عن ضده وثناء عليه من أحب الفائدة فليرجع إليها .

([6]) ففي الحديث "للإيمان نصفان فنصف في الصبر ونصف في الشكر)(أخرجه الزبيدي في اتحاف السادة المتقين (٣/٩) وأورده الشيخ الالباني في سلسلة الاحاديث الضعيفة برقم (٦٢٥)

([7]) متفق عليه أخرجه البخاري جــ٢ كتاب : الرقاق ، باب: الاستغفار عن المسألة حديث رقم (١٤٦٩) ؛ مسلم جــ٢ كتاب:الزكاة ، باب:فضل التعفف والصبر حديث رقم (١٠٥٣)

من خلال ما سبق يتضح لنا أن للصبر ثلاثة أنواع ، أذكرها حسب أفضليتها :

النوع الأول : الصبر على الطاعة :بالمحافظة عليها دوماً ، وبرعايتها إخلاصاً ، وبتحسينها علماً [1] فلا بد من المحافظة على أداء الطاعات وبإخلاصها لله تعالى ، والقيام بـــها وفق الكتاب والسنة فمن حافظ عليها ولم يبتغ بها وجه الله وكانت رياءً لم تنفع صاحبها ، بل قد تضره ، ومن حافظ عليها وأخلص فيها ولم يؤدها وفق أوامر الله كانت مردودة على صاحبها لقوله ﷺ " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد "[2] والصبر على الطاعة أعظم أنواع الصبر وأكملها ، يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية ، ومفسدة عدم الطاعة أبغض عليه وأكره من مفسدة وجود المعصية[3]

النوع الثاني : الصبر عن المعصية : بمطالعة الوعيد إبقاءً للإيمان كاملاً لقوله ﷺ (لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)[4] فالمعصية تنقص الإيمان في القلب ، وحذاراً من الحرام فهو يصبر على الشهوات ، ويترك الشبهات ، ويتورع عن الإسراف في المباحات ، حتى لا يقع في الحرام امتثالاً لقوله ﷺ (فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه)[5]

وأحسن منه الصبر عن المعصية حياءً من أن يُرى العبد في موضع سخط الرب تعالى فهو بمرأى ومسمع من الله فكيف يعصيه، والحياء من أن يستعان بنعمه تعالى على معاصيه ، فإذا اجتمع الخوف والحياء كان حصناً منيعاً للعبد يمنعه من هوى نفسه ومن اتباع شياطين الإنس والجان (ومن الأسباب: مراعاة النعم فإن المعصية سبب لزوال النعم ، ومنها حب الله فإن المحب يصبر على مراد حبيبه)[6] والصبر على المعصية أكمل من الصبر على البلاء لأن

---

(1) ١)هذه الأنواع لثلاث نقلاً من مدارج السالكين بتصرف ١٧٣/٢-١٧٥

(2) متفق عليه واللفظ لمسلم جـ٣ كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور حديث رقم(١٧١٨)

(3) المصدر نفسه ١٧٣/٢

(4) متفق عليه ، أخرجه البخاري ، كتاب:المظالم ، جـ١ برقم(٢٤٧٥) ؛ ومسلم ، كتاب:الإيمان ، برقم (٥٧)

(5) أخرجه البخاري ، جـ١ ، كتاب: الإيمان ، برقم (٥٢)

(6) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ،٥١٢/١١ ؛ وانظر طريق الهجرتين لابن قيم الجوزية ص٢٧١

الصبر على المعصية صبر من كسب العبد فهو صبر عن اختيار ورضا لأمر الله ، لذلك كان يقول الإمام ابن تيمية : كان صبر يوسف عليه السلام عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها أكمل من صبره على إلقاء إخوانه له في الجب لأن الأول صبر اختيار فأين هو من الصبر على ما ليس من كسبه) [1]

ففي هذا النوع من الصبر والمجاهدة لهوى النفس وللشيطان ، أما الصبر على البلاء فليس للعبد فيه إلا التسليم ، لأن البلاء ليس من كسب العبد (فمن قوي فيه باعث الدين – وهو ما هدي إليه من معرفة الله ورسوله ، والمصالح المتعلقة بالعواقب – وثبت حتى قهر باعث الهوى واستمر على مخالفة الشهوة التحق بالصابرين ، وإن تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق بأتباع الشياطين)[2]

النوع الثالث : الصبر على البلاء : (بملاحظة حسن الجزاء فمشاهدة الجزاء على البلاء يخفف حمل البلاء لشهود العوض ، وانتظار الفرج ، وتهوين البلية وذلك بأمرين : بأن يعدّ المنن الماضية ، فإن عجز عن عدها وآيس من حصرها هان عليه البلاء ،وذكر سوالف النعم التي أنعم الله بها عليه في الحال[3]) [4]

والصبر على البلاء من عزم الأمور لذلك أثنى تعالى على أيوب في قوله تعالى عنه : {إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب} (ص : من آية ٤٤) وأولي العزم من الرسل إنما نالوا مكانتهم عند الله بالصبر قال تعالى : {فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل} (الأحقاف من آية : ٣٥)

والصبر بمراتبه الثلاث خير ما يؤتى العبد ، وخير ذخر للمرء ، فالصابر أعظم أجراً من المنفق لأن حسنته مضاعفة إلى سبعمائة والحسنة بعشر أمثالها إلا من شاء الله أن يزيده والصابر يأجره الله بغير حساب[5] قال تعالى {إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب} (الزمر : ١٠) .

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ، ١٧٤/٢

(٢) موعظة المؤمنين للقاسمي ، ٣٤٣

(٣) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ، ١٧٤/٢-١٧٥

(٤) وهناك أمور عديدة تعين على الصبر عند البلاء ، من أحب الوقوف عليها فليراجع كتاب (أدب الدنيا والدين) للماورديني ، ص٢٦٤-٢٦٨ ؛ صيد الخاطر لابن الجوزي ، ص١٥٦ وغيره

(٥) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١١ /٥١٢

ويكفي الصبر شرفاً وفضلاً أن الله مع صاحبه، وأن صاحبه حبيب الرحمن يقول تعالى {إن الله مع الصابرين} (الأنفال: ٤٧) ، {إن الله يحب الصابرين}(البقرة:١٤٦) ، وأكمل الصبر الرضا ، فلا يزال صاحبه مستضيئاً [1] مهتدياً مستمراً على الصواب[2] مادام صابراً ، كما أن سلاح المؤمن في الدعوة إلى الله وقول كلمة الحق ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ، فمن لم يتحصن بالصبر لم يستطع مواجهة الباطل والتصدي له ، لذلك كان التواصي بالصبر سيماء صحابة رسول الله ﷺ وكانت آيات القرآن في الصبر أكبر معين لهم على ذلك فكانوا إذا لقي المؤمن أخاه قرأ له {والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر }(سورة العصر) ،

ولقد ضرب لنا المصطفى ﷺ أروع الأمثلة في الصبر فهو الأسوة الحسنة ويربي صحابته الكرام على الصبر والتحمل، فكم عانى وكم تحمل من آذى قريش .. وكم لقي الصعاب في سبيل الدعوة إلى الله تعالى وكم أُوذي صحابته الكرام في دين الله ، وهو ﷺ ما يفتأ يذكرهم أجر الله وعظيم ثوابه ، مبيناً لهم عظم أجره، وثواب العمل به عند الله تعالى ففي أجر الصبر على المصائب يقول النبي ﷺ(يقول الله عز وجل "من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة") [3]

ففي أجر الصبر على مصيبة فقد البصر يرتب الله تعالى الجنة جزاءً على ذلك الصبر فلا يرضى تعالى لصاحبه أجراً دون الجنة ورتب الأجر العظيم على فقدهما لأنهما أحب أعضاء الإنسان (لم يحصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيُسر به أو شر فيجتنبه .

---

(١) ففي الحديث "الصبر ضياء " ، أخرجه مسلم جـ١ ، في الطهارة .. ، حديث رقم (٢٢٣)

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ، مجلد ٢ ، جـ٣/١٠١

(٣) أخرجه الترمذي – واللفظ له – كتاب:الزهد ، باب : ما جاء في ذهاب البصر ، حديث رقم (٢٤٠١) من حديث أبي هريرة ﵁ ؛ والبخاري : من حديث أنس بن مالك : جـ٧ ، كتاب: المرضى ، باب:فضل من ذهب بصره ، حديث رقم (٥٦٥٣) بلفظ : إذ ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة) ولم يذكر لفظ الرضا ؛ وابن حبان في سننه من رواية العرباض بن سارية بنحوه ولم يذكر لفظ الرضا جـ٤ ، كتاب الجنائز ، باب:ذكر البيان بأن هذا الفضل لمن صبر عليهما محتسباً ، حديث رقم (٢٩٢١) ؛ وأحمد في مسنده ، ٢/٢٦٥ .
إسناده: قال فيه الترمذي : هذا حديث حسن صحيح
والحديث صحيح من رواية البخاري رحمه الله ..

وقوله ﷺ "فصبر واحتسب" : المراد أن يصبر مستحضراً ما وعد الله به الصابر من الثواب لا أن يصبر مجرداً عن ذلك لأن الأعمال بالنيات وابتلاء الله عبده ليس من سخطه عليه بل إما لدفع مكروه أو لكفارة ذنوب أو رفع منزلة فإذا تلقى ذلك بالرضا تم له ما أراد[1] أهـ

"لم أرض له ثواباً دون الجنة " : (وهذا أعظم العوض لأن الالتذاذ بالبصر يفنى بفناء الدنيا والالتذاذ بالجنة باق ببقائها وهو شامل لكل من وقع له ذلك بالشرط المذكور) [2]

كذلك يقول ﷺ في أجر الصبر على المصاب عامة : (يقول الله عز وجل : ابن آدم إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى ، لم أرض لك ثواباً دون الجنة ") [3]

وفي أجر الصبر على مصاب فقد الأحبة خاصة – الذي هو من أعظم المصائب – يقول ﷺ مرغباً أمته في الصبر والحمد لله عند مصيبة الموت فيما يرويه عن ربه : يقول الله عز وجل : (ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ ، إذا قبضتُ صفيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه ، إلا الجنة)[4]

ولقد ضرب لنا ﷺ أروع الأمثلة في الصبر عند فقد ابنائه والبلاء على بفقدهم من أعظم صور البلاء ، بما قدَّر الله تعالى ويسلم ، ويسطر له التاريخ كلمته الخالدة ﷺ "تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا "[5]

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ١١٦/١٠

(2) تحفة الأحوذي للمباركفوري ، ٦٨/٧

(3) أخرجه ابن ماجة ، كتاب:الجنائز ، باب: ما جاء في الصبر على المصيبة ، حديث رقم (١٥٩٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح ؛ وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٥٣٥) بنحوه ؛ وأحمد في مسنده ، ٢٦٥/٢ بنحوه بلفظ " من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم ارض له " ؛ ورواه الدارمي في سننه ، ٣٣٢/٢ ، ولفظه لفظ أحمد

إسناده : قال الهيثمي في الزوائد ، ٥٠٩/١ ، إسناده حديث ابي أمامة صحيح ورجاله ثقات .

(4) أخرجه البخاري ، كتاب الرقاق ، حديث رقم(٦٤٢٤)

(5) سبق تخريجه ص ٦١

سادساً :الصدق

الأصل في الصدق :

مطابقة القول والضمير والمخبر عنه معاً ويكون في القول في الإخبار دون غيره من أصناف الكلام [1]، ويستعمل في كل ما يحق ويحصلُ به الاعتقاد ، كما يستعمل في أفعال الجوارح فيقال: صدق في القتال:إذا وفّى حقه ، وصدق في العهد: إذا حققه بأفعاله ومنه قوله تعالى { من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه} (الاحزاب : من آية ٢٣) وقوله تعالى{والذي جاء بالصدق وصدق به } (الزمر : من آية ٣٣) أي الذي حقق ما أورده قولاً بما تحراه فعلاً) [2].

يقول الإمام ابن قيم الجوزية (والصدق : منزلة القوم الأعظم ، الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين ، والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين ، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان ، وسكان الجنان من اهل النيران ، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وُضع على شيء إلا قطعه ، وما واجه باطلاً إلا أرداه وصرعه ، من صال به لم تُرَد صولته ، ومن نطق به علَت على الخصوم كلمته ، فهو روحُ الأعمال ، ومَحكُ الأحوال ، والحامل على اقتحام الأهوال ، وهو أساس بناء الدين ، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين) [3] أهـ

والصدق بأنواعه الثلاث (في الاعتقاد والقول والعمل) مأمور به في الإسلام يقول تعالى {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين }(التوبة: ١١٩) فما الإيمان على حقيقته إلا تصديق بالجنان ، وقول باللسان ، وعمل بالأركان ، فلا ينجي المرء يوم القيامة إلا الصدق مع الله يقيناً وقولاً وعملاً ،

---

(١) المفردات للراغب الأصبهاني ص٢٧٧؛ التوقيف على مهمات التعريف ص٤٥١.

(٢) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٢٧٧

(٣) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ، ٢٧٩/٢

فمن صدق نجا من عذابه الأليم ، واستحق رضاه تعالى العظيم ، قال تعالى { قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم } (المائدة: ١١٩).

قوله تعالى {هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم}(أي ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في الآخرة ولو كذبوا لختم الله على أفواههم ونطقت به جوارحهم فافتضحوا ، وقيل ينفع المؤمنين إيمانهم فأريد حقيقة التصديق بالله لأن الإيمان تصديق) [١]

وفي معنى إرادة الصدق قال تعالى { للفقراء الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون }(الحشر:٨)

قوله {هم الصادقون } أي (الكاملون في الصدق في دعواهم الإيمان حيث فعلوا ما يدل أقوى دلالة عليه من إخراجهم من أوطانهم وأموالهم من أجله، فهؤلاء الصادقون الذين صدقوا في الوفاء له بما وعدوه من العمل بطاعته واجتناب معاصيه رضي الله عنهم ورضوا هم عن الله في الوفاء بما وعدهم على طاعتهم إياه فيما أمرهم ونهاهم من جزيل ثوابه)[٢] فاستحقوا أن يصفهم الله بكمال الصدق واليقين حيث صدَقوا في أقوالهم واعتقادهم وأفعالهم مع الله ، فهاجروا وجاهدوا في سبيل الله فَصدَقَهم الله وعْدَه ولقّاهم كمال الرضا منه تعالى .

---

(١) تفسير البغوي ٨٢/٢

(٢) فتح القدير للشوكاني ٥/ ٢٣٩ ؛ روح المعاني للألوسي ١٣ / ٤٥

والصدق أولى الصفات التي يتخلق بها المؤمن ، فالمؤمن لا يكذب أبداً ، فالصدق شعاره وهاديه إلى البر والخير ، وقائده إلى رضا الله والجنة ، كما أن الكذب أخص صفات المنافقين التي يعرفون بها (ولقد قسم الله تعالى الناس في نهاية سورة الأحزاب إلى فريقين اثنين ، فإما أن يكون المرء مؤمناً صادقاً أو منافقاً كاذباً)[1]

يقول تعالى {ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً}(آية:٧٣)

ولما كان ابوبكر الصديق ﷺ أعظم الناس إيماناً بعد رسول الله ﷺ وأكثرهم موافقاً سريرة بعلانية (فلا يتأتى منه الكذب لتعوده على الصدق فصدق بقوله واعتقاده وحقق صدقَهُ بفعله)[2] ، استحق أن يحظى بشرف تكنية المصطفى ﷺ بالصديق فيشارك المصطفى ﷺ في لقبه فالمصطفى الصادق الأمين وهو صديق هذه الأمة .

---

(١) انظر موسوعة أخلاق القرآن للشرباص ، ٥٠/١

(٢) المفردات للراغب الأصفهاني ص٢٧٧

سابعاً :القنوت

القنوت هو لزوم الطاعة والخضوع وفسر بكل واحد منهما في قوله تعالى (وقوموا لله قانتين) وقوله تعالى (كل له قانتون) (الروم : من آية ٢٦) [1] (والأصل في القنوت لزوم الطاعة ثم سمي القيام في الصلاة قنوتاً ومنه قنوت الوتر ، وكذا الدعاء في الصلاة ، وإطالة القيام) [2].

والقنوت – بجميع معانيه – سبب من اسباب محبته تعالى وعمل موجب لرضاه تعالى ، لما فيه من تحقق الذل والخضوع والدعاء لله تعالى .

وقد امتدح الله تعالى أهل رضوانه بقنوتهم وشدة خضوعهم له تعالى فقال تعالى في بيان صفاتهم (والصابرين الصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار) (آل عمران : ١٧)

والقنوت بمعناه العام هو دأب المؤمن ونهجه في طريقه لله تعالى .. لأنه يعلم أن هذا الإله هو سواه فأبدعه ، وهداه سبله ، وأسبغ عليه نعمة ظاهرة وباطنة ..، وهو كذلك أولى صفات الأنبياء والتابعين .

قال تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام (إن إبراهيم كان قانتاً لله حنيفاً) (النحل : من آية ١٢٠) .

---

(١) المفردات للراغب الأصفهاني ، ص ٤١٣

(٢) لسان العرب لابن منظور ، ٧٣/٢

وقال في شأن مريم عليها السلام (... وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) (التحريم : من آية ١٢) وقال في وصف المؤمنين (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات ..) (الأحزاب : من آية ٣٥)

وإذا قنت العبد لله تعالى وخضع وفق الكون الخاضع لله تعالى الطائع له فحقق معنى العبودية لله تعالى .

كما حقق الكون كله معنى الخضوع لله تعالى فكان مع الكون كما قال تعالى (وله من في السموات والأرض كل له قانتون) (الروم:٢٦)

فاستحق عظيم الأجر والجزاء وحسن الثواب بالمغفرة والجنان حيث الخلود في نعيم الوصف والخيال .. ، وأعظم منه وأكبر .. (ورضوان من الله والله بصير بالعباد) (آل عمران : من آية ١٥)

ثامناً: الأنفاق في سبيل الله:

تعريف الإنفاق:

هو صرف المال إلى الحاجة سواء كان زكاة أو صدقة مستحبة ولفظ النفقة على الصدقة أغلب[1]، فالإنفاق في سبيل الله سواءً كان زكاة أو صدقة مستحبة من محاب الله ومظان رضاه تعالى

أ- فلقد امتدح الله تعالى المنفقين وجعلهم أهل رضاه تعالى حيث بيَّن تعالى صفاقم بعد أن أثبت رضاه عنهم في الجنان {الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين}(آل عمران من آية ١٧)

ب – كما أثبت تعالى رضاه عن المنفق ماله في أوجه البر فقال تعالى { وسيجنبها الأتقى، الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحدٍ عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى }(الليل: ١٧-٢١)

(قوله تعالى { سيجنبها الأتقى } أي سيزحزح عن النار التقي النقي الأتقى[2] ثم فسره بقوله {الذي يؤتي ماله يتزكى} فيصرف ماله في طاعة الله ليزكي نفسه وماله فينفقه دون أن يجازي بـهذا المال أحد ودون أن يكون لأحد من الناس عنده فضل فيكافئه به ، إنما يفعل ذلك ابتغاء وجه الله [3] لسان حاله يقول{إنما نطعمكم لوجه الله ، لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا}(الإنسان:٩)، ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال(من أنفق زوجين في سبيل الله دعته خزنة الجنة: هلم)[4]

---

(١) مفردات الراغب الأصفهاني ، ص٥٠٢ ؛ التعريفات للجرجاني ، ص٣٨

(٢) قال الحافظ بن كثير : ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ ،حتى أن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها (التفسير العظيم ٦٣٥/٤) وكما نعرف فإن عموم اللفظ مقدم على خصوص السبب.

(٣) انظر جامع البيان ٤٨٠/٢٥ ؛ تفسير البغوي ٤٩٧/٤ ؛ تفسير القرآن العظيم ٦٣٥/٤

(٤) أخرجه البخاري جـ٤ كتاب بدء الخلق ، باب: ذكر الملائكة حديث رقم (٣٢١٦)؛ ومسلم جـ٢ كتاب الزكاة ، باب من جمع الصدقة وأعمال البر حديث رقم (١٠٢٧)

(قوله تعالى { ولسوف يرضى} : أي لسوف يرضى هذا المؤتي ماله في حقوق الله عز وجل يتزكى بما يثيبه الله في الآخرة عوضاً عما آتى في الدنيا في سبيله إذا لقي ربه تبارك وتعالى)[1] وبذلك قال الإمام الألوسي في تفسيره : ثم قال : وفيه عندي وجه آخر وهو أنه ما أنفق إلا لطلب رضوان الله ولسوف يرضى الله تعالى عنه وهذا عندي أعظم من الأول لأن رضا الله سبحانه عن عبده أكمل للعبد من رضاه عن ربه [2]وبالجملة فلا بد من حصول الأمرين كما قال تعالى {راضية مرضية}(الغاشية:٢٨))[3]

جـ - وفي السنة :

عن أنس بن مالك [4] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (إن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع عن ميتة السُّوء)[5]

---

(١) جامع البيان للطبري ٤٨٠/٢٥

(٢) لهذا المعنى ذكرت هذا الدليل في مبحث أسباب رضا الله تعالى

(٣) روح المعاني ٣٧١/١٥

(٤) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن عدي بن النجار الأنصاري الخزرجي من بني عدي بن النجار،خادم رسول الله ﷺ قدم المدينة وهو ابن عشر سنين ومات عنه النبي ﷺ وهو ابن عشرين سنة، دعا له رسول الله ﷺ بكثرة المال والولد ، ولد له من صلبه ثمانون ذكراً وابنتان ومات وهو له من ولده وولد ولده مائة وعشرون ولداً ، مات سنة إحدى وتسعين وقيل اثنان وقيل ثلاث وتسعين سنة وهو آم من مات بالبصرة ودفن بها (انظر أسد الغابة ١٥١/١-١٥٢، ترجمة رقم ٢٥٨)

(٥) أخرجه الترمذي جـ٣ ، كتاب: الزكاة باب: ما جاء في فضل الصدقة ، حديث رقم ٦٦٤ من حديث أنس بن مالك ؛ وابن حبان في صحيحه بنحوه كتاب:الزكاة ، باب صدقة التطوع ذكر إطفاء الصدقة غضب الرب حديث رقم (٣٢٩٨) ، والبيهقي في الشعب ٢٥٥/٦ ، باب: في حسن الخلق حديث رقم (٨٠٦١) من حديث أبي سعيد الخدري .

إسناده: قال الترمذي هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وقال الهيثمي (مجمع الزوائد ١١٥/٣) ضعيف ، وقال البيهقي هذا إسناد ضعيف قلت: على ذلك فالحديث ضعيف فيه أبوخلف عبدالله بن عيسى الخزاز قال عنه الحافظ بن حجر في تقريبه ضعيف (ترجمة رقم ٣٥٢٤) وفيه عنعنة الحسن البصري وهو مدلس ويرسل ، وورواية ابن حبان في صحيحه بطريق الترمذي وقد علمت ما فيه من تضعيف البيهقي للحديث الذي أخرجه لكن الحديث له شواهد كثيرة ، فقد أخرجه الطبراني في الأوسط عن أم سلمة بلفظ " عليكم باصطناع المعروف فإنه يمنع مصارع السوء وعليكم بصدقة السر فإنها تطفئ غضب الرب " وكذا في الطبراني ي الأوسط عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعاً مثله وزاد " وتنفي الفقر" وهاتين الروايتين ضعيفة كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٥/٣) كما أن له شواهد أخرى ، انظر مجمع الزوائد كما سبق فالحديث بذلك يرتقي إلى الحسن ، فعلى ذلك فإن الحديث ضفيف بإسناده حسن بشواهده

وإطفاء غضب الرب تعالى دليل على رضاه تعالى عن العبد المنفق في سبيل الله [1] ، فالصدقة من أعظم محابه تعالى لما فيها من نفع الخلق ، وأحب الخلق إلى الله تعالى أنفعهم إلى خلقه [2] فقد جعل الأمر بها سبحانه في مقدمة أبواب البر والخير فقال تعالى {لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف .. الآية}(النساء: ١١٤)فضلاً عما فيها من برهان على صدق الإيمان في القلب وغلبة حب العبد لله على حب النفس والمال.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي[3] في هذا المعنى (ومشابهة الصدق للصدقة هاهنا أن من أيقن من دينه أن البعث حق وأن الدار الآخرة هي المصير وأن هذه الدار الدانية قنطرة إلى الآخرة وباب إلى السوآي أو الحسنى – عمل لها وقدم ما يجده فيها ، وإن شك أو تكاسل عنها وآثر عليها بخل بماله واستعد لآماله ، وغفل عن مآله لهذا جمع تعالى بين الإعطاء والتصديق كما جمع بين البخل والتكذيب فقال تعالى { فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى }(الليل ٥-١٠) ، فالصدقة دليل الصدق في الإيمان والتصديق بيوم الدين لذلك قال ﷺ "والصدقة برهان "[4])[5]

([1]) وهذا بمفهوم المخالفة لذلك استشهدت بهذا الحديث في باب الرضا، يقول الإمام الطيبي رحمه الله:(وقد تقرر أن نفي المكروه لإثبات ضده أبلغ من العكس، وكأنه نفى الغضب وميتة السوء وأراد الحياة الطيبة في الدنيا ، والجزاء الحسن في العقبى ، وعليه قوله تعالى {فلنحيينه حياة طيبة ..} ، [الإمام : محمد عبدالله الطيبي ، الكاشف عن حقائق السنن ، الطبعة الأولى ، حققه : مجموعة من العلماء ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، ١٤١٣هـ]جـ٤/١٠٩

قلت : وفي نفي غضبه تعالى عن عبده يتحقق رضاه له ، فإذا انتفت صفة الغضب ثبتت الصفة المقابلة لها وهي صفة الرضا – والله أعلم

([2]) ففي الحديث(أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس)مجمع الزوائد للهيثمي٨/١٩١، قال فيه:أخرجه الطبراني في الثلاثة وفيه مسكين بن سراج ضعيف

([3]) الدكتور يوسف القرضاوي : عالم معاصر ، ومفكر إسلامي كبير له مؤلفات نافعة نحو فقه الزكاة ، والايمان والحياة ، والحلال والحرام ، وغيرها .. عافاه الله ونفع بعلمه .

٠ [4]) سبق تخريجه ص ١٠٩

([5]) [الدكتور يوسف القرضاوي : ، فقه الزكاة ، الطبعة الثانية ، دار الرسالة للنشر ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م] ١ / ٤١

تاسعاً : الشكر

الشكر لغة :

أصله النشر والكشف يقال دابة شكور أي تسمن على قلة العلف فشكره ظهور نمائه وظهور العلف فيه ، ويطلق على الامتلاء يقال عين شكرى أي ممتلئة وأشكر الضرع أي امتلأ لبناً ، فالشكر على هذا الامتلاء من ذكر المنعم ، وكشف النعمة ونشرها وإظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها [١]

اصطلاحاً :

هو الوصف بالجميل على وجه التعظيم على النعمة من اللسان والجنان والأركان [٢]

والشكر كالحمد إلا أن الشكر لا يكون إلا عن يد والحمد يكون عن يد وعن غير يد [٣]

الشكر على النعم من أعظم القربات التي يتقرب بها العبد لينال رضاه تعالى فشكره تعالى سبب من أسباب رضاه تعالى فلقد نص تعالى على رضاه على من يشكره وغضبه على من يكفره ، قال تعالى {إن تكفروا فإن الله غنيٌّ عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وأن تشكروا يرضه لكم }(الزمر:٧)

فقد أخبر تعالى أنه يرضى على من شكره وشكره هو عبادته تعالى وصرف هذه النعم فيما يجب ، فهو يرضى تعالى الشكر لأنه به يتحقق الاعتراف بالنعمة ، ونسبها إلى الله تعالى ،

فقوله تعالى { إن تشكروا يرضه لكم } أي : إن تؤمنوا بربكم وتطيعوه يرضى شكركم له وذلك هو إيمانكم وطاعتكم إياه [٤] وإنما يرضى لهم الشكر سبحانه لأنه سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة [٥] .

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٤٢٣/٤ – ٤٢٤ ؛ المفردات للراغب الأصفهاني ص ٤٦٥

(٢) التوقيف على مهمات التعريف للمناوي

(٣) لسان العرب لابن ٤٢٣/٤

(٤) جامع البيان للطبري ٢١ / ٢٦٠

(٥) فتح القدير للشوكاني ٥١٨/٤

(فالشكر من أعلى المنازل ، وقد أمر الله به ، ونهى عن ضده وأثنى على أهله ، ووصف به خواص خلقه ، وجعله غاية خلقه وأمره ووعد أهله بأحسن جزائه وجعله سبباً للمزيد من فضله وحارساً وحافظاً لنعمته وسمى نفسه {شاكراً} و {شكوراً } وسمى الشاكرين بهذين الاسمين فأعطاهم من وصفه وسمّاهم باسمه ، وحسبك بهذا محبة للشاكرين وفضلاً – وإعادته للشاكر مشكوراً كقوله {إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكورا } (الإنسان: ٢٢) ، ورضا الرب عن عبده به كقوله {وإن تشكروا يرضه لكم }(الزمر : ٧) ، وقلة أهله في العالمين تدل على أنهم هم خواصه كقوله {وقليل من عبادي الشكور } (سبأ:١٣))[١]

وقد أسلفنا أن المؤمن يتقلب حاله بين السراء والضراء فهو إما شاكراً نعمه وإما صابراً على نقمه ، فالصبر نصف الإيمان ، كما أن الشكر نصف الإيمان يقول ﷺ (عجباً لأمر المؤمن إن أمرَهُ كلَّهُ خير وليس ذاك لأحدٍ إلا للمؤمن ، إن أصابته سرَّاء شكر ، فكان خيراً له . وإن أصابته ضراء صبر ، فكان خيراً له) [٢]

---

(١) مدارج السالكين ، ٢/٢٥٢-٢٥٣ بتصرف

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزهد ، حديث رقم (٢٩٩٩)

أنواع الشكر :

والشكر ينقسم إلى ثلاثة أنواع :

١- الشكر بالقلب[1] : (وهو الاستشعار القلبي أن كل نعمة منه تعالى لقوله {وما بكم من نعمة فمن الله }(النحل:٥٣) ، مع استشعار الفقر والحاجة إليه مما يورث عظيم الامتنان لله تعالى ، والشعور بعظم القدرة على كمال الشكر ، فضلاً عن الوفاء بحقها ، وحق ا لمتفضل بها سبحانه ، واستشعار عجز المخلوق عن أداء حقها ، لذلك قال من استشعر هذه المعاني "كلما نظرت في تواصل النعم علي تحيّرتُ في شكرها ، وأعلمُ أن الشكر من النعم فيكف أشكر؟ لكني معترف بالتقصير ، وأرجو أن يكون اعترافي قائماً ببعض الحقوق"[2]

٢- الشكر باللسان : كالإكثار من الحمد والشكر باللسان اعترافاً بنعمة الله ، والتحديث بنعمة الله قال تعالى {وأما بنعمة ربك فحدث}(الضحى:١١) .

٣- الشكر بالعمل : وهو بذل هذه النعم فيما يرضي الله عنه ومن هذا الشكر قوله تعالى : {اعملوا آل داود شكراً ...}(سبأ:١٣)

والشكر بأنواعه الثلاثة مدعاة إلى زيادة النعم بسبب رضا الله عن صاحبه ، قال تعالى {لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد}(إبراهيم:٧) ومفهوم الآية أن الشكر بالنعم جالب لازديادها كما أن في جحودها ونكرانها كفر [3]

([1]) (١)هذه الأقسام الثلاث أخذاً من كتاب [د.شرف القضاه ، الهدي النبوي في الرقاق ، الطبعة الأولى ، دار الفرقان ، الأردن - عمان ، ١٤٠٨-١٩٨٨] ص١٦-١٧

([2]))[الإمام أبي الفرج بن الجوزي ، صيد الخاطر ، الطبعة :[بدون] ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان] ص٤١٣

([3]) كفر النعمة : كفر أصغر كما هو معلوم ليس مخرجاً من ملة الإسلام ، لكنه من المعاصي التي تنقص الإيمان والإسلام

وما حُرِم الناس هذه النعمة العظيمة (نعمة شكر الله تعالى) إلا بالجهل ، والغفلة عن النعم وعن منعمها وغلبة الشهوة واستيلاء الشيطان ،

ففي بيان سبب حرمان الناس من شكر الله بهذه الأقسام الثلاث فقد قال العلماء (اعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة فإنهم مُنعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ، ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها ، ثم إنهم إن عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها : أن يقول (الحمد لله والشكر لله) ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في تمام الحكمة التي أريدت بها : وهي طاعة الله ، ثم لا يمنع عن الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين إلا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان) ([1])

والشكر على حقيقته لا يكون إلا إذا أُديَّ بالقلب واللسان والأركان والجوارح فلا يكفي الشكر باللسان والقلب جاحد ، فجزاء الشاكر الرضا منه تعالى كما أن جزاء الجاحد السخط والغضب ، يقرر ذلك المصطفى ﷺ حيث يبين جزاء الشكر في القصة المعروفة بقصة الأبرص والأقرع والأعمى حيث يقول ﷺ (إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا [2] الله أن يبتليهم ، بعث إليهم ملكاً ...) [3]

([1]) موعظة المؤمنين للقاسمي ، ص٣٥١

([2]) بدا الله أن يبتليهم : أي قضى الله تبارك وتعالى وهو معنى البداء هاهنا لأن القضاء سابق والبداء استصواب شيء علم فيه بعد أن يعلم وذلك على الله غير جائز لأنه قد علم جميع ما يكون (المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث للسيوطي ١٣٨/١)

([3]) أخرجه البخاري جـ٦ – واللفظ له – كتاب: أحاديث الأنبياء باب: حديث أبرص وأقرع وأعمى في بني اسرائيل ، جـ٦ ، حديث رقم (٣٤٦٤) ؛ ومسلم جـ٤ ، كتاب : الزهد والرقاق ، حديث رقم (٢٩٦٤) كلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ .

فبعد أن أذهب الله تعالى بهذا المَلَك ما بهم من مرض وأغدق عليهم نعمه حتى صار لكل منهم واد من الأنعام أتاهم المَلَكُ مرة أخرى بعد مدة من الزمن في صورة رجل فقير يسألهم المال ابتلاء من الله تعالى فيرده الأبرص والأقرع جحوداً وكفراً بنعمة الله ،

أما الأعمى فقد شكر النعمة حيث قال : (قد كنت أعمى فرد الله بصري وفقيراً فقد أغناني فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله فقال [أي المَلَك] أمسك عليك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك) (١)

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله : فيه التحذير من كفران النعم والترغيب في شكرها والاعتراف بها وحمد الله عليها ، وفيه فضل الصدقة والحث على الرفق بالضعفاء وفيه الزجر عن البخل لأنه حمل صاحبه على الكذب وعلى جحد نعمة الله تعالى](٢)

و (هذا حديث عظيم وفيه معتبر فإن الأولين جحدا نعمة الله فحل عليهما السخط وأما الأعمى فاعترف بنعمة الله فاستحق الرضى من الله بقيامه بشكر النعمة لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها وهي الإقرار بالنعمة ، ونسبتها إلى المنعم وبذلها فيما يحب) (٣)

لذلك وصف الله به الأنبياء يقول تعالى عن نوح عليه السلام (إنه كان عبداً شكوراً) (الإسراء من آية : ٣)

ويقول تعالى عن أبينا إبراهيم عليه السلام في معرض المدح والثناء {شاكراً لأنعمه اجتباه ...} (النحل : من آية ١٢١) ولقد ضرب لنا ﷺ أروع الأمثلة في شكره لله تعالى فلقد كان ﷺ (يصلي حتى تنتفخ قدماه فيقال له فيقول قولته الخالدة (أفلا أكون عبداً شكورا) (٤)

---

(١) سبق تخريجه قريباً ص ١٢٢

(٢) فتح الباري جـ٦/٥٠٣

(٣) الشيخ : عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، طبع ونشر : الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٣ – ١٩٨٣ م] ص٣٧١

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير برقم (٤٨٣٦) ؛ ومسلم : كتاب : صفات المنافقين برقم (٢٨١٩)

عاشراً: الهجرة في سبيل الله

الهجرة لغة :

(من الهجر وهو الترك ضد الوصل ، يقال : هاجر مُهاجرةً ، والتهاجر التقاطع ، وهجر الشيء وأهجره إذا تركه والاسم منه هجرة : وهي الخروج من أرض إلى أرض) [1]

شرعاً :

الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان أو هو هجران بلد الشرك والانتقال منه إلى دار الإسلام .

وقد وقعت الهجرة في الإسلام على وجهين :

الأول : الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن كما في هجرتي الحبشة ، وابتداءَ الهجرة من مكة إلى المدينة .

الثاني:الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان بعد أن استقر النبي ﷺ بالمدينة، وهاجر إليه من أمكنه من المسلمين)[2]

والهجرة في سبيل الله سبب من أسباب رحمته تعالى ، وعمل موجب لرضا الرحمن . نص على ذلك تعالى في كتابه الكريم حيث قال : { الذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم }(التوبة:٢٠-٢١)

---

(١) لسان ا لعرب ، ٢٥١/٥

(٢) (٢)المفردات للراغب الأصفهاني ص٥٣٧ ؛ [الإمام :ابن رجب الحنبلي: زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن أحمد ، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، الطبعة:[بدون] ، دار الفكر ، التاريخ : [بدون]]ص١٠

ولقد رتب تعالى رضاه على الهجرة في سبيله لما في الهجرة من بذل للنفس والمال لله ورسوله ، ولما فيها من عظيم التجرد لله فالمهاجر يترك وطنه وأهله .. وماله طلباً لرضا الله (فسمي المهاجرون : مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشأوا بها لله ، ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ولا مال ، فكان الرجل يأتي الرسول ﷺ ويدع أهله وماله ، ولا يرجع في شيء منه ، وينقطع بنفسه إلى مهاجرة) [١]

فاستحقوا رحمة الله تعالى عنهم ، وتعويضه تعالى لهم في الآجل بالجنان والرضوان بدل تركهم الأهل والأوطان فالسعيد من هاجر لله ولرسوله ، والخاسر من ترك .

والفضل والأجر للمهاجر في سبيل الله ، ووعد الله تعالى بالجنة والرضوان ماض وباق إلى يوم القيامة [٢] ، لكل من ترك ديار الكفر إلى ديار الإسلام لقوله ﷺ " لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة " [٣] ، ولقوله ﷺ (لا تنقطع الهجرة ما جوهد[٤] العدو [٥]) وإن كان شرف الهجرة في زمن المصطفى ﷺ دونه كل شرف ، وفضله كل فضل .. ، وأجره كذلك .. دونه كل أجر وذلك (فضل الله يؤتيه من يشاء)(المائدة : من آية ٥٤)

---

(١) لسان العرب ، ٢٥١/٥

(٢) فكما نعلم فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

(٣) أخرجه أبو داود في سننه جـ٤ ، كتاب:الجهاد ، باب: ما جاء في الهجرة ، حديث رقم (٢٤٧٩) ؛ والدارمي في سننه ٢٣٩/٢ -٢٤٠ ، كتاب: السير ، باب:لا هجرة بعد الفتح ، كلاهما من حديث معاوية ؛ وأحمد في مسنده ، ١٩٢/١ .
وقال فيه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٥١/٥ : رجال أحمد ثقات (٦) وكذا في رواية أحمد ، ٢٧٠/٥ "ما قُوتل العدو "

(٤) والمعنى:أن الهجرة باقية ما بقي الجهاد والقتال في الأرض مع أعداء الله، فوجود الكفر سبب لهجرة المؤمنين من ديار الكفر إلى ديار الإيمان.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ٣٦٣/٥ ؛ قال فيه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٥١/٥ ، رواه أحمد ورجال أحمد رجال الصحيح ؛ وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ، برقم (١٦٧٤)

أما قوله ﷺ " لا هجرة بعد الفتح ..." [1] فإن المراد به أنه لا هجرة للصحابة رضوان الله عليهم بعد إذ فُتحت مكة المكرمة وصارت دياراً للإسلام والمسلمين ، فقد كان المسلمون يهاجرون منها لما كانت داراً للكفر ، فلما انتفى ذلك بعد إذ فُتحت مكة المكرمة وصارت دياراً للإسلام ، انتفت الهجرة منها .

يقول الحافظ ابن حجر [2] في توجيه هذا ا لحديث وبيان بقاء حكم الجهاد إلى يوم الدين :

(وكانت الهجرة إذ ذاك تختص بالانتقال من دار الكفر لمن قدر عليه باقياً)[3]

وأضاف الإمام الخطابي [4] رحمه الله معنى آخر لطيف في الجمع بين الأحاديث فقال : (كانت الهجرة في أول الإسلام وحين اشتد أذى المشركين على المسلمين عند انتقال رسول الله ﷺ إلى المدينة أُمروا بالانتقال إلى حضرته ليكونوا معه ، فيتعاونوا ويتظاهروا إن حزبهم أمر ، وليتعلموا منه أمر دينهم ، ويتفقهوا فيه ، وكان عظم الخوف في ذلك الزمان من قريش ، وهم أهل مكة ، فلما فُتحت مكة ، ونخعت بالطاعة فيه ، زال ذلك المعنى وارتفع وجوب الهجرة ، وعاد الأمر فيها إلى الندب والاستحباب ، فهما هجرتان : فالمنقطعة منها : هي الفرض ، والباقية : هي الندب)[5] فعلى ذلك يكون معنى الحديث " لا هجرة واجبة بعد الفتح "

([1]) متفق عليه ، أخرجه البخاري جـ٣ ، كتاب الجهاد والسير ، باب: وجوب النفير ، حديث رقم (٢٨٢٥) ؛ ومسلم كتاب الامارة برقم (١٨٦٤)

: طبقات الحفاظ للسيوطي ، ٥٥١-٥٥٣ ؛ شذرات الذهب ٧/٢٧٠)

([2]) الحافظ ابن حجر : هو شيخ الإسلام إمام حفاظ زمانه ، وحافظ الديار المصرية بل وحافظ الدنيا مطلقاً أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المصري ، طلب الحديث فسمع الكثير ، ورحل وبرع في الحديث ، وتقدم في جميع فنونه ، له شرح البخاري الذي لم يصنف أحد من الأولين ولا من الآخرين مثله ، وتهذيب التهذيب وتقريبه ، ولسان الميزان والإصابة والمدرج .. وتصانيفه كثيرة تزيد على المائة ، توفي رحمه الله تعالى عام ٨٥٢هـ

([3]) فتح الباري ١/١٦

[4])[الإمام الخطابي :هو إمام أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي ، صاحب التصانيف ، كان ثقة ثبتاً من أوعية العلم ، تعلم اللغة والفقه على المذهب الشافعي .. صنف شرح البخاري وغريب الحديث ، وشرح الأسماء الحسنى ، والعزلة ، ومعالم السنن وغير ذلك ، قيل في كتابه شرح أبي داوؤد " معالم السنن" لو أن رجلاً لم يكن عنه من العلم إلا المصحف ثم هذا الكتاب لم يحتج معهما الى علم .. مات ببست سنة وثمانين وثلاثمائة من الهجرة رحمة الله تعالى (سير أعلام النبلاء للذهبي ، ج ١٧ / ٢٣ ؛ طبقات الحافظ للسيوطي ، ص ٤٠٤

([5]) الإمام الخطابي :أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي ، معالم السنن شرح سنن أبي داود ، الطبعة:[بدون] ، وتخريج : عبدالسلام عبد الشافعي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٦-١٩٩٦م] جـ٢/٢٠٣

والهجرة في سبيل الله تعالى ـ حالها كحال جميع الأعمال ـ لا يكون فيها الأجر كاملاً ، ورضوان الله عليها تاماً إلا إذا أخلص صحابها نيته ، فابتغى بهجرته رضا الله ورسوله ..

يقول ﷺ " إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهرجته إلى ما هاجر إليه " [1]

ولما كان أبوبكر الصديق ـ خير الخليقة على الاطلاق ـ بعد رسول الله ﷺ فلقد اصطفاه الله للهجرة مع رسول الكريم وصفيه من خلقه .. هذا الاصطفاء الذي أبكى أبابكر الصديق ـ من شدة الفرح حين أتته البشرى هو يردد (يا رسول الله : الصحبة ؟!) [2] وحُق له البكاء ، فلقد أكرمه الله تعالى بأعظم وأفضل وخير هجرة حيث صحب المصطفى ﷺ فغنم وفاز .. ، وسبق وعلا .. ، وحظي بما لم يحظ به بشر .. ، فرضي الله عنه وأرضاه وفي هجرته قال تعالى {ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا }(التوبة: ٤٠)

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري جـ١ ، كتاب:بدء الوحي حديث رقم(١) ؛ ومسلم في الإمارة برقم (١٩٠٧)
(٢) أخرجه البخاري في المغازي برقم (٤٠٩٣)

الحادي عشر : الجهاد

(من الجهد وهو استفراغ الوسع في مدافعة العدو [1] .

والجهاد في سبيل الله سبب من أسباب رضوان الله ، وموطن رضاه ، وهو ذروة سنام الدين ، لأنه يمثل غاية البذل والعطاء للدين ، فليس أعظم من أن يبذل المرء نفسه فيبيعها رخيصة لله ، من أجل نصرة دينه ، وإعزاز كلمته ، فما أروعه من بيع! وما أربحها من تجارة ! قال تعالى : { إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الـــجنة يقاتلون في سبيل الله ..}(التوبة:١١١-١١٢) وكما نص تعالى على فوز المجاهدين بالجنان ، نص على فوزهم بأعظم من الجنان ، وخير نعيم الجنان : رضوان الله تعالى ...ونصت السنة على إثبات ذلك الرضا صراحةً للمجاهدين في سبيل الله وإليك هذه النصوص :

أ- قال تعالى :

{الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربـــهم برحمة منه ورضوان ..}(التوبة:٢٠-٢١)

فوصف تعالى المجاهدين في سبيله بأنـــهم هم الفائزون ، لأن فوزهم هو الفوز الحقيقي حيث نالوا الجنان واستحقوا بشارة ربـــهم المنان بالرحمة والرضوان .

([1]) المفردات للراغب الأصفهاني ص ١٠١

ب- ومن السنة :

فقد ثبت عن شهداء[1] بئر معونة[2] أن "جبريل عليه السلام أخبر النبي ﷺ أنهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم .." [3]

وفي رواية (أنهم قالوا : اللهم بلغ عنا نبينا ؛ أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا)[4]

وهكذا نرى أن الله تعالى قد رضي عن هؤلاء الفئة الصابرة الطيبة التي ذهبت لحاجة رسول الله ﷺ .. فقتلت غدراً وخيانة ...

ففي الروايات "فرضي عنا .. " ، " فرضيت عنا " حيث كانت قرآناً تقرأ ..

يَدل على رضا الله صراحةً عن الشهداء الذين جاهدوا في سبيل الله ...

(1) بئر معونة : معونة : أرض بني عامر وحرة بني سليم وهي الى حرة بني سليم أقرب وقيل : بئر بين جبال أبلي من طريق المدينة الى مكة وهي لبني سليم ، وقيل : ماء لبني عامر بن صعصعة كانت عندها قصة الرجيع ..، وقيل غير ذلك (معجم البلدان لياقوت الحموي ، ١ / ٣٠٢)

(2) وقصة أهل بئر معونة أو قصة القراء كما يرويها لنا أنس بن مالك ؓ هي كالتالي : أن رعلاً وذكوان ، وعُصيَّة ، وبني لحيان ، استمدوا رسول الله ﷺ على عدوٍّ لهم فأَمَدَّهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء في زمانهم ، كانوا يحتطبون في النهار ، ويصلّون بالليل ، حتى كانوا ببئر معونة قتلوهم ، وغدروا بهم ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ذلك فقنت شهراً يدعوا في الصبح على أحياء من أحياء العرب ، على رعل ، وذكوان ، وعصيَّة وبني لحيان ، قال أنس : فقرأنا فيهم قرآنا ، ثم أن ذلك رفع بلغوا عنا قومنا ، أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضنا)

أخرجه البخاري – كتاب:المغازي ، باب: غزوة الرجيع ورعل وذكوان ، حديث رقم(٤٠٩٠)

(3) أخرجه البخاري واللفظ له جـ كتاب الجهاد باب : من ينكب أو يطعن في سبيل الله حديث رقم (٢٨٠١) ، ومسلم كتاب : المساجد ومواضع الصلاة، باب:استحباب القنوت إذا نزلت بالمسلمين نازلة حديث رقم (٢٩٧) بلفظ دعاء رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة..بنحوه

(4) أخرجه مسلم ، جـ٣ ، كتاب:الإمارة ، باب:ثبوت أجر الشهيد ، حديث رقم (١٩٠٢)

فالمجاهدون في سبيل الله هم أهل الرضا من الله لأنهم (جند الله الذين يقيم بهم دينه ، ويدفع بهم بأس أعداءه ، ويحفظ بهم بيضة الإسلام ويحمي بهم حَوْزَة الدين ، وهم الذين يقاتلون أعداء الله ليكون الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا فبذلوا أنفسهم في محبةِ الله ونصرةِ دينه وإعلاء كلمته، ودفع أعدائه، وهم شركاء لكل من يحمونه بسيوفهم في أعمالهم التي يعملونها وإن باتوا في ديارهم ، ولهم مثل أجور من عبد الله بسبب جهادهم وفتوحهم فإنهم كانوا هم السبب فيه ، ولقد تظاهرت آيات الكتاب وتواترت نصوص السنة على الترغيب في الجهاد والحض عليه ومدح أهله والإخبار عما لهم عند ربهم من أنواع الكرامات والعطايا الجزيلات ...)[1]

وهذه الكرامات ، والعطايا الجزيلات التي امتن بها الله تعالى للمجاهد في سبيله الذي ابتغى بجهاده رضوان الله تعالى وأخلص في جهاده فلم يرد بجهاده سوى رضوان الله تعالى وإعلاء كلمته،

يقول النبي ﷺ فيما يحكيه عن ربه عز وجل - قال - (أيما عبد من عبادي خرج مجاهداً في سبيل الله ابتغاء مرضاتي ، ضمنتُ له أن أُرْجَعَهُ إن أرْجَعتُهُ بما أصاب من أجر أو غنيمة ، وإن قبضتُهُ غفرتُ له ورحمْتُهُ) [2]

([1]) طريق الهجرتين لابن قيم ،ص ١٢٥-١٢٦ بتصرف

([2]) أخرجه النسائي واللفظ له – جـ٦ كتاب الجهاد باب : ثواب السرية التي تخفق حديث رقم (٣١٢٦) والمنذري من غير كلمة ورحمته في الترغيب والترهيب ٢٣٤/٢ باب الترغيب في الغدوة في سبيل الله .. حديث رقم (١٩١٥) وأحمد في مسنده بنحوه ، ١١٧/٢ وزاد "وأدخله الجنة" . جميعهم من حديث ابن عمر ﷺ .

إسناده : قال فيه محقق الترغيب والترهيب حسن ، قلت : هو كذلك إن سلم من تدليس الحسن البصري فإنه يرسل ويدلس الحديث (انظر تقريب ترجمة رقم) ولم يصرح هنا بالسماع وباقي رجاله ثقات

وهكذا نرى ... أن الله تعالى ضمن وتكفل بمن يجاهد في سبيله ابتغاء مرضاته أن يحوز إحدى الحسنيين الأجر أو الشهادة في سبيل الله حيث المغفرة والرضوان ـ ولا يتحقق هذا الأجر العظيم للمجاهد إلا عندما يصدق مع الله فيُصدِّق فعلُهُ قولَه ويخلص عمله لله فلا يجاهد إلا ابتغاء وجه الله .

ويدخل في معنى الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى دين الله وتحمل الأذى في سبيل الله ، فصاحبه مجاهد بالقول[١] فقد أثنى الله تعالى على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر [٢] بقوله تعالى {ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد}(البقرة:

والأجر في هذا الجهاد على قدر النصب والأذى لذا كان أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر...[٣]

---

(١) كذلك من أنواع الجهاد بالقول : الكتابة والرسائل ، وكتابة الكتب لا سيما في الرد على أعداء الله .

(٢) كما رجح الإمام الطبري في تفسير الآية(٤/٢٥٠)أن المراد بالبائع نفسه هو الآمر بالمعروف والناهي عن لمنكر .

(٣) ففي الحديث (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر) أخرجه أبو داود: جـ٤ كتاب : الملاحم ، حديث رقم (٤٣٤٤)؛ والترمذي: جـ٤، كتاب: الفتن ، باب: ماجاء أفضل الجهاد ، حديث رقم (٢١٧٤) وقال هذا حديث حسن غريب .

الثاني عشر : الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين

عند استشعار حقيقة الإيمان ودخول الإيمان شغاف القلوب يرتبط المؤمن بأخيه المؤمن برباط وثيق أقوى من رباط النسب والدم وهو رباط العقيدة فإذا سرى الإيمان في قلبه أحب ووالى إخوته في الدين وفضلهم على أهله وذويه وإن كانوا أبعد الناس إليه نسباً ، وتبرأ عن كل من سار على غير طريقه ونهجه وإن كان أقرب الناس إليه

فالولاء للمؤمنين والبراء من الكفرة هي عقيدة المؤمن ، وهي موطن رضا الرحمن يبين الله تعالى رضاه عن المؤمنين الذين اتصفوا بهذه الصفات الحميدة فيقول تعالى {لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءَ هم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلُهُم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله إلا إن حزب الله هم المفلحون}(المجادلة:٢٢)

فحزب الله المفلحون: من أهل رضوان الله تعالى لا يوالون الكافرين لأن (إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكفار فمن كان مؤمناً لا يوالي من كفر، ولو كان من عشيرته)[١]

فلا يجتمع الإيمان وحب الكفر وأهله في القلب أبداً فالمؤمنين من أهل رضوان الله والكفرة وأعداء الدين من أهل سخط الله وغضبه فكيف يجتمعان ؟

---

(١) تفسير البغوي ٤ / ٣١٢

وفي هذا المعنى يقول تعالى في كتابه {لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة... الآية}(آل عمران: ٢٨) ويقول تعالى{قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره.... الآية}(التوبة :٢٤)

ولقد عوضهم تعالى برضاه عنهم بدل رضا الأهل والعشائر فكان رضاه عنهم أعظم بدل وأعظم مكافأة

أ- يقول الإمام ابن كثير (في قوله تعالى {رضي الله عنهم ورضوا عنه} سر بديع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفضل العميم ، فهؤلاء هم عباد الله وأهل كرامته[1] {إلا إن حزب الله هم المفلحون}فهؤلاء المفلحون لا يوالون أعداء الدين لأنهم يعلمون أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وأن الكافر لا عزة له [2]...

ب – وفي النهي الصريح عن موالاة الكفرة : حيث إن موالاتهم تخالف رضا الله عنهم وتوقعهم في سخطه قال تعالى :{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ / ٦٩٥ –٦٩٦

(٢) المصدر نفسه

وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ، إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل }(الممتحنة:١)

قوله {إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي }: أي إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي باغين مرضاتي عنكم فلا توالوا أعدائي وأعداءكم وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم [١]

ولقد نهى سبحانه وتعالى عن موالاة الكفرة واتخاذهم أولياء وإن كانوا أقرباء بل أمر بالبراءة منهم إشعاراً بوجوب صرف المودة للمؤمنين دون غيرهم .

ولقد بين تعالى أن موالاة الكفرة ومناصرتهم على المؤمنين هي من صفات المنافقين الذين هم لخبث طواياهم لا يحبون المؤمنين فلا يوادون إلا من هو على شاكلتهم ، ظناً منهم لسوء تقديرهم ـ أنهم ينالون بذلك عزاً

يقول تعالى فيهم {بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً }(النساء:١٣٨-١٣٩) ويقول تعالى {ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون}(المائدة:٨٠)

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/٢٥

فأهل الرضا عن الله تعالى من عمرت قلوبهم بالإيمان يوادون الله ورسوله والمؤمنين ولا يجدون في قلوبهم مودة للكفرة وإن كانوا آباءهم أو أبناءهم .... فحبهم لله فوق حب الأهل والنسب الذي فطر عليه العباد لذلك كان الولاء للمؤمنين والبراء من الكفرة صفة الصفوة من خلق الله وأعظم الناس إيماناً محمد ﷺ وصحبه فوصفهم الله تعالى بالغلظة والشدة على الكفار وهي أعلى درجات البراء من المشركين والرحمة والذل للمؤمنين وهي أعظم صور الولاء

قال تعالى { محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم }(الفتح:٢٩).

أشداء : غلاظ عليهم ، رحماء بينهم : أذلة متوادون بعضهم لبعض كالولد مع الوالد كما قال تعالى { أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين }[١] وهذه أكمل صفات المؤمنين حيث يوالون من والى الله ويتبرأون ويحادون من حاد الله ورسوله ، فهم أشداءُ أقوياء غلاظ على الكافرين وإن كانوا أقرب أقربائهم ، رحماء بررة متعاطفين متوادين مع إخوانهم في الدين ، ويصف ﷺ صورة رائعة ويضرب مثلهم لمودتهم ورحمتهم بعضهم ببعض .

يقول ﷺ (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[٢]

---

(١) تفسير البغوي ٢٠٦/٤.

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة برقم (٢٥٨٦) ؛ وأحمد في مسنده ٤/ ٢٧٠

الثالث عشر : ذكر الله

الذكر لغة :

الذكر يطلق في اللغة ويراد به عدة معان منها :

١-الشيء يجري على اللسان [١] فيكون هنا مرادفاً للقول .

٢- ضد النسيان : ومنه قوله تعالى {وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره}(الكهف: ٦٣) [٢]

٣- الشرف : ومنه قوله تعالى {وإنه لذكر لك ولقومك } (الزخرف : ٤٤) [٣]

شرعاً :

الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها ، والمواظبة على العمل الذي أوجبه أو ندب إليه كتلاوة القرآن ، وقراءة الحديث ، ومدارسة العلم ، والتنفل بالصلاة .. ، [٤]

ذكر الله تعالى جنة المؤمنين ، ومستراح العارفين ، وشغل المجتهدين جلاء الهموم وأُنس القلوب ، من أخذ به فقد أخذ بحظ وافر لأنه (منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل ، ومن منعه عُزل ، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد له قبوراً ، وهو عمارة قلوبهم التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً)[٥] فذكره تعالى سبب رضاه ، وأفضل ما يتقرب إليه العبد إلى الله بعد الفريضة ذكر الله ... فلا أعظم ، ولا أطيب ، ولا ألذّ من ذكر الله تعالى الذي ما طابت الدنيا إلا بذكره ولا طابت الجنة إلا بلقاه وبرؤيته ...

---

(١) لسان العرب ، ٣٠٨/٤ .

(٢) لسان العرب ، ٣٠٨/٤ ؛ المفردات للجرجاني ص١٧٩

(٣))المفردات للجرجاني ص١٧٩ .

(٤) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ، ٢٠٩/١١ .

(٥) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ، ٤٤٠/٢ .

وذكر الله موطن رضاه تعالى وسبب سعادة العبد في الدنيا والآخرة لأنه نور القلوب من الزيغ والضلال ... وصلاح العقول من الشك والريب ... واستقامة النفوس من الانحراف ،

ذكره الله تعالى أرضى الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى - بعد الفرائض - فليس هناك أحب إليه تعالى من ذكره ، ففي الحديث (ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأرضاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا : وما ذاك؟ يا رسول الله ! قال : ذكر الله)

وقد أتى بصيغة السؤال : ألا أنبئكم : للتشويق وترغيب المستمعين لمعرفة ما يترتب عليه من إجابة فكان منهم أن قالوا: وما ذاك يارسول الله ؟ ... سؤال المشتاق لمعرفة الإجابة ... فقال : ذكر الله) [1]

وعند تأمل هذا الحديث نجد أن ذكر الله يتصف بأمور عظيمة لا يسع المؤمن عند معرفته لها أن يفرط أو يقصر فيه وهي :

١-أن ذكر الله أفضل الأعمال .

٢- أرضى الأعمال عند الرب وكفى به فخراً .

٣- أنه أرفع في الدرجات.

([1]) أخرجه ابن ماجة - واللفظ له - جـ٢ في أبواب الأدب ؛ باب : فضل الذكر ، حديث رقم(٣٨٣٥) ، وأخرجه الترمذي جـ٥، كتاب الدعوات ؛ باب ما جاء في فضل الذكر ، حديث رقم (٣٣٧٧) ، وأحمد في مسنده (١٩٥/٥) ، (٤٤٧/٦) والحاكم في المستدرك وصححه (٤٩٦/١) جميعهم من حديث أبي الدرداء ﷺ بلفظ (وأزكاها عند مليككم)بدل (أرضاها)

إسناده : أخرجه الحاكم كما تقدم ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه النووي في الأذكار صفـ١٩ ، وقال المنذري في الترغيب (٣٩٦/٢) حسن ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٣/١٠) على رواية أحمد رجاله رجال الصحيح إلا أن زياد بن أبي زياد مولى ابن عياش لم يدرك معاذاً أي أن الحديث منقطع وهو كذلك إلا أنه يرتقي للحسن بالشاهد الحسن وهو حديث الترمذي (ما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله) السالف الذكر برقم(٣٣٧٧) ؛ وابن ماجة في الأدب موقوفاً على معاذ بن جبل برقم (٣٨٣٥) ؛ وأحمد في مسنده ١٨٨/٤ وابن حبان في صحيحه(١٩٢/٢) ؛ والحاكم (٤٩٥/١)وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي،وأحاديث أخرى كثيرة(انظرمجمع الزوائد ٧٣/١٠-٧٦)

٤- خير من الصدقة ومن الجهاد في سبيل الله وناهيك عن فضل الصدقة والجهاد[١] ومكانتهما في الإسلام .

ولقد عدَّ الإمام ابن القيم الجوزية فوائد ذكر الله في ٧٣ فائدة [٢]

فبذكر الله راحة النفس واطمئنان القلب قال تعالى {ألا بذكر الله تطمئن القلوب} (الرعد : ٢٨) بل به حياة الروح وعمارة القلب قال ﷺ (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت) [٣]

وبذكر الله تعالى يسعد المرء برضا الرب تعالى غاية كل مؤمن - كما يسعد في الدنيا براحة البال وسعادة النفس، وجمع الهم ، حيث يكل أمره كله لله كما يسعد باطمئنان القلب ، قال تعالى { ألا بذكر الله تطمئن القلوب}(الرعد: ٢٨) .

الاطمئنان الذي يبث في قلب المؤمن الرضا عن الله وتدبيره بل وعن الحياة فيشهد قلبه بصلته بالله الجنان قبل رؤيتها (فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابه في دار العمل ، فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ، ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها)[٤]

ويكون الذكر باللسان وأتم منه بالقلب فإذا تحقق الذكر باللسان والقلب فقد استكمل فضل الذكر فاستكمل بذلك أجره وهو كمال رضا الله عنه[٥]

ولقد أثنى الله على المؤمنين إذ وصفهم بذكر القلب واللسان فإذا ذُكر الله استشعروا ذكره بقلوبهم فوجلت وخافت منه تعالى حتى ظهر ذلك على جلودهم فاقشعرت من خوف الله {الله نزل أحسن الحديث كتاباً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم على ذكر الله }(سورة الزمر :من آية ٢٣).

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (١١/٢١٠) : ورد في فضل المجاهد أنه كالصائم الذي لا يفطر وكالقائم الذي لا يفتر ، مما يدل على أفضليته على غيره من الأعمال الصالحة وطريق الجمع - والله أعلم - أن ا لمراد بذكر الله في حديث أبي الدرداء الذكر الكامل : وهو ما يجتمع فيه ذكر اللسان والقلب بالتفكير في المعنى ، واستحضار عظمة الله ، وأن الذي يحصل له ذلك يكون أفضل ممن يقاتل الكفار مثلاً من غير استحضار ، وأن أفضلية الجهاد إنما هي بالنسبة إلى ذكر اللسان المجرد فمن اتفق له أنه جمع ذلك كمن يذكر الله بلسانه وقلبه واستحضاره حال صلاته أو صيامه أو قتاله الكفار فهو الذي بلغ الغاية القصوى) أهـ

(٢) [الإمام ابن قيم الجوزية ، الوابل الصيّب ورافع الكلم الطيب ، تحقيق الشيخ : اسماعيل الأنصاري ، الطبعة :[بدون] ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية - الرياض]ص٩١-١٨٧

(٣) متفق عليه ، أخرجه البخاري في الدعوات برقم (٦٤٠٧) ؛ ومسلم في صلاة المسافر برقم (٧٧٩)

(٤) الوابل الصيب لابن قيم الجوزية ، ص ١٠٦

(٥) وهذه هي أقسام الذكر ، الإمام ابن قيم في الفوائد(١٩٢) : وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب واللسان ، وكان من الأذكار النبوية وشهد الذاكر معانيه ومقاصده .

كما يقول تعالى {إنــما المؤمنون إذا ذكر الله وجلت قلوبــهم وإذا تُليت عليهم آياته زادقم إيماناً وعلى ربــهم يتوكلون }(الأنفال:٢) ، فظهر هذا الخشوع على أعمالهم فصلُحت حيث عرفوا الله فبادروا إلى طاعته ، ولذلك نستشعر الحكمة من تقديم ذكر الله على الجهاد والإنفاق في سبيل الله ـ كما مر في الحديث ـ فذكر الله هو ا لباعث للمؤمن على المبادرة على فعل الطاعات والقربات لله تعالى ، فإذا تحقق ذكر الله في العبد سارع إلى الجهاد ، والصدقات وسائر الطاعات .

كما يصف تعالى المنافقين بقسوة القلب وإعراضهم عن ذكر الله حيث يقول تعالى عنهم {يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً }(النساء: ١٤٢)،وتوّعد قساة القلوب بقوله {فويل للقاسية قلوبــهم من ذكر الله } (الزمر:٢٢)

وفي ترك الذكر حسرة وندامة يوم القيامة وما يجلس المؤمن مجلساً لا يذكر فيه الله إلا عاد على صاحبه وبالاً يوم القيامة ، والنصوص في ذكر الله تعالى كثيرة[1] ، ولقد عدّ الإمام ابن القيم أوجه[2] صيغ وأسلوب هذه الآيات في اللغة إلى عشرة أوجه تدور حولها هذه الآيات من أمر به ونهى عن تركه .

---

(١) منها قوله ﷺ " ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترَةً ، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم " ، أخرجه الترمذي في الدعوات ، جـ٥ ، باب: في القوم يجلسون لا يذكرون الله ، رقم (٣٣٨٠) ؛ وقال الإمام أحمد في مسنده بنحوه جـ٢ ، ص٤٨٤ وقال كلاهما عن أبي هريرة ﷺ .

(٢) من أحب الرجوع فهي في مدارج السالكين ١٤٢/٢

ويكفي في فضل الذكر أنه رتب ذكره تعالى على من يذكره وذكره تعالى أعلى وأجل ، قال تعالى { فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون }(البقرة: ١٥٢) وقال تعالى في الحديث القدسي (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه)[١]

لذلك كان المصطفى ﷺ وهو سيد الراضين ، وأعرف الخلق بالله يذكر الله في كل وقت وآن ، فقد كان ﷺ (يذكر الله على كل أحيانه)[٢] ، وما الناس في ذكره تعالى - وفي جميع الطاعات - إلا موفق ومخذول ، فمن وفقه تعالى أعانه على ذكره ،ومن خذله أنساه ذكره ، فلولا توفيقه تعالى وإعانته لما ذُكر ، ولما شُكر ، ولما عُبد في الأرض ، لذلك كانت وصيته ﷺ الخالدة لمعاذ ﷺ (وصية الحبِّ لحبيبه أن يدعو دبر كل صلاة (حيث استجابةِ الدعاء) " اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتكم " [٣]

ومن أنواع ذكر الله التي نُص على رضا الله على صاحبها : تحميد لله تعالى ، وحفظ كتابه والدعاء والاستغفار... وإليك هذه الأنواع :

---

(١) متفق عليه . أخرجه البخاري في كتاب التوحيد برقم (٧٤٠٥) ؛ ومسلم في الذكر والدعاء برقم (٢٦٧٥)

(٢) أخرجه مسلم كتاب : الدعوات ، برقم (٣٣٨٤) ؛ والبخاري تعليقاً على عائشة رضي الله عنهما ، كتاب الآذان باب : هل يتبع المؤذن فاه هاهنا وهاهنا

(٣) عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال : " يا معاذ ! والله إني لأحبك " فقال : أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك .. " أخرجه أبو دا ود – واللفظ له – كتاب : الصلاة ، برقم (١٥٢٢) ، والمنذري فيالترغيب والترهيب ، ٢/ ٤٥٠ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ، ١٠ / ١٧٢ من حديث ابن مسعود وقال : رجاله رجال صحيح

أ – التحميد :

لغة :

مصدر حمّد بتشديد الميم وهو قول الحمد لله أما مصدر حمد المخفف فهو حمْد ،

ومعناه الثناء نقيض الذم يقال حمِده حمداً ومحمداً ومحمدة ، والتحميد : أبلغ ومعناه كثرة حمد الله بالمحامد الحسنة مرة بعد مرة [1]

اصطلاحاً :

الثناء بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل [2]

وتحميد الله تعالى من الأعمال الموجبة رضا الله فهو سبب من أسباب رضاه تعالى ، وموطن من مواطنه ، فهو ذكر لله تعالى ، فقد رضيَّ تعالى على من يحمده وهو نوع من ذكره تعلاى وقد أخبر ﷺ أن ذكره تعالى من خير الأعمال وأرضاها عند المليك ، كما في الحديث (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأرضاها عند مليككم ....ذكر الله) .

ولقد حمد الله تعالى نفسه ابتداءً في الكثير من آي القرآن إشارة إلى أنه تعالى المحمود أبداً ، فيُثني عليه سبحانه وتعالى ابتداءً دون سابق نعمة [3] فأهل هو أن يحمد وأهل هو أن يعبد سبحانه .

يقول الحافظ ابن كثير((هذا فيه دلالة على أنه هو المحمود أبداً ، المعب على طول المدى ، ولهذا حمد نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره وفي ابتداء كتابه ، وعند ابتداء تنزيله حيث يقول تعالى{الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب}(الكهف:١)

([1]) لسان العرب بتصرف ٣/١٥٥-١٥٦

([2]) (٢)التعريفات للجرجاني ص٩٣

([3]) الفرق بين الحمد والشكر أن الحمد الثناء دون سابق يد والشكر لا يكون إلا عن معروف ، لسان العرب ٣/١٥٥

ويقول {الحمد لله الذي خلق السموات والأرض}(الأنعام:١) ، إلى غير ذلك من الأحوال التي يطول بسطها ، وأنه المحمود في الأولى والآخرة ، في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وفي جميع الأحوال)[١]

فهو سبحانه المحمود دون سابق نعمة فكيف وقد فاقت نعمه الحصر ؟ وأعجزت آلاؤه الوصف ، فلا عجب إذن أن تكون أول آية في كتاب الله تعالى الخالد هي {الحمد لله رب العالمين}(الفاتحة:١)، آية تشعر المؤمن بفقره وحاجته لله - تعالى وعظيم نعم الله عليه ، آية تورث في النفس الرضا عنه تبارك وتعالى وعن قضاءه وقدره فيُحمد سبحانه في السراء ، كما يُحمد في الضراء ، ويأمر تعالى إلى التلفظ بها في الصلاة في اليوم والليلة سبع عشر مرة لترسخ معاني الحمد في النفس [٢].

وبين الحمد والرضا علاقة وثيقة ففي حمد العبد رضاه عن الله كما أن فيه رضا الله عنه .

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله (وكمال الرضا الحمد ، حتى أن بعضهم فسَّر الحمد بالرضا ولهذا جاء في الكتاب والسنة حمد الله على كل حال ، وفي الحديث " أول من يدعى إلى الجنّة الحمّادون الذين يحمدون في السراء والضراء .."[٣] وروي عنه ﷺ أنه كان إذا أتاه الأمر يسره قال: "الحمد لله الذي به تتم الصالحات" ، وإذا أتاه الأمر الذي يسؤه قال : "الحمد لله على كل حال " ونبينها محمد ﷺ صاحب لواء الحمد وأمته هم الحمّادون الذين يحمدون في السراء ...) [٤]

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، تفسير سورة يونس ٢/٤٠٨.

(٢)أنظر الآيمان والحياة للدكتور القرضاوي ص ١٤٣

(٣) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٤٢٢ ؛ والحاكم في المستدرك ١ / ٥٠٢ وقال صحيح على شرط مسلم

(٤) مجموع فتاوي ابن تيمية ١٠ / ٤٣ بتصرف

وقد ثبت في الصحيح رضاه تعالى عن العبد إذ طعم الطعام فعلم أنه من الله فحمده عليه وشرب الشراب فتيقن أنه بتسخير منه تعالى فحمده عليه .

يقول ﷺ " إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة[1] فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده[2] عليها)[3]

فيرغب الشارع في حمده تعالى عند الطعام والشراب أشد ترغيب ففي الحديث استحباب تحميد الله بعد الأكل والشرب ، حيث رتب رضاه تعالى على ذاك الحمد ، ويلاحظ كيف رتب تعالى أعظم الأجر وأكبره وهو رضاه تعالى - على العمل القليل اليسير وكأنه تعالى رضي عن العبد أن يوقن أن الطعام والشراب منه تعالى ، فتتحرك شفتاه بحمده ليهبه الرضا ، فله الحمد تبارك وتعالى أن جعلنا من خير الأمم - الأمة المحمدية - أمة محمد الأمة المرضية ، التي قَبِل منها اليسير من الطاعات ، وتجاوز لها عن الكثير من الذنوب والآثام ، ورفع عنها الإصر والأغلال التي كانت عليها ، فله الحمد تعالى أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً ، ملء السموات ومل الأرض وملء ماشاء من شيء بعد .

([1]) الأكلة بفتح الهمز ، هي المرة الواحدة من الأكل كالغداء والعشاء .

([2]) شرح صحيح مسلم للنووي ٥١/١٧ : قال الإمام في شرحه جاء في البخاري صفة التحميد (الحمد لله حمداً كثيراً مباركاً فيه غير مكفّي ربنا ولا مودّع ولا مستغنى عنه ربنا) ولو اقتصر على (الحمد لله) حصل أصل السنة ، والحديث في صحيح البخاري ، كتاب الأطعمة باب: ما يقول إذا فرغ من طعامه ، حديث رقم(٥٤٥٨) / قال الطيبي في شرح السنة ١٥٥/٨غير مكفي من الكفاية فالله هو المعتصم الكافي وهو غير مكفي وغير مطعم ولا مودع أي غير متروك الطلب

([3]) أخرجه مسلم – واللفظ له – جـ٤ ، كتاب:الذكر والدعاء ، باب:استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب ، حديث رقم(٢٧٣٤) ؛ والترمذي ، كتاب:الأطعمة ، باب: ماجاء في الحمد على الطعام إذا فرغ منه ، حديث رقم(١٨١٦) باختلاف يسير ، كلاهما من حديث أنس بن مالك ﷺ .

ب- حفظ القرآن الكريم :

وحفظ كتاب الله خير ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى - بعد ما افترض على العباد - وكلامه تعالى أفضل الذكر فلا يتقرب إليه تعالى بأفضل من كلامه تلاوةً وحفظاً وتفسيراً ومدارسة ، فقد سمى الله كتابه ذكراً فقال تعالى {إن هو إلا ذكر وقرآن مبين}(يس:٦٩) ، وقال {إنا نحن نزلنا الذكر}(الحجر:٩) ، فالقارئ لآيات الله ذاكراً لله أفضل ذكر منتظراً لرضوان الله وعظيم عفوه فكيف بمن حفظ كلامه تعالى ؟

لا شك أن حفظ كتابه تعالى - إذا ابتغي به وجه الله - من أعظم الأسباب المؤدية لرضا الله تعالى عن العبد حيث ينال به خير الدنيا والآخرة ...

يخبرنا الصادق المصدوق ﷺ أن القرآن الكريم يأتي شفيعاً [١] لأصحابه حتى يدخلهم الجنان فحث الشارع الكريم على تعلّم القرآن وتعليمه للناس فقال ﷺ (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[٢] .

كما حث على تلاوته وقيام الليل به قال ﷺ (لا حسد إلا في اثنتين [٣] ... ورجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل ...الحديث)[٤]

([١]) قال ﷺ(اقروا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه)صحيح مسلم جـ١:كتاب صلاة المسافر،باب فضل قراءة القرآن : حديث رقم(٣٣٠).

([٢]) أخرجه البخاري واللفظ له كتاب : فضائل القرآن باب:خيركم من تعلم القرآن وعلمه حديث رقم(٥٠٢٧)

([٣]) معنى قوله (لا حسد إلا في اثنتين): قال الحافظ بن حجر أي لا رخصة في الحسد إلا في خصلتين ، أو لا يحسن الحسد إلا في اثنين وذلك من المبالغة في تحصيل الخصلتين كأنه قال: لو لم يحصلا إلا بالطريق المذموم لكان ما فيهما من الفضل حاملاً على القيام على تحصيلها فكيف والطريق المحمود يمكن تحصيلهما به وهو من قوله تعالى {فاستبقوا الخيرات}

([٤]) أخرجه البخاري كتاب: فضائل الصحابة ، باب: اغتباط صاحب القرآن ، حديث رقم (٥٠٢٥)

فمن رزقه الله القرآن الكريم فحفظه وقام به الليل فقد نال أفضل المنازل ، وكلما ازداد المؤمن حفظاً للقرآن ، كلما ارتقى في رضوان الله ، فإن تمّ حفظه كان من أهل الله [1] الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فبحفظ كتاب الله يرتقي المؤمن في الجنان يقول ﷺ (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها)[2] فيقوده إلى أعلى الجنان فإذا انتهى إلى آخر منزلة عند آخر آية قاده القرآن ليلبسه الحلل ، ويُتَوّجه بتاج الكرامة ثم لا يكتفي بذلك النعيم العظيم - بل لا يرضى إلا برضا الرب عن حافظ القرآن ، فرضى الرب تعالى أسمى وأعظم مطلوب ، فنسأل الله تعالى أن يلبسنا به الحلل ، وأن يظلنا به الظُلل وأن يبلغنا به رضاه تعالى - — آمين

قال ﷺ : " يجيءُ القرآن يوم القيامة فيقول : يارب حَلِّه ، فيلبس تاج الكرامةِ ، ثم يقول : يارب زده ، فيلبس حُلّة الكرامة ، ثم يقول: يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال له : اقرأ وارق ، وتزاد بكل آية حسنة " [3]

([1]) قال ﷺ (أهل القرآن هم أهل الله وخاصته) ، أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ١٢٨/٣

([2]) أخرجه الترمذي – واللفظ له – جـ٥ ، كتاب:فضائل القرآن، باب:١٨ ، حديث رقم (٢٩١٤) وقال حديث حسن صحيح ؛ وأبو داود ، جـ٢ ، كتاب:الصلاة ، باب:استحباب الترتيل، حديث رقم(١٤٦٤) ، وأحمد في مسنده ١٩٢/٢ جميعهم من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

([3]) أخرجه الترمذي – واللفظ له – جـ٥ كتاب : فضائل القرآن ، باب : ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ، حديث رقم(٢٩١٥) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ثم أورد له رواية موقوفة و رجح وقفه على وصله -
وأخرجه الحاكم في مستدركه ٥٥٢/١ من حديث أبي هريرة وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي
قلت : إسناده حسن لأن عاصم بن بهدله صدوق له أوهام كما قال الحافظ بن حجر في تقريبه (ترجمة رقم ٣٠٥٤) والحديث صححه الحاكم من طريق عبدالصمد بن عبدالوارث عن شعبة ، وعبد الصمد بن عبدالوارث ثبت في شعبة كما قال الحافظ في تقريبه ترجمة رقم (٤٠٨٠)
أما قول الترمذي : الموقوف أصح فإن هذا القول لا يُقال بالاجتهاد ، بل الحديث له حكم الرفع لأنه إخبار عن أمر غيب وأبو هريرة ؓ غير معروف بالأخذ عن بني إسرائيل .

جـ – الدعاء :

الدعاء كالنداء ، وقد يستعمل كل واحد منهما مكان الآخر ، إلا أن النداء قد يقال بـ "يا" أو "أيا" ونحو ذلك من غير أن يضم إليه الاسم ، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه اسم)وغالباً ما يُدعى بالاسم مباشرة مع تقدير "يا" مثل قوله تعالى { رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء } أي (يارب ، ويا ربنا) [1].

اصطلاحاً :

الرغبة إلى الله فيما عنده من الخير والابتهال إليه [2] .

الدعاء سبب من أسباب رضوان الله تعالى وموطن من مواطن رضاه .

صرح بذلك المصطفى ﷺ حيث قال : " من لم يسأل الله يغضب عليه " [3]

فقد بين ﷺ أن رضا الله عن العبد يكمن في دعاء العبد له وسؤاله إياه حيث رتب الغضب الشديد منه تعالى على من يستكبر عليه فلا يدعوه ، ولا يسأله

([1]) (١)المفردات للراغب الأصفهاني بتصرف ١٦٩-١٧٠ .

([2]) تحفة الأحوذي للمباركفوري ٢٢١/٩

([3]) أخرجه الترمذي واللفظ له جـ٥ ، كتاب الدعوات ، باب : (٢) حديث رقم (٣٣٧٣) من حديث أبي هريرة ﷺ ؛ وابن ماجة، جـ٢ ، كتاب:الدعاء ، باب:فضل الدعاء ، حديث رقم (٣٨٢٧) بلفظ (من لم يدع الله سبحانه غضب عليه) ، وأحمد في مسنده ٤٤٢/٢ ، والحاكم ١ /٤٩١ ، والبخاري في الأدب المفرد حديث رقم (٦٥٨)

إسناده:قال الترمذي: وروى وكيع وغير واحد عن أبي المليح هذا الحديث ولا نعرفه إلا من هذا الوجه وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ،

قلت : إسناده حسن فإن حاتم بن ،إسماعيل صدوق يهم ، وأبو صالح الخوزي قال عنه أبو زرعة لا بأس به وضعفه يحيى بن معين كما في التهذيب(١٣١/١٢) وحاتم بن اسماعيل تابعه أبوعاصم الضحاك بن مخلد ووكيع فرواية أبو عاصم في الترمذي بعد رواية حاتم بن اسماعيل مباشرة والضحاك بن مخلد ثقة ثبت ورواية وكيع فهي رواية ابن ماجة السالفة الذكر ، وتابع أبا صالح مروان بن معاوية الفزاري وهو ثقة حافظ وروايته عند البخاري في الأدب برقم (٦٥٨) المفرد قال:حدثنا عبدالله بن محمد قال ثنا مروان بن معاوية الفزاري قال ثنا أبو المليح...الحديث وعلى ذلك فالحديث ضعيف بسنده حسن بمتابعاته .

فالدعاء سبب من أسباب رضا الله تعالى ، لأن الله أمر به ، وكل مأمور به مرضيٌّ عند الرب فهو تعالى يحب أن يسأل ومن لم يسأله ويدعوه فهو مبغوض مسخوط عليه لا محالة [1] بخلاف البشر الذين يغضبون على من يسألهم من فضلهم [2] فقد أمر الله تعالى بالدعاء وحث عليه في آيات كثيرة من كتابه كما رتب عليه الإجابة في قوله تعالى {وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين }(غافر:٦٠)

فقد سمى الله تعالى الدعاء في الآية عبادة واعتبر من استكبر عنه استكبر عن عبادة الله ، فالدعاء من أعظم العبادات ، والقربات التي يتقرب فيها العبد إلى الله تعالى ،بل لقد صرح ﷺ بكونه هو العبادة حيث قال (الدعاء هو العبادة)[3] ولقد (أجاب الجمهور عن الحديث بأن المراد أن الدعاء من أعظم العبادة فهو كالحديث(الحج عرفة[4])[5] .

فالدعاء هو (العبادة الحقيقية التي تستحق أن تسمى عبادة لأنه يدل على أن فاعله مقبل بوجهه على الله مُعرض عما سواه لا يخاف إلا منه ، ويمكن حمل الدعاء على معنى العبادة اللغوي : أي الدعاء ليس إلا إظهار غاية التذلل والافتقار والاستكانة ، ومن هذا المعنى نفهم الحكمة من أمره تعالى وهي كيفية الدعاء حيث قال { ادعوا ربكم تضرعاً وخفية}(الأعراف:٥٥))[6]

([1]) [ابن علان : محمد بن علان الصديقي الشافعي المكي ، دليل الفالحين ، الطبعة:[بدون] ، دار الكتاب العربي، ٢٩٩/٧]

([2]) وفي هذا المعنى قيل : الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب

([3]) أخرجه أبو داود جـ .. كتاب الصلاة ، باب الدعاء حديث رقم (١٢٧٩) ، الترمذي في التفسير باب من سورة المؤمنون حديث رقم (٣٢٤٤) ، قال حديث حسن صحيح ، ووصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٤٠١) .

([4]) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب : الحج ، برقم (٨٨٩) ؛ وأبو دوؤاد في كتاب : الحج برقم (١٩٤٩) وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل ، ٤ / ٢٥٦

([5]) دليل الفالحين ٢٩٩/٧

([6])[الزبيدي : محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى ، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، الطبعة:[بدون] ، دار الفكر ، ٢٩/٥]

د – الاستغفار :

الاستغفار لغة :

أصل الغفر : التغطية والستر ، يقال غفر الله ذنوبه : سترها

والمغفرة : التغطية من الذنوب والعفو عنها [1]

شرعاً :

طلب المغفرة من الله بالمقال والفعال [2]

والاستغفار من أنواع ذكر الله - وأكرم بذكره شرفاً وفضلاً - وهو كذلك سبب من أسباب رحمة الله تعالى للعبد ، ولقد وصف الله تعالى - أهل رضوانه بعد أن بين رضاه عنهم بأنهم كثيري الاستغفار عند السحر فقال تعالى { الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار }(آل عمران : ١٧) ولقد حث الله تعالى على الاستغفار في كثير من آياته تعالى فهو ذكر مأمور به منهيّ عن تركه، ومن ذلك قوله تعالى {واستغفروا الله إن الله غفور رحيم}(المزمل :٢٠) ، {استغفروا ربكم إنه كان غفارا}(نوح:١٠)، {وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه}(هود:٣)، {واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود }(هود:٩٠) وغير ذلك الكثير من آيات الله، وما ذلك إلا لأن حقيقة الاستغفار (طلب المغفرة بالمقال والفعال والاستغفار باللسان من دون ذلك بالفعال فعلُ الكذابين وهذا معنى قوله تعالى {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم} (التوبة : من آية ٨٠) [3]

([1]) لسان العرب لابن منظور ، ٥ / ٢٥ ؛ وأنظر نتائج الأفكار ، ص ٢٦

([2]) المفردات للأصفهاني ص ٣٦٢ بتصرف وذلك لأن السين للطلب أنظر (نتائج الأفكار للسفاريني ، ص ٢٦)

([3]) فتح الباري ١١/ ٩

ولقد وصف الله تعالى المؤمنين الصادقين بقوله تعالى : [والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون] (آل عمران : ١٣٥) ففسر ذكر الله بالاستغفار لأنه من أفضل أنواع الذكر إذا وافق القلب لذلك قال تعالى : [ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون] ، يقول الحافظ بن حجر رحمه الله (في الآية إشارة إلى أن شرط قبول الاستغفار أن يقلع المستغفر عن الذنب ، وإلا فالاستغفار باللسان مع التلبس بالذنب كالتلاعب) [١]

لهذا المعنى نجد أن كثيراً ما قرن الاستغفار بالتوبة ففي الصحيح عنه ﷺ (إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) [٢].

كما نلاحظ اقتران الاستغفار بوقت السحر عندما يصف استغفار المؤمنين كما هو الحال في قوله تعالى في وصف المتقين {كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون} وذلك لشرف هذا الوقت فهو وقت شريف من أوقات إجابة الدعاء[٣]حيث أخبرنا ﷺ بفضل هذا الوقت حين قال (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له ؟) [٤]

حيث تفتح أبواب السماء ويتقبل الله من العباد ، ولقد خص الاستغفار بالسحر دون غيره من أنواع الذكر من دعاء وتسبيح ونحوه لما فيه من تذلل وخضوع لله ، واستشعار الذنب ، والافتقار الى رحمته وعفوه تعالى – والله تعالى أعلم – فغذا استمر العبد على الاستغفار على هذا الوقت المبارك .. ، حظي برضا الله تعالى عليه فاستحق أن يكون من أهل رضوان الله .

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١١/ ٩

(٢) أخرجه البخاري : كتاب الدعوات ، حديث رقم (٦٣٠٧)

(٣) انظر اتحاف السادة المتقين ٣١/٥ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التهجد برقم (١١٤٥) ؛ ومسلم كتاب : صلاة المسافرين برقم (٧٥٨)

الرابع عشر :السواك

من أسباب محاب الله تعالى ومواطن رضاه تعالى السواك الذي هو من خصال الفطرة التي رغب فيها الإسلام .

والسواك :

بكسر السين يطلق على الفعل وعلى العُود الذي يستاك به .

عن النبي ﷺ قال (السواك مطهرة للفهم مرضاة للرب) [1]

(فقوله ﷺ (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب) أي أن:السواك مظنة الطهارة والرضا: أي يحمل الرجل على الطهارة ورضا الرب)[2]

فالسواك مطهرة للفم حيث يتهيأ للذكر وتلاوة القرآن والصلاة والعبادة ، فلا تتأذى الملائكة من رائحة الفم السيئة ، وهو كذلك مرضاة لله : ففي النظافة عامة والسواك خاصة رضا الله تعالى الرحمن ، وقد حث عليه الشارع حثاً شديداً حيث أمر به في عدة مواضع ويتأكد في حالات عدة يقول ﷺ مؤكداً أهميته لا سيما عند الصلاة (لو لا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) [3].

([1]) أخرجه النسائي-واللفظ له- جـ١، كتاب:الطهارة، باب الترغيب في السواك رقم الحديث(٥)، ورجال إسناده ثقات إلا عبدالرحمن بن أبي عتيق قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب مقبول(التقريب ، ترجمة رقم٣٩٢٠)؛ وأخرجه الدارمي في سننه جـ١، كتاب الطهارة، باب:السواك مطهرة للفم- بلفظه -والحميدي في مسنده ١/٨٧ حديث رقم (١٦٢)؛ وابن خزيمة في صحيحه، كتاب:الوضوء فضل السواك وتطهير الفم- بلفظه-،حديث رقم(١٣٥) قال عنه محققه الأعظمي رجال إسناده ثقات جميعهم من حديث عائشة رضي الله عنها؛ وأخرجه ابن ماجة من طريق أبي أمامة ﷺ عن رسول الله ﷺ بلفظ (تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب، وماجاءني جبريل إلا أوصاني بالسواك...الحديث)؛ كتاب الطهارة وسننها، جـ١، باب:السواك، حديث رقم(٢٨٨)؛ والإمام أحمد في مسنده ، ١/١٠ من طريق أبي بكر الصديق ﷺ بلفظ(عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ..الحديث) وعلقه البخاري في صحيحه مجزوماً في كتاب الصوم : باب سواك الرطب واليابس للصائم رقم الباب(٢٧)قال رحمه الله:وقالت عائشة عن النبيﷺ(السواك...)فتح الباري:١٨٧/٤،

قلت:الحديث صحيح علقه البخاري مجزوماً وتعليقات البخاري بصيغة الجزم صحيحة، وأخرجه ابن خزيمة وهو ممن اشترط الصحة في أحاديثه، وقد صرح بصحته النووي في الأذكار .

([2]) [الامام زين الدين عبد الرحيم العراقي ، طرح التثريب شرح التقريب ، الطبعة : [بدون] ، دار : إحياء التراث العربي : بيروت لبنان ، التاريخ : [بدون]] جـ ١ / ٦٢

([3]) أخرجه البخاري جـ ١ ، كتاب : الجمعة ، حديث رقم (٨٨٧)

(والحكمة في استحباب السواك عند القيام إلى الصلاة كونها حالاً تقرب إلى الله، فاقتضى أن يكون حال كمال ونظافة، إظهاراً لشرف العبادة وكذلك لما ورد أن الملك يدنو ممن يقرأ القرآن حتى يضع فاه على فيه فحق لا تتأذى الملائكة)[1].

فقوله ﷺ (لأمرتهم :أي لأمرتهم أمر إيجاب لأن المشقة تلحق بالإيجاب لا بالندب وهذا يدل على أن الأمر في حديثه أمر ندب واستحباب ويحتمل أن يكون ذلك واجباً في حق النبي ﷺ على الخصوص جمعاً بين الخبرين واتفق أهل العلم على أنه سنة مؤكدة لحث النبي ﷺ ومواظبته عليه وترغيبه فيه وندبه إليه وتسميته إياه من الفطرة)[2] .

ولقد حث الإسلام على السواك ورغب فيه مما يدل على عناية الإسلام الفائقة بالنظافة فالإسلام دين الطهر والنظافة، ففي نظافة الباطن والظاهر رضا الله تعالى، والنظيف قريب من الناس حبيب إلى الرحمن، وقد أمر الله تعالى بطهارة البدن..بتطهير الجسد من نجاسة القذارة والقلب من نجاسة الشرك والكفر..في أولى آيات القرآن الكريم يقول تعالى {وثيابك فطهر والرجز فاهجر .. }(المدثر:٣-٤) ،

كل هذه الدعوة إلى الطهارة والنظافة في الوقت الذي كانت البشرية ترفل تحت وطأة الجهل والغفلة والقذارة فلا تعرف للطهارة طريقاً ، ولا تهتدي للنظافة ولا للسواك سبيلاً .

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٢ / ٣٧٦

(٢)[الإمام أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمود بن قدامة المقدسي – المغني ويليه الشرح الكبير للإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن قدامة المقدسي كلاهما على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، الطبعة:[بدون] ، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع – بيروت لبنان ، ١٣٩٢هـ–١٩٧٢م]١/٧٨

تنبيه :

يجدر بنا في نـــهاية مبحث الأعمال الموجبة لرضا الله المنصوص عليها في الكتاب والسنة التنبيه إلى حديث (الوقت الأول من الصلاة رضوان الله ، والوقت الآخر عفو الله)[1] فإن الحديث وإن كان معناه صحيح ، والصلاة على وقتها هي بلا ريب – سبب رضا الله تعالى وعمل موجب لرضا الله ، لكن لما كان في رواة الحديث راوي كذاب فإن الحديث موضوع ، والسند على ذلك باطل وقد ذكرت هذا الحديث إبراءً للأمانة العلمية والتزاماً مني بما في الكتب الستة من نصوص على الرضا والغضب ومعناهما ..

ويمكننا الاستعاضة عنه بالحديث الصحيح:" سئل رسول الله ﷺ أي العمل أحب إلى الله ؟ قال:الصلاة لوقتها...الحديث" [2]

([1]) لم يخرج هذا الحديث من كتب السنن سوى الترمذي، كتاب:الصلاة ، باب:ما جاء في الوقت الأول من الفضل حديث رقم(١٧٢)، وقال:هذا حديث غريب ؛ وأخرجه الدار قطني في سننه، كتاب:الصلاة ، باب:النهي عن الصلاة بعد الفجر وبعد صلاة العصر حديث رقم(٢٠) ؛ والبيهقي(١/٤٣٥)، كتاب:الصلاة ، باب:الترغيب بالصلوات في أوائل الأوقات، والحاكم في المستدرك (١/١٨٩)
إسناد الحديث:قال الترمذي:هذا حديث غريب، وقال الحاكم في ستدركه:يعقوب بن الوليد هذا شيخ من أهل المدينة سكن بغداد وليس من شرط هذا الكتاب إلا أنه شاهد وتعقبه الذهبي فقال: يعقوب كذاب، فالحديث فيه يعقوب وهو أبو هلال يعقوب بن الوليد بن عبدالله المدني قال فيه الحافظ ابن حجر:كذبه أحمد وغيره(التقريب ترجمة رقم(٧٨٣٥) ، وفيه كذلك أبو عبدالرحمن عبدالله بن عمرو بن حفص بن عاصم العمري المدني ضعيف(تقريب التهذيب ، ترجمة رقم(٣٤٨٩)أما رواية الدار قطني والبيهقي والحاكم فكلها تدور على يعقوب بن الوليد المدني وهو كذاب فالحديث على ذلك موضوع .

(٢)أخرجه البخاري ، كتاب التوحيد برقم (٧٥٣٤)

وهكذا نرى أن الله تعالى من رحمته وفضله رتب رضاه تعالى للعبد على أعمال كثيرة جداً لا تحصى بل قد يبلغ المؤمن بنيته الصالحة والعزم على الطاعة منازل الصالحين والشهداء .

ومن هذه الأعمال المنصوص عليها بالرضا - كما نرى - أعمالٌ يسيرةُ سهلة المتناول كالحمد لله عند الطعام والشراب .. كل ذلك لحث المؤمن على العمل والعطاء وعدم احتقار المعروف والخير مهما قلّ ففي الحديث " لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق "[1]

فقد يكون العمل السهل اليسير سبباً في دخول الجنان ... ورضا الرحمن .. ، وقد يكون سبباً في غضبه تعالى والنار وهذا مصداق قوله ﷺ " الجنة أقربُ إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك " [2]

فله الحمد تبارك وتعالى أن رضي عن عباده اليسير ، وتجاوز عن الكثير ، وله الحمد تعالى أن غلبت رحمته غضبه .. وكان بالمؤمنين رحيماً ..

ولقد أطلّت في بعض الأعمال [كالصبر والشكر ، وذكر الله عامة : والتحميد خاصة] ، لأنها من أكثر الأعمال التي يتحقق بتحققها رضا العبد عن الله ، حتى أنها تفسر بالرضا ... وإذا رضي العبد عن الله رضيَ الله تعالى عنه ..كما سيأتي في الفصل الثاني وبعد تتمة مبحث أسباب رضا الله ننتقل إلى خاتمة المباحث وذلك بالحديث عن الذين ارتبط رضاه تعالى برضاهم وهم : المصطفى ﷺ والوالدين .. والزوج لزوجه ..

فإلى المبحث التالي بعنوان :

ارتباط رضاه تعالى برضا بعض البشر

([1]) أخرجه مسلم في البر والصلة برقم (٢٦٢٦)

([2]) أخرجه البخاري في الرقاق برقم (٦٤٨٨)

المبحث الخامس:

ارتباط رضاه تعالى برضا بعض البشر

ويشمل

المطلب الأول : رضا الرسول ﷺ

المطلب الثاني : رضا الوالدين

المطلب الثالث : رضا الزوج

تمهيد :

بعد أن بينا أن الأعمال والطاعات هي مواطن رضاه تعالى ،وذكرنا عدداً من المواطن المنصوص عليها برضا الله تعالى نعقد هنا بحثاً للأشخاص الذين ارتبط رضاهم برضا الله تبارك وتعالى:فقد ربط تعالى بين رضاه وبين رضا الأنبياء [1] ، كما ربط بين رضاه ورضا الوالدين ،وبين رضاه ورضا الزوج للمرأة ... وهذه الفئات الثلاث .. منهم من يظهر لنا أهمية رضاهم لعظيم مكانتهم عند الله فقد جعل تعالى رضاهم مقصوداً لذاته ، إذ يملكون حق التشريع وهؤلاء هم الأنبياء عليهم السلام ، فرضاهم من رضا الله لعظيم قدرهم ، ومكانتهم عند الله ... ، ومنهم من جعل الله رضاهم من رضاه تنظيماً للعلاقة البشرية كرضا الوالدين ورضا الزوج عن زوجه ، فلا يصلح شأن الأبناء إلا بطلبهم رضا والديهم ، لأنهما أعلم بصلاحهم وأحرص الناس على نفعهم ، حيث غرز في قلبيهما أعظم حب لهم في الوجود ، كما لا يصلح شأن البيت المسلم إلا بقوامة الزوج ، فلا بد إذن من طلب رضاه لتستقيم الحياة .

وعلى ذلك فإن مبحث ارتباط رضاه تعالى برضا بعض البشر يشمل ثلاث مطالب :

المطلب الأول: رضا الرسول ﷺ .

المطلب الثاني: رضا الوالدين .

المطلب الثالث: رضا الزوج .

---

(١)وأخص من الأنبياء : المصطفى ﷺ خير الأولين والآخرين وسيد ولد آدم بلا مراء – محمد بن عبدالله عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام – وذلك لورود النصوص الشرعية على ارتباط رضا الله تعالى برضاه ﷺ ، وإلا فإن ارتباط رضا الله برضا جميع الأنبياء عن أتباعهم – أمر معلوم من الدين بالضرورة – إذ لا ينال أحد منهم رضوان الله إلا برضاهم عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتم التسليم .

المطلب الأول: رضا الرسول ﷺ .

رضـــا الرسول ﷺ ورضا جميع الأنبياء عن أتباعهم أمر معلوم من الدين بالضرورة - فرضاهم عليهم جميعاً الصلاة والسلام مقصود لذاته ، فهم أفضل خلق الله ، وأقربهم إليه زلفى ، وأرفعهم عنده منزلة ، وأعلاهم لديه قدراً ومكاناً ، فلا ريب أن يربط تعالى بين رضاه ورضاهم ، وأن يجعل رضاهم سبباً لرضا الله تعالى ، فهم الذي يبلغون رسالات ربهم ، وهم قادة الحق عبر التاريخ ، ومصابيح الهدى ، ولا وصول لأحد على رضاه تعالى والجنة إلا من طريقهم ، اختصهم تبارك وتعالى بأعظم الفضل ، وأكمل الرضا ،

ولما كان المصطفى ﷺ - أفضل الأنبياء والمرسلين ، وخير الأولين والآخرين ، وأعظم الناس منزلةً عند الله .

لمـــا كان ﷺ بهذه المنزلة - فلا ريب إذاً أن يكرمه الله تعالى بأفضل الرضا وأعظمه، وأن يجعل رضاه ﷺ مقصوداً لذاته ، وأن يجعل جزاء من رضي عنه ﷺ في أعلى عليين وإليك ما نص على ارتباط رضاه ﷺ برضا الله تعالى .

قال تعالى { يحلفون لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين }(التوبة:٦٢)

ووجـــه الدلالة من الآية يقررها الإمام الشوكاني حيث يقول (وتوحيد الضمير في "يرضوه" مع أن الظاهر بعد العطف بالواو التثنية ، لأن إرضاء الرسول ﷺ لا ينفك عن إرضاء الله تعالى، فلتلازمهما جعلا كشيء واحد)[١]

فلـــتلازم رضا الرسول ﷺ وارتباطه برضا الله تعالى وحدّ تعالى الضمير بعد التثنية فرضا الرب تعالى لا ينفك عن رضا الرسول ﷺ .

---

(١) فتح القدير ٢/ ٢٨

وهذه الآية هي التي نصت على رضا الرسول وتلازمه برضا الله صراحةً بذكر لفظ الرضا ، وإلا فإن هناك آيات كثيرة تقرر هذه الحقيقة بألفاظ أخرى كلها تصب في معين الرضا وذلك نحو :

أ) قوله تعالى {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم }(الفتح:١٠)

وفي هذه الآية أخبر تعالى أن هذه البيعة للرسول ﷺ هي بيعة له تعالى[١] ، فالله تعالى هو المبايع بواسطة رسوله ﷺ وما ذاك إلا لأن رضا الرسول ﷺ ملازم لرضا الله تعالى لا ينفك عنه أبداً، فمن رضي عنه المصطفى ﷺ فقد رضي الله عنه[٢] ، ومن سخط عليه المصطفى ﷺ فقد استحق سخط الله وغضبه .

ب) وقوله تعالى { من يطع الرسول فقد أطاع الله }(النساء من آية :٨٠)

فمن أطاع الرسول ﷺ فقد أطاع الله ، ومن عصاه فقد عصى الله ، فطاعته ﷺ طاعة لله ، وما ذاك إلا لأن رضاه ﷺ ملازم لرضا الله لاينفك عنه - فأمره ونهيه من أمر الله ونهيه { وما ينطق عن الهوى • إن هو إلا وحي يوحى} (النجم:٣-٤))[٣] وهو المصدر الثاني للتشريع فله الحق ﷺ أن يأمر وينهى وعلى الأمة أن تطيع .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٢٢٥-٢٢٦ ؛ فتح القدير ، ٥/ ٥٧

(٢) لنا أن نستشعر عظم سخط الله وغضبه على من غضب عليه المصطفى ﷺ أحب الخلق إلى الله تعالى

(٣) فتح القدير للشوكاني ١ / ٥٦٥

ولقد فهم هذه المعاني الرائعة صحابة رسول الله ﷺ فعلموا أن رضاه ﷺ في تحكيم شرعه وتطبيق سننه ﷺ ، فنجد أن معاذ بن جبل ﵁ حين يسأله ﷺ عن القضاء يقدم كتاب الله ثم سنة رسوله .

ففـــي الحديـــث : أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعث معاذاً إلى اليمن قال: كيف تقضي إذا عُرض لك القضاء؟ قال:أقضي بكتاب الله . قال : فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال : فبسنة رسول الله ؟ قال : فإن لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله ؟) قال : اجتهد رأي ولا آلو [1] ، فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله) [2]

فيفرح معاذ رضي الله عنه حينما يعلم أنه قد وفق لرضا رسول الله ﷺ فرضاه ﷺ غاية مناه ويسعد بذلك لأنه يعلم أن رضاه ﷺ : رضا الله تعالى .

---

(١)آلو : أقصر يقال أُلي الرجل وأَلي : إذا قصر وترك الجهد (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٦٣/١)

(٢)أخرجه أبو داود – واللفظ له ، جـــ٣ ، كتاب:الأقضية ، باب: اجتهاد الرأي في القضاء ، حديث رق (٣٥٩٢) ؛ والترمذي جـــ٣ ، كتاب:الأحكام ، باب: ماجاء في القاضي كيف يقضي ، حديث رقم (١٢٢٧) ، بنحوه ، ولم يذكر لفظ " لما يرضي رسول الله .." ؛ والإمام أحمد في مسنده ، ٢٣٠/٥ ، ٢٤٢ ، كلاهما من طريق حديث أبي داود بنحوه ؛ وكذا البيهقي في السنن الكبرى ، ١٩٥/١٠ ، في آداب القاضي جميعهم عن معاذ بن جبل ﵁ .

إسناده:فيه أصحاب معاذ بن جبل مجهولون – لم يصرح بهم، فقد رُوي سند هذا الحديث(عن الحارث بن عمرو عن أناس من أهل حمص من أصحاب معاذ بن جبل) كما أن في الحديث الحارث بن عمرو بن أخي المغيرة بن شعبة وهو مجهول كما قال عنه الحافظ بن حجر في تقريبه(ترجمة رقم ١٠٣٩)، أما رواية الترمذي وأحمد فهي نفس سند أبي داود فحكمها حكم رواية أبي داود في الضعف وقد قال عنها الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وليس إسناده عندي بمتصل ، وكذا في رواية البيهقي فيها الحارث عن أصحاب معاذ وهم مجهولون فعلى ذلك فإن الرواية بهذه الأسانيد ضعيفة .

فرضاه ﷺ سبب لرضا الرب تبارك وتعالى ، ورضاه يكمن في الائتمار بأمره ﷺ والانتهاء عند نـهيه ، لـذا كـان الصحابة رضوان الله عليهم - وهم خير الأمة - أحرص الناس على اتباع أوامره ﷺ والوقوف عند نواهـيه، يـتقربون إلى الله تعـالى بطلبهم مرضاته ﷺ ، بل ويتفانون في أبتغائهم مرضاته فسجل لهم التاريخ من القصص أروعها ! ما لو أردنا استقصاءها لطال بنا البحث نذكر منها:

(١) مـا تقولـه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها " إن الناس كانوا يتحيرون بهداياهم يوم عائشة ، يبتغون بذلك مرضاة رسول الله " [١]

فلقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم أن رضاه ﷺ سبب لرضا الله فكان منهم التنافس العظيم في ابتغاء مرضاته .

(٢)ولقـد كانوا يحرصون -رضوان الله عليهم - أن يختم عليهم برضوانه ﷺ فرضاه غاية المنى وهو منٌّ وفضل تفضـل الله به عليهم ففي الحديث (لما طعن عمر جعل يألم فقال له ابن عباس - وكأنه يُجزِّعه [٢] - يا أمير المؤمنين ولـئن كـان ذاك لقـد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته ، ثم فارقته وهو عنك راض ثم صحبت أبا بكر فأحسـنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض ثم صحبت صحبتهم ، فأحسن صحبتهم ، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون،قال:أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه فذلك منٌّ منَّ الله به عليَّ ..الحديث) [٣] .

---

(١) أخرجه مسلم ، ج٤ - واللفظ له - كتاب:الفضائل ، باب:فضائل عائشة -رضي الله عنها ، حديث رقم (٢٤٤١)؛ والبخاري :جـ٣ ، كتاب:الهبة ، باب: من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه ...، حديث رقم (٢٥٨٠) ؛ والترمذي:جـ٥ ، كتاب:المناقب ، باب: فضل عائشة رضي الله عنها ، حديث رقم (٣٨٧٩) بنحوه ، كلاهما بدون لفظ الرضا والنسائي:جـ٧ ، كتاب:عشرة النساء ، باب:حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض ، حديث رقم (٣٩٥١) بلفظ حديث مسلم ، جميعهم من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٢)يجزعه:أي ينسبه إلى الجزع ويلومه عليه ويقول له ما يسليه يدل على ذلك قوله "ولا كل ذلك" أي لاتبالغ فيما أنت فيه من الجزع - الكاشف عن حقائق السنة للطيبي ، جـ٢٤٣/١١.

(٣)سبق تخريجه ص ٨٢

(٣) ولقـــد كن أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين - رضوان الله عليهن - يحرصن على رضاه ، فتسابق إحداهن الأخرى ابتغاء مرضاة رسول الله ﷺ ولا يلتفت إلى مغاضبتهن وهجرهن له ﷺ فإن ذلك من الغَيرة التي تعذر فيها النساء[١]

فلقد ثبت أن منهن من تهب يومها لأختها إرضاءً لرسول الله ﷺ .

عـــن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله وجد[٢] على صفية بنت حييٍّ في شيء فقالت صفية : يا عائشة هـــل لك أن تُرضي رسول الله ﷺ ولك يومي قالت: نعم ، فأخذت خماراً مصبوغاً بزعفران : فرَشّته بالماء ليفوح ريحـــه ثم قعدت إلى جنب رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ : يا عائشة إليك عني إنه ليس يومك فقالت : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فأخبرته بالأمر فرضيَّ عنها)[٣]

(٤) بـــل إن هـــناك مـــن تهب حقها في الفراش لأختها حتى لا يفوتها شرف كونها زوج النبي أم المؤمنين إرضاء للرســـول ﷺ ،وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت:(كان رسول الله إذا أراد السفر أقرع بين نساءه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وكان يقسم لكل امرأة منهم يومها أو ليلتها غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي ﷺ تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ)[٤]

فـــأيُّ عطاء وتضحية أعظم من أن تهب المرأة يومها لرضا زوجها ، وأيُّ حب أشد من أن تتنازل أم المؤمنين عن حقها من أجل رضاه ﷺ ، فتقدم رضاه على نفسها وحقها ... فرضي الله عنهن وأرضاهن أجمعين .

---

(١)وفي توجيه مغاضبة عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ في قوله ﷺ : (إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبى) أو مغاضبة بعض أزواجه ﷺ له يقول الإمام النووي جـ٨/٢٠٣ فيما عزاه إلى القاضي عياض : مغاضبة عائشة للنبي ﷺ هي من الغيرة التي عُفي عنها للنساء في كثير من الأحكام لعدم انفكاكهن منها ولولا ذلك لكان على عائشة في ذلك من الحرج ما فيه لأن الغضب على النبي ﷺ وهجره كبيرة وعظيمة ولهذا قالت (لا أهجر إلا اسمك) فدل على أن قلبها وحبها كما كان وإنما الغيرة في النساء لفرط المحبة أهـ.

(٢)وَجَدَ : أي غضب .

(٣) انفرد بهذا الحديث ابن ماجة في سننه جـ ١ ، أبواب النكاح باب : المرأة تهب يومها لصاحبتها ، حديث رقم (١٩٨١) اسناده : فيه سمية البصرية مقبولة كما قال الجاحظ في تقريبه ترجمة رقم (٨٦١٠) وباقي رواته ثقات .

(٤) أخرجه البخاري جـ٣،كتاب هبة الرجل والمرأة لزوجها حديث رقم (٢٥٩٣) وكذا كتاب الشهادات ، باب:القرعة في المشكلات ، رقم(٢٦٨٨)،وأبو داود جـ٢ ،كتاب:النكاح ، باب:القسم بين النساء ، حديث رقم (٢١٣٨) بنحوه ولم يذكر الرضا – وأورد مسلم الشق الأول من الحديث في بيان قصة حديث الإفك الطويل ولم يعرج على موقف سودة ، حديث رقم (٢٤٤٥)(٢٧٧٠)

المطلب الثاني: رضا الوالدين :

رضـــا الوالدين سبب من أسباب رضا الله تعالى عن العبد المؤمن ، فقد ربط تعالى بين رضاه ، ورضاهما وأوجب تعالى برهما ، وحرَّم عقوقهما ، وما ذاك إلا لعظيم عطائهما وبذلهما من أجل أبنائهما .. فأوجب الله تعالى على الابن طاعتهما والبر بهما - ما لم يأمرا بمعصية - وفاءً لهما واعترافاً بفضلهما عليه وعظيم إحسانهما ..

ولقد ربط تعالى بين رضاه تعالى وبين رضا الوالدين ففي رضاهما رضا الله .. ، كما أن في سخطهما سخط الله

يقول ﷺ قال: "رضا الربِّ في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد " [1]

قوـــله ﷺ " رضـــا الرب في رضا الوالد " أي أن رضا الله مرتبط ومتعلق برضا الوالد عن ولده وكذلك الحال بالنسبة للأم [2] ، بل أن رضاها أولى كما ثبت من تقديم الأم وبرها [3] على الأب [4]

([1]) أخرجه الترمذي- واللفظ له،جـــ٤،كتاب:البر والصلة،باب:ما جاء من الفضل في رضا الوالدين،حديث رقم(١٨٩٩)؛ وأخرجه ابن حبان من طريق خالد بن الحارث عن شعبة مرفوعاً بلفظ(رضاء الله في رضاء الوالد وسخط الله في سخط الوالد)(١/٣٢٨) حديث رقم(٤٣٠)،ذكر رجاء تمكن المرء من رضا الله جل وعلا برضا والده عنه،والبخاري في الأدب المفرد بلفظ رواية الترمذي إلا أنه رواه موقوفاً على عبدالله بن عمر ﷺ ولم يروه مرفوعاً وجعله في مسند عبدالله بن عمر ولم يجعله في مسند عبدالله بن عمرو بن العاص ؛ والحاكم بلفظ حديث الترمذي ، (٤/١٥١-١٥٢)

إسناده : قال فيه الإمام الترمذي : وهكذا روى أصحاب شعبة عن شعبة عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبدالله بن عرو موقوفاً ولا نعلم أحداً رفعه غير خالد بن الحارث عن شعبة وخالد بن الحارث ثقة مأمون .

قلت : بل تابعه على رفعه ثقتان آخران هما عبدالرحمن بن مهدي عند الحاكم في المستدرك (٤/١٥١-١٥٢) من طريقين عنه وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .والمتابع الآخر هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري عن شعبة أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤/١٧٦/١) فعلى ذلك فالحديث صح مرفوعا ،

([2]) ففي رواية الطبراني (رضا الله في رضا الوالدين)

([3]) بر الوالدين:هو التوسع في الإحسان إليهما،وتحري محابهما،وتوقي مكارهما،والرفق بهما وضده العقوق (التوقيف في مهمات التعريف ، ص١٢٢)

([4])ففي الصحيح قال رجل يا رسول الله : " من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال:أمك ، قال: ثم من؟ قال : أمك ، قال:ثم من؟ قال: أمك ، قال : ثم من ؟ قال:أبوك " (أخرجه مسلم في البر والصلة ، برقم (٢٥٤٨)

والمراد بالرضا (ترك المخالفة والتوافق بأمر من يرضى عنه وبرأيه ، وأعلاه أن لا يخطر في قلبه خلاف الرضا ، ولما كـــان الإنســـان يطلـــب رضاه تعالى في الدارين ويسعى له وينفر من سخطه – أرانا النبي ﷺ طريقاً نعرف به رضاه فنحرص عليه ونختاره ونتمسك به ، ونعرف سخطه فنتجنبه وننفر منه)[1] وهذا الطريق هو : رضا الوالدين

فلقـــد علّق تعالى رضاه على رضاهما،وذلك لما كانا عليه من شدة الإشفاق والحب للأبناء،والتعب والمشقة وسهر الليالي والتربية وتحمل العناء بنفس راضية،فأمر تعالى بإرضائهما وبرهما هو علامة الوفاء بالجميل.. لا رد هذا الجميل فأن فضلهما وبرهما أجل من أن يستطيع الابن رده .

وليس أعظم من أن يقرن الله تعالى الأمر بالإحسان إليهما بالأمر بعبادته تعالى في مواطن عديدة من كتابه : فقال تعالى

أ- قـــال تعـــالى : {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً } (الإسراء:٢٣) ، فوصى عباده بعبادته وحده ثم أردفه بالأمر ببر الوالدين، فقال{وبالوالدين إحساناً} أي وقضى أن تحسنوا بالوالدين إحساناً [2]

ب- وقال تعالى { واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً }(النساء:٣٦).

---

(١)فضل الله الصمد للجيلاني ، ٤٣/١

(٢)فتح القدير للشوكاني ، ٢٥٩/٣

جـ - ثم قرن الأمر بالشكر للوالدين بالشكر له تعالى فقال في وصيته بهما على لسان لقمان عليه السلام

{ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير}(لقمان:١٤)

وبر الوالدين من أفضل القربات التي يتقرب بها المؤمن لينال رضا الله تعالى ولقد قدم النبي ﷺ برهما على الجهاد ذروة سنام الإسلام ، ففي الحديث عن عبدالله بن مسعود قال " سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله عز وجل قال : الصلاة على وقتها) قلت ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين ، قلت ثم أي ؟ قال : ثم الجهاد في سبيل الله " (١) .

فقوله أحب إلى الله : أي يحبه الله ويرضى به وفي رواية أفضل ، فقدم بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله ، وسُمي البر بهما جهاداً ففي الصحيح: " جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فأستأذنه في الجهاد فقل: أحيٌّ والداك ؟ قال :نعم. قال : ففيهما فجاهد " (٢)

---

(١)أخرجه البخاري : كتاب الأدب ، برقم (٥٩٧٢) ؛ ومسلم في البر والصلة برقم (٢٥٤٩) ؛ قال الحافظ بن حجر رحمه الله في فتح الباري (جـ٦ / ١٤٠ - ١٤١) البر أفضل لأن البر فرض على العين ، والجهاد فرض على الكفاية .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٤٩)

ولما كان بر الوالدين وطلب رضاهما دليل الوفاء بالجميل والعرفان بالفضل ، وعلامة طيب النفس ، وكرم الخلق .. فلقد اتصف به الأنبياء والمرسلين أفضل الناس أخلاقاً ..

قال تعالى عن يحيى عليه السلام { وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً }(مريم:١٤)

وقال تعالى عن عيسى عليه السلام { وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً }(مريم:٣٢)

وقال على لسان إبراهيم عليه السلام { ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب}(إبراهيم:٤١)

وقال على لسان نوح عليه السلام { رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات}(نوح:٢٨)

كما اتصف به خير الأمة بعد الأنبياء صحابة رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان فاتباع رضا الله ببر الوالدين والحذر من عقوقهما هي صفة من اتبع رضوانه تعالى فرضي عنه وأرضاه ... جعلنا الله منهم ... آمين .

المطلب الثالث: رضا الزوج

ورضـــا الـــزوج حق للزوج على زوجه وهو سبب من أسباب رضا الله تعالى على الزوجة ، وموطن من مواطن رضاه عنها ولأهمية الرضا في النكاح في الإسلام ، نلاحظ أنه يبدأ قبل عقد النكاح ، فمن شروط النكاح: الرضا من الطــرفين ، على أن يقوم الاختيار على الدين والخلق ، فإذا تزوجت المرأة الرجل المرضي ديناً وخلقاً وتزوج الرجل ذات الدين المرضية عند الله والناس ، وحققا بذلك وصاية المصطفى ﷺ

حيث قال ﷺ "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه،إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد"[1]

وقال ﷺ " تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، وجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك " [2] كان ذلك أدعى لإقامة بيت مسلم يعمره الحب والرضا ، ليصبح البيت سكناً ورحمةً وسعادةً كما أراد الله تعالى ، وتفضل على عباده بنعمة الزواج حيث قال تعالى { ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ... }(الروم:٢١)

---

(١) أخرجه الترمذي –واللفظ له– جـ٣ كتاب:النكاح باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه حديث رقم(١٠٨٥) وقال هذا حديث حسن غريب، وابن ماجة،جـ١،كتاب النكاح–باب الأكفاء رقم(١٩٦٧) لفظه وأخرجه الترمذي أيضاً في نفس الكتاب والباب حديث رقم(١٠٨٤)من طريق أبي هريرة بلفظ (إذا خطب إليكم..فساد عريض)وكذلك الحاكم(٢/١٦٤–١٦٥)في مستدركه من طريق أبي هريرة بلفظ(إذا أتاكم من ترضون)وقال:هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله قلت:عبدالحميد قال أبوداود غير ثقة ووثيمة لايُعرف إسناد الحديث: في سند الحديث عبدالله بن مسلم بن هرمز الفدكي ضعيف (تقريب التهذيب رقم (٣٦١٣) وفيه سعيد بن عبيد أخو محمد مجهول (تقريب التهذيب (٢٣٦٣) فالحديث بهما ضعيف، لكنه يرتقي للحُسن بالحديث الذي قبله عند الترمذي فهو به حسن قال الترمذي عن هذا الحديث حديث أبي هريرة قد خُولف عبدُ الحميد ابن سليمان في هذا الحديث ورواه الليث بن سعد عن ابن عجلان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ مرسلاً ..فعلى ذلك فإن الحديث يرتقي لدرجة الحسن لغيره ويعتضد بهذا الشاهد المنقطع .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، جـ ٦ ، كتاب : النكاح ، باب : الأكفاء في الدين حديث رقم (٥٠٩٠)

فـإن تم النكاح ، بقي أمر لا بد من تحققه لتكمل السعادة في البيت المؤمن وهو: أن القوامة بيد الرجل لا المرأة فللزوج حق الطاعة على زوجه ، فهو الراعي على رعيته ، ورعيته أسرته ، فالبيت المسلم لا يستقيم إلا بقائد واحد يتحمل المسئولية فالسفينة لا تسير إلا بربان واحد ، والسموات والأرض رغم اتساعهما لا تسيران إلا بإله له واحد ، قال تعالى { لو كان فيهما آلة إلا الله لفسدتا }(الأنبياء: من آية ٢٢)

ولما كان الرجل هو الأقدر على قوامة الأسرة لما فطر عليه من قوة وشجاعة وقدرة على الكسب جعله الله تعالى قيم الأسرة ، وربانها الذي يقودها إلى بر النجاة ، ومعـنى القوامة للرجل الطاعة للمرأة عند اختلافهما على مباح - إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق - وهي قوامة تكليف وتشريف وإنفاق ومسئولية ، لا تسلط واستبداد ، وتجـبر قال تعالى {الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم } (النساء:من ٣٤)

فقد فرض الله على المرأة طاعة زوجها ...فإن ماتت وهو راض عنها فقد استحقت رضا الرحمن .

قال ﷺ " أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة "(١)

---

(١) : أخرجه الترمذي – واللفظ له – جـ٣ ،كتاب الرضاع، باب:ما جاء في حق الزوج على زوجته،حديث رقم (١١٦١)؛ وابن ماجة جـ١ ، كتاب النكاح ، باب:حق الزوج على المرأة حديث رقم (١٨٥٩)
إسناده : قال فيه الترمذي : حسن غريب ، وقال عنه الحاكم في مستدركه : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي،(١٧٣/٤) ، والحديث من رواية مساور الحميري وأمه وهما مجهولان كما قال الحافظ بن حجر في تقريبه (ترجمة رقم ٦٥٨٧ ، ٨٧٧٠) فالرواية على ذلك ضعيفة – لكن الحديث يرتقي للحسن بشواهد عديدة – انظر (الترغيب والترهيب ، ٦٧٠/٢) فتكون الرواية بذلك حسنة كما قال الترمذي .

فـــإن نالت منه الرضا فقد فازت بالجنان ، ورضا المنان، وإلا فقد خسرت الخسران المبين، فلقد ربط تعالى رضاه برضا الزوج، وسخطه تعالى بسخط هذا الزوج، فهو جنتها ونارها[١]

ففـــي الصـــحيح أن رسول الله أتى النساء فوعظهن وذكرهن وقال (يا معشر النساء! تصدقن فإنكن أكثر حطب جهنم) فقامت امرأة فقالت : لم يا رسول الله ؟ فقال: لأنكن تكثرن الشكاة ، وتكفرن العشير[٢])[٣]

فكفـــران الـــزوج من أسباب وقوع المرأة في النار ، وهو إذ يقرر ﷺ حقيقة ضعف المرأة أمام عواطفها الجياشة ، وســـرعة نسيانها للمعروف عند وقوع الأذى بها ؛ يرشد ﷺ في الوقت نفسه المؤمنات الصالحات إلى الترفع عن هذه الخسة ، وتهذيب ذاك الطبع الذميم فيها لترتقي لمكارم الأخلاق المُوصلة للجنان ، ويدعوها إلى معالجة ما وقع منها من آثام وذنوب في حق زوجها بالصدقة ،

فحق الزوج على الزوجة مقدم على كل أحد حتى على والديها ، فحالة الزوجة مع زوجها كحالة الولد مع أبيه بل هو أكبر كما يقرر ذلك الشرع[٤] ، وعظم حقه عليها أنه لو أمر بالسجود لأحد لأمر الزوجة للسجود لزوجها ، إشعاراً لجزيل فضله ، وعظم حقه عليها .

---

(١)ففي الحديث (انظري أين أنت منه فإنما هو جنتك ونارك) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٤١/٤ ؛ والحاكم في مستدركه ٢ / ١٨٩ وقال:صحيح الإسناد .

(٢)تكفرن العشير : أي تجحدن إحسان أزواجكن (النهاية في غريب الحديث ، ٦٣/١) وقد فسره ﷺ بقوله " لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله فرأت منك شراً قالت: ما رأيت منك خيراً قط "

(٣)أخرجه مسلم ، جـ١ ، حديث رقم (٦٠٣)

(٤)ففي الحديث عن عائشة سألت رسول الله ﷺ :أي الناس أعظم حقاً على المرأة ؟ قال زوجها ، قلت : فأي الناس أعظم حقاً على الرجل؟ قال:أمه) رواه البزار بإسناد حسن

ففي الحديث قال ﷺ " لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها " [1]

ولقد تواترت أقوال العلماء في الحث على حسن تبعل الزوج وطاعته ، وحفظه في نفسه وماله ، فمن أجمل ما قيل في الآداب الجامعة للمرأة تجاه زوجها : (يجب أن تكون قاعدة في قعر بيتها ، ملازمة لمغزلها ، لا يكثر صعودها ، قليلة الكلام لجيرانها ، تحفظ بعلها في غيبته وحضرته ، تطلب مسرته في جميع أمورها ، ولا تخونه في نفسه وماله ، لا تخرج مـــن بيتها إلا بإذنه ، فإن خرجت بإذنه فمتخفية ، تطلب المواضع الخالية ، دون الشوارع والأسواق ، همها صلاح شـــأنها ، وتدبـــير بيتها ، مقبلة على صلاتها ، وصيامها ، قانعة من زوجها بما رزقه الله ، تقدم حقه على حق نفسها ، وحق سائر أقاربها ، متنظفة في نفسها ، مستعدة في جميع الأحوال كلها للتمتع بها " [2]

ولقد بين الشرع أن حسن تبعل الزوجة لزوجها يعدل الصيام والقيام والحج بعد الحج ، والجهاد في سبيل الله .. [3] ، فأي حق أعظم من حق الزوج عليها ! وأي أجر ينتظرها إن أدت حقه وأحسنت تبعلها له!

(١)أخرجه الترمذي وقال : حسن صحيح ، حديث رقم (١١٥٩)

(٢)موعظة المؤمنين للقاسمي ص١١٨ بتصرف .

(٣) ففي الحديث عن ابن عباس ﷺ قال : " جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! أنا وافدة النساء إليك ، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال ، فإن يصيبوا أُجروا ، وإن قُتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون ، ونحن معشر النساء نقوم عليهم ، فمالنا من ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ : أبلغي من لقيت من النساء : أن طاعة الزوج والاعتراف بحقه ، يعدل ذلك ، وقليل منكن من يفعله " رواه البزار مختصراً والطبراني في حديث آخره " ثم جاءته يعني النبي ﷺ امرأة فقالت : إني رسول النساء إليك "

خاتمة : الفصل الأول

وهكذا نرى أن رضي الله تعالى هو الفوز الحقيقي والمثوبة العظمى ، والأجر الأكبر الذي يلحق المؤمنين في الجنان حين اتصفوا بصفات – أهل الرضا – الذين امتدحهم تعالى بها في كتابه الكريم ،

فهؤلاء المؤمنون الخلص ، حينما علموا أن رضاه تعالى هو أعظم فوز ، وأكرم أجر ، تسابقوا إليه فصار رضاه تعالى غاية مناهم – من أجله يعيشون ، وله يبذلون ، فسطر لهم القرآن أروع الثناء ، وأجل المدح حيث ابتغوا رضوانه تعالى في جميع أفعالهم – جلها ودقها – كما ابتغوا رضاه في أقوالهم فصارت منتقاة فلا يخرج منهم إلا ما يرضيه تعالى من ألفاظ – بل وراقبوا خلجات قلوبهم فأخلصوا نواياهم لله فصلحت أعمالهم حيث صارت جميعها – من أجل رضا الرحمن وسارعوا إلى الطاعات التي هي أعمال موجبة لرضاه تعالى ولهجت ألسنتهم دعاءً وطلباً لرضاه ..

ثم حرصوا – بعد ذلك كله – على رضا كل من تعلق رضاه برضا الرحمن فاتبعوا هدى خير الأنام المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم خير السلام ، كما حرصوا على رضا والديهم لأن في رضاهما رضا الديّان ، كما حرص نساءهم على رضا أزواجهن لينلن بذاك الرضا الجنان .. فلقاهم تعالى منه الرضوان فرضي عنهم وأرضاهم

ويطيب لنا – ونحن نختم جولتنا في رياض الرضوان – نسير بين حدائقها الغناء... ، ونستنشق عبير أشجارها الفيحاء – أن نذكر أن للرضا درجات متفاوتة عند الله .

كما يقول تعالى {هم درجات عند الله}(آل عمران:من آية ١٦٣) وكلما ازداد درجة كلما ازداد قربى عند الله.

فلكل امرء شرب معلوم .. وجزء مقسوم .. حسب ما وفق للطاعات وصلحت سريرته - التي هي مناط قبول الأعمال - وجاهد نفسه ... فنال أعلى المكرمات

وهذا الرضا الذي تلحقه المثوبة - وهو ذاته أعظم مثوبة كما قال تعالى {ورضوان من الله أكبر }(التوبة: ٧٢) هذا الرضا .. منه تعالى حِلٌّ لكل مؤمن موحد يؤمن بالله ويتبع رسوله .. - وإن كانوا فيما بينهم متفاوتون حسب درجاتهم في الرضا - .

محروم منه كل من حُرِّمت عليه الجنان .. من أهل الكفر والشرك والضلال ، فأعظم عقوبة تلحقهم حرمانهم رضاه تعالى ، كما أن أكرم مثوبة تلحق المؤمنين رضاه تعالى ورؤيا وجهه الكريم .. ، وصدق القائل {ورضوان من الله أكبر}(التوبة:٧٢) .

كما يطيب لنا أن ننتقل - بعد خاتمة فصل رضا الله - إلى فصل آخر يتعلق بكيفية رضا البشر ، فكيف يرضى العبد ؟ وبم يرضى ؟ وما جزاء هذا الرضا ؟

أسئلة أجيب عليها وعلى غيرها - بإذن الله تعالى - في الفصل التالي بعنوان :

رضا البشر

الفصل الثاني

رضا البشر

مدخـــل:

تعريف الرضا لغة واصطلاحاً :

تعريف الرضا لغة :

رضي :

(الراء والضاد والحرف المعتل أصل واحد يدل على خلاف السخط ، نقول رَضِيَ يرْضى رِضاً وهو راض ، ومفعوله مرضيٌ عنه) [١]

وتثنيةُ الرضا رَضوان ورِضيان وقد رَضِيَ يرضَى رِضاً ورُضاً ورِضوانا ورُضواناً ، ورضيت عنك وعليك رضاً عداه بعلى لأنه إذا رضيت عنه أحببته وأقبلت عليه ، لذلك استعمل على بمعنى من) [٢]

ولقد أشكل عليَّ كتابة مصدر الفعل رضي هل يكتب بالألف المقصورة أم الممدودة فتارة أجد من يجعل الأصل فيه الياء - أي أنه مصدر يائي فعلى ذلك تكتب بالألف المقصورة .

ففي الصحاح قال (في كلمة رضوان:من العرب من يقولها بالياء على الأصل والواو أكثر) [٣] فجعل الأصل فيها الياء ..

---

(١) المقاييس في اللغة لابن فارس ٢/٤٠٠

(٢) لسان العرب ، ١٤/٣٢٣

(٣)الصحاح للجوهري ، ٦ / ٢٣٥٧

وفي لسان العرب ، ومجمل اللغة " رضِي يرضى رضىً " [1] جعلها مقصورةً

وجاء في لسان العرب ما نصه (وهو مقصور وفي الحديث " اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك " [2]

وتارة أجد من يجعل الأصل فيها الواو - أي أنها مصدر واوي وهي على ذلك تكتب بالألف الممدوة وذلك كثير في كتب اللغة .

ففي جمهرة اللغة يقول صاحبه في جبل رَضْوَى : (وأحسب اشتقاقه من الرضا لأن أصل الرضا الواو ونقول: رِضْوان ورَضْوَى في وزن شَكْوَى)[3] فجعل الأصل فيها الواو

وكذلك في لسان العرب، قال:

رَضِيَ يَرْضَى فهو مَرْضِيٌّ ومنهم من يقول مَرْضيوٌّ لأن الرضا في الأصل من بنات الواو [4]

ثم توصلت في النهاية إلى أن مصدر الفعل رضيَ يجوز فيه الوجهان فيجوز أن يكتب بالألف المقصورة كما يجوز كتابته ورسمه بالألف الممدوة وذلك لاختلاف العرب في أصل الفعل ..

---

(1) الصحاح للجوهري ، ٦ / ٢٣٥٧

(٢)سبق تخريجه وفي الحديث دليل على أن لفظ الرضا مقصور وليس مهموز إذ لو كان منتهياً بهمز لقال " برضاءك "

(٣) جمهرة اللغة ٢ / ٢٦٨

(٤) لسان العرب ١٤ / ٣٢٤

ففي المرشد في الإملاء جاء ما هو نصه :

(هناك بعض الأسماء يجوز رسمها بالألف الممدودة ، والمقصورة ومنها الخطا : الخطى ، الرضا : الرضى ، الخنا : الخنى ، الدُرى : الدرا ، الرشى : الرشا) [1]

فعلى ذلك يجوز رسمها على الوجهين . ولقد اخترت كتابتها بالألف الممدودة [الرضا] لأنها الأغلب في كتب اللغة ولترجيح كونها مصدراً واوياً من قبلهم .

ففي معظم كتب اللغة رضي يرضى رضاً بالممدود وقلّ أن تجد من يكتبها رِضَي يرضى رضىً بالمقصور وكلاهما صواب والله أعلم .

والمراد بالرضا اصطلاحاً :

طيب النفس مع الموافقة لأحكام الله وتقديم اختياره للعبد دون تردد أو معارضة [2] .

---

(١) المرشد في الإملاء ، د. محمود شاكر سعيد ، ص٣٢

(٢) هذا التعريف المختار لديّ بعد الجمع بين التعريفات العديدة لمعنى الرضا كما سيأتي قريباً

الفصل الثاني : رضا البشر

وينقسم إلى :

الرضا المحمود

الرضا المذموم

أولاً : الرضا المحمود

وفيه مدخل وتمهيد وأربعة مباحث

المبحث الأول : الرضا بالله ، والرضا عن الله

المبحث الثاني : الرضا بالرسول ﷺ

المبحث الثالث: الرضا بالدين

المبحث الرابع : ثمار الرضا

خاتمة

تمهيد:

أستفتح هذا الفصل - الطيب - إن شاء الله - ببشرى المصطفى ﷺ لكل من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبنبيه محمد ﷺ رسولاً باستشعار حلاوة الإيمان ، وهذا الاستشعار دليل على تحقق الإيمان في قلب المؤمن حتى صار حلوَ المذاق ، فرضا البشر المحمود : هو الرضا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ، فإذا استكمل صاحبه الرضا ؛ ذاق حلاوة الإيمان .

يقول ﷺ " ذاق طعم الإيمان من رضيَّ بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً " [1]

عند تأمل هذا الحديث الرائع من جوامع كلمه ﷺ يتبين أن مذاق الإيمان الطيب وحسن حلاوته [2] لا يستشعرها إلا من كمل إيمانه وأنار الله بصيرته فهو على نور من ربه يهديه إلى الرضا به إلهاً خالقاً معبوداً فيسخط ما سواه من معبودات فلا معبود بحق إلا هو تعالى فيأتمر بأمره وينتهي عند نهيه ويسير على صراطه المستقيم فلا يضل ولا يشقى .

١

(١) : أخرجه مسلم – واللفظ له – كتاب: الإيمان باب: الدليل على أن من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولاً فهو مؤمن .. حديث رقم (٣٤) ؛ والترمذي جـ٥ ، كتاب الإيمان ، باب: ما جاء في ترك الصلاة حديث رقم (٢٦٢٣) ، وفيه " وبمحمد نبياً " كلاهما من حديث العباس ﷺ

(٢)كما في الحديث "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان .." أخرجه البخاري في الإيمان ، باب: من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُلقى في النار من الإيمان ، حديث ٢١ ؛ ومسلم في الإيمان باب: خصال من اتصف بها وجد حلاوة الإيمان حديث رقم(٤٣) .

فيرضى بالإسلام دينـاً لأنه هو النهج القويم ، والصراط المستقيم ، فلا يبتغي سواه ديناً لأنه يعلم أنه { ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين }(آل عمران :٨٥) .

كما يرضى بنبيه محمد ﷺ رسولاً ونبياً ، فلا يتخذ سواه حكماً وأسوة ، ويحمد الله تعالى أن شرّفه فجعله في أمة خير الأنام : محمد بن عبدالله عليه وعلى آله وصحبه أفضل السلام .

يقول الإمام ابن قيم الجوزية:(وعند تأمل هذه الآيات {قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء}(الأنعام: ١٦٤)، { قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض } (الأنعام: ١٤) { أفغير الله ابتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً }(الأنعام:١١٤) ، نجد أنها هي الرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، فهناك من يرضى به رباً لكن لا يتخذه ولياً ، وموالاته تعالى توجب موالاة أنبيائه والرضا به تعالى حَكَماً يعني الرضا بدينه فلا يتحاكم ولا يخاصم إلا إليه ولا يرضى إلا بحكمه) [١]

فمن رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً فقد (صح إيمانه واطمأنت نفسه ، وخامر الإيمان باطنه ، لأن رضاه بالمذكورات دليل على ثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ، ومخالطة بشاشة قلبه ، لأن من رضيَ أمراً سُهل عليه ، فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سُهل عليه طاعات الله تعالى ولذت له) [٢] .

---

(١)مدارج السالكين ١٨٩/٢-١٩٠ بتصرف.

(٢)شرح صحيح مسلم للنووي فيما عزاه إلى القاضي عياض جـ٢/

فلفظ : ذاق طعم الإيمان : (عبارة عما يجده المؤمن المحقق في إيمانه المطمئن قلبه به في أن أنعم عليه بالإسلام ، ونظمه في سلك محمد ﷺ خير الأنام ، وحبب إليه الإيمان والمؤمنين وبغّض إليه الكفرة والكافرين ، وأنجاه من قبيح أفعالهم وأحوالهم ، وعند مطالعة تلك المنن ، والوقوف على تفاصيل تلك النعم ، تطير القلوب فرحاً وسروراً ، وتمتلئ إشراقاً ونوراً فيالها من حلاوة ما ألذها ! وحالة ما أشرفها ! فإن المؤمن عند تذكر تلك النعم والمنن لا يخلو من إدراك تلك الحلاوة ، غير أن المؤمنين في تمكنها ودوامها متفاوتون ، وما منهم إلا وله شرب معلوم ،بحسب ما قسم لهم من هذه المجاهدة الرياضية والمنح الربانية ، نسأل الله تعالى أن يمن بدوامها ، وكمالها من بدايتها وحصولها) [1]

فعلى ذلك فإن الرضا المحمود ينقسم إلى : الرضا بالله تعالى ، ويندرج تحته الرضا عن الله ، ثم الرضا بالرسول ﷺ ، والرضا بالإسلام ديناً .. وهذه هي مباحث هذا الفصل الأساسية ، ثم أختم هذا الفصل بمبحث ثمار الرضا .. وهو عبارة عن نتائج وآثار هذه المباحث الثلاث ، فإلى المبحث الأول بعنوان :

الرضا بالله والرضا عن الله

(١)[الإمام القرطبي : أبو العباس أحمد بن عمر ، المفهم شرح صحيح مسلم ، الطبعة الأولى ، تحقيق وضبط . مجموعة من العلماء ، دار الكتاب المصري – مصر ، دار الكتاب العربي اللبناني – بيروت ، التاريخ:[دون]] ١/١٦٦-١٦٧ بتصرف

المبحث الأول

الرضا بالله والرضا عن الله

وفيه مطالب :

المطلب الأول : الرضا بالله

المطلب الثاني : الرضا عن الله

المطلب الثالث : نماذج لأحاديث الرضا بالله والرضا عن الله

المطلب الرابع : الرضا بالقضاء والقدر

المطلب الخامس : الرضا بالمثوبة والأجر

المطلب السادس : المصطفى سيد الراضيين

المطلب الأول : الرضا بالله

المسألة الأولى: معنى الرضا بالله وحقيقته

يــــراد برضــــا العبد بالله تعالى : عبادته تعالى ، بالخضوع له ، والانقياد لشرعه بالاستسلام له والائتمار بأمره ، والانتهاء لنهيه تعالى ، والرضا بقضاءه وقدره وحُكمه ، .... و كل ذلك من الرضا به تعالى إلها ومعبوداً ..

ولقد عرّف العلماء الرضا بالله بعدة معان :

١- تقبل ما يقضي به الله دون تردد ولا معارضة (١)

٢-سكون القلب إلى أحكام الله وموافقته على ما رضي واختار (٢)

٣-سكون القلب وطمأنينته إلى قديم اختيار الله للعبد أنه اختار له الأفضل ، فيرضى به (٣)

٤-سرور القلب بِمُر القضاء (٤)

٥-طيب النفس بما يصيبه ويفوته مع عدم التغيير (٥)

٦-الوقوف الصادق مع مراد الله الديني حقيقة من غير تردد ولا معارضة (٦)

٧-صحة العلم الواصل إلى القلب فإذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلى الرضا (٧)

---

(١)موسوعة أخلاق القرآن للشرباصي ، ٦١/١

(٢)المفهم شرح صحيح مسلم للقرطبي ، ١٦٨/١

(٣)لوامع الأنوار البهية للسفاريني ، ٣٥٩/١ ؛ وانظر مدارج السالكين ، ١٨٢/٢

(٤)المفهم شرح صحيح مسلم ٦٨/١

(٥) التوقيف على مهمات التعريف ، ص٣٦٥

(٦)مدارج السالكين ، ١٨٧/٢ لابن قيم ونس هذا التعريف لابن تيمية ورد عليه رداً مفصلاً يغني عن ردي عليه من أحب فليراجعه .

(٧)لوامع الأنوار البهية للسفاريني ، ٣٥٩/١ وكما نرى فإن هذا سبب للرضا وليس تعريف .

وكما نرى فهي معان متقاربة مترادفة قد تكون جميعها مرادة إلا أن تعريف الرضا بأنه القبول ، والموافقة ، وطيب نفس أولى من تعريفه بالسكون والسرور والوقوف- والله أعلم -

كمـــا أن أحكام الله تعطي دلالة أكبر من مجرد القضاء والقدر [1] (دون تردد أو معارضة) مناسب لمعنى الرضا ضد السخط لأن المعارضة أو مجرد التردد تتنافى مع الرضا التام .

كما أن التعريف الأخير هو سبب للرضا وليس هو الرضا ..

وعلى ذلك فإن التعريف الذي اختاره للجمع بين هذه التعريفات هو

[طيب النفس مع الموافقة لأحكام الله وقديم اختياره للعبد دون تردد أو معارضة]

فالمؤمن الحق هو الذي يتقبل أحكام الله ، بقلب مطمئن ، ونفس طيبة راضية ، فلا يضجر ولا يتردد عند شرعه ، كما لا يتسخط ولا يشكو عند نزول المصاب لأنه يعلم أن الكون كله تقدير حكيم وتدبير خبير و عليم .

---

(١) فالأحكام تطلق ويراد بها حكمه تعالى في الكون وتصريفه أي قضاؤه وقدره الكوني ، كما تشمل قضائه عليه وقدره كما تشمل الأوامر والنواهي (الأحكام الشرعية) والرضا بحكمه يشمل التسليم بذلك كله .

فهو يردد صباح مساء قوله تعالى {قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيءٍ ...}(الأنعام:١٦٤)

(أي أغيره تعالى أبتغي سيداً وإلهاً ، فكيف أبغي غير الله رباً والذي تدعونني إلى عبادته مخلوق مثلي لا يقدر على نفع أو ضر ، والله رب كل شيء)[١]

وقولـــه تعـــالى {قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض }(الأنعام:١٤) أي : كيف أتخذ غير الله معبوداً وأترك عبادته وهو فاطر السموات والأرض[٢]

فمن اتخذه رباً نبذ عبادة ما سواه ، ورضي بدينه وحكمه ، وقضائه ، ومن اتخذ ولياً تبرأ من موالاة غيره تعالى إلا بإذنه ، ومن اتخذه وحده تعالى ولياً رضي بحكمه واطمأن إلى حسن اختياره فرضي في كل ما يرضيه تعالى لذلك قيل أن حقيقة الرضا بالله هي : موافقته سبحانه في رضاه

وينافي هذا الرضا أن يلح عليه متحكماً متخيراً عليه ما لم يعلم هل يرضيه أم لا ؟ كمن يلح عليه في قضاء حاجة ونحوها .. لأنه لا يعلم أن مرضاة الله في ذلك أم لا ..[٣]

---

(١)تفسير البغوي ، ١٤٧/٢ ؛ فتح القدير للشوكاني ، ٢١١/٢ بتصرف .

(٢)فتح القدير للشوكاني ، ١١٩/٢

(٣)مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ، ٢٤٨/٢

فعلى ذلك فإن حقيقة الرضا تكمن في التوافق التام مع المرضي عنه ، في أمره وفعله وحُكمه ، ويبلغ المؤمن أعلاه إذا لم يخطر في قلبه خلاف الرضا [1]

فإذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضي عن الله تعالى حقيقة الرضا [2] وقد قيل: يبلغ العبد الرضا إذا أقام نفسه مع الله على أمور: فيقول: إن أعطيتني قبلت ، وإن منعتني رضيت ، وإن دعوتني أجبت)[3] فعند ذلك يبلغ حقيقة الرضا.

المسألة الثانية: أقسام الرضا بالله

لما كان الإيمان بالله تعالى يشمل توحيد الألوهية ، وتوحيد الربوبية ، فيشمل الإيمان به تعالى إلهاً واحداً لا سواه ، كما يشمل الإيمان به تعالى رباً خالقاً رازقاً قادراً .. فكذلك الرضا به يشمل الرضا بألوهيته وربوبيته وعلى ذلك فأقسام الرضا بالله هي :

(١- الرضا بإلهيته : وتضمن الرضا بمحبته وحده ، وخوفه ، ورجائه ، والإنابة والتبتل إليه ، وانجذاب قوى الإرادة والحب كلها إليه : وذلك يتضمن عبادته والإخلاص له .

٢- الرضا بربوبيته: ويتضمن الرضا بتدبيره لعبده ، ويتضمن إفراده بالتوكل عليه، والإستعانة به والثقة به، والاعتماد عليه، وأن يكون راضياً بكل ما يُفعل به، فالأول يتضمن رضاه بما يأمر به، والثاني يتضمن رضاه بما يُقدر عليه)[4]

---

(١)فضل الله الصمد لفضل الله الجيلاني ، ٤٣/١

(٢)إتحاف السادة المتقين ، ٦٥٤/٩ نسبة إلى الفضيل بن عياض

(٣)لوامع الأنوار البهية للأسفرايني ، ٣٥٩/١

(٤)مدارج السالكين لابن قيم ١٨٠/٢

المسألة الثالثة: منزلة الرضا بالله

الرضا بالله تعالى – بقسميه – من أعظم مراتب الدين إذ لا يتحقق إيمان العبد، وتوحيده لله تعالى، ونبذ الشريك والمثيل عنه تعالى، إلا إذا رضي به رباً وخالقاً ومعبوداً (١) ، بل لا يتم الإيمان بنبيه ﷺ وبدينه والرضا بهما إلا إذا رضي بالله تعالى لذلك اعتبر الإمام ابن قيم الجوزية (الرضا بالله قطب رحى الدين) وعلل ذلك بقوله (وإنما كان قطب رحى الدين: لأن جميع العقائد والأعمال، والأحوال إنما تبنى على توحيد الله عز وجل في العبادة، وسخط عبادة ما سواه، فمن لم يكن له هذا القطب لم يكن له رحى تدور عليه، ومن حصل له هذا القطب ثبتت له الرحى، ودارت على ذلك القطب، فيخرج حينئذ من دائرة الشرك إلى دائرة الإسلام) (٢)

والمتأمل في حقيقة الرضا بالله تعالى يجد أنه هذا الخلق أساس كثير من العبادات القلبية فهو أساس حب الله والتوكل والشكر والثقة بالله .. وغيرها، فلا يرضى العبد بالله إلا إذا أحبه، ولا يتوكل عليه .. إلا عندما يحبه ويرضى به ويثق بعلمه وتدبيره ... وهكذا

وعلى ذلك فإن الرضا بالله (أخذ بزمام مقامات ا لدين كلها، وهو روحها وحياتها، فإنه روح ا لتوكل وحقيقته، وروح اليقين، وروح المحبة، وصحة المحب، ودليل صدق المحبة، وروح الشكر ودليله) (٣)

---

(١)لذلك كان حكم الرضا بالله تعالى فرض من آكد الفروض، إذ لا يتحقق الإيمان إلا به، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

(٢)مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، ١٩٤/٢

(٣)مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، ١٩٤/٢

والتلفظ بالرضا بالله تعالى وعن الله (سهلة بالدعوى واللسان ، وهي من أصعب الأمور عند حقيقة الاختبار ولا سيما إذا جاء ما يخالف هوى النفس، ومرادها من ذلك:تبين أن الرضا كان لسانه به ناطقاً، فهو على لسانه لا على حاله) [1] .

والرضا بالله تعالى وعن الله إذا حققه المؤمن في نفسه فإنه يحقق بذلك حسن الأدب والتعامل مع الخالق جل وعلا لذلك اعتبر الإمام ابن القيم الرضا : حسن الخلق مع الله حيث قال :

(والرضا يفتح باب حسن الخلق مع الله ومع الناس ، فإن حسن الخلق من الرضا ، وسوء الخلق من السخط ، وحسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم وسوء الخلق يأكل الحسنات) [2]

فعلى ذلك فإن جماع القول في منزلة الرضا :

إن الرضا جماع الخير ، وأسّ صلاح العبد ، وروح العبادة والدليل على صدق الإيمان بالله تعالى ، لذلك كانت وصية عمر بن الخطاب ﷺ في الأمصار

" أما بعد فإن الخير كُله في الرضا ، فإن استطعت أن ترضى ، وإلا فاصبر " [3]

---

(١)مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ، ١٧٩/٢

(٢)المصدر نفسه ٢٢٩/٢

(٣) المصدر السابق

المسألة الرابعة : كيفية الحصول عليه

وعلى ذلك فإن رضا العبد والذي يلحقه رضوان الله تعالى أعظم نعيم له في الجنان .. سهل المتناول يسير لمن يسره الله له ، فالحصول عليه يكمن في التسليم القلبي له تعالى والاطمئنان لحكمه والبعد عن الاعتراض والتسخط اللذين هما آفة الرضا ،

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (وشرط الرضا ألا يعترض على الحكم ولا يتسخطه) (١)

ولا يكون ذلك إلا لمن وفقه الله تعالى أولاً ، ورزقه – ثانياً – همةً عالية وعزيمة عظيمة – فيجرد حظ نفسه من نفسه ، ويخلص في توجهه لله تعالى ، فيراقبه تعالى في كل أمره ، فلا يعمر قلبه إلا رضاه ، ولا يتلفظ ، ولا يتحرك إلا برضاه تعالى.

وهناك عدة عوامل تساعد على تحقيق هذا الهدف الأسمى والإرب الأعظم وهي :-

١- المعرفة الحقة بالله تعالى باستشعار أسمائه وصفاته ،وخلقه ، ونعمه ، وآلاه في الكون عامة ، وللعبد خاصة.

فمن عرفه حق المعرفة أحبه تعالى ورضي به رباً ومعبوداً ، فلم يبتغ سواه إلهاً ولم يرض غيره معبوداً – حيث لا معبود بحق سواه – ولم يرض بدونه (فالعلم بكمال صفات الله وجمالها وجلالها يورث الرضا بالله وقضائه) (٢) ، فالرضا بالله ثمرة المعرفة فمن عرفه تعالى حقاً أحبه .. ، وإذا أحبه رضي به إلهاً ومعبوداً .

---

(١)مدارج السالكين ، ابن قيم ، ١٨٢/٢

(٢)اتحاف السادة المتقين للزبيدي ، ٦٤٦/٩ بتصرف

٢- استشعار افتقار العبد وعظم حاجته لله تعالى وأنه لا يقدر على شيء وأنه لا يتم غناء له عن الله طرفة عين ولا أقل من ذلك ولا أكثر .. فإذا استشعر عجزه وتقصيره (وأنه لا حول له ولا قوة إلا الله ، ولا دفع ولا منع ، ولا ضرر ولا نفع ، إلا بالله ، وأنه لولا عنايته به لمزقته الرياح ، واحتوشته الشياطين ، وتناهبته السباع ، وغرّقته البحار ، أدى حينئذ العبودية حقها ، فتصير خطرات المحبة مكان خطرات المصيبة ، وإرادة التقرب إليه ومرضاته مكان إرادة معاصيه ومساخطته) [١]

٣- استشعار العبد أن أحكام الله تعالى ماضية في الكون لا محالة وأن السخط لن يغير مما كتب الله شيء فلقد جفت الصحف بما هو كائن إلى يوم القيامة .

٤- أن يستشعر العبد أن ما يصاب به في الدنيا من مصائب ما هي إلا ابتلاء منه تعالى له وتمحيص فإما أن يرضى ويسلّم لينال الرضا منه تعالى – حيث خير الدنيا والآخرة – وإما أن يسخط فيكون جزاؤه سخطَ العظيم الجبار . وكفى بذلك عقوبة وهواناً ومقتاً ، ثم هو بعد ذاك السخط لن يغيّر مما كتب الله عليه شيء ، ويجري عليه القدر شاء أم أبى فيَجْمع بين مُصاب الدنيا ، ومُصاب الدين .

(١) نتائج الأفكار للسفاريني ، ١/١٨١-١٨٢

٥- التوكل الحقيقي على الله تعالى : وتفويض الأمر كله لله تعالى وذلك بالاعتماد الكامل إليه تعالى والاستسلام التام له - ثقة بحكمه - حسناً للظن به ، ويقيناً بعدله .

فإنه إن بلغ ذلك الحال وصل إلى الرضا يقول الأمام إبن قيم رحمه الله (فالرضا ثمرة التوكل ومن فسر التوكل بها ، فإنما فسّره بأَجَلِ ثمراته وأعظم فوائده ، فإنه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله ، وكان شيخنا [1] يقول : المقـــدور يكتنفه أمران : التوكل قبله ، والرضا بعده ، فمن توكل على الله قبل الفعل ورضي بالمقضي له بعد الفعل ، فقد قام بالعبودية) [2]

٦- الدعاء بطلب الرضا : والدعاء ليل نهار بطلب الرضا من الله تعالى سبب في حصوله وتحققه ولقد كان الدعاء بطلـــب الرضا دأب أسوتنا وقدوتنا المصطفى ﷺ ، فلقد أثر عنه ﷺ الكثير من الأدعية التي يُعلم فيها المصطفى ﷺ أمته الدعاء بطلب رضا الله [3]

---

(١) المراد به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله
(٢) مدراج السالكين ، ١٢٧/١-١٢٨ ، وانظر أقوال الإمام ابن تيمية في الفتاوى (٧٦/٨-٧٧)
(٣) انظر تعليمه ﷺ أمته طلب رضا الله

المسألة الخامسة: علامات تحقق الرضا بالله

هناك علامات ودلائل يعرف من خلالها تحقق الرضا بالله في نفس المؤمن وما لم تتحقق هذه العلامات ، ولم نلمس وجودها في واقع الحياة .. كان الرضا بالله مجرد دعوى يتلفظ بها اللسان دون بينة أو دليل ..

وهذه العلامات هي :

١] محبة الله تعالى وتعظيمه :

فيكون الله تعالى أحب إليه مما سواه ، ويقدم حبه تعالى على كل من عداه ، ولا يحب بعده إلا من أحبه الله فتكون محبته له تبعاً لمحبة الله ، كما يعظم الله تعالى في قلبه حق التعظيم ، فلا يكبر ولا يعظم في قلبه غير الله ، ويكون الله تعالى في نفسه أعظم وأكبر وأجلّ من كل ما سواه .

ومما يعين على تحقق محبته تعالى وتعظيمه في القلب : معرفة الله تعالى بصفاته العلا فيستشعر العبد عظيم نعمه ومننه وتدبيره وحكمته وربوبيته في خلقه ، كما يستشعر صفات جلاله تعالى من قوة وعظمة وقدرة وملك وعز فيعظمه حق التعظيم ، ويحبه أعظم الحب وهو مع استشعاره عظيم قدرته وعزه وملكوته وبطشه وجبروته تعالى ، يستشعر فقره وضعفه وعجزه وانكساره بين يديه لتحقق عبوديته لله تعالى كما يجب .

فلا تتحقق العبودية (إلا بكمال الذل والإنكسار لله وذلك عند معرفة العبد ربه فإذا عَرَف العبد ربه بقلبه معرفة حقيقية عرف أنه عاجز ضعيف ، فتزول عنه الدعاوى والإضافات إلى نفسه ، ويعلم أنه ليس له من الأمر شيء ، فإذا تمكنت المسكنة والذلة والإنكسار من القلب ، وعرف نفسه بالعجز والتقصير ، وأنها متصفة بكل عيب ، أدى حينئذ العبودية حقها ، فتصير خطرة المحبة مكان خطرات المصيبة ، وإرادة التقرب إليه ومرضاته مكان إرادة معاصيه ومساخطته ، وحركات اللسان والجوارح بالطاعات مكان حركاتها بالمعاصي ، قد امتلأ قلبه من محبته ، ولهج لسانه بذكره وانقادت الجوارح بطاعته ..)أهـ [1]

٢] دوام ذكره تعالى باللسان والجنان :

وهو نتيجة محبته تعالى وتعظيمه (فعلامة حب الله : كثرة ذكره ، فإنك لن تحب شيئاً إلا أكثرت ذكره) [2]

ولما كان المصطفى ﷺ أعلم الأمة وأشدهم له حباً " كان ﷺ يذكر الله على كل أحيانه [3] (قائماً وقاعداً ومضطجعاً وماشياً ..) لعظيم قدر الله تعالى في نفسه .

---

(١) نتائج الأفكار للسفاريني ، ص٢٨١-٢٨٢
(٢) جامع العلوم والحكم ، ٣٨٧
(٣) سبق تخريجه ص ١٤٠

٣] الرضا بالقضاء والقدر

قد أسلفت : أن حقيقة الرضا هي موافقته تعالى في رضاه فيرضى العبد بما رضي له الله تعالى من أقدار .. لا إرادة له فيها ، وليس الشأن في القدر الموافق لهوى النفس إذ الموافقة عليه ميسورة ، إنما الشأن في القدر المخالف للهوى ، فالرضـــا به دليل وعلامة الرضا بالله تعالى ، فالتسخط على الأقدار ، والتشكي من المصاب يتنافى مع الرضا به تعالى وبحكمه كما يتنافى مع وجوب موافقته تعالى على رضاه .

٤]ومن علامات الرضا به تعالى الرضا بكل من يرضى عنه تعالى : فالرضا بالرسول ﷺ نبياً ورسولاً واتباع شرعه من لوازم الرضا به تعالى ومحبته يقول تعالى {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ..}(آل عمران:من آية ٣١)

كما أن من علامات الرضا به الرضا عن أوليائه وأحبائه تعالى من المؤمنين فيحبهم ويواليهم لأن في محبتهم رضا الله كمـــا أن في بغضهم وإيذائهم سخط وغضب الله تعالى وعظيم عقابه ، يقول تعالى في الحديث القدسي " من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب .." [١] كما يبغض ويتبرأ ممن يبغض الله تعالى ويسخط عليه من الكافرين والمشركين .

(١) أخرجه البخاري في الرقاق ، برقم (٦٥٠٢)

٥] من علامات الرضا به تعالى : الرضا بدينه وحكمه وشرعه الذي شرعه للعباد ورضيه لهم ديناً

يقول الإمام ابن قيم الجوزية (فمن عظَّمَه - تعالى - حق التعظيم ، وقدَّرَه حق قدره علم أنه لا يستحق العبادة سـواه ، فلا معبود بحق إلا هو سبحانه ،فيكلُ أمرهُ إليه ، ويطيعه في كل ما يأمر به ، وينهى عنه ، وطاعته لسوى الله تعالى إنما تكون بطاعتهم لله ، فلا يطيع من البشر إلا من أمر بطاعة الله ، وإلا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) (١) كما أنَّ من لوازم الرضا به تعالى البغض والتبرؤ من عبادة غير الله ، فيوالي من والى الله ويعادي من عادى الله فـلا يرضى بالكفر والشرك لأن الله لا يرضاه يقول تعالى عن نفسه {.. ولا يرضى لعباده الكفر ..}(الزمر:٧) ، كما يكره أهله ويستعيذ من طريقهم .

فمعنى (الرضا بالله رباً : أن يسخط عبادة ما دونه ، فمن أعطي الرضا به رباً حقه ؛ سخِط عبادة ما دونه قطعاً لأن الرضا بتجريد ربوبيته يستلزم تجريد عبادته) (٢)

٦] المسارعة إلى النوافل ، والمداومة على القربات التطوعية من صالح الأعمال لأن فيها رضا الرحمن وعظيم محبته للعـبد - فمن الرضا بالله محبة كل ما أحبه الله وقد قال تعالى في الحديث القدسي في شأن النوافل " وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه " (٣)

---

(١) مدراج السالكين ، ٢/١٩٠

(٢) المصدر نفسه ، ٢/١٩٠

(٣) هذه طرف من رواية البخاري السالفة الذكر حديث رقم ٦٥٠٢

المطلب الثاني: الرضا عن الله

المسألة الأولى: معنى الرضا عن الله

الرضا عن الله تعالى: يتمثل في رضا العبد بما يجري عليه من أقدار الله فلا يسخط ولا يتذمر عند نزول المصيبة بل يتقبل كل ما يصدر من الله تعالى بنفس راضية، وقلب ساكن مطمئن لذلك قيل:

معنى الرضا عن الله: هو ألا يكره ما يجري به قضاؤ الله [١]، فيتقبل قضاءه دون تردد أو معارضة.

ويبلغ الرضا عن الله أعلاه إذا بلغ مرتبة (سرور القلب وسكينة النفس، بقضاء الله وقدره، خيره وشره حلوه ومره)[٢] وهذا في شأن الرضا عنه تعالى في الدنيا أما في الآخرة فإن العبد يرضى عن الله عندما يلقى مثوبته وأجره في الجنان، فوق ما يرجو وأعظم مما يؤمل، فيرضى عن الله تعالى.

المسألة الثانية: منزلة الرضا عن الله

منزلة الرضا عن الله تعالى منزلة تالية لمنزلة الرضا به ومنبثقة منه، فالرضا بالله يتضمن الرضا عن الله لأن من رضي بالله رباً وإلهاً مدبراً رضي بحكمه وقضائه واطمأن إلى حسن تدبيره ووثق في عظيم حكمته فرضي عن الله .. فرضي الله عنه.

هذه المنزلة منزلة الأخيار من خلق الله تعالى الذين قدروا الله حق قدره فاطمأنوا إلى عظيم حكمته تعالى وتدبيره ..

---

(١) المفردات للراغب الأصفهاني ص١٩٧

(٢) التعريفات للجرجاني، ص ١١؛ وانظر [د. أحمد بن عبدالعزيز الحداد، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، دار الغرب الإسلامي] ١/ ٩٥

فهو من أشرف أنواع العبودية لكنه لا يكلف به كل أحد - كالرضا بالله - إذ لا يستطيع عليه إلا من وفقه تعالى لرضـــاه فعلى ذلك فإن حكم الرضا عنه تعالى : مستحب (فهو وإن كان من أجلّ الأمور وأشرف أنواع العبودية لم يُطالب به العموم لعجزهم عنه ، ومشقته عليهم) (١)

المسألة الثالثة: الفرق بين الرضا عن الله والرضا بالله

سبق أن بينت أن الرضا بالله يعنى عبادته تعالى وحده ، ونبذ عبادة ما سواه

أما الرضا عنه تعالى فمعناه : أن يرضى العبد عن الله فيما يكتبه تعالى عليه من قضاء وقدر ، وفيما يعطيه إياه من ثواب وكرامة في الدنيا والآخرة ، فالرضا بالله : (الرضا به مدبراً ، والرضا عنه : الرضا عنه فيما قضى) (٢)

والرضـــا عنه تعالى تابعاً للرضا بالله ، فالرضا بالله أصل للإيمان والرضا عن الله ثمرة هذا الأصل ، فالعلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص مطلق .

ولقد أشار الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله – إلى هذه الفوارق (٣) بين الرضا بالله والرضا عنه فقال :

١)الرضا بالله رباً أعلى شأناً وأرفع قدراً ودرجته مختصة بالمؤمنين بينما الرضا عن الله مشتركة فإن الرضا بالقضاء يصح من المؤمن والكافر : وغايته : التسليم لقضاء الله وقدره ، فأين هذا من الرضا به رباً ومعبوداً ؟

---

(١)لوامع الأنوار البهية للإسفراييني ، ٣٦٠/١

(٢)المفهم شرح صحيح مسلم ، ١٦٧/١

(٣)مدارج السالكين ، ١٩٢/٢-١٩٣

٢)الرضــا فرض بل هو آكد الفروض باتفاق الأمة فمن لم يرض به رباً لم يصح له إسلام ولا عمل ولا حال أما الرضا بالقضاء فالأكثرون على أنه مستحب (١) ليس بواجب فالفرق بين الدرجتين فرق بين الفرض والواجب.

٣)الرضا به رباً يتضمن الرضا عنه ويستلزمه فإن الرضا بربوبيته : هو رضا العبد بما يأمر وينهاه عنه ويقسمه له ويقدره عليه ، فالرضا بالله رباً من كل وجه يستلزم الرضا عنه ويتضمنه بلا ريب .

٤) الرضا بالله رباً متعلق بذاته وصفاته وأسمائه وربوبيته أما الرضا عنه فهو رضا العبد بما يفعله ويعطيه إياه ولهذا لم يجئ إلا في الثواب والجزاء {رضي الله عنهم ورضوا عنه}(المائدة:١١٩) ،

فالرضا به متعلق بأسمائه وصفاته والرضا عنه متعلق بثوابه وجزائه .

٥)الرضا به أصل الرضا عنه والرضا عنه ثمرة الرضا به

---

(١)هذا هو مذهب الجمهور وسيأتي تفصيله في مبحث القضاء والقدر

المطلب الثالث :

نماذج لأحاديث الرضا بالله والرضا عن الله [1] :-

بعـــد أن بينا معنى الرضا بالله ، يطيب لنا أن نرتع في ذكر الأخبار ممن عرفوا الله تعالى فرضوا به وبقضائه وقدره فلقّــاهم منه تعالى جنة ورضوانا ،فهناك نماذج رائعة لمواقف بعض المؤمنين من أقدار الله وأحكامه تعكس رضاهم عنه تعالى رباً ومعبوداً، فمن هذه النماذج :

النموذج الأول :

قصة هاجر أم إسماعيل عليه السلام :

فقـــد جاءت سيرتها العطرة تجسد لنا ذلك الرضا واليقين بالله ، فلم تتضجر ولم تتبرم عندما تركها إبراهيم عليه السـلام مع وليدها بواد غير ذي زرع نتيجته الحتمية لدى البشر:الهلاك لا محالة، فتنادي إبراهيم عليه السلام حين تـــركها مع وليدها وانصرف مولياً عنها(يا إبراهيم! إلى من تتركنا؟ قال:فيجيب إلى الله، فتقول بصدق ويقين:رضيت بالله) [2] ، بهذا الإيمان الراسخ تجيب ، وبهذا اليقين الذي تزول عنه شوامخ الجبال تتحدث ، فترضى بالله تعالى فلم يضيعها الله ...

وهي مع ذاك الرضا العظيم تأخذ بالأسباب فتصعد جبلاً وتهبط عن آخر بحثاً عن ماء .. وقد أعياها العطش حتى إذا أتمت سبع أشواط بين الصفا والمروة يَمنُّ الله عليها بانبثاق ماء زمزم ، جزاء رضاها بالله واستجابةً لدعوة إبراهيم علـــيه السلام (٣) ، فتكون الحياة في هذا الوادي لها ولوليدها ،و للأمم إلى يوم الدين ففي الحديث (قال : فانبثق الماء فدهشت أم إسماعيل .. فجعلت تشرب من الماء ، ويدر لبنها على صبيها ،فمرَّ ناسٌ من جرهم ببطن الوادي فإذا هم بطير كأنهم أنكروا ذلك وقالوا : ما يكون الطير إلا على ماء فبعثوا رسولهم فنظر فإذا هم بالماء ، فأتاهم فأخبره ، فأتوا إليها فقالوا : يا أمُّ إسماعيل أتأذنين لنا أن نسكن معك ... الحديث)

---

(١)لم أرد في هذا المطلب استيعاب جميع أحاديث الرضا بالله وعنه فهي كثيرة إنما اقتصرت على ما ورد في الكتب الستة التي هي صلب بحثي بنص الرضا بالله وعن الله .

(٢) أخرجه البخاري جــ٤ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب:٩ ، حديث رقم (٣٣٦٥)

(٣)دعاء إبراهيم هو ماسجله القرآن الكريم عنه في قوله تعالى { رب إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ...} (ابراهيم:من آية ٣٧)

النموذج الثاني :

قصة رجل من بني إسرائيل:

يخبرنا عنه الصادق المصدوق ﷺ أنه رضي بالله تعالى شهيداً على ماله ، ورضي به كفيلاً فيُدين ماله دون شهادة أو كفالة البشر ، فكفى بالله شهيداً وكفى بالله كفيلاً ، فكان جزاء رضائه بالله ، وتوكله العظيم به ، أن ساق الله إليه ماله في الماء في الأجل المحدد ففي الصحيح عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه ذكر " أن رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال : ائتني بالشهداء أشهدهم فقال : كفى بالله شهيداً ، قال: فأتني بالكفيل ، قال:كفى بالله كفيلاً ،قال:صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى،فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركباً،فأخذ خشبةً فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ...ثم أتى بها إلى البحر فقال:اللهم إنك تعلم أني كنت تسلّفت فلاناً ألف دينار فسألني كفيلاً فقلت كفى بالله كفيلاً فرضي بك وسألني شهيداً فقلت:كفى بالله شهيداً فرضي بك،وإني جَهَدْتُ أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر،وإني أستودِعُكها،فرمى بها في البحر حتى وَلَجت فيه ثم انصرف...فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعمل مركباً قد جاء بماله فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطباً فلما نشرها وجد المال والصحيفة " [1]

فكان جزاء الرضا به تعالى وحده كفيلاً وشهيداً أن ساق الله ماله عليه وحمله إليه في البحر في الأجل المحدد .

([1]) أخرجه البخاري جـ٣ ، كتاب : الكفالة في القروض والديون ، حديث رقم (٢٢٩١)

النموذج الثالث:

يتمثل هذا النموذج في رضا خير الأولين والآخرين ، واستسلامه لشرع الله وحكمه في فرض الصلاة خمس صلوات ، بعد أن سأل ربه تعالى مراراً التخفيف رحمة بالعباد .

ففي حديث الإسراء الطويل: (... قال ﷺ " ... ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى، فقال:بم أُمرت؟ قال: أُمرت بخمسين صلاة كل يوم،قال:إن أمتك لا تستطيع... فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فرجعت فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثله..وهكذا خُففت الصلاة عشراً عشراً إلى أن بلغت خمس صلوات في كل مرة يرجع ﷺ إلى موسى فيدعوه إلى الرجوع ومسألة التخفيف وبعد أن خففت خمس قال له موسى "إن أمتك لا تستطيع... فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك" حينها يقول ﷺ "سألت ربي حتى استحييت،ولكن أرضى وأُسلم.قال:فلما جاوزت ناداني مناد:أمضيتُ فريضتي وخفّفتُ عن عبادي) (١)

النموذج الرابع:

النموذج التالي من أمة محمد ﷺ يتجلى في موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه صديق هذه الأمة وخيرها وأفضلها بعد المصطفى ﷺ حينما رد جوار ابن الدغنة (٢) طلباً لجوار الله (٣) فالله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين .

---

(١) أخرجه البخاري – واللفظ له – جـ٤ ، كتاب:مناقب الأنصار ، باب:المعراج ، حديث رقم (٣٨٨٧) ؛ ومسلم جـ١ ، كتاب:الإيمان ، باب: الإسراء برسول الله ﷺ ، حديث رقم (١٦٢) بنحوه ، والنسائي ، جـ١ ، كتاب:الصلاة ، باب: فرض الصلاة . حديث رقم (٤٤٨) بنحوه ولم يذكرا لفظ الرضا ، جميعهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢)ابن الدغنة : بضم المهملة والمعجمة وتشديد النون عند أهل اللغة ، وفتح أوله وكسر ثانيه وتخفيف النون عند الرواه وهي أمه وقيل أم أبيه وأصلها الغمامة الكثيرة المطر واسمه الحارث بن يزيد وقيل مالك وهو سيد القارة (وهي قبيلة مشهورة من بني الهُون بن خزيمة بن مدركة وكانوا حلفاء بني زهرة من قريش)(فتح الباري، ٧/٢٣٣)،

(٣) وقصة جوار ابن الدغنة وردّ هذا الجوار كما في رواية البخاري هي كالتالي :-
عن عائشة رضي الله عنها قالت (خرج أبوبكر الصديق رضي الله عنه مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى بلغ بَرْكَ الغماد ; لقيه ابن الدغنة – وهو سيد القارة فقال : أين تريد يا أبابكر ؟ فقال: أخرجني قومي فأُريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي فقال ابن الدغنة : فإن مثلك يا أبابكر لا يَخرُج ولا يُخرج ، إنك تُكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكلّ ، وتَقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فأنا جارٌ لك ، ارجع وأعبد ربك ببلدك ، فرجع ، وارتحل معه ابن الدغنة ، فطاف عشيةً في أشراف قريش ، فقال: أن أبابكر لا يخرج ولا يُخرج .. فلم تكذِّب قريشٌ بجوار ابن الدغنة ، وقالوا لابن الدُغنة : مر أبابكر لا يخرج فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به ، .. فلبث أبوبكر بذلك يعبد ربه في داره .. ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره ، وكان يصلي فيه ، ويقرأ القرآن فيتقذّف عليه نساءُ المشركين وأبناؤهم ، وهم يعجبون منه ، وينظرون إليه ، وكان أبوبكر رجل بكّاءً لا يملك عينه إذا قرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريش فأرسلوا إلى ابن الدغنة .. قالت: عائشة : فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكرٍ فقال: قد علمتَ الذي عاقدتُ لك عليه ..الحديث السابق تخريجه)

ففي الصحيح أن ابن الدغنة قال ابي بكر رضي الله عنه : (قد علمت الذي عقدتُ لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك،وإما أن تردَّ إليّ ذمتي فإني لا أحبُ أن تسمع العرب أني أُخفرت[1] في رجل عقدت له فقال أبوبكر:فإني أردُّ إليك جوارك وأرضى بجوار الله ورسوله) [2]

فيرد أبو بكر الصديق ﷺ جوار ابن الدغنه ويرضى بجوار الله تعالى،وفي ذلك (أخذٌ بالأشد في الدين كما أن فيه بيان لقوة يقين أبي بكر الصديق ﷺ) [3]

النموذج الخامس :

وكذا فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت خير خلق الله ﷺ من رباها المصطفى ﷺ فأُشرب قلبها حب الله تعالى تعلن رضاها عن الله ورسوله حتى في ترك مباح مبالغة في إرضاء الله فترك طلب الخادم مع حاجتها لها رضاً لله ولرسوله ﷺ ، فقد ورد أنها رضي الله عنها عندما سألت الخادم قال لها ﷺ " اتقي الله يا فاطمة وأدي فريضة ربك ، واعملي عمل أهلك ، فإذا أخذت مضجعك فسبحي الله ثلاثاً وثلاثين ، وأحمدي الله ثلاثاً وثلاثين ، وكبري أربعاً وثلاثين فتلك مائة ، فهي خير لك من خادم " "فقالت : رضيت عن الله عز وجل ، وعن رسول الله ﷺ " [4]

---

(١)يقال خفرتُ الرجلَ:إذا أجرته وحفظته،وأخفرت الرجل:إذا نقضت عهده وذمامه والهمز للإزالة أي أزلت خفارته(النهاية في غريب الحديث،٥٢/٢)

(٢) أخرجه البخاري جـ٤ ، كتاب : مناقب الانصار ، باب : هجرة النبي ﷺ وأصحابه ، حديث رقم (٣٩٠٥) .

(٣)فتح الباري لابن حجر العسقلاني ، ٢٣٤/٧

(٤) أخرجه أبوداود – واللفظ له – جـ٣ ، كتاب:الخراج والإمارة ، باب:بيان مواضع قسم الخمس ، حديث رقم (٢٩٨٨) ؛ والبخاري في صحيحه جـ٤ ، كتاب:فرض الخمس ، باب:الدليل على أن الخمس لنوائب الرسول ﷺ حديث رقم(٣١١٣) ؛ ومسلم جـ٤ ، كتاب:الذكر والدعاء ، باب:التسبيح أول النهار وعند النوم ، حديث رقم (٢٧٢٧) ؛ والترمذي وحسنه جـ٥ ، كتاب:الدعوات ، باب:ما جاء في التسبيح والتكبير والتحميد برقم(٣٤٠٨) بنحوه ، ولم يذكروا لفظ الرضا ، جميعهم من حديث علي بن أبي طالب ﷺ .
إسناده : الحديث صحيح من رواية البخاري ومسلم –

النموذج السادس:

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يعلنون رضاهم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ، في مواجهة غضب المصطفى ﷺ فيسكن غضبه،ويهدأ روعه..،ففي الحديثين التاليين يردد عمر بن الخطاب ﷺ لفظ –رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً،وبمحمد نبياً–في موقفين مختلفين يغضب فيهما ﷺ على بعض السائلين ، ويشتد غضبه .. فيخشى عمر ﷺ–وهو الفقيه الورع –الهلاك من جراء غضب الرب لرسوله فيردد هذه العبارة،فتهدأ نفس المصطفى ﷺ ويسكن غضبه وهذين الحديثين هما :

أ– في الصحيح " رجل[1] أتى النبي ﷺ فقال: كيف تصوم ؟ فغضب رسول الله ﷺ ، فلما رأى عمر ﷺ غضبه قال:رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ..الحديث) [2]

ب– " سألوا الرسول ﷺ حتى أحفوه[3] المسألة فغضب فصعد المنبر...فقال:لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم...فإذا رجل كان إذا لاحى[4] الرجال يُدعى لغير أبيه فقال:يا رسول الله! من أبي؟ قال:حذافة) ثم أنشأ عمر فقال: رضينا بالله رباً...الحديث" [1]

فسكن غضب الرسول ﷺ لما في هذه العبارة من معنى التسليم المطلق لله ولرسول حكماً وعدلاً وترك التقدم عليهما فكان ذلك أدعى لرضا الرسول ﷺ عنهم وقتئذ .

---

(١)قال الإمام النووي رحمه الله (٤٩/٨) : هكذا في معظم النسخ (عن أبي قتادة : رجلٌ أتى) بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي : الشأن والأمر رجلٌ أتى .. وقد أُصلح في بعض النُسخ " أن رجلاً " وكان موجب الإصلاح جهالة انتظام الأول وهو منتظم فلا يجوز تغييره . أهـ

(٢) أخرجه مسلم – واللفظ له – جـ٢ ، كتاب الصيام : باب استحباب صيام ثلاثة أيام منكل شهر حديث رقم ١١٦٢ وأبو داود ، جـ٢ كتاب : الصوم ، باب : في صوم الدهر تطوعاً ، حديث رقم (٢٤٢٥) بلفظه (فلم يرددها حتى سكن) ؛ والنسائي كتاب الصوم ، باب ذكر الاختلاف على غيلان بن جرير حديث رقم (٢٣٨٣) بنحوه ؛ والترمذي جـ٣ كتاب الصوم ، باب : ما جاء في صوم الدهر حديث رقم (٧٦٧) ؛ وابن ماجه جـ١ ، كتاب الصوم باب : ما جاء في صيام داود برقم (١٧١٦) ، كلاهما يرويان الشق الثاني من الحديث " كيف بمن يصوم الدهر .. " ولم يذكر قصة غضبه ﷺ ، جميعهم من حديث أبي قتادة رضي الله عنه .أخرجه البخاري – واللفظ له – كتاب:الدعوات ، باب: التعوذ من الفتن ، حديث رقم (٦٣٦٢) ؛ ومسلم جـ٤ ، كتاب:الفضائل ، باب:توقير الرسول ﷺ وترك كثرة مساءلته ، حديث رقم (٢٣٥٩) بنحوه كلاهما

(٣)أحفوه : أي استقصوا في السؤال (النهاية في غريب الحديث)

(٤)لاحى : تخاصم معهم .

(٥) أخرجه البخاري – واللفظ له – كتاب:الدعوات ، باب: التعوذ من الفتن ، حديث رقم (٦٣٦٢) ؛ ومسلم جـ٤ ، كتاب:الفضائل ، باب:توقير الرسول ﷺ وترك كثرة مساءلته ، حديث رقم (٢٣٥٩) بنحوه كلاهما

المطلب الرابع : الرضا بالقضاء والقدر:

من لوازم الرضا بالله تعالى : الرضا بقضائه وقدره سبحانه ، فمن رضي به خالقاً مالكاً مدبراً رضي بقضائه وقدره واطمأن إلى حُكمه وتدبيره وعلمه وخضع واستسلم لمشيئته لأنه يعلم أن الكون من تدبير مدبر وحكمة حكيم لم يخلق عبثاً ، ولم يترك سدى .... ،

والقدر الذي يصيب العبد من خير أو شر في الدنيا ، إنما هو جزئيات القضاء الحتمي المكتوب قبل أن يخلق ، بل قبل أن تخلق السموات والأرض .... ، فلن يصيب العبد في الدنيا إلا ما قُدّر عليه في اللوح المحفوظ لا يحيد عنه أنملة ، قال تعالى {قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا } (التوبة:من آية ٥١) ، فلم إذن الخوف من المستقبل وهو بيد الله ؟ ولم إذن التسخط على الأقدار والجزع عند المصاب ، والشكوى عند البلاء ؟

لاشك أن هذه الأمور كلها تتنافى مع صدق الإيمان بالله تعالى ، واليقين بحكمته وتدبيره تعالى ،

لذلك أوجب الإسلام الإيمان بالقضاء والقدر وهذا الإيمان هو الرضا العام بالله تعالى وبكل ما يأتي منه تعالى مما كتبه وقضاه والتسليم المسبق لأمره تعالى وحُكمه ، وفعله ، والخضوع له تعالى .

ويجمل في هذا المطلب المرتبط بالرضا بالله تعالى أن أتناول معنى لفظ القضاء والقدر لغة وشرعاً ثم بيان منزلة الإيمان بالقضاء والقدر ، ومذهب السلف الصالح في الإيمان بالقضاء .. وهذا المذهب بالغ الأهمية إذ هو ما يجب أن يعتقده كل مؤمن تجاه القضاء والقدر ثم أصل إلى صلب الموضوع وهو حكم الرضا بالقضاء والقدر ، ثم إلى صور متنوعة من تعليمه ﷺ أمته الرضا بالقضاء والقدر .. ، ثم أختم بنماذج طيبة من الصالحين ممن رضي بالله فرضيّ بقضائه وقدره ، وفيما يلي هذه المسائل ...

المسألة الأولى : تعريف القضاء والقدر لغة وشرعاً

تعريف القضاء والقدر لغة:

أ- تعريف القضاء لغة:

القضاء يطلق ويراد به عدة معان [1] :

الأول : الحكم

الثاني : الخلق ، ومنه قوله تعالى { فقضاهن سبع سموات }(فصلت:١٢)

الثالث: العمل ، ويكون معنى الصنع والتقدير (وعلى هذا يكون مرادف للقدر)

ومنه قوله تعالى {فاقض ما أنت قاض...}(طه:٧٢) ، أي فاعمل ما أنت عامل .

الرابع :

الأمر والحتم ، ومنه قوله تعالى {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه}(الإسراء:٢٣) ، أي أمر وحتم

الخامس :

الوصية والخبر ومنه قوله تعالى {وقضينا إليه ذلك الأمر}(الحجر:٦٦) ، أي أنهيناه إليه وأبلغناه بذلك ، فعلى ذلك فإن (القضاء فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً فمن القول الإلهي {وقضينا إلى بني إسرائيل }(الإسراء:٤) ، فهذا قضاء بالإعلام والفصل في الحكم أي أعلمناهم وأوحينا إليهم وحياً جازماً ومن الفعل الإلهي قوله تعالى { والله يقضي بالحق } وقوله {فقضاهن سبع سموات}(فصلت:١٢) إشارة إلى إيجاده الإبداعي والفراغ منه وقوله {ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم }(فصلت:٤٥) [2] (فالقضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه وكل ما أُحكم عمله أو أتم أو خُتم أو أُجب أو أُعلم أو أُنفذ أو أمضى فقد قضى) [3]

---

(١) انظر لسان العرب ، ١٨٦/١٥ ؛ لوامع الأنوار البهية ، ٣٤٥/١ ؛ القضاء والقدر ، عمر الأشقر

(٢) المفردات للراغب الأصفهاني ، ص٣٩٥ بتصرف

(٣) لسان العرب لابن منظور ، ١٨٦/١٥

تعريف القدر لغة :

يراد بالقدر لغة كذلك عدة معان :

الأول :

القدرة ، قال تعالى {إن الله على كل شيء قدير }(النور:٤٥)

الثاني :

التقدير ، فالله تعالى على كل شيء قدير وهو سبحانه مقدر كل شيء وقاضيه ، ففي لسان العرب (القدر يكون من القدرة ويكون من التقدير) [(١)]

الثالث :

القضاء والحكم ، ومنه قوله تعالى {إنا أنزلنا في ليلة القدر}(القدر:١) أي الحكم كما قال تعالى {فيها يفرق كل أمر حكيم }(الدخان:٤)

الرابع :

العلم ومنه قوله تعالى { إلا امرأته قدرنا إنها من الغابرين}(الحجر:٦٠) ، أي علمنا وبالأول والثاني جاء في لسان العرب ما نصه (القدر القدرة يقال قدّره بالتشديد أعطاه القدرة ، والتقدير تبيين كمية الشيء ، فتقدير الله للأشياء على وجهين أحدهما : بإعطاء القدرة ، الثاني : أن يجعلها على مقدار مخصص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة) أهـ

---

(١) لسان العرب لابن منظور ، ٧٤/٥

القضاءوالقدراصطلاحاً : له معنيان

القول الأول:

القضاء: الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد [٢]

القدر : خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحداً بعد واحد مطابقاً للقضاء [٣]

وعلى هذا التعريف يكون (الفرق بين القدر والقضاء : هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها ، لذلك قال: القضاء في الأزل والقدر فيما لا يزل) [٤]

وبنحو ذلك قال لإمام ابن حجر في فتح الباري :

(قال العلماء القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله) [٥]

وقال الإمام النووي :

(معناه أن الله قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها تقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وعلى صفات مخصوصة فهي تقع حسب ما قدرها سبحانه وتعالى) [٦]

---

(١) لسان العرب لابن منظور ، ٧٤/٥

(٢)التعريفات للجرجاني ، ص١٧٧

(٣)التعريفات للجرجاني ، ص١٧٤

(٤) المصدر السابق

(٥)فتح الباري ، ٤٧٧/١١ ، كتاب: القدر ، حديث رقم(٦٥٩٤)

(٦)شرح صحيح مسلم ، جـ١ ، كتاب:القدر ، ص١٥٤

القول الثاني:

أن القدر هو الحكم السابق والقضاء هو الخلق [(١)] .

ففي قوله تعالى {فقضاهن سبع سموات}(فصلت: من آية ١٢) قال الحافظ ابن حجر في تعريف القدر :

(المراد أن الله علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته) [(٢)] .

قال الإمام الخطابي في معالم السنن : (القدر اسم لما صار مقدراً عن فعل القادر) [(٣)]

فعلى ذلك يكون القدر عام والقضاء خاص .

وبالجملة فإن القضاء والقدر متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر .

يقول الإمام الخطابي :

(وجماع القول في هذا الباب – أي باب القضاء والقدر – أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء ، فمن رام الفصل بينهما فإنما رام هدم البناء ونقضه) [(٤)]

---

(١)فتح الباري ، ١١٨/١ ، كتاب:الإيمان ، باب:سؤال جبريل النبي ﷺ ، حديث رقم (٥٠) ، وهو عكس القول الأول

(٢)المفردات للراغب الأصفهاني ، ص٤٠٧ ؛ انظر جامع الأصول ، ١٠/١٤٠ ، القضاء والقدر ، د.عمر الأشقر

(٣) يقول الراغب الأصفهاني في المفردات ، ص٤٠٦ (فالقضاء أخص من القدر لأنه الفصل بين التقديرين ، فالقدر هو التقدير ، والقضاء هو الفصل والقطع)

(٤)معالم السنن للخطابي ، جـ٤ ، ص٢٩٧

المسألة الثانيـــــة : منزلة الإيمان بالقضاء والقدر

ابتداءً جاءت نصوص كثيرة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بمعان كثيرة غايتها ترسيخ الإيمان بالقضاء والقدر، ونوجز هذه المعاني فيما يلي :

١] أن كل شيء بقدر :

أ- فكل ما في الكون هو بقدره تعالى قد كتبه تعالى في اللوح المحفوظ ويجرى القدر بما هو كائن فيه إلى يوم القيامة .. وكل ما يحدث فيه إنما هو بقدره تعالى .

١- قال تعالى { إنا كل شي خلقناه بقدر }(القمر:٤٩)

٢- قال ﷺ " كل شيء بقدر حتى العَجْزُ والكَيْس [(١)] " [(٢)]

٣- وقال ﷺ " أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم ثم قال : له اكتب قال : وما اكتب؟ قال اكتب! : فكتب ما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة " [(٣)]

٤- وقوله ﷺ "كتب ربكم مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات و الأرض بخمسين ألف سنة .." [(٤)]

٥- وقال تعالى { ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير}(الحج : ٧٠)

٦- وقال تعالى : { ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها } (الحديد:من آية ٢١) .

---

(١)العجز : ترك ما يجب فعله بالتسويف وهو عام في أمور الدنيا والدين (النهاية في غريب الحديث ، ٢٨٣/٣) ؛ الكيس:ضد العجز وهو النشاط والحزم في الأمور

(٢)أخرجه مسلم في القدر برقم (٢٦٥٥)

(٣)أخرجه الترمذي ، جـ٤ ، برقم(٢١٥٥) ؛ وأروده الشيخ الألباني في صحيح الترمذي ، ٢٢٩/٢ برقم(١٧٤٩)

(٤)أخرجه مسلم في القدر برقم (٢٦٥٣)

فالله تعالى خلق كل شي ، وعلم أمر كل شي ... ، وكتب كل شي عنده في كتاب محفوظ .

وهو سبحانه محيط بكل شيء ... ، عالم بكل شي ... ، يعلم السر وأخفى ... ، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون .

يقول تعالى عن نفسه تقدست ذاته :

{وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين }(الأنعام:٥٩)

وهو تعالى خالق كل شيء ، يقول تعالى {وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما نزله إلا بقدر معلوم}(الحجر:٢١)

ب- ولقد كتب تعالى - مما كتب - كل ما يتعلق بخلقه من رزق وإحياء وإماتة ومرض وصحة وسعادة أو شقاء

يقول تعالى : { وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين }(هود:٦)

وفي شأن كتب أرزاق وآجال أعمال العباد :

يقول ﷺ " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع برزقه وأجله وشقي أو سعيد ، فوالله إن أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها "[(١)] .

فبين ﷺ أن أرزاق وآجال العباد مكتوبة بل قد كتب تعالى موضع كل عبد من الجنة أو النار ، يقول ﷺ " ما منكم إلا قد كتب مقعده من النار أو الجنة "[(٢)] .

وفي شأن كتب أعمال العباد

يقول تعالى " والله خلقكم وما تعملون " (الصافات:٩٦) ويقول ﷺ " إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العين النظر ...الحديث)[(٣)] .

كما يقول تعالى في شأن كتب الهداية والضلال للبشر :

{يضل من يشاء ويهدي من يشاء }(النحل:من آية ٩٣) .

فهو سبحانه وتعالى يهدي من يشاء فضلاً وكرماً، ويضل من يشاء عدلاً {وما ربك بظلام للعبيد }(فصلت : من آية ٤٦) وهو تعالى{ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} (الأنبياء:من آية ٢٣)

---

(١)أخرجه البخاري ، كتاب: بدء الخلق ، حديث رقم (٣٢٠٨) ؛ ومسلم في القدر حديث رقم (٢٦٤٣)

(٢)أخرجه البخاري – واللفظ له – جـ٥ ، كتاب: التفسير برقم (٤٩٤٩) ؛ ومسلم في القدر برقم (٢٦٤٧)

(٣)أخرجه البخاري ، كتاب:القدر ، حديث رقم (٦٦١٢)

٢] إن الله تعالى إذا أراد بعبده خير فلن يملك أحد أن يمنع خيره عنه ، وأنه تعالى إذا أراد بعبد ضر فلن تستطيع قوة على وجه الأرض أن تردّ هذا الضر عنه فلا يملك أحد غيره شيء وهو سبحانه وتعالى مالك كل شيء والقادر عليه ، لذا يجب أن تصرف العبادة له وحده دون سواه فلا معبود بحق سواه .

يقول تعالى : {وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير } (الأنعام:١٧)

ويقول : {وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده }(يونس:١٠٧)

ويقول : {ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم}(فاطر:٢)

ويقول تعالى منكرا على عبادة الأوثان مبيناً عدم قدرتهم على النفع والضر وقدرته تعالى وحده على ذلك :

{..إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته..}(الزمر:من آية ٣٨)

ويقول ﷺ في هذا المعنى : " واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف " (١)

وفي الصحيح ثبت قوله ﷺ : " لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت " (٢) .

فما منعه تعالى عن العبد لا يستطيع أحد أن يعطيه إياه ، وما أعطاه إياه فلن يقدر أحد أن يمنعه فهو المعطي والمانع وحده سبحانه .

---

(١)أخرجه الترمذي، كتاب:صفة القيامة، حديث رقم(٢٥١٧) وقال هذا حديث حسن صحيح؛ والحاكم في مستدركه ، ٥٤١/٣ ؛ وأحمد في مسنده ، ٢٩٣/١

(٢)أخرجه البخاري في القدر برقم (٦٦١٥) ؛ ومسلم في الصلاة برقم (٤٧٨)

٣] أن العبد ضعيف عاجز لا يقدر على شيء ، وأن الله بيده كل شيء وقادر على كل شيء ، فيصف نفسه تعالى بأنه (على كل شيء قدير) حيث تكرر هذا في العديد من الآيات ... بينما يصف الإنسان بعدم القدرة على شيء إلا بحول وقوة من الله .. ويبلغ الضعف والعجز مداه حين يصف تعالى اجتماع الخلق جميعاً على خلق ذبابة دون جدوى .. فهم في ضعف هذا الذباب وعجزه وإن أظهروا القوة .

يقول تعالى :{ يا أيها الناس ضُرب مثلٌ فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب}(الحج:٧٣) .

ولما كان الله تعالى وحده هو الخالق لكل شيء والقادر على كل شيء .. ولا يستطيع أحد معه شيء فهو وحده تعالى الذي يستحق أن يعبد وأن يُوحِد ويشكر لأن جميع من يُعبد من دون الله {لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً}(الفرقان:٣) .

فالعبد وجميع مَنْ يُعبَدْ من دون الله ضعيف عاجز فقير إلى عطائه تعالى محتاج لعظيم كرمه ورحمته تعالى فله وحده تعالى يجب أن توجه العبادة فيفوض الأمر كله له ويستمد منه الرشد والصلاح .. و الخير والفلاح ويؤمن بقدره ويطمئن إلى حسن تدبيره وحكمته ويوقن بأنها خيرٌ من اختياره لنفسه فيرضى ويسلم .. ولكم أتى الخير من المقدور الذي يراه شراً وأتى الشر من الأمر الذي يراه خيراً ، قال تعالى {وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم ..}(البقرة : من آية ٢١٦)

حكم الإيمان بالقضاء والقدر :

من خلال استعراض المعاني والأدلة السابقة يصل المؤمن إلى استشعار التصديق الجازم والإيمان الحقيقي بالقضاء والقدر الذي هو ركن من أركان الإيمان لا يتم إيمان العبد إلا به ، وقد بيّن لنا المصطفى ﷺ مكانة وعظم شأن الإيمان بالقدر بجعله ركن من أركان الإيمان في حديث جبريل عليه السلام الطويل – حين سئل المصطفى ﷺ عن الإيمان فأجابه " الإيمان: أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره " (١)

فبين ﷺ منزلة الإيمان بالقضاء والقدر وهو كونه ركناً أساسياً للإيمان لا يتم إيمان العبد إلا به ، فمن أنكر القدر ولم يؤمن به فقد كفر (٢)

المسألة الثالثة: مذهب السلف في القضاء والقدر

---

(١)في قوله ﷺ " وتؤمن بالقدر خيره وشره " اخرجه مسلم في الايمان برقم (٨) وفي رواية " حلوه ومره " المراد به شر المقدور وهو المفعول المقضي فخيره وشره من الله ، وفي الجمع بين هذا الحديث وبين قوله ﷺ " الشر ليس إليك والخير كله في يديك أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين برقم (٧٧١) يقول العلماء : " والشر ليس إليك " مذهب أهل الحق : إن كل المحدثات فعل الله وخلقه سواء خيرها وشرها ، حينئذ يجب تأويله وفيه خمسة أقوال : أحدها : لايتقرب به إليك ، الثاني : لا يضاف إليك على انفراده فلا يقال يارب الشر ، الثالث: لا يصعد إليك إنما يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح ، الرابع: الشر ليس شراً بالنسبة إليك فقد خلقته بحكمة بالغة ، إنما هو شر بالنسبة للمخلوقين ، الخامس: كقولك فلان إلى بني فلان إذا كان عداده فيهم أو صفوه إليهم) شرح صحيح مسلم للنووي مجلد ٣ / جـ ٦ – ٥٩

وانظر العقيدة الواسطية بشرح الشيخ ابن عثيمين ، ٧٢/١

(٢)يقول الإمام النووي شرح صحيح مسلم (جـ١٥٤/١) : أول من قال بنفي القدر فابتدع وخالف الصواب الذي عليه أهل الحق : معبد الجهني بالبصرة ثم تبعه أقوام فظهرت القدرية حيث أنكرت القدر وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدر الأمور ، ولم يتقدم علمه سبحانه وتعالى بها ، وأنها مستأنفة العلم أي أنها يعلمها سبحانه بعد وقوعها ، وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن أقوالهم الباطلة علواً كبيراً) –

وعلى ذلك فمذهب السلف في القضاء والقدر يقوم على عدة جوانب هامة

الأولى : الإيمان بالقضاء والقدر :

يقول الإمام ابن حجر [١] رحمه الله (مذهب السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله تعالى كما قال تعالى {وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننــزله إلا بقدر معلوم }(الحجر: ٢١))

ويقول الإمام النووي : تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحلّ والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى) [٢]

كما قال بعد شرحه لأحاديث القدر في الصحيح (وفي هذه الأحاديث كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة في إثبات القدر ، وأن جميع الواقعات بقضاء الله وقدره خيرها وشرها نفعها وضرها) [٣]

قال الحافظ ابن عبدالبر (فليس لأحد مشيئة تنفذ إلا أن تنفذ فيها مشيئة الله وإنما يجري الخلق فيما سبق من علم الله .. ولقد تظاهرت الآثار وتواترت الأخبار فيه عن السلف الأخيار الطيبين الأطهار بالاستسلام والانقياد والإقرار بأن علم الله سابق ولا يكون في ملكه إلا ما يريد {وما ربك بظلام للعبيد}(فصلت:من آية ٤٦)) [٤]

- وفي الصحيح أن عبدالله بن عمر ﷺ سئل عنهم فقيل له : " يا أبا عبدالرحمن ناس يقرؤون القرآن ، ويتقفرون العلم ، وذكر من شأنهم ، وأنهم يزعمون أن لا قدر ، وأن الأمر أُنف قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم اني بريءٌ منهم وأنهم بُراء مني ، والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحدٍ ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب:الإيمان ، حديث رقم (٨)

(١)فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ٤٧٨/١١ ، كتاب:القدر

(٢)شرح النووي على صحيح مسلم ، ١٥٥/١ ، كتاب:الإيمان

(٣)المصدر نفسه ، ١٩٥/٨ ، كتاب: القدر

(٤)التمهيد ، جـ٦ ، ص١٣-١٤

الثانية : الاعتماد في معرفة القدر على الكتاب والسنة فقط :

فالقدر توقيفي على الكتاب و السنة وسبيل معرفته هو(التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل ، فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة ولم يبلغ شفاء العي،ولا ما يطمئن به القلب لأن القدر سر من أسرار الله اختص به العليم الخبير به وضرب دونه الأستار وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة فلم يُعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب) (١)

الثالثة : ترك التعمق في البحث في القدر :

فمن مبادئ مذهب أهل السنة والجماعة عدم التعمق في البحث في القدر إذ لم يكلف العبد ذلك إنما كُلف الإيمان والتصديق به ،والعمل بالأخذ بالأسباب،ولقد حجب الله العباد عن الغيب،وعن إدراك الحكم من وراءه يقول الإمام أحمد بن حنبل(٢) رحمه الله:(ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يكن من أهلها:الإيمان بالقدر خيره وشره،والتصديق بالأحاديث فيه والإيمان بها،ولا يقال لم؟ولا كيف؟وإن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فعليه الإيمان به والتسليم له مثل أحاديث القدر،وأحاديث الرؤية،وإن نبت عن الإسماع واستوحش منها السمع فإنما عليه الإيمان بها ولا يرد منها حرفاً واحداً،ولا يخاصم أحداً،ولا يناظره،ولا يتعلم الجدل،فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن، وغيرها من السنة مكروه منهي عنه،ولا يكون صاحبه-إن أصاب بكلامه السنة-من أهل السنة حتى يدع الجدل ويسلّم)أهـ(٣)

---

(١)فتح الباري ، ١١/٤٧٧ ، كتاب: القدر ، فيما عزاه إلى الإمام أبي مظفر السمعاني

(٢)أحمد بن حنبل:هو الإمام الحافظ أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي ثم البغدادي أحد أئمة المذاهب الأربعة المعتبرين..، نشأ ببغداد وطلب العلم وهو صغير ودخل الكوفة والبصرة والحجاز واليمن والشام وغيرها..، برع في الفقه والحديث وقال ابن حبان : كان حافظاً متفقها ملازماً للورع، قال عبدالرزاق:ما رأيت أفقه ولا أروع منه، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام:انتهى علم الحديث إلى أحمد بن حنبل ، ابتلي وأوذي في سبيل الله وثبت في المحنة (محنة خلق القرآن) وبذل نفسه لله حتى ضرب بالسياط للقتل فعصمه الله من الكفر، له كتاب المسند والزهد..وغيرها، توفي إحدى وأربعين ومائتين..(تهذيب التهذيب لابن حجر، ١/٦٤-٦٥ ؛ طبقات الحفاظ للسيوطي ،٧٧-١٨٨)

(٣)[الحافظ الألكائي : أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري ، ت ٤١٨هـ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، الطبعة الثانية ، تحقيق د.أحمد بن سعد الغامدي ، دار طيبة – الرياض ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤]جـ١/١٧٦-١٧٧

فعن أبي هريرة ﷺ [1] قال:خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه ، حتى كأنما فُقئَ في وجنتيه الرُّمان:فقال "أبهذا أمرتم ؟ أم بهذا أرسلتُ إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر ، عَزَمْتُ عليكم عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه "[2]

فخرج ﷺ عليهم وهم يتنازعون في القدر ويتباحثون فيه (فكأن بعضهم قال: إذا كان كل شيء بقدر فلم الثواب والعقاب ، والآخر يقول (فما الحكمة من تقدير البعض للجنة وبعض للنار ..وهكذا)[3]

فيخرج ﷺ عليهم قد احمر وجهه حتى لكأنه عُصر في خديه الرمان ، كناية عن شدة حُمرة وجهه المشعرة بشدة غضبه ﷺ مما يدل على عظم حرمة التنازع في القدر – ثم يبين ﷺ سبب غضبه العظيم : وهو تنازعهم في القدر حيث لم يكلفوا بذلك ولم يرسل إليهم ﷺ لذلك فإذا كان الأمر كذلك – فالأولى أن يعملوا بما كلفوا به وأن يتركوا مالم يأمروا به مبيناً لهم ﷺ أن سبب هلاك الأمم هو التنازع والخلاف ثم يؤكد حرمة التنازع حيث يقسم عليهم ﷺ بألا يعودوا لمثلها قائلاً ﷺ " عزمت عليكم ألا تنازعوا "

---

(١) أبو هريرة بن عامر بن عبد بن ظريف بن عتاب بن كعب الدوسي اختلف في اسمه واسم ابيه اختلافاً كبيراً فقيل اسمه عبدالله وقيل عبدالرحمن وقيل عمير وقيل غير ذلك كان إسلامه بين الحديبية وخيبر ، قدم المدينة مهاجراً ، وسكن الصفة وهو أحفظ من روى الحديث في دهره اشتكى إلى رسول الله ﷺ سوء حفظ الحديث فقال له : ابسط ردائك فدعا له النبي ﷺ فقال ضمه إلى صدرك فما نسي الحديث قط ، توفي عام ٥٧ هـ) رضي الله عنه (الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، ٣٤٨/٧ ، ترجمة رقم(١٠٦٨٠) ؛ أسد الغابة لابن الأثير)

(٢) أخرجه الترمذي جـ٤ ، كتاب: القدر ، باب:ما جاء في التشديد في الخوض في القدر حديث رقم (٢١٣٣) ؛ وابن ماجة في القدر ، حديث رقم(٧٤) بنحوه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ .

إسناده:قال فيه الترمذي:هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث صالح المُرِّيّ ، وصالح المُرِّيّ له غرائب ينفرد به الا يتابع عليها، فعلى ذلك فإن إسناد الحديث ضعيف لضعف أبوبشر صالح ابن وادع المُرِّيّ البصري، فقد ضعفه الحافظ ابن حجر في تقريبه (ترجمة رقم٢٨٤٥)، إلا أن الحديث له شاهد يتقوى به، وهو ما أخرجه ابن ماجة في مقدمته – باب:في القدر حديث رقم(٧٤) السالف الذكر (خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر ..)الحديث بنحوه ، قال فيه الهيثمي في زوائده:هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات .

(٣) انظر الكاشف عن حقائق السنة للطيبي ، ٢٨٠/٦

فالقدر (سر الله تعالى في خلقه ، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل ، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة فإن الله طوى علم القدر عن أنامه ، ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى في كتابه {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون}(الأنبياء:٢٣) فمن سأل لم فعل؟ فقد رد حُكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين) [١] (فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منّور قلبه من أولياء الله تعالى ، وهي درجة الراسخين في العلم ....، ونؤمن باللوح والقلم ، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن – لم يقدروا عليه ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائن – لم يقدروا عليه ، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطأه [٢]) [٣]

وعلى العبد أن يعلم

أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه فقدر ذلك تقديراً محكماً مبرماً ليس فيه ناقضٌ ولا معقبٌ ولا مزيلٌ ، ولا مغيرٌ ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله وربوبيته ، كما قال في كتابه : {وخلق كل شيء فقدره تقديراً}(الفرقان:٢) فويلٌ لمن صار لله تعالى في القدر خصيماً وأحضر النظر فيه قلباً سقيماً ، لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سراً كتيماً وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيماً) [٤]

---

(١)شرح العقيدة الطحاوية ص٢٤٩

(٢)هذا طرف من حديث ابن عباس المشهور "احفظ الله يحفظك" ، أخرجه الترمذي جـ٤ ، برقم (٢٥١٦) ،وقال : هذا حديث حسن صحيح ؛ وأحمد في مسنده ٢٩٣/١ ؛ والحاكم ٥٤١/٣

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٦٢ – ٢٦٦ بتصرف

(٤)العقيدة الطحاوية ، ص٣٢-٣٦ ، بتصرف يسير .

الرابعة : إن للإنسان قدرة ومشيئة واختيار داخلة تحت قدرة ومشيئة اختيار الله تعالى:

فالله تعالى له قدرة ومشيئة وإرادة نافذة فلا يكون في الكون إلا ما يريد ، وما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، كما أن للإنسان قدرة ومشيئة واختيار من خلاله تظهر الحكمة من الجزاء قال تعالى { الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً .. }(الملك:٢)

وبمقتضى هذا الاختيار يكون الثواب والعقاب ، والجنة والنار ، كما قال تعالى :

{وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً }(الإنسان:من آية ١٣)

وقال تعالى {وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعلمون}(الزخرف:٧٢)

وقال تعالى في شأن الكافرين :

{ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً }(الكهف:١٠٦)

لكن هذه القدرة والإرادة ، والاختيار ، والكسب للعبد جميعها داخلة تحت مشيئته وقدرة وإرادة الله عز وجل لا تنفك عنه ...

بهذه الأسس الأربع آمن السلف الصالح بالقضاء والقدر وحسن إيمانهم فقد علموا أنه لا يتم لهم إيمان ، ولا يقبل لهم عمل حتى يؤمنوا بالقضاء والقدر .

قال ﷺ " لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني محمد رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر " (١)

وبدون هذا الإيمان بالقضاء والقدر لا ينفع العبد عمله شيء عند الله ولو أنفق مثل أحد ذهباً ففي الحديث " لو أنفقت مثل أحدٍ ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ،

---

(١)أخرجه الترمذي – واللفظ له – كتاب:القدر ، باب: ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره ؛ وابن ماجة في المقدمة ، باب:في القدر ، حديث رقم (٨١) ؛ وأخرجه الحاكم في مستدركه ، ٣٣/١ ، جميعهم من حديث علي بن أبي طالب ﷺ ، والحديث صحيح الإسناد .. قال فيه الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لدخلت النار " [1]

وما الإيمان بالقضاء والقدر إلا تصديق بالقلب وهذا التصديق لا بد أن ينتج عن رضاً تام بقضاء الله تعالى وحكمه وقدرته في هذا الكون ولقد بين المصطفى ﷺ أن الرضا بالقضاء والقدر من صفات المؤمنين أولي العزائم والإرادة ، فيقول ﷺ " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل : قدَّر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان " [2] فالمؤمن القوي العزيمة ، حريص على الآخرة [3] أحب إلى الله ممن هو ضعيف فيها لأنه حريص على فعل الخير والأخذ بالأسباب ، وعدم الندم على ما فات كما هو حال المؤمن الضعيف والإيمان بالقضاء والقدر من أهم ما يميز المؤمن عن الكافر حيث يظهر الإيمان عند المصاب ، فعند المصيبة : نجد الكافرَ هلعاً جزوعاً ..

بينما المؤمن راضياً مطمئناً يقول تعالى مبيناً أن المؤمنين المصلين هم أقدر الناس على ضبط أنفسهم ورضاهم بقدر الله {إن الإنسان خلق هلوعاً • إذا مسه الشر جزوعا • وإذا مسّه الخير منوعاً • إلا المصلين • الذين هم على صلاتهم دائمون}(المعارج:١٩-٢٣)

---

(١)هذا الحديث طرفٌ من الحديث " لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم ولو انفقت ..الحديث " والحديث رُوي موقوفاً على أبي بن كعب ﷺ ثم رفعه إلى النبي ﷺ فعن أبي الديلمي قال : أتيت أُبي بن كعب : فقلت له : وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي ، فقال : لو أن الله عذب أهل سماواته ..الحديث قال : ثم أتيتُ ابن مسعود فقال مثل ذلك قال : ثم أتيتُ حذيفة بن اليمان فقال : مثل ذلك ، قال:ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك) والحديث أخرجه أبوداود في السنة ، باب: في القدر حديث رقم(٤٦٩٩) ؛ وابن ماجة في المقدمة ، باب: في القدر ، حديث رقم(٧٧) ، والحديث إسناده حسن لأن فيه أبا سنان سعيد بن سنان البُرْجمي – صدوق له أوهام – كما قال الحافظ ابن حجر في تقريبه ترجمة رقم (٢٣٣٢)

(٢)أخرجه مسلم جـ ٤ ، كتاب:القدر ، باب:الإيمان للقدر والإذعان له، حديث رقم(٢٦٦٤)

(٣)قال الإمام النووي مجلد ٨ (جـ١٦/٢١٥) في شرح الحديث : يُراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الاخرة

المسألة الرابعة : حكم الرضا بالقضاء

لابد لمعرفة حكم الرضا بالقضاء معرفة أقسام القضاء أولاً وأنواع كل قسم وذلك لأن حكم الرضا به يختلف باختلاف كل نوع ..

فالقضاء ينقسم إلى قسمين قضاء ديني شرعي ، وقضاء كوني لكن لفظ القضاء يطلق على معنيين أحدهما : حكم الله تعالى الذي هو قضاؤه ووصفه فهذا يجب الرضا به سواء كان قضاءً دينياً شرعياً أو قضاءً كونياً (١) لأنه حكمه تعالى والرضا بحكمه تعالى من كمال الرضا بربوبيته وألوهيته . فمن لوازم الرضا به رباً : الرضا بحكمه وقضائه .

يقول الإمام ابن قيم الجوزية :

أما القضاء الذي هو وصفه سبحانه وفعله كعلمه وكتابه وتقديره ومشيئته فالرضا به من تمام الرضا بالله رباً وإلهاً ومالكاً ومدبراً) (٢)

الثاني القضاء بمعنى الأمر المقضي :

أي مفعول قضاؤه تعالى فهذا حكمه يختلف باختلاف حاله فإن منه ما هو شرعي ديني ومنه ما هو كوني

المقضي الديني الشرعي :

واجب الرضا به ، فيأتمر بأمره تعالى ، وينتهي عند نهيه ويتمتع بالحلال المباح له (٣)

---

(١)شرح العقيدة الواسطية ، ص٢/٣٥١

(٢) [الإمام : ابن قيم الجوزية:شمس الدين محمد بن أبي بكر ، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتجويز ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م] ٤٦١ ، وانظر مدارج السالكين ، ٢٨١/١

(٣)شرح العقيدة الواسطية ، ٢/٣٥١-٣٥٢

فالقضاء الديني الشرعي – بمعنى المقضي– : هو أمر الله تعالى للعباد المكلفين بأن [يفعلوا أو لا يفعلوا] فلقد أمرهم تعالى بفعل الطاعات ونهاهم عن فعل المنكرات وأول ما أمرهم به الإسلام ثم الفرائض والواجبات ثم السنن والمستحبات ، وأول ما نهاهم عنه تعالى الكفر والشرك والنفاق – المخرج عن ملة الإسلام ثم المحرمات من كبائر الذنوب ثم المكروهات

وحكم هذا الرضا فرض واجب بل هو من آكد الفروض لأنه من لوازم الإسلام .

فالرضا هنا هو الرضا بالله تعالى رباً ثم الرضا بكل ما يرضى به الله فيرضى برسوله ﷺ نبياً ورسولاً ، ويرضى بدينه الذي رضيه تعالى فقال " ورضيت لكم الإسلام ديناً " ولا يرضى بالكفر لأن الله تعالى لا يحبه ولا يرضاه لعباده ، قال تعالى {ولا يرضى لعباده الكفر}(الزمر:٧) (١) ولا يسمى مسلماً إلا إذا رضي بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولاً وفي هذا المعنى يقول تعالى {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينه ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما }(النساء:٦٥)

(١) أي لا يرضاه ديناً لا كوناً فهو تعالى لا يحب الكفر ولا يرضى به ، لكن يريده ويشاؤه فلا يكون إلا ما يريد

ويقول تعالى { وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيِرة من أمرهم}(الأحزاب: من الآية ٣٦)

فنفى سبحانه الإيمان والإسلام عمن لا يحكم شرع الله تعالى فلا يقضي بكتاب الله وسنة رسوله ويسلّم كما نفاه عمن يتخير عليهما ويريد غير شرعهما ونهجهما المستقيم ، فاختيار العبد خلاف اختيار الله ورسوله مخالف لإيمانه وإسلامه ، ومخالفٌ لرضاه بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ...

أما القضاء الكوني – بمعنى المقضي كوناً : – وهو ما يقدره الله تعالى في الكون على العبد فيختلف حكمه كذلك باختلاف هذا القضاء .

وهذا القضاء ا لكوني – بمعنى الأمر المقضي – منه ما هو من فعل الله تعالى ابتداءً وانتهاءً لا دخل للعبد فيه وهو ما يبتلي به اللهُ العبد في هذه الدنيا بالنعم والنقم ، فهذه أمور لا يحاسب عليها العبد إذ لم يفعلها وهي خارجة عن إرادته . إنما يحاسب على ردة فعله تجاهها .

فالقضاء الكوني من فعل الله على نوعين :

١- نِعَمٌ

٢- مصائب

فعند النعمة يطلب الشكر فيجب عليه ، والشكر لا بد وأن يكون عن رضاً بها .. وهذا الرضا سهل ميسور لأنه رضاً موافق لهوى العبد أنما الشأن في الرضا عند المصاب .

يقول ابن القيم رحمه الله (الرضا بالقضاء الكوني القدري الموافق لمحبة العبد ورضاه – أمر ملازم بمقتضى أو لمقتضى الطبيعة ، ملائم للعبد فليس في الرضا فيه عبودية – بل العبودية في مقابلته بالشكر ، والرضا بالقضاء الكوني الجاري على خلاف مراد العبد – مما لا يلائمه ولا يدخل تحت اختياره – مستحب وهو من مقامات أهل الإيمان [١])أهـ

وعند المصيبة يطلب الرضا لكنه ليس بواجب بل هو مستحب وهو أمر شاق عظيم إلا لمن يسيره الله له ، فالناس عند المصاب على أربع درجات من الأقل للأعلى [٢]

درجة السخط

درجة الصبر

٣-درجة الرضا

٤-درجة الشكر .

---

(١)مدارج السالكين ، ٢/٢٠١-٢٠٢ ، بتصرف

(٢)هذه الدرجات شرح فضيلة الشيخ ابن عثيمين في العقيدة الواسطية ، ٢/٢٤٩ وهذا هو الترتيب السليم في أحوال الناس ولقد جعل الإمام ابن قيم في كتابه مدارج السالكين: منزلة الرضا بعد منزلة الصبر وقبل منزلة الشكر إشعاراً لتوسطها فهي أفضل من الصبر ويليها منزلة الشكر . يقول الشيخ رياض صالح جبزرلي في كتابه قطوف من الأدب النبوي ص ٧٠-٧١ (أما الرضا بالقضاء فهو أعلى من مقام الصبر لأن العبد قد يصبر على المصيبة لكنه لا يرضى بها)

ولا يصل العبد إلى الرضا عند المصاب سواء كان فواتاً لمحبوب أو وقوعاً لمكروه إلا إذا وطّن نفسه على الرضا ، والرضا بعد القضاء هو الرضا (الرضا قبل القضاء : عزم على الرضا، والرضا بعد القضاء هو الرضا) [1]

ومن هذا القضاء الكوني ما هو من فعل العبد كالذنوب والمعاصي والكفر والفسوق ، فهو وإن كان مقضيّ كوناً لكنه مذمومٌ ديناً وشرعاً ، وهذا الفعل من العبد يعرض فيه العبد نفسه لسخط الله ..

أما عن حكم الرضا بهذا الفعل فإنه لا يجوز ويتقلب حكم الرضا به بحكم هذا الفعل فالرضا عن الكفر كفر والرضا عن الكبائر كبيرة ، والرضا عن المعصية معصية [2] والرضا عن الفسق فسق ، والرضا عن المكروه مكروه .

ففي شأن المعاصي والذنوب : نرضى بالقضاء الذي هو تقديره تعالى ، ولا نرضى بالمقضي الذي هو أفعالنا القبيحة وبهذا أجاب أهل السنة على من قال : لو كان الكفر بقضاء الله لوجب علينا الرضا به .. فالرضا بالقضاء واجب لكن الرضا بالكفر كفر) أهـ [3]

---

(١) مدارج السالكين ، ٢/١٨٥ ؛ وأنظر فتاوي ابن تيمية ١٠/ ٣٧ بتصرف

(٢)العقيدة الواسطية ، ٢/٣٥٢

(٣)لوامع الأنوار البهية للشيخ السفايني ، ١/٣٩٣

فعلى العبد الرضا بقضاء سالله تعالى (فما كان من خير وبر أمر به وندب إليه رضي به العبد وأحبه شرعاً وفعلاً ووجب عليه الشكر ، وما كان من شر نهى عنه ، وهدد عليه ، فعلى العبد أن يرضى به عدلاً وقدراً ويسلمه لمولاه حِكمة وحُكماً ، وعليه أن يصبر عنه ، ويقرُ به ذنباً ، ويعترف به لنفسه ظلماً ، ويرضى بعود الأحكام عليه بالعقاب إن اجترحه بجوارحه اكتساباً ، ويرضى بأن لله عليه الحجة البالغة وأن لا عذر له فيه ، ويرضى بأنه في مشيئة الله من عفوٍ عنه برحمته وكرمه إن شاء ، أو عقوبة بعدله إن شاء ، لأن المؤمنين لا يسقطون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا ينكرون إنكار المعاصي وكراهتها بالألسنة والقلوب لأن الإيمان فرضها ، والشرع ورد بها ، ولأن الحبيب ﷺ كرهها فكانوا معه فيما كره كما كانوا معه فيما أحب ، ومقام اليقين ، لا يسقط فرائض الإيمان فمن زعم ذلك فقد افترى على الله ورسوله ، فمن رضي المعاصي والمناكير منه أو من غيره ، وأحب لأجلها أو ادعى أن ذلك يدخل في حال الراضين الذي وصفهم الله تعالى ومدحهم فهو مع الذين ذمهم الله ومقتهم (١)) أهـ

لذلك قيل : القضاء يراد به ثلاثة أشياء الأمر والنهي فهذا الرضا به واجب ، والمصائب التي تصيب العبد فهذا الرضا بها واجب أو مستحب ، والكفر والمعاصي فهذا الرضا به ليس بجائز (٢)

(١) إتحاف السادة المتقين ، ٦٤٧/٩

(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ، ٣٦٢/١

وكل ما ذكر هو تفصيل القضاء وحكم كل قسم على حده .. نصل من خلاله على حكم الرضا بالقضاء والقدر فإن الرضا بالقضاء والقدر إذا أطلق أُريد به الرضا بالمصائب الخارجه عن إرادة الإنسان وذلك لأنه لا خلاف بأن الرضا بمن قضاها وهو الله : واجب وهو رضاً عام لا يسمى المسلم مسلماً إذا لم يرض ويقر بأن هذا الفعل من الله تعالى فيؤمن بقضائه وقدره ، الذي هو ركنٌ أساسي في إيمان العبد . إنما الخلاف في حكم الرضا بالمصاب باعتبار المقضي وهو الفعل المنفصل عن الله (هل هو واجب أم مستحب والأولى فيه الاستحباب لأنه منزلة عظيمة ودرجة عالية لا يستطيع أن يصل إليها أي إنسان ، لذا لا يكلف الله بها إنما يُكلف بالصبر الذي هو دونها في الرتبة) (١)

يقول الإمام ابن تيمية (ينبغي للإنسان أن يرضى بما يقدره الله عليه من المصائب التي ليست ذنوباً مثل أن يبتليه بفقر أو مرض أو ذل أو أذى الخلق له ، فإن الصبر على المصائب واجب ، أما الرضا به فهو مشروع ، لكن هل هو واجب أو مستحب ؟ على قولين لأصحاب أحمد وغيرهم أصحهما أنه مستحب وليس بواجب) (٢)

---

(١)فتاوى ابن تيمية ، ٨/١٩١

(٢)المصدر نفسه ٨ /١٩١

ويقول الإمام ابن الجوزي في الرضا بالمصاب (قد تنازع الناس فيه : هل هو واجب أم مستحب على قولين : فمنهم من أوجبه واحتج على وجوبه بأنه من لوازم الرضا بالله رباً .. وذلك واجب .. ، ومنهم من قال : هو مستحب غير واجب فإن الإيمان يستلزم دليلاً شرعياً ، ولا دليل ، يدل على الوجوب ، وهذا القول أرجح لأن الرضا من مقامات الإحسان التي هي أعلى المندوبات) (١)

وعندما فهم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وسلف الأمة الأخيار معنى الرضا عن الله جاءت أقوالهم العطرة تحمل هذه المعاني السامية .

فهاهو ذا عبدالله بن مسعود ﷺ يقول : " لئن يعض أحدكم على جمرةٍ حتى تطفأ خير من أن يقول لأمر قضاه الله ليت هذا لم يكن " (٢)

---

(١) شفاء العليل ص٤٦ قال الامام ابن تيمية ٦٨٢/١٠ وقد قيل انه واجب والصحيح ان الواجب هو الصبر

(٢)أخرجه أبونعيم في حلية الأولياء ، ١٣٧/١

وها هو ذا عروة بن الزبير [١] رحمه الله تعالى تقطع رجله أمام عينيه عندما أصيبت بالأكلة فبينما هو كذلك إذ يأتيه نعي ابنه فتجتمع عليه المصائب فلا يتلفظ إلا بما يرضي الله المعترف بقديم فضله وإحسانه عليه فيقول " اللهم لي بنون سبعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ستة وكان لي أطراف أربعة ، فأخذت طرفاً ، وأبقيت ثلاثة ، ولئن ابتليت لقد عافيت ، ولئن أخذت لقد أبقيت " [٢]

وها هو ذا عمر بن عبد العزيز [٣] الخليفة الزاهد يصرح بسروره بقضاء الله وقدره إذ هو غاية الرضا – فيقول (أصبحت ومالي سرور إلا في مواقع القدر ، وقيل له ما تشتهي فقال: ما يقضي الله تعالى) [٤]

مما سبق قد يتبادر إلى الذهن تساؤل وهو :

هل يشترط في الرضا عدم الشعور بالألم ؟ هل يتنافى الإحساس بألم المصاب مع الرضا ؟

للإجابة على ذلك : أقول وبالله التوفيق :

مما سبق يتبين لنا أن الرضا بالله يكمن في عدم التسخط ومعارضة الأقدار بالقلب أو اللسان أو الجوارح

---

(١)عروة بن الزبير : هو أبوعبدالله عروة بن حواري رسول الله ﷺ وابن عمته وصفيه : الزبير بن العوام بن أسد بن قُصي بن كلاب القرشي الأسدي ، عالم المدينة ، وأحد الفقهاء السبعة ، قال ابن سعد : كان عروة ثقة ثبتاً مأموناً كثير الحديث فقيهاً عالماً .وهو من أفضل التابعين ، توفي سنة ثلاث وتسعين من الهجرة رحمه الله تعالى (انظر طبقات ابن سعد ، ١٧٨/٥ ؛ تهذيب التهذيب ، ١٨٠/٧ ؛ سير أعلام النبلاء ، ٤٢١/٤

(٢)أورده أبو نعيم في حلية الأولياء ، ١٧٩/٢ ؛ وابن عساكر ، ٢٨٧/١١

(٣)عمر بن عبدالعزيز : هو الخليفة الزاهد أبو حفص عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أمية القرشي الأموي ، كان من أئمة الاجتهاد ومن الخلفاء الراشدين لما علم بخلافته بكى خطب فيهم فقال : لست غير واحد منكم ولكني أثقلكم حملاً ، ملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً ، قال مكحول : لو حلفت لصدقت ، ما رأيت أزهد ولا أخوف لله من عمر بن عبدالعزيز ، امتلأ قلبه تقوى ، فجرت الحكمة على لسانه ، توفي سنة ١٠١هـ رحمه الله تعالى (انظر سير أعلام النبلاء ، ١١٤/٤)

(٤)أورده الإمام أحمد في الزهد

.. فعلى ذلك فإن الشعور والإحساس بالبلاء لا يتنافى مع الرضا بالله لذلك قيل (ليس الرضا ألا يحس بالبلاء إنما الرضا ألا يعترض على الحكم) [١] ، لأن عدم الإحساس بالألم والشعور بالبلاء يتنافى مع طبيعة البشر ، ولقد وهم من اعتبر عدم الشعور بالألم من أفضل أنواع الرضا ونسبه إلى خاصة من خلق الله ...

وذلك لأن خير خلق الله المصطفى ﷺ - أخشى الأمة بالله وأعلمهم به - كان يتألم عند المصاب ، فيسّلم ويرضى وأثر عنه ﷺ بكاء العين ، والحزن عند الكرب ،وبقيت كلمته خالدة عند موت ابنه إبراهيم " إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا .. " [٢] وكذب من ظن أنه يتعبد الله بأفضل مما فعله ﷺ ...

قال الإمام ابن قيم (فإن الراضي الموافق تستوي عنده الحالات - من النعمة والبلية - في رضاه بحسن اختيار الله له ، وليس المراد استواؤها عنده في ملاءمته ، ومنافرته . فإن هذا خلاف الطبع البشري ، بل خلاف الطبع الحيواني ، وليس المراد أيضاً استواء الحالات عنده في الطاعة والمعصية ، فإن هذا مناف للعبودية من كل وجه ، وإنما تستوي النعمة والبلية عنده في الرضا بهما لوجوه أحدها أنه مفوض والمفوض راض بما اختاره له من فوض إليه ومنها أنه عبد محض والعبد لا يسخط جريان أحكام سيده ...الخ) (٣)

---

(١)المفهم شرح صحيح مسلم ١٦٧/١

(٢)سبق تخريجه ص ١١٠

(٣)مدارج السالكين ، ٢١٣/٢-٢١٤

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله :

لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب ، وذلك لا يتنافى مع الرضا بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه .. فهذا يعرف على قول النبي ﷺ لما بكى على الميت وقال (إن هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء فإن هذا ليس كبكاء من يبكي لحظّه لا لرحمة الميت فإن الفضيل بن عياض (١) لما مات ابنه ضحك وقال: رأيت أن الله قد قضى فأحببت أن أرضى بما قضى الله به ، قلت: حاله حال حسن بالنسبة إلى أهل الجزع .. أما رحمة الميت مع الرضا بالقضاء وحمد الله تعالى ، كحال النبي ﷺ فهذا أكمل) (٢) أهـ

فإن قيل : فكيف يجتمع الرضا بالقضاء بالمصائب مع شدة الكراهة والنفرة منها ؟ وكيف يكلف العبد أن يرضى بما هو مؤلم له وهو كاره له والألم يقتضي الكراهة والبغض المضاد للرضا واجتماع الضدين محال؟ قيل : الشيء قد يكون محبوباً مرضياً من جهة ومكروهاً من جهة أخرى – كشرب الدواء النافع الكريه فإن المريض يرضى به مع شدة كراهته له ، وكصوم اليوم الشديد الحر فإن الصائم يرضى به مع شدة كراهته له ، وكالجهاد للأعداء قال تعالى {كتب عليكم القتال وهو كره لكم }(البقرة:٢١٦) ، فالمجاهد المخلص يعلم أن القتال خير له فرضي به وهو يكرهه لما فيه من التعرض لإتلاف النفس وألمها ومفارقة المحبوب ، ومتى قَوِيَ الرضا بالشيء وتمكن انقلبت كراهته محبة ، وإن لم يخل من الألم ، فالألم بالشيء لا ينافي الرضا به ، وكراهته من وجه لا تنافي محبته وإرادته والرضا به من وجه آخر أهـ (٣)

---

(١)الفضيل بن عياض : هو الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو علي الفضيل بن عياض التميمي الخرساني المجاور لبيت الله الحرام ، كان حجة لأهل زمانه عبادةً وورعاً وعلماً وحديثاً ، فأجرى الحكمة على لسان فعرف بالتقى والزهد ، قدم الكوفة وعاش بها ثم انتقل إلى مكة ونزلها إلى أن مات بها سنة ١٨٧هـ (سير أعلام النبلاء ، ٤٢١/٨ ، ترجمة رقم (١١٤)

(٢)مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ٤٧/١٠

(٣)شفاء العليل لابن قيم ، ١٦١ ؛ وانظر لوامع الأنوار البهية للشيخ السفاريني ، ٣٥٩/١

المسألة الخامسة : تعليمه ﷺ أمته الرضا بالقضاء والقدر

لقد كان المصطفى ﷺ حريص على تعليم أمته الرضا بالقضاء والقدر ، لأن الرضا بالقضاء والقدر يستكمل الإيمان .. ، ولقد اتخذ تعليمه ﷺ أمته الرضا بالقضاء والقدر من خلال صور متعددة ، وأساليب متعددة نستعرضها فيما يلي :

الأسوة الحسنة :

والأسوة والقدوة لهما أعظم الأثر في تربية المجتمع المسلم الفاضل ... وجميع الفضائل ... والمكارم تظل كلمات برّاقة.. وألفاظ زاهية مثالية ما لم تلامس الواقع وتطبق في الحياة ...

والمصطفى ﷺ ضرب لنا أروع الأمثلة في الرضا بالقضاء ، والصبر على المصاب والقناعة باليسير من الدنيا طمعاً في ماعند الله .. فهو ﷺ سيد الراضين بلا مراء .. (١)

فهو أعلم الخلق بالله تعالى ، وأشدهم رضا بالله ، وأكثرهم رضاً بقضائه وقدره ، فلقد كان ﷺ يتمثل الرضا بالقضاء والقدر في شأنه كله لقد كان مثال المؤمن الراضي بما قدره الله تعالى الموقن بما عندالله .

يلقي لنا الصحابي الجليل أنس بن مالك الضوء على هذه المعاني من خلال ما يرويه عن نهجه ﷺ وأدبه معه في التعامل

يقول ﷺ " خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما قال لي لشيء فعلته ؟ لم فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله لم لم تفعله ؟

فها هو ذا ﷺ يموت ابنه إبراهيم .. فلذة كبده .. ويراه في لحظاته الأخيرة وتدمع عيناه الشريفتان ، من وقع الفجيعة ، وعظم المصاب .. ، لكنه ﷺ لا يتلفظ بغير رضا الله فلم يزد على أن قال ﷺ " إن العين لتدمع والقلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا " (٢)

---

(١)انظر المبحث التالي قريباً بعنوان : المصطفى ﷺ سيد الراضين

(٢) أخرجه البخاري الأدب برقم (٦٠٣٨) وزاد في ،إتحاف السادة المتقين (٦٥٢/٩)(ولا في شيء كان ليته لم يكن وفي شيء لم يكن ليته كان ، وكان إذا خاصم مخاصم من أهله قال دعوه فلو قدره الله لكان)

وكان من دعائه ﷺ " اللهم إني عبدك بن عبدك بن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ في حكمك ، عدل فيّ قضاؤك .." (١)

فقضاؤه تعالى في العبد جميعه عدل سواء كان قضاؤه السابق قبل إيجاده أم قضاؤه المقارن لحياته أم قضاؤه بعد مماته ، أم قضاؤه منه يوم القيامة ، أم قضاؤه فيه بالذنب والجزاء على هذا الذنب ، فالله تعالى هو الحكم العدل وهو تعالى أعدل العادلين، وأرحم الراحمين ، فهو تعالى يهدي من يشاء فضلاً وكرماً .. ، ويضل من يشاء عدلاً {وما ربك بظلامٍ للعبيد}

فبالفضل يهدي من يشاء من الورى وبالعدل يردي من يشاء ويخذل (٢)

ففي الحديث قال ﷺ " لو أن الله عذب أهل سمواته ، وأهل أرضه عذبهم وهو غيرُ ظالمٍ لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم " (٣)

ومن أيقن بعدله تعالى في قضائه وحُكمه وتدبيره وأمره كله فإنه لن يسخط المقدور بعد ذلك إذا نزل من السماء لأنه قد وثق بعلمه تعالى وحكمته ، واطمأن إلى عدله تعالى ، وتدبيره ، وتكرار هذا الدعاء باستشعار معانيه بأن قضاءه تعالى وحكمه عدل يورث الرضا بقضائه وقدره .

---

(١)رواه أحمد في مسنده (٣٩١/١) والحاكم في المستدرك (٥٠٩/١ - ٥١١٠)وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه ؛ وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة برقم(١٩٨) وأثبت سماع عبدالرحمن عن أبيه عبدالله بن مسعود ﷺ فعلى ذلك فالحديث صحيح .

(٢) أنظر اربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة لابن جماعة ، ص٧٩

(٣) سبق تخريجه قريباً ، ص ٢١٦

٢] حثه ﷺ أمته على الرضا بالقضاء :

ولقد كان المصطفى ﷺ يحث أمته حثاً شديداً على الرضا بالقضاء والقدر لما يعلمٍ ﷺ من مكانة ومنزلة وفضل الرضا بالقضاء عند الله تعالى وفي أمر الرضا بما قسمه تعالى من رزق نجده تارةً يحث على الزهد في الدنيا ، والاستغناء عما في أيدي الناس مع بيان أن الغنى الحقيقي : هو غنى النفس ، وتارةً بالأمر في النظر إلى من هو أسفل منه نعمة ، ليكون ذلك أدعى لرضا العبد بما قدره له تعالى من رزق ، وعدم ازدراء النعم ، وتارةً بذم من يسخط على ما قسمه الله له من رزق وفي هذا الذم حث منه على الرضا ، ثم يأتي الأمر الصريح بالرضا بما قسمه الله تعالى من رزق على العباد

أ- فيحث ﷺ على الزهد في الدنيا والاستغناء عما في أيدي الناس كي ينال حب الله وحب الناس فيقول ﷺ " ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما أيدي الناس يحبك الناس " (١)

فلقد بين ﷺ لأمته أن الغنى الحقيقي هو : غنى النفس ، فلا تكفي المرء جميع عروض الدنيا ، إن كان القلب خالياً ، والنفس جائعة لا تشبع ...

فيقول ﷺ " ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى عنى النفس " (٢)

وهو ﷺ بهذا الحديث يرشد المؤمنين إلى القناعة ، والرضا بما قسمه الله تعالى لهم من رزق .

---

(١)أخرجه ابن ماجة في الزهد برقم (٤١٠٢) ، والحاكم في المستدرك ، ٣١٣/٤ وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ؛ وصححه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ٦٦١/٢ ، حديث رقم(٩٤٤)

(٢)أخرجه البخاري في الرقاق ، برقم (٦٤٤٦)

ب- كما يعلمنا ﷺ الرضا بالمقسوم .. من خلال أمره ﷺ للمؤمن أن ينظر إلى من دونه - في الدنيا نعمة - ليكون ذلك أدعى لشكر نعمة الله وعدم ازدراء هذه النعمة ، فيقول ﷺ " انظروا إلى من أسفل من فُضّل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه " [1] ويعلل ذلك بقول ﷺ " فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله "[2]

جـ- كما يذم ﷺ من يسخط رزقه الذي قسمه الله ، حيث يحمل هذا الذم في طيّاته قبح ذاك الفعل ، كما يحمل عظم رضا الله ورسوله لمن رضيَّ بالمقسوم يقول ﷺ " تعس عبد الدينار والدرهم .. ، إن أُعطي رضي وإن لم يعط لم يرض " (٣)

فهذا الساخط الناقم .. يتقلب رضاه وسخطه مع المال فإن أُعطي رضي .. وإلا كان السخط والنقمة .. وذلك لأنه عبداً لهذا الدينار والدرهم ، والأولى له أن يرضى بما كتبه الله له من رزق قليلاً كان أم كثيراً

د- ثم يأتي الأمر الصريح منه ﷺ بالرضا بما قسم الله تعالى للعبد وقضاه من رزق في وصيته الجامعة لأبي هريرة ﷺ وللأمة من بعده ..

فيقول ﷺ " من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهنّ أو يُعلمُ من يعملُ بهن ؟

فقال أبو هريرة:فقلت:أنا يا رسول الله .. فقال ﷺ "اتق المحارمَ تكن أعبدَ الناس، وأرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس .. "(٤)

([1]) متفق عليه ، أخرجه البخاري ، جـ٧ في الرقاق برقم (٦٤٩٠) ؛ ومسلم بنحوه في الزهد والرقاق حديث رقم (٢٩٦٣)

(٢)هذه رواية مسلم السالفة برقم (٢٩٦٣) ؛ ولابن ماجة برقم (٤١٩٤) بلفظ " فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله)

(٣)أخرجه البخاري - واللفظ له - جـ٧ ، كتاب:الرقاق ، باب:ما يتقي من فتنة المال ، حديث رقم (٦٤٣٥) ؛ وابن ماجة ، جـ٢ في الزهد ، باب:في المكثرين، حديث رقم(٤١٨٧) كلاهما عن ابي هريرة ﷺ

(٤) أخرجه الترمذي - واللفظ له - جـ٤ ، كتاب:الزهد ، باب: من اتقى المحارم فهو أعبدالناس ، حديث رقم (٢٣٠٥) ؛ وابن ماجة جـ٢ ، أبواب الزهد ، كتاب:الورع والتقوى ، حديث رقم (٤٢٧٠) ، بلفظ "وكن قنِعاً تكن أشكر الناس " ؛ وأحمد في مسنده ، ٣١٠/٢ بلفظه ، جميعهم عن أبي هريرة ﷺ .

إسناده : قال فيه الإمام الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان ، والحسن لم يسمع من أبي هريرة شيئاً اهـ .. يعني أن الحديث مرسل (انظر : ترجمة الحسن في تهذيب التهذيب ٢٣١/٢) كما أن في الحديث أبو طارق السعدي البصري وهو مجهول كما قال الحافظ بن حجر في التقريب (ترجمة رقم :٨١٨٢) فعلى ذلك فإن الحديث بهذا الإسناد ضعيف للجهالة وللإرسال فيه .. لكن الحديث له شواهد عدة يكون بها حسناً : منها ما أخرجه ابو نُعيم في حلية الأولياء (٣٦٥/١٠) ؛ وما أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٢٣٢/١) برقم (٢١٩) بلفظ " كن ورعاً تكن أعبد الناس وكن قنعاً ..الحديث" وسنده حسن ، فالحديث ضعيف بإسناده حسن بشواهده ، ولقد حسنه البوصيري في زوائده حديث رقم(١٤٣٢) فقال: هذا إسناد حسن أهـ ، وهو كما قال والله أعلم

ففي هذا الحديث يأمر ﷺ أمته بالرضا بالقضاء والقدر مبيناً لهم أن هذا هو الغنى الحقيقي الذي لا بد أن يقصده كل مؤمن،ويطلبه كل موحد..

فهذا الحديث (من جوامع كلمه ﷺ .. ففي قوله "ارض بما قسم الله أي ارض بما أعطاك تكن من أغنى الناس فإن من قنع بما قسم له ولم يطمع فيما أيدي الناس استغنى عنهم " فليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس " (١)

(والغنى في العبد:قلة الحاجة فإذا رضي العبد بما آتاه الله ولم يدأب في طلب المزيد فقد قلّت حاجته وخفّ نصبه فهو الغني)(٢) قال ﷺ " قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه " (٣)

فالقناعة خير ما يؤتى لمؤمن بعد الإيمان ، وليس معناها ترك الكسب من أجل الرزق بل معناها الرضا بالمقسوم مع العمل يقول الدكتور : يوسف القرضاوي " ولقد ظلم الناس كلمة القناعة فحسبوها الرضا بالدون ، والحياة الهون وضعف الهمة عن طلب معالي الأمور ، وإماتة رغبة الطموح .. والحق أن القناعة لا تعني شيئاً من أوهام الكثيرين إنما تعني أمرين أولهما : إن الإنسان بطبيعته شديد الطمع والحرص على الدنيا لا يكاد يشبع منها ، ولو تُرك يستسلم لنزعات حرصه وطمعه لأصبح خطراً على نفسه وجماعته ، فكان لابد من توجيه طموحه إلى قيم أرفع ومعان أخلد ، ورزق أبقى ، قال تعالى { ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى}(طه:١٣١) ، ثانيها : أن يرضى الإنسان بما وهب الله له مما لا يستطيع تغييره ، وفي حدود ما قُدر له يجب أن يكون نشاطه وطموحه ، فلا يعيش متمنياً ما لا يتيسر له ، متطلعاً إلى ما وُهب لغيره ولم يوهب له) (٤)

---

(١)سبق تخريجه ص ٢٣٠

(٢) عارضة الأحوذي ، ١٨١/٥

(٣)أخرجه مسلم في صحيحه ، جـ٢ ، في ا لزكاة برقم (١٠٥٤) ؛ والترمذي في الزهد برقم (٢٣٦١) ؛ وابن ماجة في الزهد كذلك برقم (٤١٩٠) .

(٤)[الدكتور : يوسف القرضاوي ، الإيمان والحياة ، الطبعة الثالثة عشر ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤٠٧-١٩٨٧ م] ص١٤٥-١٤٧ بتصرف

٣] تعليمه ﷺ أمته تفويض الأمر لله :

والمصطفى ﷺ يعلم أمته كيفية تفويض الأمر لله تعالى ، والتوكل الحقيقي عليه تعالى ، فالمؤمن يرضى بما قسم تعالى ، وبما قضاه له فيما مضى ، مفوّضاً لله تعالى في الأمر مستقبلاً لأن المرء لا يعلم نفعه من ضره ، ولا يعرف الخير من الشر ، بل قد يدعو بالشر لنفسه ، وهو يظن فيه الخير كما قال تعالى {ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا ..}(الإسراء:من آية ١١) ويقول تعالى {كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أنِ تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون}(البقرة:٢١٦) فهو جهول ...عاجز ... فقير ... ، لا يعرف مصلحته ، ولا يعلم نفعه .. فأولى له أن يكل أمره لمن هو أعلم بصلاحه ونفعه سبحانه وتعالى ... لذلك أرشدنا ﷺ إلى صلاة ودعاء الاستخارة عندما يريد المرء أن يقدم على أي فعل حيث يطلب من الله تعالى التوفيق والرشاد للخير وهذه الاستخارة (١) هي تفويض العبد لله تعالى ، واللجوء إليه ، وإظهار الفقر والحاجة له .

---

(١)الاستخارة : طلب الخيرة في الشيء وهو استفعال منه يقال استخر الله يخيرك – النهاية في غريب الحديث جـ٢صفحة٩١.

ففي الصحيح : كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخـــارة في الأمور كـــلها كالسورة من القرآن (١) " إذا همّ (٢) أحدكم بالأمر فليركع ركعتين ثم يقول : اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك (٣) بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال في عاجل أمري وآجله – فاقدره لي (٤) ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال – في آجل أمري وعاجله فاصرفني عنه ، واصرفه عني واقدر لي الخير حيث كان ثم رَضِنِّي به " (٥)

قوله " رضني " : (أي اجعلني بذلك راضياً فلا أندم على طلبه ولا على وقوعه لأني لا أعلم عاقبته وإن كنت حال طلبه راضياً به)

وأمر الاستخارة عظيم وحبيب إلى الرب تعالى لأنه فيه كمال تفويض العبد لله وإظهار الحاجة والفقر إليه تعالى وفي الدعاء بالرضا بالخير في الاستخارة دليل على أن المؤمن قد لا يرضى بالخير المقدر جهلاً منه ، لأن ظاهره على غير ذلك

---

(١).قوله كما يعلمنا السورة من القرآن " يقول الإمام الطيبي (الكاشف عن حقائق السنة ٣ / ١٧٩) : يدل على الاعتناء البالغ حده بالصلاة والدعاء

(٢)همّ : عزم وأراد

(٣)استقدرك : أي أطلب منك أن تجعل لي عليه قدره

(٤)فاقدره لي:أي اقصد لي به وهيئه – النهاية في غريب الحديث (٤/٢٢-٢٣) .

(٥) أخرجه البخاري – واللفظ له – جـ ... كتاب الدعوات باب ٤٨ الدعاء عند الاستخارة حديث رقم (٦٣٨٢) ، والترمذي جـ٢ أبواب الصلاة باب ما جاء في صلاة الاستخارة حديث رقم (٤٨٠) بلفظه ، وأبو داود كتاب الصلاة باب في الاستخارة حديث رقم (١٥٣٨) وابن ماجة في أبواب إقامة الصلاة باب ما جاء في صلاة الاستخارة حديث رقم (١٣٧٩) كلاهما بنحوه

وبالجملة فالاستخارة فيها خير الدنيا والآخرة ، ففي الحديث " من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له ، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله ، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له وفي رواية (من سعادة ابن آدم استخارته إلى الله [1]

فانظر كيف ربط بين السعادة والرضا بالاستخارة للمؤمن في الدنيا قبل الآخرة كما ربط بين الشقاوة وبين ترك استخارة الله وبين الشقاوة وبين سخطه على ما قضى له من أقدار ، فالرضا بالقضاء والقدر هو سر سعادة العبد وفلاحه ،

أما عن سبب كون الاستخارة والرضا سبب سعادة العبد ، فيقول الإمام الطيبي (والرضا بقضاء الله وترك السخط علامة سعادة العبد ، وإنما جعله علامة سعادته لأمرين : أحدهما: ليتفرغ للعبادة لأنه إذا لم يرض بالقضاء يكون مهموماً أبداً مشغول القلب بحدوث الحوادث ويقول لم كذا .. ولم لا يكون كذا .. والثاني: لئلا يتعرض لغضب الله تعالى لسخطه ، وسخط العبد أن يذكر غير ما قضى الله له ويظن أنه أصح وأولى فيما لا يستيقن فساده وصلاحه) أهـ (٢)

فسعادة العبد إذن كما يقرر الشرع الرضا بما يخيره الله له ،لأن العبد لا يعرف صلاح نفسه فقد يظن لجهله أن ما هو فيه من نعم إنما هي نقم وابتلاء ويطلب صرفها عنه ولا يشعر بخيرها ولا فضلها إلا عندما تُزال عنه ، فيتمنى أن يرجع إليها ...

---

(١) أخرجه الترمذي – واللفظ له– كتاب: القدر، باب:ما جاء في الرضا بالقضاء حديث رقم (٢١٥١) وقال:هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن أبي حُميد ويقال له حماد بن أبي حُميد وهو أبو إبراهيم المدني وليس هو بالقوي عند أهل الحديث؛ فعلى هذا فالحديث ضعيف لضعف محمد بن أبي حميد ؛ وأخرجه الإمام أحمد (١٦٨/١) من هذا الطريق وفيه محمد بن أبي حميد وهو ضعيف ؛ ورواه الحاكم من هذا الطريق أيضاً ولفظ الحاكم: قال رسول الله ﷺ (من سعادة ابن آدم استخارته إلى الله ..الحديث) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي

قلت : الحديث يدور على رواية محمد بن أبي حميد وهو ضعيف ولقد وهم الحاكم والذهبي في المستدرك في تصحيح الحديث فإن فيه محمد بن أبي حُميد قال عنه الذهبي نفسه في ميزان الاعتدال (٥٣١/٣) ضعفوه ثم ساق له هذا الحديث – ومحمد بن أبي حميد هو أبو إبراهيم محمد بن حُميد واسمه ابراهيم الأنصاري الزُرَقي قال عنه البخاري : منكر الحديث وقال النسائي ليس بثقة وقال أبو زرعة ضعيف الحديث وقال أبو داود والدار قطني ضعيف وقال ابن حبان لا يحتج به (انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ١١٦/٩) وقال عنه الحافظ بن حجر في تقريبه لقبه حماد ضعيف رقم ترجمته (٥٨٣٦) ، فعلى ذلك فالحديث ضعيف بضعف محمد بن أبي حميد .

(٢) الكاشف عن حقائق السنة ٩ /٣٦٦

وهذه آفات خفية لا يشعر بها إلا من نوّر الله بصيرته للخير ، ينبه الإمام ابن القيم رحمه الله إلى هذه الآفات العظيمة كما يرشد إلى أهمية وضرورة الاستخارة في حياة العبد بهذه العبارات الرائعة حيث يقول (من الآفات الخفية العامة : أن يكون العبد في نعمة أنعم الله بها عليه ، واختارها له فيملها ، ويطلب الانتقال منها إلى ما يزعم لجهله أنه خير له منها ، وربُه برحمته لا يخرجه من تلك النعمة ، ويعذره بجهله ، وسوء اختياره لنفسه حتى إذا ضاق ذرعاً بتلك النعمة ، وسخطها ، وتبرم بها ، واستحكم ملكه لها ؛ سلبه الله إياها ، فإذا انتقل إلى ما طلبه ، ورأى التفاوت بين ما كان وما صار إليه اشتد قلقه وندمه ، وطلب العودة إلى ما كان فيه فإذا أراد الله بعبده خيراً ورشداً أشهده أن ما هو فيه نعمة ، من نعمه عليه ، ورضّاه به ، وأودعه شكره عليه ، فإذا حدثته نفسه بالانتقال عنه ، استخار ربه استخارة جاهل بمصلحته ، عاجز عنها ، مفوض إلى الله طالب منه ، حسن اختياره له ، وليس على العبد أضر من ملله لنعم الله فإنه لا يراها نعمة ولا يشكره عليها ، ولا يفرح بها ، بل يسخطها ويشكوها ويعدها مصيبة .. ، فكم سعت إلى أحدهم من نعمة وهو في ردها بجهده ، وكم وصلت إليه وهو ساع في دفعها وزوالها بظلمه وجهله ... أهـ) (١)

(١)[الإمام ابن قيم الجوزية : شمس الدين أبي عبدالله بن قيم، الفوائد، الطبعة:[بدون]، دار الرشد ، الرياض- المملكة العربية السعودية]ص١٨٠

٤]تعليمه ﷺ أمته الدعاء بالرضا بالقضاء : ودعائه ﷺ بطلب الرضا بالقضاء هو تعليماً لأمته بأهمية الدعاء بالرضا بالقضاء والقدر ، فهو ﷺ القدوة والأسوة الحسنة ولقد كان ﷺ يدعو الله سائلاً إياه تعالى الرضا بالقضاء والقدر، وفي هذا الدعاء إشعارٌ منه ﷺ لأمته بفضيلة الرضا بالقضاء والقدر ، فهو منزلة عالية الشأن رفيعة القدر تطلب من الله تعالى..،وهو بدعائه هذا ﷺ يرشد الأمة إلى أهمية تمثل هذه المكارم ، والدعاء من الله تعالى أن يرزقها إياه ويثبِّتها عليه،فقد ورد من دعائه ﷺ الذي كان يدعو به قوله "اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي،وأسألُك خشيتك في الغيب والشهادة،وكلمة الإخلاص في الرضا والغضب وأسألك نعيماً لا ينفذ،وقرة عين لا تنقطع،وأسألك الرضا بالقضاء ....)[١]

ففي هذا الدعاء طلب من الله تعالى الرضا بالقضاء عامة فيسأل المؤمن من الله تعالى أن يرضى بقضائه وقدره خيره وشره ، حلوه ومره ، حتى ينال أرفع الدرجات ، وأعلى المكرمات .

وفي دعاء آخر يُحدد فيه الرضا : بعد القضاء وذلك لأن الرضا على حقيقته يكون بعد وقوع القضاء (فالرضا قبل القضاء عزم على الرضا لا حقيقة الرضا ، والرضا بعد القضاء هو الرضا) (٢) حقيقة حيث يكرم الله المرء بالعزم بالقضاء قبل وقوعه ،

---

(١) أخرجه النسائي – واللفظ له – جـ٣ ، كتاب: السهو ، باب:الدعاء بعد الذكر ، حديث رقم(١٣٠٦) ، ولفظ الحديث عن السائب عن ابيه قال (صلى بنا عمار بن ياسر صلاةً فأوجز فيها فقال له بعض القوم : لقد خفَّفت وأوجزت الصلاة ، فقال: أما على ذلك فقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ (..وذكر الحديث..) ؛ وأخرجه الدار قطني في كتاب الرؤية ، حديث رقم (٢٠٧) من حديث فضالة بن عبيد ﷺ .
إسناده : قال فيه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٧٧) : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجالهما ثقات .
(٢) هذا القول للامام ابن تيمية في مجموع الفتاوي ١٠/٣٧ بتصرف

ثم بالرضا به إذا وقع يقول ﷺ في دعائه " اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي ، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب ، وأسألك القصد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيماً لا ينفذ ، وقرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت .. " (١)

وكذلك من دعائه ﷺ" اللهم إني أسألك نفساً مطمئنة تؤمن بلقائك ، وترضى بقضائك ، وتقنعُ بعطائك" (٢) فالإيمان بالله والرضا بالقضاء والقناعة بما كتب من رزق من دواعي اطمئنان النفس، والنفس المطمئنة نفس طيبة راضية حبيبة إلى الله تعالى قد رضي الله عنها فتنادى عند مماتها { ارجعي إلى ربك راضية مرضية ٠ فادخلي في عبادي وادخلي جنتي }(الفجر:٢٨-٣٠)

(١) أخرجه النسائي – واللفظ له – جـ٣ ، كتاب:السهو ، باب:الدعاء بعد الذكر ، حديث رقم (١٣٠٥) ؛ والحاكم في مستدركه ، ٥٢٤/١ بنحوه كلاهما من حديث عمار بن ياسر ؓ ؛ وأخرجه أحمد في المسند ، ١٩١/٥ عن زيد بن ثابت ؓ .

إسناده :إسناده حسن لأن عطاء بن السائب صدوق اختلط إلا أن الراوي عنه حمّاد بن زيد قد روى عنه قبل الاختلاط كما ذكره الحافظ بن رجب في شرح علل الترمذي (٥٣٧/٢) والحديث صحيح بشواهده يشهد له رواية النسائي بعده برقم (١٣٠٦) السالفة الذكر فالحديث على ذلك صحيح ، ولقد صححه الحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي .

(٢)أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤١٩/١٩) في ترجمة رواحة بنت ابي عمرو ، من حديث أمامة قال فيه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٠/١٠) رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه ، فعلى ذلك فسند الحديث ضعيف .

ومما تجدر الإشارة إليه في نهاية هذه المسألة الهامة:أن تعليمه ﷺ لأمته الرضا بالقضاء والقدر لا يعني الاتكال على القدر والاستسلام دون الأخذ بالأسباب والعمل، فلقد علّم ﷺ صحابته الكرام هذا المعنى حين بين لهم أن كتابة الله تعالى للأقدار لا تعني الاتكال عليها، وترك العمل، بل لا بد من العمل والأخذ بالأسباب، وهم بعملهم يحققون ما كتبه الله لهم من أقدار، يقول ﷺ "ما منكم من أحد إلا وقد كُتب مقعده من النار أو الجنة " قالوا:يارسول الله! أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: اعملوا فكل ميسّرٌ لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسّر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاء فييسّر لعمل أهل الشقاء ثم قرأ {فأما من أعطى وأتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى}(الليل:٥-١٠)) (١)

يقول الإمام الخطابي (فهذا الحديث إذا تأملته أصبت منه الشفاء فيما يعالجك من أمر القدر ، وذلك أن السائل رسول الله ﷺ والقائل له : أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ، ولم يترك شيئاً مما يدخل في أبواب المطالبات إلا وقد طالب به فأعلمه أن القياس في هذا الباب متروك ، والمطالبة به ساقطة ، وأنه أمر لا يشبه الأمور المعلومة التي جرت معاملات البشر فيما بينهم عليها ، وأخبر أنه إنما أمرهم بالعمل ليكون أمارة في الحال العاجلة لما يصيرون إليه في الحال الآجلة ، فمن تيسر له العمل الصالح كان مأمولاً له الفوز ، ومن تيسر له العمل الخبيث كان مخوفاً عليه الهلاك ، وهذه أمارات من جهة العلم الظاهر وليست بموجبات ، فإن الله سبحانه طوى علم الغيب عن خلقه ، وحجبهم عن دركه) (٢) ، فالأعمال إذن هي سبب دخول الجنة أو النار فلا بد من أن يعمل العبد ويسعى لأنه لا يعلم أكتب من

---

(١)سبق تخريجه ص ٢٠٧

(٢)معالم السنن ، ٤/٢٩٣-٢٩٤ ، بتصرف

السعداء أم الأشقياء؟ ثم لا يختم عليه إلا بما شاء الله وجرى به القدر بما استحقه ولا يظلم ربك أحداً،كما علّم ﷺ أمته أن الرضا بالقدر لا يعني الخضوع والاستسلام دون الأخذ بالأسباب ومدافعة أقدار الله بأقدار الله،فيدفع المرض بالدواء..، والجوع بالطعام..،والمعصية بالتوبة.

يقول الإمام ابن قيم الجوزية (والله تعالى أمر أن تدفع السيئة وهي من قدره بالحسنة وهي من قدره ... وكذلك الجوع من قدره أمر بدفعه بالأكل الذي هو من قدره ، وكذلك البرد والحر والعطش . كلها من أقداره أمر بدفعها بأقدار تضادها والدافع ، والمدفوع ، والدفع من قدره ، ولقد أفصح ﷺ عن ذلك عندما سئل :" يا رسول الله أرايت رُقىً نسترقيها ودواءً نتداوى به هل تردُّ من قدر الله شيئاً ؟ قال: هي من قدر الله "[1] وإذا طرق العدو من الكفار بلد الإسلام طرقوه بقدر الله، أفيحل للمسلمين الاستسلام للقدر وترك دفعه بقدر مثله وهو الجهاد الذي يدفعون به قدر الله بقدره؟ وكذلك المعصية إذا قُدرت عليك وفعلتها بالقدر ، فادفع موجبها بالتوبة النصوح .. وهي من القدر) [2] أهـ

وكذلك الرضا بالقضاء لا يناقض الدعاء لله بكشف البلاء والكرب وهو من قدر الله والدعاء من قدر الله وكشف البلاء إذا جاء بعد الدعاء أيضاً هو من قدر الله (٣) ، فالدعاء لله تعالى(لا يخرج صاحبه عن مقام الرضا ولا يناقضه فقد تعبدنا به فلا ينقص الراضي من مقام الرضا مسألة مولاه خيراً لآخره، وصلاحاً لدنيا تعبد الله بذلك وافتقاراً إليه في كل شيء لأن في ذلك رضاه ، وكثرة دعوات الرسول ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام تدل عليه ولقد كان ﷺ في أعلى المقامات من الرضا ولقد أثنى الله تعالى على عباده بقوله : {يدعوننا رغباً ورهباً} (الأنبياء:من آية ٩٠))[4]

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

---

(١) أخرجه الترمذي : كتاب : الطب برقم ٢٠٦٥ ، وقال حسن صحيح ؛ والحاكم في مستدركه ٤٠٢/٤؛ والهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٨٥ ، وقال فيه صالح بن أبي الرحال ضعيف

(٢)مدارج السالكين ، ٢٢١/١

(٣) يقول الإمام ابن قيم الجوزية (إن المقدور قدّر بأسباب ، ومن أسبابه الدعاء فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور ، ومتى لم يأت بالسبب انتفى المقدور ، فالدعاء من أقوى الأسباب ، فإذا قدّر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال : لا فائدة في الدعاء كما لا يقال : لا فائدة في الأكل والشراب ، وجميع الأعمال ، وليس شيء أنفع من الدعاء ، ولا أبلغ في حصول المطلوب أهـ [ابن قيم الجوزية ، الداء والدواء ، الطبعة:[بدون] ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة] ص١٧ بتصرف .

(٤) اتحاف السادة المتقين للزبيدي٦٦٤/٩

المطلب الخامس : الرضا بالمثوبة والأجر

ويتمثل الرضا عن الله في الرضا بالثواب والأجر اللذان يلحقان أهل رضوان الله في الجنان .

فالمؤمن الموحد الذي رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً فأتمر بأمره تعالى في الدنيا، وانتهى عند نهيه ، ورضي بما كتب له وقدر ، يتفضل عليه تعالى بالرضا ، ويكرمه بأعظم الأجر وأفضله ، ويجزل عليه العطايا والنعم .

فيبشرهم ربهم برضاه والجنة يقول تعالى عن عبادة المؤمنين { يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم }(التوبة: ٢١)

ولقد أخبر ﷺ إن أن هذه البشارة للمؤمن عند الموت وعند البعث :

أ- عند الموت :

عن النبي ﷺ قال : " من أحب لقاء الله أحب الله لقائه ومن كره لقاء الله كره الله لقائه " ، قالت عائشة أو بعض أزواجه إنا لنكره الموت قال " ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء احب إليه مما أمامه فاحب لقاء الله وأحب الله لقائه وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه كره لقاء الله وكره الله لقائه " [1]

فالمؤمن يبشر برضا الرب تعالى عند نزع الروح ، حيث تبشره الملائكة بروح وريحان ورب غير غضبان [2] وتناديه ملائكة الرحمة وهي في أبهى صورة { يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي } (الفجر : ٢٧-٣٠)

([1]) اخرجه البخاري واللفظ له : كتاب الرقاق : باب من أحب لقاء الله ، حديث رقم (٦٥٠٧) ؛ ومسلم ج٤ ، كتاب الذكر والدعاء ، باب من أحب لقاء الله ، حديث رقم (٢٦٨٤) ؛ والترمذي ج٣ ، كتاب الجنائز ، باب : ما جاء فيمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، حديث رقم (١٠٦٧) ، عن عائشة رضي الله عنها انها ذكرت ان رسول الله ﷺ وذكر الحديث بنحوه كلاهما بلفظ (وانالكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله) ؛ والنسائي ج٤ ، كتاب الجنائز ، باب ، فمن أحب لقاء الله ، حديث رقم (١٨٣٨) ، جمعيهم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ؛ وأخرجه ابن ماجه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه بنحوه في ابواب الزهد ، ذكر الموت والاستعداد له ، حديث رقم (٤٣١٦) ، بلفظ (ابشري بروح وريحان ورب غير غضبان)

([2]) أخرجه ابن ماجه في الزهد برقم (٤٣١٦)

قال الامام النووي [1] : معنى الحديث ان الكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها فحينئذ يبشر كل انسان بما هو صائر اليه وما اعد له ويكشف له عن ذلك فاهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا الى ما اعد لهم ويحب الله لقاءهم فيجزل لهم العطاء والكرامة واهل الشقاوة يكرهون لقاء الله لما علموا من سوء ما ينتقلون اليه ويكره الله لقاءهم [2]

فهذه النفس الكريمة الطيبة، نفس المؤمن الراضي بالله وبأحكامه وأقداره تحملها الملائكة وتصعد بها مكرمة إلى السماء، فتفتح لها أبواب السماء وتستقبلها الملائكة ، ويُنادى بأحب أسمائه إليه ، وتصعد نوراً بين السماء والأرض وكلما صعدت سماء سألت الملائكة روح من هذه؟ ثم تعاد إلى الأجساد وتبقى إلى قيام الساعة ... عندها ينادي المؤمن ربي أقم الساعة ، رب أقم الساعة لما يرى من مكانة عند ربه .. فيحب لقاء الله تعالى فيحب الله لقاءه .

فهذه النفس راضية في الدنيا بالله وبدينه وبرسوله ، مرضية في الآخرة بما يعطيها الله إياه من عظم الفضل والعطاء ، فقد قدمت الرضا في الدنيا فعاشت راضية ، فاستحقت رضاه تعالى عنها جزاء رضاها فبادلها تعالى الرضا ، وهو الرب الأعلى الغني ، وهم العبيد الفقراء .. ، فقال تعالى {رضي الله عنهم ورضوا عنه}(المائدة :١١٩)

([1]) الامام النووي هو الامام الفقيه الحافظ القدوة شيخ الاسلام محي الدين ابو زكريا يحيى بن شرف بن مري الخزامي الشافعي ، كان اماما بارعا حافظا متقنا ، بارك الله في عمره وعلومه فاتقن علوما شتى .. صنف التصانيف النافعة في الحديث والفقه كشرح مسلم وشرح المهذب والمنهاج ، وغيرها توفي عام ٦٧٦ هـ رحمه الله تعالى (تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/١٤٧٠ ؛ طبقات الحفاظ للسيوطي ٥١٣ طبقات الفقهاء للشيرازي ٢٦٨)

([2]) الامام النووي : محي الدين بن شرف النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، الطبعة الثانية ، دار احياء التراث . بيروت ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م] م٩ جـ ١٧ / ١٠ - ١١

ب- عند البعث:

قال تعالى { يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي }(الفجر: ٢٧-٣٠)

فقوله تعالى "ارجعي إلى ربك راضية مرضية " (يقال إن ذلك قول الملك للعبد عند خروج نفسه مبشرة برضا ربه عنه وإعداده ما أعد له من الكرامة عنده ، فيقال له ذلك عند الموت " عند خروجها من الدنيا فإذا كان يوم القيامة قيل لها " ادخلي في عبادي وادخلي جنتي " وقال آخرون "بشرت بالجنة عند الموت ويوم الجمع وعند البعث " وقال آخرون : إنما يقال لها ذلك عند البعث حيث قال تعالى (ارجعي إلى ربك) أي إلى صاحبك وجسدك فيأمر الله الأرواح أن ترجع إلى الأجساد)[1]وهذا القول عن ابن عباس[2] رضي الله عنهما وهو الأقرب لمعنى الآية والله أعلم وقد رجح هذا القول الإمام الطبري حيث قال (والأولى بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن عباس إنما ذلك يقال لهم عند رد الأرواح :إلى الأجسام يوم البعث لدلالة قوله (فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) [3]

وهكذا نرى أن رضوان الله تعالى الذي من أجله يعيش المؤمنون ...، يكرمُ الله به أتباعه فيعطيهم إياه ، ويوفق مسعاهم ، فيبشرهم الله به عند النزع وعند البعث فعند النزع تأتي ملائكة الرحمة في أجمل هيئة تبشرهم برضا الله وكرامته عليهم فيحبُّون لقاء الله ، فيحب اللهُ لقاءهم ، كما يكون عند البعث حيث الأهوال العظِام.. ، حيث اضطراب الناس نتيجة الخوف والفزع الذي يجدونه من شدة الموقف .. ، يكون المؤمن مطمئن النفس آمنٌ من عذاب الله ، حيث يبشر برضا ربه تعالى عنه والجنان .

فما أعظمه من أجر ، وما أكرمه من عطاء .. ، وما أجزلها من مثوبة .. ، أن يرتب رضاه تعالى العظيم القوي الجبار على رضا العبيد الفقير الضعيف المحتاج ..

([1]) تفسير البغوي ٤/٤٨٦

([2]) ابن عباس : هو أبو العباس عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ كان يسمى البحر لسعة علمه ويسمى : حبر الأمة ، وُلد والنبي ﷺ وأهل بيته بالشعب فأتي به النبي ﷺ فحنكه بريقه دعا له ﷺ قائلاً (اللهم علمه الحكمة والتأويل) توفي بالطائف عام ٦٨هـ وعمره سبعين سنة، الإصابة لابن حجر، ٤/١٢١ ترجمة رقم(٤٧٩٩) ؛ أسد الغابة لابن الأثير جـ / ١٨٦-١٩٠ ترجمة رقم (٣٠٣٥) .

([3]) جامع البيان ٢٥/٤٢٢-٤٢٥

كما نوه تعالى عن رضاه عن المؤمنين ورضا المؤمنين عنه في عدة مواضع من كتابه الكريم بقوله تعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه) (١)

ففي قوله تعالى {رضي الله عنهم وروضوا عنه }(التوبة:من آية ١٠٠) بيان للنعيم الروحاني ، فإن رضا الله تعالى عنهم ورضاهم عنه هو غاية السعادة الأبدية في نفسه وفيما يترتب عليه من عطاياه تعالى وإكرامه ، ومن كونهم ناعمين بذلك الإكرام مغتبطين به إذ لا مطلب لهم أعلى منه تمتد أعناقهم إليه وتستشرف قلوبهم له حتى يتوقف رضاهم عليه وأما كونه سعادة في نفسه فيعلم أن حال كل من كان في كنف سلطانه فإن علمه برضاه يجعله في غبطة وهناء وطمأنينة قلب ويكون سروره بذلك على قدر مقام رئيسه الراضي،ورضا أكرم الأكرمين يستلزم رضا من رضي هو عنه لأنه يعطيه أضعاف ما يستحق وفوق ما يؤمل ويرجو ، كما قال تعالى{فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين...}(السجدة: من آية ١٧) ، ورضوانه تعالى فوق كل شيء كما قال تعالى {ورضوان من الله أكبر}(التوبة: من آية ٧٢) (٢)

وفي هذه الآيات (صورة مضيئة راضية مطمئنة ترسم حال المؤمنين في مقام عال رفيع وفي جو راض رائع ، ربهم راض عنهم وهم راضون عن ربهم انقطعوا عن كل شيء ووصلوا أنفسهم به فتقبلهم وأفسح لهم في جناته وأشعرهم برضاه فرضوا (٣)

---

(١) جامع البيان للطبري ٥٤٣/٢٥ .

(٢)]) محمد رشيد رضا،تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، الطبعة الثانية،دار المعرفة، بيروت – لبنان ، التاريخ:[بدون]] جـ٧/ ٢٧٤

(٣)في ظلال القرآن، ٣٥١٥/٦

هذا الرضا من الله أعلى وأندى من كل نعيم وهذا الرضا من نفوسهم عن ربهم الرضا عن قدره فيهم والرضا عن إنعامه عليهم والرضا بهذه الصلة بينه وبينهم، الرضا الذي يغمر النفوس بالهدوء والطمأنينة والفرح الخالص العميق) (١)

رضا الله عن المؤمنين (هو الرضا الذي تتبعه المثوبة وهو في ذاته أعلى وأكرم مثوبة ورضاهم عن الله هو الاطمئنان إليه سبحانه والثقة بقدره وحسن الظن بقضائه والشكر على نعمائه والصبر على ابتلائه ، لكن التعبير بالرضا هنا وهناك يشيع جو الرضا الشامل الغامر المتبادل الوارد الصادر ، بين الله وهذه الصفوة المختارة من عباده ويرفع من شأن هذه الصفوة من البشر حتى يبادلون ربهم الرضا وهو ربهم الأعلى وهم عبيده المخلوقون وهو حال وشأن وجو لا تملك الألفاظ البشرية أن تعبر عنه) (٢)

ويتقلب أهل السعادة – أهل رضا الله – في النعيم والجنان بسبب رضا الله عنهم وذلك مثوبة رضاهم عنه تعالى أولاً في الدنيا فيكرمهم تعالى بالعطايا تلو العطايا ، فبادئ ذي بدء ... يكرمهم تعالى بالمدخل الكريم المرضي .

يقول تعالى {إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مُدخلاً كريماً }(النساء: ٣١)

---

(١)في ظلال القرآن ، ٣٩٥٣/٦

(٢)المصدر نفسه ١٧٠٥/٣

كما وعد تعالى – وعد حق – عباده المؤمنين بأن يدخلهم مدخلاً مباركاً مرضياً .

فقال تعالى {والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين ٠ ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حليم }(الحج :٥٨-٥٩)

فقد وعد الله المؤمنين من المهاجرين وغيرهم بأنه سيدخلهم مُدخلاً طيباً مرضياً فقال تعالى {ليدخلنهم مدخلاً يرضونه } وهذا المدخل : هو الجنة أو درجات مخصوصة منها وقد وصف هذا المدخل بأنه مدخل مرضي وذلك لسببين :

١- لأنهم إذا دخلوا يرون مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

٢- (لأنهم يدخلون بدون مشقة وعناء بل براحة واحترام) (١)

ولقد امتن الله على المؤمنين بإكرامهم بأعظم الأجر وأكرمه وأرضاه ، فإن في الجنان من المثوبة والأجر ما يفوق ما كانوا يرجون في الدنيا ، ويتمنون .. ، يقول الإمام الشوكاني (وفي هذا من الامتنان عليهم والتبشير لهم ما لا يقدر قدره فإن المدخل الذي يرضونه هو الأوفق لنفوسهم والأقرب إلى مطلبهم على أنهم يرون في الجنة ما لا عين رأت وذلك هو الذي يرضونه وفوق الرضا) (٢)

---

(١) روح المعاني للألوسي ، ١٨٠/٩

(٢)فتح القدير ٥٤٩/٣

ثم يكرمهم تعالى بالعيشة الطيبة الراضية ، جزاء رضاهم في الدنيا ، يقول تعالى { فهو في عيشة راضية ، في جنة عالية }(الحاقة : ٢١-٢٢) فهو في عيشة راضية : أي مرضية أو عيشة ذات رضا والأصل : في عيشة راض صاحبها فأسند الرضا إليها لخلوصها من الشوائب كأنها نفسها راضية) (١)

فمن أوتي كتابه بيمينه فهو في عيشة مرضية أو في عيشة فيها الرضا فوصفت العيشة بالرضا ، وهي مرضية لأن ذلك مدح للعيشة (٢)

وهم في هذه العيشة الطيبة الراضية في الآخرة جزاء سعيهم المرضي في الدنيا ، فيوم القيامة يجدون عملهم عمل مرضي

يقول تعالى {وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية}(الغاشية:٨-٩)

فهؤلاء المؤمنون في الجنان يعرف في وجوههم النعيم وإنما حصل لهم ذلك بسبب سعيهم ، فهي لسعيها راضية أي لعملها في الدنيا راضية يوم القيامة (٣)

وقيل أن المعنى (لثواب سعيها في الآخرة راضية) وعلى هذا المعنى يكون قوله تعالى {في عيشة راضية}وقوله تعالى {لسعيها راضية} بمعنى واحد (٤)

---

(١)روح المعاني للألوسي ٥٤/١٤.

(٢)جامع البيان للطبري ٥٨٦/٢٣ وقال : والعرب تفعل ذلك في المدح والذم فتقول : ليل نائم ، سر كاتم ، ماء دافق فيوجهون الفعل إليه ، وهو في الأصل مقول لما يُراد به من المدح والذم أهـ

(٣)انظر تفسير ابن كثير ٦١١/٤

(٤)جامع البيان للطبري ٣٨٤/٤؛ روح المعاني للألوسي ٣٢٧/١٥ ، وقد يعلل ذلك بأنه لا يوجد في الآخرة سعي فبقي ثواب ذلك السعي ، فهناك مضاف مقدر ، فوصف السعي بالرضا من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه محله وهذا أمر مستفيض عند العرب كما أشرت من قول الإمام الطبري ٥٨٦/٢٣.

فأكرم بأهل رضا الله منزلة وفضلاً عند الله تعالى .

فالمُدخل كريم مرضي ، العيشة مرضية .. ، والسعي مرضي ...، فما أجمله من مدخل وما أهنأه من عيش .. ، وما أحسنه من سعي ، وما أجزله من عطاء ... ولقد بين تعالى أنه بعد ذاك النعيم كله الذي يكرمهم به "بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .." بعد ذاك النعيم الذي لا يقادر قدره ، يكرمهم تعالى بأعظم منه مثوبة وأكرم أجراً وأكبر منه درجة ألا وهو رضوانه تعالى .

فرضاه تعالى أكبر أجر وأعظم مثوبة يكرم الله به المؤمنين في الجنان ، وليس بعد رضاه تعالى ورؤيته أجر

ففي الصحيح " أن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة! فيقولون : لبيك وسعديك فيقول : هل رضيتم؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى؟ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك . قالوا:يارب! وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول:أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً " (١)

وفي محكم التنزيل يقول تعالى {وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم}(التوبة:٧٢)

فرضاه تعالى أعظم من كل نعيم وأكبر من كل أجر ، ولما كان رضاه تعالى يفوق نعيم الجنان بكل ما فيها ، فهو أكبر وأعلى من متاع الدنيا الفاني – من باب أولى ، فلا يحق لعاقل إذن أن يفضل الدنيا ومتاعها على رضا الله .

(١)سبق تخريجه ص ٤٨

يقول تعالى : { زُين للناس حُبُ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطـــرة من الذهـــب والفضة والخيل المسوّمة

والأنعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المئاب ٠ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواجٌ مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد}(آل عمران:١٤-١٥)

فبعد أن عدّد تعالى أنواع شتى من متاع الدنيا وزينتها قال تعالى {قل أؤنبئكم بخيرٍ من ذلكم }أي هل أخبركم بما هو خيرٌ لكم من تلك المستلذات وأبهم الخير للتفخيم ثم بيّن ذلك الخير بقوله {للذين اتقوا عند ربهم جنات ..الآية} فبيّن تعالى أن أهل الإيمان والتقى لهم عند ربهم خير من الدنيا وما فيها من متاع حيث بين تعالى أن لهم الجنان والأزواج المطهرة وفوق ذلك كله رضوان الله تعالى : أعظم نعيم وأكبر مثوبة يحظون بها عند ربهم ، قال تعالى {ورضوان (١) من الله } أي رضاً عظيمٌ (فبدأ سبحانه أولاً بذكر المقر وهو الجنان، ثم ثنّى بما يحصل به الأنس التام : وهو الأزواج ، وثلّث بذكر الإكسير الأعظم وهو رضا الله عز وجل) (٢)

ويظهر لي – والله أعلم – أنه تعالى ذكر رضاه تعالى بعد قوله تعالى {زين للناس حب الشهوات...} فجعله في مقابلة الدنيا بكل متاعها – للحث عليه ، ولبيان أنه هو النعيم الحقيقي الذي أن يعمل له العاملون ، ويتنافس عليه المتنافسون .

وهذا الثواب وذلك الأجر: هو ثواب عام لكل مؤمن أو موحد من هو من أهل الجنان ، من جميع الأمم ، وهناك ثواب خص الله به الأمة المحمدية – وحدها – لا يشركها فيه أحد من الأمم وهو تفضل الله سبحانه وتعالى عليها بجعلها نصف أهل الجنة .

ففي الصحيح قال ﷺ " أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قال : فكبرنا ثم قال : أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قال: فكبرنا ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ..." (٣)

---

(١)رضوان : التنكير للتفخيم والتعظيم .

(٢)روح المعاني للألوسي ٢/٩٩ بتصرف

(٣) أخرجه مسلم – واللفظ له – جـ١ ، كتاب: الإيمان ، باب: كون هذه الأمة نصف أهل الجنة ، حديث رقم (٢٢١) ؛ والبخاري جـ٧ ، كتاب:الرقاق ، باب:كيف الحشر ، حديث رقم(٦٥٢٨) بلفظ "أترضون أن تكونوا ...الحديث " بنحوه ؛ والترمذي جـ٤ ، ـــ

وهذه المنزلة العظيمة التي خصَّ الله بها الأمة المحمدية هي إحدى مزايا تفضيل هذه الأمة فلقد خص الله تعالى هذه الأمة بخصائص لأنها أمة خير الأنام وأحب الخلق إلى الله : محمد بن عبدالله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أفضل السلام .. فلمكانة المصطفى ﷺ شرّف الله تعالى أمته وأكرمها بأن جعلها خير الأمم ، وأفضل الأمم ، وأكثر الأمم ، وأول الأمم دخولاً الجنة ، والشاهدة على الأمم يوم القيامة ، وأكثر الأمم دخولاً الجنة .

وهي أمة الحمد ، وهي الأمة المرضية التي رفع عنها إصرها والأغلال التي كانت عليها .

ويلاحظ في الحديث قوله ﷺ "أما ترضون أن تكونوا ربع الجنة؟" ثم سؤاله ﷺ "أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟" فسأل ﷺ بلفظ الرضا تشويقاً وتحقيقاً في وقوع الرضا منهم تجاه هذا الأجر العظيم ، فما أجمل أن يطلب الشارع رضا العبد فيما يكرمه به من عطايا مبالغة في الإكرام والتفضيل! وكيف لا نرضى وقد رتب الله تعالى لنا – أمة محمد صلى الله عليه وسلم – من الكرامة فوق ما نرجو ونؤمل ..

كتاب:صفة الجنة ، باب: ما جاء في صفة أهل الجنة ، حديث رقم (٢٥٤٧) ؛ وابن ماجة جـ٢ ، في ابواب الزهد ، باب:صفة أمة محمد ﷺ حديث رقم (٤٣٣٧) ، جميعهم من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ .

أما عن سبب تكرار السؤال مرة تلو مرة وزيادة نسبة هذه الأمة من الأمم في الجنة من الربع إلى الثلث إلى النصف وتكبيرهم في كل مرة يقول الإمام النووي (أما تكبيرهم فلسرورهم بهذه البشارة العظيمة ، وأما قوله ﷺ : ربع أهل الجنة ، ثم ثلث أهل الجنة ، ثم الشطر ، ولم يقل أولاً : شطر أهل الجنة فلفائدة حسنة : وهي أن ذلك أوقع في نفوسهم وأبلغ في إكرامهم فإن إعطاء الإنسان مرة بعد مرة أخرى دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته وفيه فائدة أخرى هي تكرير البشارة مرة بعد أخرى وفيه أيضاً حملهم على تجديد شكر الله تعالى ، وتكبيرة وحمده على كثرة نعمه ، والله أعلم ـــ (١)

وعلى ذلك فإن الأمة المحمدية هي نصف الأمم في الجنة يوم القيامة جزماً لكن علق ﷺ ذلك بالرجاء والطمع بأن يكونوا نصف أهل الجنة أدباً مع الله تعالى .

(أما نسبة هذه الأمة إلى من يدخل الجنة من الأمم فهذه الأمة شطر أهل الجنة كما نص عليه وقال "إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة" (٢) هذه الطماعية قد حققت له بقوله تعالى {ولسوف يعطيك ربك فترضى}(الضحى:٤) لكن علق هذه البشرى مع الطمع أدبا مع الله ووقوفاً مع أحكام العبودية) (٣)

---

(١)شرح صحيح مسلم م/٢ ٩٥/٣

(٢)صحيح مسلم كتاب الإيمان باب قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار رقم (٣٧٩،٢٢٢)

(٣)المفهم شرح صحيح مسلم ، بتصرف ، جـ١/٥٢٨

وقد شرفنا الله سبحانه وتعالى بجعلنا من أتباع المصطفى ﷺ وأكرمنا حيث جعلنا من هذه الأمة المحمدية – خير الأمم وأفضلها – وإعطاؤه تعالى لهذه الأمة هذه المنزلة بين الأمم وتفضيلها بجعلها نصف أهل الجنة هو فضل الله يؤتيه من يشاء ، جعلنا الله من الشاكرين لنعمائه الذاكرين لمننه وآلائه تعالى ، ففي الصحيح قال رسول الله ﷺ (إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ، أعطي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً (١) قيراطاً ثم أعطي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى غروب الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين ، قال أهل التوراة :ربناء هؤلاء أقل عملاً وأكثر أجراً؟ قال : هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا : لا فقال : "فذلك فضلي أؤتيه من أشاء") (٢) فلقد أكرم الله الأمة المحمدية فرفع عنها إصرها والأغلال التي كانت على الأمم السابقة ، وأعز قدرها ، وأعلى مكانتها .. ، فأكرمها تعالى بأن أعطاها على العمل القليل الأجر الكثير . ففاق أجرها وقدرها جميع الأمم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .. فله الحمد تعالى أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً كما يحب ويرضى .

يقول المصطفى ﷺ مقرراً سبق الأمة المحمدية على جميع الأمم " نحن الآخرون السابقون يوم القيامة غير أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم " (٣)

---

(١) قيراط : جزء من أجزاء الدينار وهو نصف عشرة (النهاية في غريب الحديث ، ٤٢/٤)

(٢) أخرجه البخاري ، جـ١ ، كتاب:الجمعة برقم (٨٩٦)

(٣) صحيح البخاري جـ٨ كتاب التوحيد باب في المشيئة والإرادة حديث رقم (٧٤٦٧)

وهذا الثواب وذاك الأجر الذي يغدقه الله لأهل الجنان عطاء لا يقادر قدره ، ولا يعرف وصفه ، ولا يدرك كنهه إلا الله تعالى فهو فضل وأجر فوق الوصف و يقول تعالى في الحديث القدسي " أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " (١)

ويقول سبحانه في محكم التتريل عن عباده {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون}(السجدة:١٧) ،

فله الحمد تعالى حيث تجاوز عن عباده الكثير من الذنوب والسيئات وقبل منهم اليسير من الطاعات وجزاهم عنها بالكثير من الحسنات ، فحاسبهم بما هو أهله ولم يحاسبهم بما هم أهله فهو أهل التقوى وأهل المغفرة –

ولكي يقف المرء على استشعار اليسير من عظم أجر وثواب أهل الرضا من الله تعالى في الجنان له أن يطلع على أجر أقل أهل الجنان مكانة ومترلة عند الله ففي الصحيح يبين المصطفى ﷺ مترلة آخر أهل الجنة دخولاً فيقول ﷺ (آخر من يدخل الجنة رجلٌ فهو يمشي مرة ، ويكبو مرة ، وتُسْفِعُهُ (٢) النارُ مرة فإذا جاوزها التفت إليها فقال : تبارك الذي نجاني منك ، لقد أعطاني الله شيئاً ، ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين ، فترفعُ له شجرة ،فيقول : يارب! أدْنني من هذه الشجرة فلأستظلَ بظلها ،

---

(١)أخرجه البخاري – واللفظ له – جـ٦ كتاب التفسير باب: قوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم حديث رقم (٤٧٨٠)

(٢)يكبو: يسقط على وجهه ؛ تسفعه النار: السفعة نوع من السواد وقيل تغير وعلامة في الوجه ، والمراد تؤثر فيه النار فتغير لونه وسوّده ، (النهاية في غريب الحديث، ٢/٣٧٤)

وأشربَ من مائها ، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم لعلي إن أَعَطيْتكُها سألتني غيرها فيقول: لا يارب ، ويعاهده أن لا يسأله غيرها ، وَرَبُّه يعذرُهُ لأنه يرى مالا صبر له عليه فيُدنيه منها فيستظلُّ بظلِها ، ويشربُ من مائها ، ثم ترفعُ له شجرةٌ هي أحسن من الأولى ، فيقول : يارب! أدْنِنِي من هذه لأشرب من مائها واستظل بظلها ، لا أسألك غيرها فيقول : يا ابن آدم! ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها ؟ فيقول : لعلي إن أدنيْتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهِدُهُ أن لا يسألَهُ غيرها ، وربُّه يعذرُهُ لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها ، ثم ترفعُ له شجرةٌ عند باب الجنة هي أحسنُ من الأولَيين فيقول : أي رب أَدنِني من هذه لاستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها ... فيدنيه منها فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول: أي رب أدخلنيها فيقول:يا ابن آدم! ما يصريني (١) منك؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلَها معها ؟ قال: يا رب ! أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ ... فيقول : إني لا أستهزيء منك ولكنني على ما أشاء قادر) (٢)

ويلاحظ في الحديث كيف يكرم الله تعالى هذا العبد ، وهو آخر من يدخل الجنان يرفعه من درجة إلى درجة ثم يسأله عما يريد ، ويذكره ما يشتهي وما يرغب فيه ويتمناه من النعم ، ففي رواية " فيذكره الله : سل كذا ، وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله هو لك وعشرة أمثاله " (٣)

---

(١)مايصريني : ما يقطع مسألتك ويمنعك من سؤالي ، يقال : صريت الشيء إذا قطعته (النهاية في غريب الحديث ، ٢٧/٣)

(٢) هذا اللفظ انفرد به مسلم من أصحاب الكتب الستة فأخرجه في كتاب: الإيمان ، باب:آخر أهل النار خروجاً ، حديث رقم (١٨٧) ؛ وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ، ص٥٨٩ وقال:وكأن الله يبدي ويبيّن ما أعده لهذا العبد فيستكثره لما يعلم من نفسه فيقول عز وجل : لكني على ما أشاء قادر .

(٣) هذه الرواية في صحيح مسلم ، كتاب:الإيمان ، باب:أدنى أهل الجنة منزلة فيها رقم (١٨٨)

فإذا ذكرما يشتهي كان عطاء الله له ذاك وعشرة أمثاله ،فما أعظمها من مثوبة ! ، وما أكرمه من أجر!

كما يلاحظ قول الرب للعبد في الحديث السالف الذكر (أيرضيك أن أعطيك...) فيطلب الرب رضا العبد بمثوبته وأجره مبالغة في إكرامه ، وهو رب عظيم قدير غني وذاك عبد فقير محتاج .

وفي الرواية التالية يصرح الرب بطلب رضا العبد فيقول : أترضى أن يكون لك ، كما يتكرر لفظ "رضيت رب، رضيت رب) من العبد بعد كل نعمة يغدقها الله تعالى عليه إمعاناً في إرضائه ففي الحديث قال ﷺ (سأل موسى ربه:ما أدنى أهل الجنة منزلة قال : هو رجل يجيء بعدما أُدخل أهل الجنة الجنة فيقال له : ادخل الجنة . فيقول : أي ربّ! كيف ؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاهم فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل مُلْكِ مَلكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول : رضيت رب! فيقول: لك ذلك ومِثْله ومِثْله ومِثْله ومِثْله فقال في الخامسة:رضيت ربّ! فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ....)

فتأمل كيف يطلب الرب تعالى رضا العبد بقوله : أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلك من الدنيا ، فإذا رضي بذلك الأجر العظيم أعطاه فوق ما يؤمل ويرجو فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله ..إلى خمس أضعاف فيقول العبد وهو لا يكاد يصدق رضيت رب ، فيبلغ الإحسان والعطاء منتهاه بقوله تعالى : (هذا لك وعشرة أمثاله ....)(١)

---

(١) أخرجه مسلم كتاب: الإيمان باب:أدنى أهل الجنة منزلة رقم(١٨٩) ، وروى الشق الأول منه الترمذي برقم (٢٥٥٣)؛ والإمام أحمد في مسنده ٢٧/٣ بلفظ (سأل موسى ربه..الحديث)ولم يذكرا لفظ الرضا .

ويلاحظ في روايات الحديث لأدنى أهل الجنة منزلة أن عطاء الله للعبد في الروايات يتفاوت من رواية لأخرى ففي الرواية الأولى يقول تعالى : (أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ، والتالية لها يقول تعالىٰ بعد أن يطلب العبد كل ما يتمنى هو لك وعشر أمثاله وفي رواية أخرى (لك ما تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا) (١) وفي الرواية التي بين أيدينا يقول الرب (أترضى أن يكون لك مثل مُلك ملك من ملوك الدنيا فيقول:رضيت إلى خمس مرات ثم يقول :(هذا لك وعشرة أمثاله) مما يشعر باختلاف ظاهر بين الأحاديث وهي في حقيقتها مُتّفقة .

يقول الإمام النووي رحمه الله للتوفيق بين هذه الروايات وإزالة ما قد يقع في النفس من التباس تجاهها (قوله ﷺ فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها) وفي الرواية الأخرى (لك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا) هاتان الروايتان بمعنى واحد واحداهما تفسير للأخرى فالمراد بالأضعاف الأمثال وأما قوله ﷺ (فيقول الله تعالى أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها) وفي الرواية الأخرى (أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ...فقال في الخامسة رضيت رب فيقول:هذا لك وعشرة أمثاله) هاتان الروايتان لا تخالف الأوليين

(١) صحيح مسلم ، كتاب:الإيمان ، باب:أدنى أهل الجنة منزلة ، حديث رقم (١٨٦)

فإن المراد بالأولى من هاتين أن يقال له أولاً : لك الدنيا ومثلها ثم يزاد إلى عشرة أمثالها كما بينه في الرواية الأخيرة وأما الأخيرة فالمراد بها : أن أحد ملوك الدنيا لا ينتهي ملكه إلى جميع الأرض بل يملك بعضاً منها ، ثم منهم يكثر البعض الذي يملكه ومنهم من يقل بعضه ، فيعطى هذا الرجل مثل أحد ملوك الدنيا خمس مرات وذلك كله قدر الدنيا كلها ثم يقال له لك عشرة أمثال هذا فيعود معنى هذه الرواية إلى موافقة الروايات المتقدمة ولله الحمد وهو أعلم أهـ) [١]

وإذا كان هذا أجر آخر أهل الجنة دخولاً الجنة ، إن أجر السابقين الأولين من صحابة رسول الله ﷺ أجر دونه أي أجر ، وثواب دونه أي ثواب ففي أمر المثوبة الكريمة الطيبة لهم في الدنيا قبل الآخرة ، يقول ﷺ لعلي ﷺ – وهو هو – جلالة وقدراً ومكانةً في الإسلام يقول " أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى " [٢].

وفي أمر المثوبة الحسنة في الدنيا والآخرة يقول ﷺ لابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها " أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة" [٣] وفي رواية"يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة"[٤])

وفي بيان أجر ومثوبة الأمة المحمدية خاصة في الآخرة .. يقول ﷺ لأمته " أني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة .." [٥]

---

(١) شرح صحيح مسلم ، ٤١/٣

(٢) أخرجه البخاري –واللفظ له – جـ٤ ،كتاب:فضائل الصحابة، باب:مناقب علي بن أبي طالب ﷺ حديث رقم(٣٧٠٦)؛ ومسلم، جـ٤، كتاب:فضائل الصحابة، باب:من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ ، حديث رقم(٣١)؛ والترمذي، جـ٥، كتاب:المناقب، باب: ٢١ حديث رقم(٣٧٢٤)؛ وابن ماجة، جـ١ في المقدمة، باب:فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ،حديث رقم(١٠٢) جميعهم من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ ، وأضاف مسلم والترمذي:خلّف رسول الله ﷺ علي في غزوة تبوك، فقال:أتخلفني في النساء والصبيان؟ فقال:أما ترضى ....الحديث

(٣) أخرجه البخاري – واللفظ له – جـ٨ ، كتاب:الاستئذان ، باب:من ناجى بين يدي الناس .. ، حديث رقم (٦٢٨٦) ؛ ومسلم : كتاب: فضائل الصحابة ،باب: فضائل فاطمة رضي الله عنها ، حديث رقم (٢٤٥٠) ؛ وابن ماجة : جـ١ أبواب: الجنائز ، باب:ذكر ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ ، حديث رقم (١٦٢١) كلاهما بنحوه ، جميعهم من حديث عائشة رضي الله عنها

(٤) أخرجه البخاري جـ٤ ، كتاب: المناقب برقم (٣٦٢٤)

(٥) سبق تخريجه ص ٢٤٩

وثواب أهل رضا الله تعالى جنة الرضوان ...، جزاء رضاهم في دار الابتلاء..، ودار خازنها رضوان [1] وخالقها رب راض غير غضبان ، يكرم عبادة فيها بالرضا..، ليعيشوا أسعد عيش وأهنأ حياة ..، وأكرم منزلة ومثوبة .

فلمثل هذا الأجر فليعمل العاملون ، ولعظيم هذا العطاء فليتنافس المتنافسون ورحم الله القائل:

واعمل لدار غداً رضوان خازنها
والجار أحمد والرحمن بانيها

قطوفها ذهب والمسك طينتها
والزعفران حشيش نابت فيها (٢)

ولكي تكمل السعادة ويشيع الرضا ويهنأ العيش يكرم الله تعالى المؤمنين في الجنان بحور عين راضيات يتغنين بالرضا يقول ﷺ " إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها قال : يقلن :نحن الخالدات فلا نبيد ، نحن الناعمات فلا نبؤس ، نـحن الراضيات فلا نسخط ، طـوبى لمن كـان لنا وكنا له (٣)

وهؤلاء الحور الطيبات الراضيات جعلهن الله جزاء الرضا لأهل الرضوان في جنة الرضوان .

نسأل الله تعالى،أن يكرمنا بعفوه وغفرانه ويمن علينا برضوانه فيرضى عنا رضاً لا يسخط علينا بعده أبداً...اللهم آمين

---

(١)فقد رُوي أن رضوان خازن الجنة(ففي الحديث عن أنس مرفوعاً " إذا كان أول ليلة من رمضان نادى الجليل رضوان خازن الجنة ... الحديث.
أخرجه الذهبي في ميزان الاعتدال ، ٢٧٢/١ – ٢٧٣ ، في ترجمة أصرم بن حوشب ؛ كما أخرجه ابن حبان في صحيحه (٨٣/٥) بدون لفظ الرضوان ؛ كما أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ، ٤/برقم (٥٥٣٧) ؛ كنز العمال برقم (٣٦٧٨٤) ،
والحديث ضعيف لضعف أصرم بن حوشب ، قال عنه الذهبي " قال ابن عدي: أصرم إلى الضعف أقرب ، وقال يحيى بن معين : ليس بثقة)

(٢) هذه الأبيات تنسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه

(٣) أخرجه الترمذي جـ٤٤ كتاب صفة الجنة باب ما جاء في كلام الحور العين من حديث علي بن أبي طالب ﷺ حديث رقم (٢٥٦٤) وقال حديث علي حديث غريب ؛
فعلى ذلك هذا حديث ضعيف وعلته عبدالرحمن بن اسحاق بن سعد الواسطي الأنصاري اتفق العلماء على تضعيفه قال أبو زرعة ليس بقوي وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، منكر الحديث وقال ابن خزيمة لا يحتج بحديثه قال عنه الحافظ في تقريبه ضعيف (انظر تهذيب التهذيب – تقريب التهذيب ترجمة رقم(٣٧٩٩) ،
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤١٨/١٠) ورواه الطبراني في الأوسط والكبير وفي إسنادهما سليمان ابن أبي كريمة وهو ضعيف .
والحديث ضعيف ومعناه صحيح – والله أعلم – لما ورد من أحاديث كثيرة في غناء الحور العين في الجنة (انظر حلية الأولياء لأبي نعيم، ٤٣١ ؛ الترغيب والترهيب ، أحاديث رقم (٥٥٣٨ – ٥٥٤٨) فله شواهد عديدة قد يرتقي بها للحسن

المطلب السادس : المصطفى ﷺ سيد الراضين

المصطفى ﷺ سيد الراضين بالله تعالى .. فهو أعلم الناس به تعالى وأخشاهم له ، وأعظمهم له رضا وهو سيد الأولين والآخرين .. فلا غرو أن يكون أشد الناس حرصاً على رضاه تعالى وحذراً من سخطه ، وأن يكون سيد الراضين ، وفيما يلي : صور رائعة من رضاه ﷺ بربه وبقضائه وقدره ومن تعليمه ﷺ لأمته الرضا وحثهم عليه وإليك هذه المسائل :-

المسألة الأولى : رضاه ﷺ عن نفسه وعن ربه

المؤمن راض عن نفسه ، وعن وجوده في هذه الحياة لأنه يعلم أنه لم يخلق عبثاً ..، ولم يترك هملاً... ، بل خُلق لهدف عظيم ، وغايةٍ شريفة ، وأمانةٍ عظمى برأت منها الجبال الرواسي ، والسموات والأرضين على اتساعهما ، فقد خلق ليكون خليفة الله في الأرض فهو ليس مخلوقاً هيناً ، ولا ذرة ضائعة في هذا الوجود ، بل هو كائن كريم شريف ، سوّاه الله تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وسخر له الكونَ برُمّته، وأكرمه أيما إكرام قال تعالى{ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً }(الإسراء:٧٠) ، فهو راض عن الله لأنه يعلم أن هذا الإله هو الذي سواه فأبدعه ، وخلقه فهداه .. ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، وهو الذي يكلأه برحمته ... ، ويتولاه برعايته وحفظه ما تعاقب الليلُ والنهار

والمصطفى ﷺ أكمل الناس إيماناً ، وأخشاهم لله : أكمل الناس رضاً عن نفسه وعن ربه ..، فهو راض عن وجوده في هذا الكون ، لأنه يعلم عظيم قدره في هذه الحياة ..

فهو ﷺ مع كونه إنساناً كريماً شُرف بالخلافة في الأرض ..أكرمه الله تعالى بأعظم رسالة ، وأفضل نبوة فجعله أفضل الأولين والآخرين ... ، وسيد ولد آدم على الإطلاق . (١)

ولقد كان ﷺ نتيجة هذا الرضا العظيم عن الله تعالى : أعظم الناس استشعاراً لفضل الله ونعمته عليه ، فقلبه ﷺ معلّق بالله .. ينظر إلى النعم ... بل وإلى المصاب بعين الحب والرضا .. ، فكان يذكر الله تعالى ويثني عليه بأعطر الثناء ، وأطيب الذكر في شأنه كله وبحمده تعالى على كل حال فإن أصابته سراء حمد الله، وإن أصابته ضراء حمد الله تعالى .. ، في الصباح والمساء، وعند الأذان والصلاة ..، وعند الطعام والشراب وعند النوم وعند الاستيقاظ ..،وعند السفر.. وفي الخلاء..وفي شأنه كله ﷺ يفيض الذكر على لسانه، والرضا من قلبه ﷺ، والطمأنينة من نفسه ، فقد كان ﷺ يذكر الله على أحيانه كلها)(٢) لأنه عرف الله حق المعرفة فرضي عنه تعالى ، فرضي الله عنه .

(١)انظر: الإيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوي ، ١٣٣-١٣٧ .

(٢)سبق تخريجه ص ١٤٠

المسألة الثانية : رضاه ﷺ بما قسم الله تعالى عليه من ضيق العيش :

لم تكن حياته ﷺ حياة ملوك مترفة ، فلم يعش في القصور الفخمة والفرش الوثيرة .. ، بل كان عيشه ﷺ كفافاً ، وكان مثال المؤمن الراضي بما قسم الله له ، طمعاً فيما عند الله .. فالآخرة خير وأبقى ،

ولقد مرت حياته بفترات عديدة من ضيق العيش ، وقلة ذات اليد .

تكشف لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها — الستارَ عن بعض جوانب هذه الحياة التي كان يحياها ﷺ فتقول

"ما شبع آل محمدٍ ﷺ من طعام بر ثلاثَ ليالٍ تباعاً ، حتى قبض " (١)

وتقول — رضي الله عنها — لعروة بن الزبير — رضي الله عنه — ابن اختي إن كنا للننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار . فقلت : ما كان يعيشكم ؟ قالت: الأسودان : التمر والماء إلا أنه كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كان لهم منائح (٢) ، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم فيسقيناه (٣)

ومع ما لاقاه من ضيق العيش الشديد لم يتبرم ﷺ ، ولم يضجر ، وكان راضياً بما قسم له تعالى إيثاراً لما عند الله .. فلقد خُير ﷺ أن يكون ملكاً رسولاً أو نبياً رسولاً فاختار أن يكون نبياً رسولاً (٤) ، وعرض عليه جبل أحد ذهباً فأبى (٥) وكان يدعو بهذا الدعاء : (اللهم أحيني مسكيناً وامتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين) (٦)

وكان يجوع ﷺ الأيام والليالي كما أخبرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وما يوقد في بيته ﷺ نار ولا يجدون من الطعام ما يملأ بطنه (٧) .

---

(١) أخرجه البخاري جـ٧ في الرقاق ، حديث رقم (٦٤٥٤)

(٢) منائح : جميع منيحة وهي العطية ، ومنحة اللبن أن يعطيه ناقة أو شاة ينتفع بلبنها ويرجعها (النهاية في غريب الحديث لابن كثير ٤ / ٣٦٤)

(٣) أخرجه البخاري جـ٧ في الرقاق ، حديث رقم (٦٤٥٩)

(٤) أخرج ابن حبان في صحيحه برقم (٦٣٣١) " جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر في السماء فإذا ملك ينزل .. فقال: يا محمد أرسلني إليك ربك أملكاً جعلك لهم أم عبداً رسولاً .. فقال ﷺ : لا بل عبداً رسولاً "

(٥) وكان يقول ﷺ "لوكان لي مثل أحدٍ ذهباً لسرني ألا تمر علي ثلاثة أيام وعندي منه شيء إلا شيئاً أرصده لدين" أخرجه البخاري في الرقاق برقم (٦٤٤٥)

(٦) أخرجه الترمذي في الزهد ، باب ضجاع آل محمد ﷺ رقم (٢٣٥٢) ؛ وابن ماجة جـ٢ كذلك في الزهد برقم (٤١٧٨) ؛ والحاكم في المستدرك ، ٣٢٢/٤ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي —

(٧) يقول النعمان بن بشير رضي الله عنه "لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يتلوى من الجوع لا يجد من الدقل ما يملأ بطنه" أخرجه مسلم كتاب:الزهد، برقم(٢٩٨٧)

وكان يعصب بطنه من شدة الجوع (١) ويضع الحجر على بطنه (٢) ﷺ ، وكانَ يلبس المرقع من الثياب ، وينام على الحصير ، حتى إذا بكى أصحابه إشفاقاً وحزناً على حاله ﷺ ، جاء التوجيه النبوي الرائع بالرضا والحث على القناعة ، يتجلى هذا التوجيه الرائع من خلال حديث عمر ﷺ حين دخل على النبي ﷺ حين استيقظ من نومه فرأى أثر الحصير في جنبيه ﷺ ، يقول ﷺ (فنظرت ببصري في خزانة رسول الله ﷺ فإذا أنا بقبضة من شعير نحو صاع ، ومثلها قَرَضاً (٣) في ناحية الغرفة ، وإذا أفيقٌ (٤) معلقٌ ، قال : فابتدرت عيناي ، قال: ما يبكيك يا ابن الخطاب! قُلت : يا نبي الله! ومالي لا أبكي؟ وهذا الحصير قد أثر في جنبك . وهذه خزانتُك لا أرى فيها إلا ما أرى ، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار ، وأنت رسول الله ﷺ وصفوتُه ، وهذه خزانتك . فقال " يا ابن الخطاب! ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ؟ قلت:بلى ...) (٥)

على ذلك يمكننا أن نفهم معنى قوله تعالى {ووجدك عائلاً فأغنى}(الضحى:٦) على ضوء ما رجحه الإمام الشوكاني " أي وجدك مفتقراً فرضّاك بما أعطاك من رزق وذلك لأنه ﷺ لم يكن غنياً ، لكن الله رضاه بما آتاه وذلك حقيقة الرضا ، وفي الحديث " ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس (٦)) (٧)

---

(١)ففي الصحيح عن أنس بن مالك أنه وحده ﷺ مع أصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة فقلت : لم عصب رسول الله ﷺ بطنه فقالوا : من الجوع " أخرجه مسلم ، كتاب:الأشربة برقم (٢٠٤٠).

(٢)عن أبي طلحة ﷺ "شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا ثيابنا عن حجر حجر فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين "أخرجه الترمذي رقم(٢٣٧٢)

(٣)القرظ : ورق السلم يدبغ به ، النهاية في غريب الحديث ، ٤٣/٤

(٤)أفيق :الجلد الذي لم يتم دباغه ، وقيل ما دُبغ بغير ا لقرظ (النهاية في غريب الحديث ، ٥٥/١) وفي رواية لمسلم بنفس رقم الحديث "عند رأسه أُهباً معلقة " وزاد " وتحت رأسه وسادة من أدم "

أخرجه البخاري جـ٧ في الرقاق برقم (٦٤٥٤) ؛

(٥) أخرجه مسلم – واللفظ له - جـ٢ ، كتاب:الطلاق ، باب: في الإملاء واعتزال النساء ، حديث رقم (١٤٧٩) ؛ والبخاري ، جـ٦ ، كتاب:تفسير القرآن ، باب:تبتغي مرضات أزواجك ، برقم (٤٩١٣) من حديث ابن عباس ﷺ مطولاً بلفظ " أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؛ وابن ماجة في الزهد ، باب:ضجاع آل محمد ﷺ رقم (٤٢٠٥) بنحو لفظ مسلم ؛

(٦)سبق تخريجه ص ٢٣٠

(٧)فتح القدير ، ٥٥٩/٥

المسألة الثالثة: رضاه ﷺ فيما ابتلي به في الدنيا من مصائب .

لما كان المرء يبتلى على قدر دينه ، ولما كان المصطفى ﷺ أعظم الناس إيماناً .. فلقد كانَ ﷺ من أشد الناس بلاءً ، فلقد ابتلي ﷺ بأصناف عديدة من البلايا ، والمصائب واجهها ﷺ بقلب راضٍ ، ونفس مطمئنة .. موقفه بما عند الله .. وفيما يلي بعض هذه البلايا وموقفه ﷺ منها .

أولاً : ابتلاؤه ﷺ بموت أبنائه وأقاربه : فلقد ابتلي ﷺ بموت الكثير من أبنائه وأقاربه فلم يضجر ولم يجزع بل قابل المصاب بالرضا العظيم ، والتسليم لحكمة الله تعالى وقدره .

أ- ابتلاؤه بموت أبنائه ﷺ :

فلقد ابتلي الحبيب المصطفى ﷺ بموت أبنائه ﷺ جميعاً أمام عينه – عدا فاطمة الزهراء رضي الله عنها – فيموتون .. واحداً تلو الآخر ...، والمصطفى ﷺ يتقبل المصاب بنفس مطمئنة ، وقلب راض لأنه يعلم ﷺ أن لكل أجل كتاب .. ، وأنه كان أمره تعالى قدراً مقدوراً!

ويعبر ﷺ عن حزنه بدمع العين عند المصاب فهو رحمة جعلها الله في قلوب العباد ، والله تعالى لا يحاسب بدمع العين ، ولا بحزن القلب يصور لنا أنس بن مالك ﷺ حزنه ﷺ عند موت إحدى بناته وهو جالس على القبر يبكي .. فيقول ﷺ :

(شهدنا بنتاً لرسول الله ﷺ ، ورسولُ الله ﷺ جالس على القبر .. فرأيت عيناه تدمعان ...) [1]

وكذا حين يأتيه نعي بعض احفاده .. رضوان الله عليهن .. يصبر وَ يحتسب ، ويرضى ويسلم فلقد شاء تعالى أن يموت أبناؤه وبناته وبنوهم فانقطع نسله ﷺ إلا من فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

ففي الصحيح " أرسلت ابنة [2] النبي ﷺ إليه أن ابناً لي قُبض [3] فأتنا ، فأرسل يقرئ السلام ، ويقول " إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكلٌ عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب، فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها ، فقام ومعه سعد بن عبادة [4]... فُرفع إلى رسول الله ﷺ الصبيُ ونفسُه تقعقع كأنها شن [5] ، ففاضت عيناه ، فقال سعد يارسول الله: ما هذا [6] ؟ فقال : هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء " [7]

لكنه ﷺ مع حزنه الشديد .. لا يخرج من فيه ﷺ غير الرضا بالله وبقضائه وقدره فيرضى ﷺ بالقضاء .. ، امتثالاً لأمر الله تعالى ، وتسليماً لحكمه وإرادته تعالى .. فيخلد التاريخ قولته الشهيرة عند موت ابنه إبراهيم " تدمع العين، ويحزن القلب ، ولا نقول : إلا مـــا يرضي ربنا وإنا على فراقـــك يا إبراهيم لمحزونون " [8]

---

(١)أخرجه البخاري في الجنائز ، باب: البكاء على الميت ، برقم (١٢٨٥) ؛ ومسلم في الجنائز كذلك برقم (٩٢٣)

(٢)قال الحافظ بن حجر: هي زينب رضي الله عنها ، والصواب أن هذا الابن بنت لا ولد وهي أمامة بنت زينب كما ثبت في مسند الإمام أحمد بسند هذا الحديث " أتى النبي ﷺ زينب ، ونفسها تقعقع كأنها شن ..الحديث) انظر:فتح الباري لابن حجر العسقلاني ، ١٥٦/٣

(٣)قبض:أي قارب أن يقبض إذا أشرف على الموت ، أرادت أنها في حالة القبض ومعالجة النزع (الكاشف عن حقائق السنة للطيبي ، ٣/ ٣٩٣)

(٤)هو سعد بن عبادة بن دُلَيم بن حارثة بن حرام بن ثعلبة بن الخزرج الأنصاري سيد الخزرج ، يكنى أبا ثابت وأبا قيس شهد العقبة ، وكان أحد النقباء ، كان جواداً كريماً ، وكانت جفنته تدور مع النبي ﷺ في بيوت أزواجه ، توفي وهو ابن ثمانين سنة ﷺ (الإصابة لابن حجر :٥٥/٣)

(٥)تقعقع كأنها شن : تقعقع : تضطرب وتتحرك أراد كلما صار إلى حال لم يثبت أن ينتقل إلى أخرى تقربه من الموت (النهاية في غريب الحديث ، ٨٨/٣) والشن : هي القربة والمراد : تضطرب كأنها قربة خاوية .

(٦) يقول الامام الطيبي كأنه استغرب ذلك منه ﷺ ظناً منه أنه يدل على ضعف النفس،والعجز عن مقاومة المصيبة بالصبر،وأنه يخالف ما عهده فيه من الحث على الصبر والنهي عن الجزع، وأجاب ﷺ بأنها رحمة، أي الحالة التي تشاهدها مني رقة ورحمة على المقبوض فيما هو عليه،لا ما توهمت من الجزع وقلة الصبر، فهذه الدمعة التي تراها هي اثر رحمة جعلها الله في قلوب عباده(الكاشف عن حقائق السنة ، ٣٩١/٣ - ٣٩٢)بتصرف

(٧)أخرجه مسلم في الجنائز ، برقم (١٢٨٤)

(٨)سبق تخريجه ص ١١٠

ب- ابتلاؤه ﷺ بموت أقاربه :

١- عام الحزن :

فقبل الهجرة يموت عمه الرحيم أبو طالب وزوجه الحنون أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها في نفس العام فتتوالى الأحزان عليه ﷺ فيسمي هذا العام بعام الحزن .

في هذا العام يموت عمه أبو طالب ، الذي كان يحوطه ويحميه من أذى قريش طيلة أربعين عاماً يدافع عنه ليل نهار ، وينصره وهو على الكفر ، فما نالت قريش منه ﷺ ولا تجرأت عليه إلا بعد وفاة عمه أبو طالب (١) ، فلقد كانت مكانته فيهم تمنعهم من إلحاق الضرر بابن أخيه ، ومما زاد حزنه ﷺ عليه أنه قد مات على الكفر (٢)، وهو ﷺ يدعوه لآخر رمق فيه أن يسلم لينجو من النار فيأبى ، ليحقق الله سنة من سننه تعالى في الكون ، ويترل قوله تعالى { إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء } (٣)(القصص:٥٦) ، كما تموت في هذا العام زوجه الرؤوف الودود ، أم المؤمنين خديجة بنت خويلد سيدة نساء العالمين ، أول من آمن به على الإطلاق ، وأعظم من نصرته بمالها ونفسها ، التي نزل عليها سلام الله من فوق سبع سموات .. ، فيقابل ﷺ ذلك كله بتسليم المؤمن الصابر الراضي بأحكام الله وأقداره .

---

(١)انظر [ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق د.همام عبدالرحمن ، محمد بن عبدالله ، الطبعة الأولى ، مكتبة المنار – الأردن ، ١٤٠٩ هـ-١٩٨٨] جـ١/٤٣٠-٤٣١

(٢)ففي صحيح مسلم " لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال رسول الله ﷺ : ياعم! قلْ لا إله الله كلمةً أشهد لك بها عند الله ، فقال : أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية : يا أبا طالب ! أترغبُ عن ملّةِ عبدالمطلب؟ فلم يزل رسولُ الله ﷺ يَعرِضُها عليه ، ويُعيد له تلك المقَالَة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملةِ عبدالمطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله ... وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) (القصص:٥٦) مسلم ، جـ١ ، باب: الإيمان ، باب:الدليل على صحة الإسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع ، حديث رقم (٢٤)

(٣)قال الإمام النووي م/١جـ/١ (١/٢١٥) في قوله تعالى {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء } أجمع المفسرون أنها نزلت في أبي طالب .

٢- ابتلاؤه ﷺ باستشهاد أسد الله (حمزة بن عبدالمطلب [١]) :

وفي غزوة أحد يلحق بركب الشهداء الخالد، أسد الله وحِبُّ رسول الله ﷺ حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ ؛ أحد الذين أظهر الله الإسلام في مكة على أيديهم ، فنصر وأيد المصطفى ﷺ يمضي رضي الله عنه شهيداً في ركب الشهداء الخالد،وقد بُقرت بطنه ومُثل به ...فيغضب المصطفى ﷺ أشد الغضب،ويشتد عليه ما يراه من أذى شنيع لحق به وعن أبي هريرة رضي الله أن النبي ﷺ لما رأى حمزة قد مُثل به قال:"رحمة الله عليك لقد كنت وصولاً للرحم،فعولاً للخير،ولولا حزن من بعدك لسرني أن تحشر في أجواف شتى [٢]"ثم حلف وهو بمكانه ليمثّلن بسبعين منهم-فيقسم ليمثلن بسبعين من المشركين إن ظفر بهم فيترل الوحي من السماء راداً المصطفى ﷺ عن عزمه بقوله تعالى{وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين}(النحل:١٢٦) ،

فيرضى ﷺ أكمل الرضا ويُسلّم لأمر الله ويصبر على المصاب ، وبعد عزمه ﷺ على الانتقام لحمزة رضي الله عنه بسبعين من المشركين يغفر لقاتله – بعد أن أسلم – ويعفو ويصفح .

---

(١)حمزة بن عبدالمطلب : هو أبو عمارة حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي عم الرسول ﷺ وأخوه من الرضاعة وُلد قبل النبي ﷺ بسنتين وأسلم في السنة الثانية ولازم نصر رسول الله ﷺ وهاجر معه ، آخى بينه ﷺ وبين زيد بن حارثة ، كان صاحب أول لواء عقده النبي ﷺ في الإسلام ، استشهد بأحد رضي الله عنه وأرضاه (الإصابة(١٠٥/٢) لابن حجر ، ترجمة رقم (١٨٣١)

(٢)قال الحافظ بن حجر رحمه الله : في فتح الباري(١٤٣/٣) حديث رقم (٢٩٣٧) رواه الطبراني والبزار بإسناد فيه ضعف وهو كذلك ... فإن فيه صالح بن بشير ضعيف كما قال الحافظ بن حجر في التقريب برقم (٢٨٤٥) ، كما رواه ابن هشام في السيرة مرسلاً ، ١٣٩/٣

ففي الصحيح : أن وحشياً (١) عندما قدم على رسول الله ﷺ قال له ﷺ " آنت وحشي؟ قلت : نعم، قال : أنت قتلت حمزة ؟ قلت : قد كان من الأمر ما بلغك قال: فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني؟ ...الحديث" (٢)

وهذه القصة توضح مدى تأثر المصطفى ﷺ لمقتل حمزة ﷺ لعدة سنوات فهو ﷺ لا يستطيع ﷺ أن يرى قاتل حمزة ، بعد عدة سنوات ، ومع ذلك يرتقي العدل المحمدي مداه حيث يقبل ﷺ إسلام وحشي ، فيسلم وحشي ويحسن إسلامه.. ، وبعد أن عزم على الثأر بسبعين من المشركين ، لا يثأر من قاتل حمزة ، حين يُمكن منه ، رضاً وتسليماً لأمر الله .

٣- ابتلاؤه ﷺ باستشهاد جعفر بن أبي طالب (٣) - ﷺ -

ويصاب ﷺ بفقد ابن عمه وحبه وأشبه الناس به خَلقاً وخُلُقاً (٤) ، وأبي المساكين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

---

(١)وحشي : هو وحشي بن حرب الحبشي مولى بني نوفل وقيل طعيمة بن عدي وقيل مولى أخيه مطعم ، وهو قاتل حمزة ، قتله يوم أحد قدِم على الرسول ﷺ مع وفد أهل الطائف وأسلم ، شارك في قتل مسيلمة الكذاب ، وشهد اليرموك ثم سكن حمص ومات بها (الإصابة لابن حجر العسقلاني ، ٤٧٠/٦)

(٢)أخرجه البخاري في المغازي برقم ٤٠٧٢ .

(٣)جعفر الطيار : هو أبو عبدالله جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن عم رسول الله ﷺ وأحد السابقين إلى الإسلام ، وشقيق علي بن أبي طالب ، هاجر إلى الحبشة ، فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه وأقام عنده ، ثم هاجر منها إلى المدينة فقدم والنبي ﷺ بخيبر فسُر بقدومه ، استشهد بمؤتة من أرض الشام مقبلاً غير مدبر مجاهداً للروم في حياة النبي ﷺ سنة ثمان من الهجرة عن بضع وأربعين سنة ، لقب بأبي المساكين لحبه للمساكين وكذلك بذي الجناحين أو جعفر الطيار - " لأنه قاتل حتى قطعت يداه فأبدل الله بهما جناحين في الجنة " ، الإصابة لابن حجر العسقلاني ، ٥٩٢/١ ؛ ...

(٤)ففي الصحيح عنه ﷺ قال له " أشبهت خلقي وخُلقي " أخرجه البخاري في المغازي حديث رقم (٤٢٥١)

فيحزن ﷺ لذلك ،وتذرف عيناه ، ويأتي بنيه فيضمهم إليه ويتشممهم وهو يبكي [1] ، لكن لا يخرج من فيه ﷺ سوى الرضا ، فيعبر عن حزنه بدمع العين .

ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت " لما جاء النبي ﷺ قتل ابن حارثة [2] وجعفر وابن رواحة [3] ، جلس يعرف فيه الحزن وأنا أنظر من شق الباب فأتاه رجل فقال : إن نساء جعفر يبكين – فأمره أن ينهاهن فذهب ، ثم أتاه الثانية لم يطعنه فقال : انْهَهُنَّ . فأتاه الثالثة قال : والله غلبنا يارسول الله ... الحديث" [4]

ثانياً: ابتلاؤه باجتماع كفار قريش عليه ﷺ في مكة

ما فتأ كفار قريش يسخرون من المصطفى ﷺ ويستهزؤن به ، قد اجتمعت قلوبهم على بغضه ، وأنفسهم على نبذ دينه ، دون أن يتركوا لعقولهم فرصة للتفكير فيه فاختلفت أقوالهم فيه ، كل واحد منهم حسب هواه .. فتارة يتهمونه بالجنون وتارة بالسحر والشعوذة .. وتارة بالشعر . وهو ﷺ كالجبل الأشم لا يلتفت إلى قولهم ولا يترل إلى قدرهم ، قد أخذت منه رسالته العظمى التي أنيط بها كل مأخذ ، فكان ﷺ لا يذخر وسعاً في الدعوة إلى الله تعالى ، حتى صار له ﷺ أتباع وأنصار ، يزيدون يوماً بعد يوم ، ولم يعد يتبعه فقط الضعفاء والعبيد كما كان من قبل ، بل صار من أتباعه الأشراف والأسياد أمثال: عمر بن الخطاب ﷺ ، عندها أحست قريش بالخطر يهدد حياتها ، فكان منها أن بدأت تخطط للإيقاع به ﷺ وإضعاف دعوته ، ومن وسائل هذا التخطيط :

---

(١)عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ ائتني ببني جعفر ، قالت فأتيته بهم ، فتشممهم وذرفت عيناه ، فقلت : يا رسول الله! بأبي أنت وأمي ، ما يبكيك ؟ أبلغك من جعفر وأصحابه شيء؟ قال : نعم ، أصيبوا هذا اليوم . قالت: فقمت أصيح ، واجتمعت إليّ النساء ، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال : لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً ، فإنهم قد شُغلوا بأمر صاحبهم)

أخرجه ابن هشام في السيرة ٣٤/٤ وفيه أم عيسى وهي مجهولة لا يعرف حالها (انظر التقريب ترجمة رقم(٨٧٥٤) وأخرج طرفه الأخير الترمذي من غير طريق ابن هشام بلفظ " اصنعوا لآل جعفر طعاماً " ، جـ٣ ، كتاب: الجنائز ، باب : ما جاء في الطعام يصنع لأهل الميت حديث رقم(٩٩٨) وقال:هذا حديث حسن صحيح؛ وكذا أبو داود في سننه جـ٣ كتاب:الجنائز، باب:صنعة الطعام لأهل الميت حديث رقم(٣١٣٢)

(٢)ابن حارثة : هو زيد بن حارثة بن شراحبيل الكعبي ، أول من أسلم من الغلمان ، مولى المصطفى ﷺ وحبه ، كان يُدعى زيد بن محمد حتى نزل قوله تعالى {ادعوهم لآبائهم} (الأحزاب:٥) شهد بدراً وما بعدها ، استخلفه النبي ﷺ في بعض أسفاره على المدينة ، استشهد في غزوة مؤتة وهو أمير رضي الله عنه وأرضاه ، (الإصابة لابن حجر ، ٤٩٤/٢)

(٣)ابن رواحة : هو عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي ، الشاعر المشهور ، كان أحد النقباء ليلة العقبة ، شهد بدراً وما بعدها إلى أن استشهد ، ومناقبه كثيرة ، كان عظيم القدر في الجاهلية والإسلام ، ومن أحسن ما مدح به النبي ﷺ (لو لم تكن فيه آيات مبينةٌ كانت بديهته تنبيك بالخبر) استشهد بمؤتة بعد جعفر وزيد رضي الله عنهم (الإصابة ، ٧٤/٤)

(٤)أخرجه البخاري –واللفظ له – جـ٢ كتاب: الجنائز ، باب: من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن حديث رقم (١٢٩٩) ومسلم جـ٢ كتاب:الجنائز ، باب: التشديد في النياحة ، حديث رقم (٩٣٤) كلاهما من حديث عائشة رضي الله عنها .

١- قطيعة بني هاشم : (فلقد اجتمعت قريش وائتمرت فيما بينها أن تكتب كتاباً ، وتعقد عقداً على بني هاشم ، وبني عبدالمطلب [1] على ألا ينكحوا إليهم ولا ينحكوهم ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكّيداً على أنفسهم) [2] .

ومكـــث الرسول ﷺ والمسلمون في الشعب سنتين أو ثلاثاً ، لا يصل إليهم طعام إلا سراً ، حتى اشتد بهم الجوع والظمأ ، وأخذ منهم الجهد والضنك كل مأخذ ، ... أكلوا فيها أوراق الشجر من الجوع ... ، إلى أن قيّض الله لهم من قـــريش - ممن تحركت في قلوبهم النخوة والشهامة لنصرة المظلوم - من يقوم بنقض هذه الصحيفة الظالمة .... وبذلك تنتهي قطيعة بني هاشم - بعد مضي ما يربو على العامين من الشدة والضنك قابلها ﷺ بقلب مطمئن ونفس راضية - لبأخذ التآمر من قريش وسيلة جديدة ولوناً آخراً -

٢-التعرض لإيذائه ﷺ الجسدي :

ولقد ابتلي ﷺ - لا سيما بعد موت عمه أبي طالب - بالكثير من الإيذاء الجسدي من قريش .. وإيذاء المصطفى ﷺ الجسدي صورة من صور الضعف والعجز سجله التاريخ لكفار قريش حيث لم يستطيعوا مجابهة الحجة بالحجة ، والعقل بالعقل .. فلجؤوا إلى القوة .. وهي صورة تتجدد عبر التاريخ من الطغاة الذين يملكون القوة مع الدعاة المستضعفين

{وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد }(البروج:٨)

---

(١)بني هاشم وبني عبدالمطلب : هاشم جد والد المصطفى ﷺ ، عبدالمطلب جد المصطفى ﷺ فعلى ذلك فقد شملت القطيعة كل من ناصر المصطفى ﷺ من بني هاشم وبني المطلب فدخل أبو طالب في الحصار وهو على الشرك كما خرج منه أبو لهب عم المصطفى ﷺ لمحاربته وشدة عداوته لرسول الله ﷺ فظاهر قريشاً على أهله .

(٢)السيرة لابن هشام ، ٤٣٠/١

ففـــي الصحيح أن عمراً بن العاص [1] سئل عن أشد ما صنعه المشركون بالنبي ﷺ فقال (بينما النبي ﷺ يصلي في الحجر عند الكعبة إذ أقبل عقبة بن معيط [2] فوضع ثوبه في عنقه ، فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبوبكر حتى أخذ بمنكبيه ودفعه عن النبي ﷺ قال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ..) [3] وكم من مرات وضعوا الأذى في طريقه ﷺ وهو يعفو ويصـــفح ويدعـــو لهم بالهداية ، بل لقد تجرؤوا على وضع القذر [4] على ظهره ﷺ الشريف وهو ساجد يصلي .. اســـتهزاءً به وبصلاته .. ، وكم نُهي عن أن يصلي لربه بالبيت الحرام وهُدِد فجاء الأمر من الله تعالى {كلا لا تطعه واسجد واقترب}(العلق : ١٩)

كـــل ذلـــك يتقـــبله ﷺ بصبر عظيم ورضا بالمصاب ليس له مثيل ، لسان حاله يقول "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون" .. فقد ضرب ﷺ أروع الأمثلة في الصبر والتضحية من أجل الدعوة ، والرضا بما كتبه تعالى عليه بقلب موقن بالنصر ، ونفس مطمئنة راضية .. فكان النصر له ولدينه {ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز}(الحج: من آية ٤٠)

٣-التآمر على قتله ﷺ :

لما اشتد الخطب على قريش بقوة شوكة الإسلام والمسلمين ، ولما رأت حسن وفادة النجاشي لأتباع المصطفى ﷺ فشل قريش في استرجاعهم ، مما هز كيانهم عند العرب ، فما عادت قريش - كما كانت - رائدة العرب ، وحماة

(١) هو عمروبن العاص بن وائل هاشم بن سُعَيْد بن سَهْم بن عمرو القرشي السهمي يكنى أبا عبدالله وأبا محمد ، أمير مصر ، أسلم قبل الفتح سنة ثمان ، وقيل بين الحديبية وخيبر ، ولما أسلم كان النبي ﷺ يقربه ويدنيه لشجاعته ، وولاه غزوة ذات السلاسل ثم استعمله على عمان فمات ﷺ وهو أميرها ولاه عمر مصر وهو الذي افتتحها وأبقاه عثمان قليلاً ثم عزله ثم لحق معاوية في الفتنة بين علي ومعاوية ن فكان يدبر أمره ثم ولاه معاوية على مصر فتولاه إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين هجرية ﷺ (الإصابة لابن حجر ، ٤/٥٤٠)

(٢) عقبة بن معيط :هو أبو الوليد:عقبة بن أبان بن نكوان بن أمية بن عبدشمس : من مقدمي قريش في الجاهلية، كنيتهُ أبيه أبو معيط، كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الإسلام، فأسروه يوم بد وقتلوه ثم صلبوه، وهو أول مصلوب في الإسلام توفي عام ٢هـ(الأعلام للزركلي،٤/٢٤٠)

(٣)أخرجه البخاري في مناقب الأنصار برقم (٣٨٥٦)

(٤)سيأتي قريباً في باب الغضب

البيـــت وسدنته ، وأنصار الحق ، ملاذ الخائفين ، وملجأ المنقطع وابن السبيل ، بل لقد صار أبناؤهم يفرون من أذاهم إلى بلاد أخرى ، ولما رأت أن المصطفى ﷺ صار له شيعة وأنصارٌ من غيرهم في بلد غيرهم ، يؤمنون بما يكفرون بـــه ، ويفدونه بأموالهم وأنفسهم ورأت أتباعه ﷺ بمكة يهاجرون إليهم واحداً تلو الآخر .. ولم يبق إلا خروجه ﷺ إلـــيهم ولحوقه بهم ... حينها أحست قريش بالخطر يداهمها .. يتربص بها من كل مكان ، يقلق مضاجعها .. ، يكدر صـــفوها.. فلا بد إذن من إيجاد رأي سديد وعاجل ، للإيقاع بمحمد ﷺ قبل فوات الأوان .. ، قبل أن يخرج من بين أيديهم فيلحق بأتباعه وأنصاره فيصير حرباً عليهم وحينها – لا ريب – نهايتهم على يديه ستكون قريبة ..

من أجل ذلك كله – كان ذاك الاجتماع .. اجتماع الغدر والخيانة .. في دار الندوة ، كان ذاك الاجتماع الذي حضره إبليس – عليه لعنة الله – وتوالت في هذا الاجتماع الآراء ... والحلول .. فقائل يقول نسجنه حتى يموت .. وقـــائل يقول : نخرجه من بين أيدينا وننفيه إلى بلاد أخرى .. إلى أن استقر رأيهم على الحل الأمثل ، والرأي السديد لديهم الذي نال إعجاب إبليس – عليه لعنة الله [1] –حيث سارعوا إلى تنفيذه – وهو أن يؤخذ من كل قبيلة شاباً

---

(١)قد أوردت كتب السير أن إبليس عليه لعنة الله حضر الاجتماع في هيئة رجل نجدي ، وهذا الرأي نال إعجابه هو رأي أبي جهل بن هشام عليه لعنة الله ، انظر السيرة النبوية لابن هشام ، ١٣٧/٢ وغيرها

جلـــداً ذو نسب ثم يُعطى كل فتى منهم سيفاً فيعمدوا إليه في داره فإذا خرج ضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل ، فلم يقدر بنو عبد مناف حرب قومهم جميعاً ، فيرضون حينها بالدّية ، ويجتمعون على بابه يريدون دمه ... ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، وينشر دينه.. ، فيُعمي أبصارهم ، ويخرج ﷺ من بين أيديهم مهاجراً إلى يثرب حاثاً ناثراً الـــتراب فـــوق رؤوسهم وهو يقول : {وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً ..}(يس : ٩) ، ليطوي بهجرته ﷺ حياة القهر والعناء والذل بمكة المكرمة ، ويسفر عن بدء صفحة جديدة للإسلام في تاريخ البشرية ، فتكون هجـــرته ﷺ نهايـــة الحياة بمكة المكرمة- وبداية لميلاد فجر جديد يسفر على أرض يثرب..لتصبح تلك الأرض طيبة الطيبة، والمدينة المنورة التي أنارها المصطفى ﷺ بقدومه .

قـــال تعالى {وإذ يمكر بك الذي كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين }(الأنفال:٣٠)

ثالثاً: ابتلاؤه باجتماع اليهود والمنافقين عليه في المدينة المنورة :-

وبعد هجرته ﷺ إلى المدينة المنورة ظهر نمط جديد للكفر لم يكن يتعامل معه ﷺ من قبل ، فبالإضافة إلى كفار قريش الذيـــن عاش معهم ﷺ في مكة المكرمة .. لاقى في المدينة اليهود ، ومن اليهود ظهر النفاق واليهود أهل كتاب وعلم وكفرهم به ﷺ كان عن يقين تام بصدق نبوته وزيف ضلالهم لكنهم حسدوا وبغوا أن يظهر الله في العرب النبوة واليهود أهل مكر وخداع ، وحزب ودمار .. فقد دبروا الدسائس تلو الدسائس للمصطفى ﷺ ، فباتوا يكيدون

فبادئ ذي بدء يسألونه مراراً عما يجدونه في توراتهم - سؤال المتعنت لا سؤال المسترشد المستنير ،

فعن ابن مسعود ﷺ قال : كنت مع النبي ﷺ في حرث بالمدينة المنورة ، فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم : سلوه عن الروح .. فقالوا : يا أبا القاسم : حدثنا عن الروح ، فقام ساعة ينظر فعرفت أنه يوحى إليه ، فتأخرت عنه حتى صعد الوحي ، ثم قال {ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي}(الإسراء:٨٥) (١)

(إن الـــيهود قالت للنبي ﷺ "حدثنا من وليك من الملائكة؟ فعندها نجامعك أو نفارقك قال : فإن وليّ جبريل ،ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه ، فقالوا : فعندها نفارقك ولو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك قال: فما يمـــنعكم أن تصدقوه؟ قالوا: إنه عدونا ، فأنزل الله {قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك مصدقاً لما بـــين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ، من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدوّ للكافرين }(البقرة:٩٨) (٢)

فبينوا مفارقتهم للمصطفى ﷺ وعداوتهم له ولجبريل عليه السلام .. ثم ما فتئوا يكيدوا له ﷺ ليل نهار ..ويدبرون له الحيل للإيقاع به ﷺ {ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين }(الأنفال: من الآية ٣٠)

---

(١)أخرجه البخاري جـ٨ ، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب: ما يكره من كثرة السؤال ، حديث رقم (٧٢٩٧) ؛ وذكره الواحدي في أسباب النزول ص٣٣٨ .

(٢)أخرجه ابن كثير في تفسيره ١٨٧/١ قال عنه محققه د.أحمد شاكر : رواه أحمد في المسند بأسانيد صحاح [الحافظ بن كثير ، عمدة التفسير ، اختيار وتحقيق : أحمد محمد شاكر ، الطبعة : [بدون]] ١٨٧/١

فكم من مرات حاولوا فيها قتله ﷺ ، ولقد تمكنوا من سحره [1] وإطعامه السم [2] فمات ﷺ متأثراً بسمه [3] ، كل ذلك من عظيم غيظهم وحقدهم له ﷺ مع علمهم أنه نبي مرسل ، وصدق الله إذ يقول {لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا }(المائدة: من آية (٨٢))

ولقد كانت اليهود السبب المباشر وراء معظم الحروب التي غزاها النبي ﷺ فهم كما أخبر تعالى عنهم {كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً ..}(المائدة : من الآية (٦٤))

ولما ظهر الإسلام في المدينة المنورة وأعز الله دينه وصارت للإسلام دولة .. لجأت اليهود إلى الخديعة والإلتواء اللتان جلبت عليها - يهود خوفاً من القتل فسجل القرآن عنهم قولهم في النفاق { وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ٭ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ..}(آل عمران(٧٢-٧٣))

---

(١) انظر قصة إجلاء بني النضير في السيرة النبوية لابن هشام ، ٢٦٧/٣

(٢)ففي صحيح البخاري ، جـ٧ ، الأدب ، برقم (٦٠٦٣) ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: مكث النبي ﷺ كذا وكذا يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي ..الحديث .

(٣)وذلك عند أكله ﷺ من الشاة المسمومة من قبلهم ففي الصحيح " لما فُتحت خيبر أُهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سمّ " أخرجه البخاري ، جـ٥ ، كتاب:المغازي برقم (٤٢٤٩)

وبذلــك ظهر النفاق .. ولقد كان المنافقون أشد خطراً على المسلمين من اليهود لأنهم يظهرون الإيمان ويبطنون الكفــر فهم يتسمّون بالإسلام والإسلام منهم بريء .. ، وهم يعيشون داخل صفوف المسلمين يعرفون أسرارهم ، ويسمعون أخبارهم ..فهم أقدر على إيذائهم ..ولكن الله لهم بالمرصاد{يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره..}(التوبة: من آية ٣٢)

ولقــد كــان الرسول ﷺ يمتنع عن قتلهم وإيذائهم - مع علمه بكفرهم - لكونهم مسلمين في الظاهر .. ، وعــندما يريد أحد الصحابة قتل أحدٍ منهم حين يتلفظ بالنفاق كان ﷺ يقول " لا .. لا يقولن الناس أن محمداً يقتل أصحابه " (١)

ومع كل هذا البلاء العظيم من اجتماع قوى الكفر عليه ﷺ في المدينة من يهود ومنافقين كان المصطفى ﷺ – كدأبه دائماً مع كل مصاب - يتقبل المصاب برضاً عظيم ويدعو الله بالسداد والثبات.. ويأخذ بالأسباب .. حتى جاء نصر الله ..

(١)أخرجه البخاري في صحيح كتاب استتابة المرتدين ، حديث رقم (٦٩٣٣)

رابعاً: ابتلاؤه ﷺ بقتال أعداء الدين

من خلال ابتلائه ﷺ باجتماع قوى الشر عليه في مكة المكرمة والمدينة المنورة - من كفار ويهود ومنافقين - تعرض ﷺ لخــوض المعارك معهم ، حيث لاقى ﷺ الكثير من الشدة والمشقة في سبيل نشر هذا الدين ومن أبرز الغزوات التي اشتد فيها الأذى على المصطفى ﷺ وصحابته الكرام : غزوة أحد والأحزاب وحنين ، ... وفيما يلي هذه الغزوات :

١- غزوة أحد :

وفي هذه الغزوة يشتد البلاء على رسول الله ﷺ ، وعلى صحابته الكرام - رضوان الله عليهم - في أولى الغزوات بــين الكفــر والإيمــان لــيمحّص الله تعالى الإيمان في القلوب ... ، ويظهر الشرك والكفر والنفاق الذي دُس في الصفوف..، وليلقن صحابة رسول الله ﷺ درساً لن ينسوه في وجوب طاعة الرسول ﷺ

ويبدأ البلاء قبل بدء المعركة .. حيث ينفصل المنافقون - وعددهم ثلاثمائة - عن جيش المسلمين راجعين إلى المدينة المــنورة بقيادة عبدالله بن سلول [١] .. أي ما يفوق عن ربع الجيش ، وانقلاب هذا العدد مرتداً إلى المدينة المنورة في هــذا الوقــت الحــرج يسبب الضعف،وزعزعة صف الجيش المسلم لولا أن الله تعالى ثبّت عباده الموحدين..وأرجع المنافقين خائبين لم ينالوا خيراً ...

(١)عبدالله بن أبي بن سلول : أبو الحباب : عبدالله بن أُبي بن مالك بن الحارث بن عُبيد الخزرجي المشهور بابن سلول رأس المنافقين في الإسلام من أهل المدينة كان سيد الخزرج أظهر إسلامه بعد بدر تقية لما تهيأ النبي لغزوة أحد انخذل بُي وكان معه ثلاثمائة رجل وفعل ذلك عند التهيوء لغزوة تبوك ، وكان كلما حلت بالمسلمين نازلة شمت بهم وكلما سمع سيئة نشرها توفي في عهد الرسول ﷺ وفي النهي عن الاستغفار له نزل قوله تعالى {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) (الأعلام للزركلي (٤/٦٥))

ومـــع انسحاب هذا العدد الضخم لم يحرم المسلمون النصر ، فإن المسلمين لم يُغلبوا قط من قلة ، فهم ينتصرون على عدوهم بالإيمان والعقيدة لا بالعدد والعُدة .

وتبدأ المعركة .. ويكون النصر للمسلمين .. ويتولى الكفار هاربين .. فيجمع المسلمون الغنائم فرحين بنصر الله .. وهنا يرى الرماة – على جبل أحد وهم سبعون مقاتل – الغنائم تجمع ، فينسون أمر نبيهم الكريم بعدم ترك أماكنهم حتى وإن رأوا المسلمين تتخطفهم الطير .. ، فيترلون ظناً منهم بانتهاء المعركة .. [1]

ولم يثبت على الجبل إلا عدد يسير – لا يتجاوز العشرة...، وبترول الرماة ينكشف ظهر المسلمين .. وما هي إلا لحظات لتدور الدائرة على المسلمين .. حيث يغتنم الكفار الفرصة فيصعدون جبل أحد فيكون من بقي من الرماة على الجبل لقمةً سائغةً لهم ،

وفجـــأة! يحـــيط النـــبل بالمسلمين من كل مكان..،يقذفون به من كل جانب،فيضطربون من هول المفاجأة أشد الاضـــطراب، وبعد أن كانوا يجمعون الغنائم صاروا يتولون خوفاً من القتل..واختلط المسلمون بعضهم ببعض،وصار يقتل بعضهم بعضاً، فقتلوا اليمان[2] أبا حذيفة بن اليمان [3]–رضي الله عنهما–خطأً [4] وحذيفة يصيح بهم أبي أبي، وهـــم لا يســـمعون..،ثم يســـمعون الصـــارخ يقـــول إن محمداً قد قُتل..فيزداد اضطرابهم وفرارهم فكان القرح الشديد..،وكان الابتلاء..

(١)ففي الصحيح أنه ﷺ قال للرماة " لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا " أخرجه البخاري في المغازي ، حديث رقم (٤٠٤٣)

(٢)أبا حذيفة : واسمه حِسيلْ بن عتبة بن ربيعة العبشمي وهو مشهور بكنيته .(الإصابة لابن حجر ، ٢/٦٠)

(٣)حذيفة بن اليمان : العَبْشمي من كبار الصحابة صاحب سر رسول الله ﷺ الذي لا يعلمه غيره ، شهد أحداً والخندق ، وله بها ذكر حسن .. وما بعدها وشهد فتوح العراق وله بها آثار كثيرة استعمله عمر على المدائن ، فلم يزل بها حتى مات بعد قتل عثمان وبعد بيعة علي بأيام وذلك سنة ست وثلاثين ﷺ (الإصابة لابن حجر ، ٢/٤٠)

(٤)ففي الصحيح " ... وبُصِر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان، فقال : أي عباد الله أبي أبي .. فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه فقال حذيفة " يغفر الله لكم " أخرجه البخاري ، جـــ٥ ، في المغازي برقم (٤٠٦٥)

في هذه الغزوة أصيب بالقرح كل من شارك فيها من المسلمين ، ولم يصب ﷺ في معركة قط مثلما أصيب في هذه الغزوة فلقد كسرت رباعيته ﷺ وأصيبت ركبتاه وشج رأسه الشريف ﷺ ، وغابت حلقة المغفر [1] في وجنته .. وصار يمسح الدم عن وجهه ﷺ وهو يقول (اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه نبي الله ﷺ)[2]

ويفقد المسلمون في هذه الغزوة سبعون من صناديدهم [3] من خيار صحابة رسول الله ﷺ أمثال حمزة ومصعب بن عمير - رضوان الله عليهم - لينظموا إلى ركب الشهداء الخالد عبر التاريخ .. وصدق القائل {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴿ فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون }(آل عمران:١٦٩-١٧٠)

ولقـــد صور لنا القرآن الكريم هذه البلاء العظيم مبيناً أصله وسببه فيقول تعالى{ولقد صدقكم الله وعده إذ تحســـونهم بإذنـــه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنـــيا ومـــنكم مـــن يـــريد الآخـــرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين}(آل عمران:١٥٢)

---

(١)ففي صحيح مسلم عنه ﷺ " كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته ، وأدموا وجهه؟ فأنزل الله { ليس لك من الأمر شيء ..} ؛ وذكر ابن هشام جـــ٣ / ١١٥ في حديث أبي سعيد الخدري " أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعيته السفلى وجرح شفته السفلى ، وأن عبدالله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في جبهته ، وأن عبدالله بن قمئة جرحه في وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ، وأن مالك بن سنان مصّ الدم من وجهه ﷺ ثم ازدرده فقال له ﷺ " لن تمسّك النار")

(٢) انفرد بهذا اللفظ البخاري – فأخرجه في صحيحه – كتاب:المغازي ، باب:ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد ، من حديث رقم(٤٠٧٤) ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣)ففي الصحيح : عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك ﷺ أنه قُتل منهم يوم أحد سبعون ... أخرجه البخاري في المغازي برقم (٤٠٧٨)

(فقد صدقهم الله وعده في مطالع المعركة حيث بدأ المسلمون يحسون المشركين أي يخمدون حسهم ويستأصلون شأفتهم ثم يقرر حال الرماة وقد ضعفوا أمام إغراء الغنيمة ،ووقع النزاع بينهم وبين من يرون ا لطاعة المطلقة لأمر رسول الله ﷺ – وانتهى الأمر إلى العصيان ، بعد ما رأوا بأعينهم طلائع النصر الذي يحبونه فكانوا فريقين : فريقاً يريد غنيمة الدنيا، وفريق يريد ثواب الآخرة ، وتوزعت القلوب ، فلم يعد الصف واحداً ولم يعد الهدف واحداً ، وشابت المطامع جلاء الإخلاص والتجرد الذي لا بد منه في معركة العقيدة) [1]

وبعد المعركة يتزل العزاء والسلوان من السماء لكل من أصابه القرح فيربط الله جأشهم ، ويشحذ عزائمهم..

فهم الأعلون وإن هُزِموا وهم الأكرمون وإن غُلبوا لأنهم أرباب عقيدة ، وأصحاب إيمان .

يقول تعالى {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قــرح مــثله وتلــك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ،وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين }(آل عمران : ١٣٩-١٤٠)

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٤٩٣/١

ولقـــد أظهــر الابـــتلاء وبينت الهزيمة: خبث نوايا المنافقين من اليهود والكفرة وأعوانهم الذي كانوا يتسترون بالإســـلام - فمحصـــت هذه الغزوة المؤمنين ومحقت الكافرين ...، حيث أظهروا الشماتة برسول الله ﷺ وبالمسلمين فســـجل لهم القرآن بعض أقوالهم الكاذبة بقوله تعالى {..يقولون هل لنا من الأمر من شيء}(آل عمران:من آية ١٥٤) {يقولـــون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا }(آل عمران:من آية ١٥٤) {الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا...}(آل عمران: من آية ١٦٨) كما أظهرت اليهود نواياها فقالت : ما أصيب نبي قط مثلما أصيب محمد ..ولو كان نبياً لما هُزم وغُلب .

كـــل ذلـــك والمسلمون يتجرعون مرارة هذه الهزيمة ... ، مرارة عصيانهم لأمر رسولهم .. مرارة شماتة أعدائهم ليعودوا خيراً مما كانوا .. قد مُحص إيمانهم ، وصَلُب عودُهم ، وقَويَ ساعدُهم .

ولقـــد تقـــبل ﷺ ذاك الابتلاء العظيم والتمحيص الكبير بصبر منقطع النظير ، ورضاً ليس له مثيل ، فيتحمل ﷺ المصاب في قوة ورباطة جأش فهو أعلم الأمة بربها ، وأعلم الناس بأن المصاب قدر محتوم .. ، فيغفر ويصفح عن الرماة وعن الذين تولوا يوم الزحف .. ، ويصلي على الشهداء ويستغفر لهم ...، ويدعو الله بالنصر وما هو من المؤمنين ببعيد

٢- غزوة الأحزاب [١] "الخندق " [٢]

وهي من أعظم الغزوات التي اشتد فيها الأذى على رسول الله ﷺ على المسلمين ، حيث اجتمعت في هذه الغزوة قوى الباطل يهود وكفار ومنافقين ، وتوحدت صفوفهم .. ، للنيل من المصطفى ﷺ ومن دعوته ، ظناً منهم أنهم بهذا التجمع الغاشم يخمدون صوت الحق ويطفئون نور الله ، ويقضون على الإسلام في مهده فلا تقوم له قائمة {ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين }(الأنفال: من آية ٣٠) {... ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون}(التوبة:من آية ٣٢)

وسبب هذه الغزوة الرئيسي : هو غدر اليهود ونكث العهود ، حيث بدأوا يؤلبون القبائل لحرب المصطفى ﷺ فهم الذين أشعلوا نار الحرب - كما هو دأبهم - للإطاحة بالمصطفى ﷺ وبدعوته ، واستئصال دينه .

وتروي لنا كتب السيرة سبب غزوة الخندق :(أن نفراً من اليهود الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ خرجوا حتى قدموا على قريش في مكة فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه؟ فقالوا : بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه ، فهم الذي أنزل الله فيهم {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا}(النساء: ٥١) .

---

(١)الأحزاب : جمع حزب : وهو جماعة الناس ، والأحزاب : جنود الكفار تألبوا وتظاهروا على حزب النبي ﷺ وهم قريش وغطفان وبنو قريضة (لسان العرب لابن منظور ، ١/٣٠٨) ، ولقد كانت في السنة الخامسة من الهجرة .

(٢)غزوة الخندق : نسبة إلى الخندق الذي حفره المصطفى ﷺ والمسلمون حول المدينة وهي مشورة سلمان الفارسي ﷺ كما نقل أصحاب المغازي قوله (إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا) ، انظر فتح الباري ، ٧/٣٩٣

فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك واستعدوا له ، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان[1] فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم أنهم سيكونون معهم علـــيه ، وأن قريشـــاً قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه)[2] وهكذا كان تأليبهم للقبائل حتى بلغ عددهم عشرة آلاف مقاتل وخرجت قبائل العرب من شتى البقاع بكامل عتادها .. ، ولم يشهد الرسول ﷺ في غزوة قط مثل هـــذا التجمع الكبير والتواطؤ العظيم بين قوى الشر كما شهده في هذه الغزوة .. حيث تقاتل هذه الجموع الغفيرة بعدها وعتادها ثلاثة آلاف مقاتل .. وكان مما صنع الله تعالى بالمسلمين من خير في هذه الغزوة أن وفقوا لحفر الخندق حول المدينة فضربوا الخندق ، وظل رسول الله ﷺ وصحابته الكرام يعملون فيه شهراً فيحمل معهم التراب ويدعو لهم بالمغفرة [3] ، ويشجعهم على البذل والتفاني في سبيل الله مرغباً إياهم بعظيم الأجر والثواب ففي الصحيح (كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو اغبر بطنه يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينـــا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الأولى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينـــا)[4]

ولما بدأت المعركة لاقى رسول الله ﷺ وصحابته الكرام بلاءً عظيماً وزلزلوا زلزالاً شديداً ، واشتد عليهم البلاء ، وأحاط أعداء الله – لكثرتهم – بالمسلمين من كل جانب حتى زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر

---

(١)غطفان : بطن عظيم متسع كثير الشعوب والأفخاذ ، من قيس بن عيّلان من العدنانية ، كانت منازلهم بنجد مما يلي وادي القرى وجبل طيء ثم افترقوا في الفتوحات الإسلامية ، وقد حاربهم الرسول ﷺ في غزوة الخندق وهي الأحزاب وكانوا ألوفاً (لسان العرب لابن منظور ، ٢٦٩/٩؛ معجم قبائل العرب ، عمر كحاله ، ٨٨٨/٣)

(٢)الحديث في معجم الطبراني ٢٥١/١١ ، تفسير الطبري ١٣٤/٥ ، قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٧ : فيه يونس لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح ؛ انظر أسباب النزول للواحدي ، ص١٨٧

(٣)ففي الصحيح " خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق ، فإذا الأنصار والمهاجرين يحفرون في غداة باردة ، فلم يكن لهم عبيد يعملون لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال: اللهم إن العيش عيش الآخرة ، فاغفر للأنصار والمهاجرة ، فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبداً .. " أخرجه البخاري في المغازي ، حديث رقم (٤٠٩٩)

(٤)أخرجه البخاري ، جـ٥ كتاب المغازي ، باب: غزوة الخندق هي الأحزاب ، حديث رقم (٤١٠٤)

يقـــول تعالى يصف شدة ما لاقاه المؤمنين في تلك الغزوة من بلاء عظيم في السورة التي تسمت باسمهم {يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملـــون بصيراً ، إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً}(الأحـــزاب:٩-١١) فلقد اشتد البلاء في هذه الغزوة على رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ، حيث زاغت الأبصار وزلزلوا زلزالاً عظيماً ، واشتد بهم الخوف والبرد فأخذ منهم كل مأخذ .

يصـــف لنا حذيفة بن اليمان ﷺ شدة الخوف والبرد الذي لاقاه المسلمون في تلك الغزوة الذي قد بلغ منتهاه ، وأخذ منهم كل مأخذ ، حتى أن المصطفى ﷺ يطلب منهم رجلاً يأتيه بخبر المشركين .. ويرغب في عظيم أجره فيقول ﷺ (جعله الله معي في الجنة ..) ثلاث مرات .. فلم يجبه أحد .. ثم لم يجد بداً من أن يستجيب للرسول ﷺ عندما طلب منه وسماه باسمه فيقول ﷺ " لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب ، وأخذتنا ريحٌ شديدة وقَرٌّ [١] فقال رسول الله ﷺ : ألا! رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم ا لقيامة؟ ، فسكتنا فلم يجبه منا أحد ، ثم قال : ألا رجلٌ يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ، فسكتنا فلم يجبه منا أحدٌ ، ثم قال : ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ، فسكتنا فلم يجبه منا أحدٌ ، فقال : قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم ، فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم .. " [٢]

---

(١)قرّ : البرد ، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣٨/٤

(٢)أخرجه مسلم في صحيحه كتاب:الجهاد والسير ، حديث رقم (١٧٨٨)

وهكــذا نرى كيف اشتد البلاء في هذه الغزوة على رسول الله ﷺ وصحابته الكرام حتى كادوا يهلكون لولا أن تداركهــم الله برحمته ـ فأنزل السكينة عليهم وثبت الأقدام ، واستجاب لدعاء صفيه وحبيبه محمد ﷺ " اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم " (١)

وأنــزل الملائكة معهم ، وأرسل ريحاً شديداً ، فرقت ذلك الحزب الظالم ، والتجمع الغاشم ليرجعوا خاسرين ، وينقلــبوا خائبين .. ، وتشتد الريح على الأحزاب وهم في حصارهم حول الخندق فتقلع خيامهم ، وتقلب قدورهم فــباتوا لا ينعمون بعيش ، ولا يهنأون بطعام ولا شراب .. ، فيرتحلون إلى قبائلهم.. وقد تبدّد جمعهم ، وكتب النصر للمسلمين {ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً }(الأحزاب:٢٥)

ونصــر الله للمؤمنين في هذه الغزوة وإنزال الملائكة وإرسال الريح .. هي نعمة عظمى منه تعالى تستحق الذكر والشــكر لــذا بدأ تعالى الآيات في شأن غزوة الأحزاب بقوله{يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ... }(الأحزاب:من آية: ٩) فلولا لطفه تعالى ونصره للمسلمين .. لما قامت للمسلمين قائمة إثر ذاك التجمع العظيم ، والحقد الدفين من اليهود وأحزابهم .

لذا كان من الذكر المأثور قول (لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده) (٢) تذكيراً وحمداً لهذه النعمة العظيمة منه تعالى فهو وحده تعالى الناصر وهو وحده تعالى الكافي وصدق تعالى إذ يقول {فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى }(الأنفال : من آية ١٧)

---

(١)صحيح البخاري جـ٥ كتاب :المغازي ، باب: غزوة الخندق حديث رقم (٤١١٥)
(٢)صحيح البخاري جـ٥ كتاب: المغازي ، باب: غزوة الخندق ، حديث رقم (٤١١٤)

٣- غزوة حنين [١] :

وغزوة حنين من أشد الغزوات التي ابتلي فيها المصطفى ﷺ بهزيمة الجيش المسلم بادي ذي بدء ، وانتصار أعداء الله رغم كثرة عدد المسلمين حيث لم يقاتلوا مع رسول الله ﷺ في غزوة قط بهذه الكثرة ،

ففي هذه الغزوة لاقي المصطفى ﷺ فيها البلاء ، وعانى ﷺ في البداية تولي المؤمنين عنه واشتد الأذى .

وقد كان سبب هذا البلاء كذلك - كما في غزوة أحد - درساً قاسياً يلقنه الله تعالى المؤمنين مصداقاً لقوله {أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم }(آل عمران: من آية ١٦٥)

فإن كان سبب الهزيمة في غزوة أحد مخالفة أمر رسول الله ﷺ ، فما هو السر وراء الهزيمة في هذه الغزوة ... ؟

يُلقي القرآن الكريم الضوء على السبب وراء الهزيمة في هذه الغزوة فيقول تعالى {لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين}(التوبة:٢٥)

فسبب الهزيمة إذن هذه المرة : هو ما داخل المسلمين من عجب لكثرة الجيش فقد كانوا يومئذ أثنى عشرة ألف حيث رأوا أنهم لم يغلبوا أبداً ما داموا كثرة ، حتى قال قائلهم (لن نُغلب اليوم من قلة أبداً) [٢]

---

(١)حُنين: اسم واد بين مكة والمدينة ، به كانت وقعة ذات أوطاس ، فهو الموضع الذي هزم فيه ﷺ هوازن ذكره الله في كتابه فقال { ويوم حنين..} ، وبين حنين وبين مكة بضعة عشر ميلاً من جهة عرفات (انظر معجم ما استعجم ، عبدالله البكري ، ٢/٤٧١ ؛ لسان العرب لابن منظور ،١٣/١٣٢-١٣٣ ؛ فتح الباري لابن حجر ، ٨/٢٧)

(٢)ففي رواية " أن رجل حديث الإسلام قال هذه العبارة وقيل غيره "وأياً كان الأمر فإن هذه ا لمقولة قد داخلت النفوس واستحكمت فيها فاتكلوا على هذه الكثرة واطمأنوا إليها فوثقوا بها أنهم لن يهزموا بسببها ، كما يقرر ذلك القرآن "إذ أعجبتكم كثرتكم " انظر جامع البيان للطبري ١٤/١٧٩

وهكـــذا يقرر القرآن الكريم هذه الحقائق والمعاني العظيمة التي لا تخضع لمقاييس البشر ولا لموازينهم .. فالقرآن الكريم يقرر أن الكثرة لا تنفع ولا تغني إلا إذا شاء الله ، فالقلة في بدر أغنتهم حين صدَقوا في التوكل على الله وكانوا ثلاثمائة مقابل الألف والكثرة يوم حنين لم تنفعهم ، ولم تغن عنهم عند الله شيئاً ، بل كانت سبباً في هزيمتهم عند بداية المعركة (فالله تعالى يخبر أن النصر بيده ومن عنده وأنه ليس بكثرة العدد وشدة البطش ، وأنه ينصر القليل على الكثير إذا شـــاء)[1] ثم بين القرآن شدة البلاء والكرب الذي لحق بهم حينما لم تنفعهم قوتهم وكثرتهم من الله شيء فيقول تعـــالى {فضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين }(التوبة: من الآية ٢٥) فالأرض الرحيبة الواسعة الممتدة ضاقت اليوم بسعتها عليكم ، فرأيتموها وأنتم في هذا البلاء ضيقة صغيرة ثم وليتم مدبرين عن عدو منهزمين فارّين عن رسول الله ﷺ .

وكأن القرآن يصور ذاك الموقف الرهيب والبلاء العظيم حينما فر كل ذاك الجمع الغفير أمام السهام مدبرين عن عدوهم والنبي ﷺ على بغلته البيضاء يناديهم وهم عنه مولين نتيجة ذاك الاضطراب الشديد ، والألم النفسي العظيم حيث لم تخطر على بالهم الهزيمة .. وهم بهذه الجموع الغفيرة -

(١) جامع البيان للطبري ١٤ / ١٧٩

يروي لنا البراء بن عازب ﷺ (١) ذلك الموقف فيقول حين يسئل أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين ؟ فقال: لكن رســـول الله ﷺ لم يفر كانت هوازن(٢) رماة وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فأُستُقْبِلنا بالسهام ولقد رأيت رسول ﷺ على بغلته البيضاء ،وإن أبا سفيان(٣) أخذ بزمامها وهو يقول ﷺ :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب) (٤)

فيفر من معه ﷺ .. يفر ذاك الجمع الغفير الكثير الذي ظن الغلبة .. ويبقى ﷺ على بغلته مع قلة من أتباعه يناديهم ويدعوهـــم للفـــيء والرجوع..مخلداً بذلك أروع النماذج في الشجاعة والإقدام..مردداً قولته الشهيرة "أنا النبي لا كـــذب" (أي أنـــا النبي والنبي لا يكذب فلست بكاذب فيما أقول حتى أنهزم ، وأنا متيقن بأن الذي وعدني الله من النصر حق فلا يجوز علي الفرار) (٥) ثم يترجل ﷺ ويأمر من ينادي بجمع شملهم فيلتفون حوله ﷺ .

ثم يدعوا ﷺ على أعداء الله ويأخذ حفنة من تراب فينفخ به فيهم فما من رجل منهم إلا وقد أصابه منه(٦) ،

عند ذلك تثبت القلوب ، وتهدأ النفوس ، وتعاد للمسلمين شوكتهم ، ويقوى عودهم بالاجتماع حيث استيقنوا أن النصر من عند الله .. وندموا على ما كان منهم من تفريط .. ، عند ذلك يأتي النصر و تتنـــزل الرحمة فيقول تعالى

{ ثم أنـــزل الله ســـكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين}(التوبة:٢٦)

---

(١)البراء بن عازب : هو أبو عمارة : البراء بن عازب بن الحارث بن نعدي الأنصاري الأوسي ، له ولأبيه صحبة .. قال عن نفسه : استصغرني رسول والله ﷺ يوم بدر فلم اشهدها ، وشهدت أحداً ، رُوي أنه غزا مع رسول الله ﷺ خمس عشر غزوة وشهد مع علي الجمل وصفين وقتال الخوارج ، نزل الكوفة ، ومات بها سنة اثنين وسبعين هجرية ﷺ ."الإصابة لابن حجر العسقلاني ، ٤١٢/١ ؛

(٢)هوازن : قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون ينسبون إلى هوازن بن منصور بن عكرمة كانوا يقطنون نجد مما يلي اليمن ، ومن أوديتهم حنين ، وغزاهم الرسول ﷺ بوادي حنين حين رأى رئيسهم جيش المسلمين قال : هلكت هوازن فلا هوازن بعد اليوم (معجم قبائل العرب ، عمر كحاله ، ١٢٣١/٣ ؛ فتح الباري لابن حجر ، ٢٩/٨)

(٣)أبو سفيان : هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي مشهور باسمه وكنيته ، أسلم عام الفتح ، شهد حنيناً والطائف وأصيبت عينه فيها ، وكان قبل ذلك راس المشركين يوم أحد ، ويوم الأحزاب، وفيه قال ﷺ يوم فتح مكة " من دخل دار أبا سفيان فهو آمن " توفي في خلافة عثمان ﷺ وهو ابن ثمان وثمانين سنة (الإصابة لابن حجر (٣٣٥/٣)

(٤)أخرجه البخاري جـ٥ كتاب المغازي باب قول الله تعالى {ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ..} حديث رقم (٤٣١٧)

(٥)فتح الباري للحافظ ابن حجر ٣١/٨.

(٦)ففي الصحيح (لما غشوا النبي ﷺ نزل عن البغلة ، ثم قبض قبضة من تراب ثم استقبل به وجوههم فقال: شاهت الوجوه ، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة فولوا منهزمين) (أخرجه مسلم ، كتاب:الجهاد والسير ، برقم ١٧٧٧)

وفي هذه الغزوة - كغيرها من الغزوات - يتقبل ﷺ البلاء بصدر رحب ، ونفس مطمئنة قد غمرها الرضا ، فلم يسخط أو يضجر ﷺ .. بل يرضى ويسلم لعلمه ﷺ أن ما أصيب به ﷺ في تلك الغزوة قدر محتوم .. وهو مع ذاك التسليم والرضا يأخذ بالأسباب ﷺ .. فيدعوا صحبه للجهاد .. ، وينادي بجمع الشمل ويدعو الله بالنصر..، ويستيقن من صدق وعد الله له بالتمكين في الأرض ... حتى إذا أذن الله تعالى له ﷺ ولأمته بالنصر ، تنزلت السكينة على القلوب بعد الخوف والهلع والفرار .. ، وتنزلت الملائكة للتثبيت والسُّلوان .. فكُتب لهم النصر .. ويومئذ يفرح المؤمنون ...

خامساً: ابتلاؤه ﷺ في عرضه (حادثة الإفك) (١)

حادثة الإفك مكيدة حاقدة من مكائد اليهود العظيمة ، وحيلة مدبرة من حيل المنافقين الخونة ليطعنوا بها المصطفى ﷺ في أخص حياته ... في أم المؤمنين أحب الناس إليه الطاهرة المطهرة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها .

لقد كان ابتلاء المصطفى ﷺ في عرضه- أشد ما لاقاه- على الإطلاق فليس أشد من أن يطعن ﷺ في أهل بيته ، وأحب الناس إليه ، الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها - فعرض الرجل هو أخص حرمة له ، يقاتل من أجله ، وشرف هذا العرض دليل على شرفه وطهره ونزاهته ، فكيف ببيت النبوة ومهبط الوحي وموطن الرسالة؟ لا شك أنه حين يُرمى ﷺ في بيته يرمى في صدقه ، وشرفه وعظمته - (فها هو يُرمى ﷺ في طهارة فراشه ، وهو الطاهر الذي تفيض منه طهارة ، يرمى في صيانة حرمته وهو القائم على الحرمات في أمته ، هاهو ذا يُرمى في حياطة ربه له .. وهو الرسول المعصوم من كل سوء) (٢)

---

(١)الإفك : الأصل فيه الكذب يقال رجل أفاك : أي كذاب ، والمراد به هنا : ما كُذب على عائشة رضي الله عنها مما رُميت به (لسان العرب ، ١٠/٣٩٠) ؛ وأضاف الزمخشري الإفك : أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء ، وقيل هو البهتان الذي لا تشعر به حتى يفاجأك والمراد به ما أفك على عائشة رضي الله عنها [الزمخشري ، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الطبعة:[بدون]، دار المعرفة، بيروت – لبنان،التاريخ:[بدون]، جـ٣/٦٤،ولقد كانت هذه الحادثة في السنة الخامسة للهجرة(فتح الباري،٧/٤٣٠)

(٢)في ظلال القرآن ، سيد قطب ٤/٢٤٩٩

وقصة الإفك (حلقة فريدة من سلسلة فنون الإيذاء والمحن التي لقيها رسول الله ﷺ من المنافقين ولقد كانت هذه الأذية أشد في وقعها في نفسه ﷺ من كل المحن .. ، فخبر الإفك صورة فريدة للأذى الذي تفرد به المنافقون) [(١)] .

ولقــد تــولى كبر هذا الإفك العظيم رأس المنافقين عبدالله بن سلول - عليه لعنة الله - فسرت مقولته الكاذبة ،وفريــته الــباطلة أرجــاء المدينة المنورة سري النار في الحطيم ، وتتلقف الآذان والألسن الأقوال الكاذبة ،ويتردد المسلمون إزاءها ما بين مصدق ، ومكذب ، وشاك .

ولقــد كان للمصطفى ﷺ – وعائشة رضي الله عنها - أكبر النصيب في هذا البلاء فها هو ذا ﷺ يُرمى في زوجه ويطعــن في أهل بيته بمرأى ومسمع من الناس ، فلا يملك أن يضع لذلك حداً ، حيث لم يتزل الوحي ، وأحجم ﷺ في موقــف عائشة رضي الله عنها ينتظر الوحي .. يتزل من السماء ليبتّ في أمرها ، فنراه تارة يستشير في أمرها أقرب الناس له[(٢)] .. ، وتارة يصعد على المنبر فيستعذر[(٣)] من عبدالله بن أبي بن سلول ، وتارة يصمت يفكر .. ولحكمة يريدها الله تعالى يتأخر الوحي شهراً كاملاً ..

كل ذلك - والصديقة الطاهرة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها - لا تدري ما يقال فيها ولا ما يحاك عليها ،.. فقد شغلها مرضها عن ذلك .. ولفرط حبه ﷺ – وحسن خلقه ،وطيب معاشرته لأهله يأبى أن يخبرها بأمر كهذا .. لئلا يشتد مرضها .. ، ويُفضّل أن يتجرع مرارة البلاء وحده - بأبي هو وأمي - ﷺ

---

(١) [د. محمد سعيد رمضان البوطي ، فقه السيرة ، الطبعة الخامسة ، دار الفكر ، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م] ص ٣٠٧بتصرف

(٢)ففي الحديث (ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله فأما أسامة فقال: أهلك ولا نعلم إلا خيراً ، وأما علي فقال: يا رسول الله! لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير ؛ وسل الجارية .. فقالت الجارية : والذي بعثك بالحق ، ما رأيت عليها أمراً أغمِصُه، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الدواجن فتأكله)البخاري المغازي (٤١٤١)

(٣)ففي حديث الإفك السالف الذكر : قالت عائشة رضي الله عنها (فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبدالله بن أُبي – وهو على المنبر فقال: يا معشر المسلمين : من يعذرني من رجل قد بلغني فيه أذاه في أهلي – والله ما علمت على أهلي إلا خيراً – (وقوله من يعذرني : أي من يقوم بعذري إن كافئته على سوء صنيعه فلا يلومني "النهاية في غريب الحديث، ١٩٧/٣)

ولم تلاحظ -رضي الله عنها- منه إلا أن اللطف الذي كانت تراه منه دائماً عند مرضها لم تجده في هذا المرض ..

بـــل لقد سارع بالاستجابة لذهاها عند أهلها حين طلبت منه ، وذلك لِما أهمَّه ﷺ من خطب جلل ..فتقول رضي الله عـــنها (فقدمنا المدينة ، فاشتكيت بها شهراً ، والناس يفيضون (١) في قول أصحاب الإفك ولا أشعر ، وهو يريبني في وجعي أني لا أرى من النبي ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ؛ إنما يدخل فيسلم ثم يقول : كيف تيكم ؟ ثم ينصرف . فذلك الذي كان يريبني ولا أشعر بالشر حتى نقهت (٢)) (٣)

ثم تعلم رضي الله عنها بعد أن شفيت من المرض بهذه الفرية العظيمة ، فيعاودها المرض من جديد ، وتظل أياماً لا تهنأ بطعام أو شراب أو سهاد فتبكي الأيام والليالي ، حتى لم يبق في عينها ماء ..

حينها يترل النصر - فيأتي الفرج من الله ، وتتنــــزل الآيات الكريمات في تبرئة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وفي صيانة بيت النبوة ، يفتتحها الله بقوله تعالى {إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم...}(النور:من الآية ١١)

---

(١) يقال فاض الحديث والخبر واستفاض: إذا ذاع وانتشر وحديث مستفيض أي ذائع واستفاضوه أي أخذوا فيه فهو ذائع في الناس مثل الماء المستفيض (لسان العرب ، ٢١٢/٧)

(٢) يقال نقه المريض ينقه فهو ناقِه : إذا برأ وأفاق وكان قريب العهد بالمريض لم يرجع إليه كمال صحته (النهاية في غريب الحديث ، ٥/ ١١)

(٣)أخرجه البخاري في المغازي ، حديث الإفك الطويل ، برقم (٤١٤١)

ومـــن الـــبداية يـــبين تعالى أصل البلاء ، وأسّ الفتنة التي ظهرت .. ، متمثلة في ا لمنافقين الذين يدبرون المكائد للمســـلمين ، وصار لهم أتباع يستمعون لقولهم من المؤمنين .. محذراً من الافتتان بهم ، والاستماع إليهم فقوله تعالى {إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم } يـــبين أنهم ليسوا فرداً ولا أفراداً ، إنما هم عصبة متجمعة ، ذات هدف واحـــد ، ولم يكـــن عبدالله بن سلول وحده هو الذي أطلق ذلك الإفك ، إنما هو الذي تولى معظمه [1] ، وهو يمثل عصبة اليهود أو المنافقين الذين عجزوا عن حرب الإسلام جهرة فتواروا وراء ستار الإسلام ليكيدوا للإسلام خفية ، وكان حديث الإفك ـ إحدى مكائدهم القاتلة ، ثم خدع فيها المسلمون ، فخاض منهم من خاض في حديث الإفك ، أما أصل التدبير فكان عند تلك العصبة ، وعلى رأسها ابن سلول ، الحذر الماكر الذي لم يظهر بشخصه في المعركة ، ولم يقـــل علانيةً ما يؤخذ به ، فيُقاد إلى الحد ، إنما كان يهمس به بين ملئه الذين يطمئن إليهم ، ولا يشهدون عليه ، وكـــان الـــتدبير من المهارة والخبث بحيث أمكن أن ترجف به المدينة شهراً كاملاً ،وأن تتداوله الألسن في أطهر بيئة وأتقاهـــا) [2] وبـــين تعالى أن هذا الإفك خيرٌ للمسلمين لأنه كان بلاءً عظيماً ، وفتنةً ظاهرة وتعلموا فيه الكثير من الدروس والعبر .

---

(١) ففي الصحيح " كان الذي تولى كبر الإفك عبدالله بن سلول ، قال عروة : أخبرت أنه كان يُشاع ويتحدث به عنده ، فيُقره ويستمعه ويستوشيه وقال: لم يسم من أهل الإفك إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش [رضي الله عنهم] في أناس آخرين لا علم لي بهم ، غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى " أخرجه البخاري في المغازي ، حديث الإفك ، برقم(٤١٤١)

(٢) في ظلال القرآن ، ٤/٢٥٠٠

ثم تتوالى الآيات في تبرئة عائشة رضي الله عنها ، وتعظيم إثم الإفك ، وتهويل أمر القذف وشدة عقابه حيث رتب أعظـــم عقوبة ، وأكبر عذاب على من يحاول إلحاق الأذى بقذف المسلمين عامة .. وإلحاق الأذى ببيت النبوة خاصة فجـــاءت أعظم الآيات بأعظم ما يكون الوعيد ، من أجل إظهار شرف وطهارة بيت النبوة (ولو فلّيت القرآن كله وفتشـــت عما أوعد به العصاة ، لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها ، ولا أنزل من الآيات [1] القوارع المشحونة بالوعيد الشديد ، والعقاب البليغ ، والزجر العنيف ، واستعظام ما ركب من ذلك ، واستفظاع ما أقدم عليه ما أنزل فيه عن طرق مختلفة وأساليب مفتنة كل واحد منه كاف في بابه ، ولم ينـــزل إلا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعاً ، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة [2] ،بأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم ، بما أفكوا وبهتوا وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله حتى يعلموا عند ذلك "أن الله هو الحق المبين" فأوجز في ذلك وأشبع وفصّل وأجمل ، وأكدّ وكرر ، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه في الفظاعة ... تعظيماً ومبالغةً لأمر الإفك .. وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله ﷺ ، والتنبـــيه على إنافة محل سيد ولد آدم ، وخيرة الأولين والآخرين وحجه الله على العالمين ، ومن أراد أن يتحقق عظمـــة شـــأنه ﷺ وتقدم قدمه وإحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليشتق ذلك من آيات الإفك ، وليتأمل كيف غضب الله له في حرمته ، وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه) [3] أهـــ

---

(١) الآيات في سورة النور من أية ١١-٢٢

(٢) هذه القاعدة عامة فيمن قذف المؤمنين يستثنى منها من تاب منهم وحسنت توبته فان صحابة رسول الله ﷺ الذين خاضوا في الافك وأقيم عليهم الحد أمثال حسان بن ثابت ومسطح وحمنة بنت جحش قد تابوا وحسن ايمانهم _ غفر الله لصحابة رسول الله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم أجمعين

(٣) الكشاف للزمخشري ، ٦٤/٣

المسألة الرابعة: حثه ﷺ أمته على الرضا :-

فنبي الرحمة المصطفى ﷺ – سيد الراضين – لا يفتر عن حث أمته على الرضا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبه ﷺ نبياً ورسولاً ، لما يعلم من مكانة من اتصف بهذه الصفة النبيلة عند الله تعالى ، فيرغب في ذلك الرضا ترغيباً عظيماً ، ويحث عليه حثاً شديداً : تارةً ببيان كمال إيمان صاحبه واستشعاره لحلاوة الإيمان ، وتارةً ببيان أجر التلفظ بهذه الكلمات الرائعة (رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً)بعد الأذان ، وفي الصباح والمساء من مغفرة الذنب ، وإرضاء الرب له ، وتارة بالوعد الصادق لصحابه بالجنان ، وتارة بالأمر الصريح بالرضا بالله ... وكل تلك المرغبات هي أجور بالغة الحسن لا يسع المؤمن عند علمه بها أن يفرط فيها ،

أ- ففي بيان استشعار صاحب الرضا حلاوة الإيمان يقول ﷺ " ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً " [1]

ففي الحديث ترغيب شديد منه ﷺ على الرضا بهذه المذكورات ، فلن يبلغ المؤمن كمال الإيمان ، ولن يستشعر حلاوته ، وطيب مذاقه حتى يرضى بالله إلهاً ومعبودا ، وبالإسلام ديناً ، وبه ﷺ نبياً .

(١)سبق تخريجه ص ١٧٥

ب- وأمـــا في بيان أجر التلفظ بهذه الكلمات بعد الأذان من مغفرة الذنب ورضا الرب يقول ﷺ (من قال حين يسمع المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، رضيت بالله رباً ، وبمحمد رسولاً ، وبالإسلام ديناً غفر له ذنبه)[1]

فيحـــث ﷺ المؤمـــن حثاً شديداً على إعلان الرضا عن الله وعن الإسلام وعنه ﷺ في وقت من أفضل الأوقات ، حيث تستجاب الدعوات - وهو ما بين الأذان والإقامة - ويرتب على ذلك مغفرة الله تعالى للعبد .

ويلاحظ كيف ربط ﷺ تلفظ المؤمن بهذه العبارات الرائعة بالأذان وهو أمر يتكرر في اليوم والليلة خمس مرات ، لترسخ معانيه العظيمة في النفس .

جـــ- وفي بيان أجر التلفظ بهذه الكلمات في الصباح والمساء من إرضاء الله تعالى للعبد : يقول ﷺ (من قال إذا أصبح وإذا أمسى: رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، إلا كان حقاً على الله أن يرضيه) [2]

([1]) أخرجه أبو داود في سننه – واللفظ له – جـــ٤ ، كتاب:الأدب ، باب: ما يقول إذا أصبح وإذا أمسى ، حديث رقم (٥٠٧٢) ؛ وابن ماجة من طريق أبي داود ، جـــ٢ في أبواب الدعاء ، باب: ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى ، حديث رقم (٣٩١٦) بنحوه ، كلاهما من رواية سابق بن ناجيه ؛ وأخرجه الترمذي جـــ٤ ، كتاب:الدعوات ، باب: ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى ، حديث رقم (٣٣٨٩) من حديث أبي ثوبان ؛ والحاكم في المستدرك ، ٥١٨/١

إسناده:في إسناد الحديث سابق بن ناجيه وهومقبول كما قال الحافظ بن حجر في تقريبه، ترجمة رقم(٢١٦٨) فعلى ذلك فإن إسناد الحديث حسن،وقد قال فيه الحاكم:صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي،أما رواية الترمذي فهي ضعيفة لضعف وتدليس سعيد الكوفي الأعور، كما قال عنه الحافظ بن حجر في التقريب برقم (٢٣٨٩) لكنها تقوى وتعتضد برواية أبي داود هذه ورواية ابن ماجة والحاكم فيرتقي إلى الحسن بالشواهد والله أعلم

تنبيه : قال الحافظ بن حجر في التقريب في ترجمة أبي سَلاَّم برقم(٨١٥٦) أبو سَلاَّم الحبشي خادم النبي ﷺ كذا وقع[أي كذا وقع في بعض الروايات كما في رواية ابن ماجة التي بين أيدينا]والصواب عن أبي سلام [وهو ممطور الحبشي] عن رجل خدم النبي ﷺ لأن أبا سلام تابعي (أنظر تهذيب التهذيب لابن حجر ١٠ / ٢٦٢ – ٢٦٣)

([2]) أخرجه مسلم – واللفظ له – جـــ١ كتاب الصلاة باب استحباب القول مثل قول المؤذن حديث رقم (٣٨٦) ؛ والترمذي في أبواب الصلاة،باب:ما يقول الرجل إذا أذن المؤذن من الدعاء حديث رقم(٢١٠)،وأبو داود جـــ١- كتاب الصلاة باب:ما يقول إذا سمع المؤذن حديث رقم(٥٢٥)؛ والنسائي كتاب المساجد باب الدعاء عند الأذان حديث رقم(٦٧٩) كلهم من طريق قتيبة بن سعيد عن ليث بإضافة لفظ (وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ..الحديث)

ومرة أخرى يربط الشارع بين التلفظ بهذه الكلمات بأوقات تتكرر يومياً فكما ربطه بالأذان في الحديث السابق يـــربطه هنا بالصباح والمساء فالليل والنهار يتعاقبان في كل يوم فيرغبه ﷺ بإعلان الرضا عن الله وعن الدين وعنه ﷺ حيث يصبح وحين يمسي ، ولعل الصباح يشمل النهار بما فيه من أذان الفجر والظهر والعصر ، ولعل المساء يشمل أذان المغرب والعشاء فيكون الحديثان يقرران معنى واحداً بأساليب مختلفة .

وإرضاء الله تعالى للعبد : أن يجزل له المثوبة والأجر ، فيتفضل عليه تعالى بأن يعطيه ثواباً جزيلاً حتى يرضى

وإذا كـــان هذا الأجر العظيم من مغفرة الذنب وإرضاء الله للعبد لمن يعلن الرضا عن الله رباً وعن الإسلام ديناً وعن الرسول ﷺ فكيف بمن يستشعر ذلك الرضا ويحققه في نفسه ! لا شك أن أجره أعظم ، ومترلته عند الله أرفع .

لذلك نرى أن الله تعالى يوجب على نفسه تعالى الجنة لمن استشعر هذه المعاني وأخلص في توجهه لله وهو تعالى لا يخلف الميعاد .

د- يقول ﷺ "من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وجبت له الجنة "[1] ، فمن حقق هذا الرضا في نفسه فقد استكمل الإيمان ،وصلحت سريرته وهي مناط صلاح الأعمال - ومن صلحت أعماله فهو على نور من ربـــه - فعمل بعمل أهل الجنة فاستحق أن يكون من أهلها،حيث أوجب تعالى لصاحب الرضا الجنان.. وهو تعالى لا يخلف الميعاد .

---

(1) أخرجه مسلم جـ٣ - واللفظ له - كتاب الامارة ، باب : بيان ما أعده الله للمجاهد في الجنة من الدرجات حديث رقم (١٨٨٤) والنسائي كتاب الجهاد باب درجة المجاهد في سبيل الله حديث رقم (٣١٤١) بلفظه .

هـــ- ثم يأتي الأمر الصريح بالرضا بالله تعالى ، فيقول ﷺ حين سمع من يحلف بأبيه " لا تحلفوا بآبائكم ، من حلف بالله فليصدق ومن حُلف له بالله فليرض ،ومن لم يرض فليس من الله)[1] .

فأمر ﷺ بالرضا عمن حُلف له بالله -لأن المؤمن يرضى بالله تعالى ومن لم يرض بالله - ولم يقبل هذا الحلف - فليس من الله .

المسألة الخامسة: تعليمه ﷺ أمته طلب رضا الله .

لما كان ﷺ سيد الراضين ، وأعظم الناس مرضاة لله ، وأحرصهم عليه ، وأعرفهم به ، كان ﷺ كثير الدعاء والذكر بطلب رضا الله ، فقد أثر عنه ﷺ من الأدعية والأذكار ، ما فيه طلب رضا الله.. ، يعلمنا فيها ﷺ كيفية الدعاء والذكر المشروع بطلب رضا الله .

أ. الأدعية:

١- دعاء السفر :

ولمـــا كان رضا الله تعالى غاية المؤمن في حضره ، وسفره ، وجميع شأنه ، فقد علمنا المصطفى ﷺ الدعاء لله تعالى حين السفر بطلب السفر المرضي عند الله وذلك من خلال تطبيقه العملي ﷺ لذلك فهو ﷺ الأسوة الحسنة لأمته فيبادر ﷺ إلى هذا الدعاء عند السفر لتتأسى به أمته من بعده ،

---

[1] تفرد بهذا اللفظ للحديث ابن ماجة في سننه حيث أخرجه في أبواب الكفارات، باب:من حُلف له بالله فليرض،حديث رقم(٢١١٢)من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما؛وأخرجه الحاكم في مستدركه،٥٢/١،عن عمر بن الخطابؓ بنحوه،ولم يذكر لفظ الرضا إسناده : قال البوصيري في الزوائد (حديث رقم ٦٩٨* : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، روى أصحاب الكتب الستة الجملة الأولى منه " لا تحلفوا بآبائكم " أهـــ ، ورجاله كذلك ثقات إلا أن فيه : محمد بن عجلان القرشي المدني : صدوق كما قال الحافظ بن حجر " انظر تهذيب التهذيب ، ٣٠٣/٩-٣٠٥ ؛ تقريب التهذيب ترجمة رقم (٦١٣٦) " فعلى ذلك فإن الحديث حسن .

ففـــي الصحيح (أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر - كبّر ثلاثاً ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين[1] ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ماترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا ...)[2]

ففي السفر يحسن بالمؤمن أن يتوجه إلى الله تعالى بالدعاء لينال خير هذا السفر فيسأله تعالى أن يؤتيه في سفره البر والـــتقوى حيث رضا الله تعالى ، ثم يعم طلب الرضا في جميع الأعمال بعد أن خص طلب الرضا بالسفر فيقول "ومن العمل ما ترضى " أي ما ترضى به عنا [3] فغاية المؤمن وسعادته أن يوفقه تعالى للعمل المرضي المقبول لينال بذلك رضا الله تعـــالى فـــلا ريب أن يدعو المصطفى بالعمل المرضي كما دعا أخوه من قبل سليمان - عليهم جميعاً أفضل الصلاة والتسليم - حيث قال تعالى على لسانه {وأن أعمل صالحاً ترضاه }(النمل :من آية ١٩)

---

(١) مقرنين : مطيقين ، النهاية في غريب الحديث ٥٥/٤

وفي هذا الدعاء قال تعالى { لتستوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخرنا لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ..}(الزخرف:١٣-١٤)

(٢) أخرجه مسلم – واللفظ له – جـــ٢ ، كتاب:الحج ، باب:ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره ، حديث رقم(١٣٤٢)؛ وأبو داود جـــ٣ ، كتاب : الجهاد ، باب: ما يقول الرجل إذا سافر حديث رقم (٢٥٩٩) بلفظه ، كلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ؛ والترمذي جـــ٥ ، كتاب:الدعوات ، باب: ما يقول إذا ركب الدابة ، حديث رقم (٣٤٤٧) ، من حديث علي ﷺ بنحوه .

(٣) انظر[ابن قيم الجوزية، عون المعبود شرح سنن أبي داود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٠هـــ-١٩٩٠م]/٧/ ١٧٦

٢– دعاء إدخال الميت القبر :

وعند إدخال الميت القبر يكون الميت في حاجة إلى الدعاء له برضوان الله تعالى له وقبوله إياه ، ففي الحديث عن سعيد بـــن المسيب قال حضرت ابن عمر جنازة فلما وضعها في اللحد قال : بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ، فـــلما أخذ في تسوية اللبن على اللحد قال : "اللهم أجرها من الشيطان ومن عذاب القبر ، اللهم جاف الأرض عن جنبها وصعِّد روحها ولقّها منك رضواناً... " [١]

٣ – من جوامع دعائه ﷺ :

وهناك من أدعيته ﷺ الجامعة ما نص فيها ﷺ على طلب رضاه تعالى .. ، فرضاه تعالى غاية المنى

أ. ففي الحديث كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي سمع عند وجهه كدوي النحل ، فأنزل الله عليه يوماً فمكثنا ســـاعة ، فسُـــريَّ عنه ، فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : " اللهم زدنا ولا تنقصنا ؛ وأكرمنا ولا تُهنا ؛ وأعطنا ولا تحرمنا ؛ وآثرنا ولا تؤثر علينا ؛ وأرضِنا وارض عنا .."[٢]

---

(١) أخرجه ابن ماجة أبواب ما جاء في الجنائز باب : ما جاء في إدخال الميت القبر – حديث رقم (١٥٥٢) ؛ وأخرجه الترمذي ، جنائز ، جـــ٣ ، باب: ما يقول إذا أدخل الميت القبر حديث (١٠٤٦) ؛ وأبو داود جـــ٣ جنائز باب:الدعاء للميت إذا وضع القبر ، كلاهما يرويان الشق الأول للحديث (بسم الله وعلى سنة رسول الله) وذكر زوائد الوصيري (٥٦٠) ذكره الإمام الكشناوي في مصباح الزجاجة جـــ٢/٣٨ وقال هذا الإسناد فيه حماد بن عبدالرحمن وهو متفق على تضعيفه روى الترمذي وابن حبان في صحيحه طرفاً منه من حديث ابن عمر أهـــ ، وحماد هذا :هو حماد بن عبدالرحمن القنسيري قال عنه الحافظ في تقريبه ضعيف (رقم ترجمته ١٥٠٢) –تهذيب التهذيب ٣/١٦

(٢) أخرجه الترمذي – واللفظ له – جـــ٥ كتاب تفسير القرآن ، باب: من سورة المؤمنون ، حديث رقم (٣١٧٣) ؛ وأخرجه الحاكم (٢/ ٣٩٢) بلفظه وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي بقوله : قلت : سئل عبدالرزاق عن شيخه ذا فقال : أظنه لا شيء ، وشيخه هذا هو : يونس بن سُليم الصنعاني قال عنه الحافظ ابن حجر في تقريبه : مجهول (ترجمة رقم ٧٩٠٥) وعلى ذلك فإن سند الحديث ضعيف لجهالة يونس الصنعاني ، وكما هو معلوم فإن ضعف السند لا يلزم ضعف متن الحديث .

بـ. وفي الحديث " خرج علينا رسول الله ﷺ .. قلنا: يا رسول الله! لو دعوت لنا ، قال " اللهم اغفر لنا وارحمنا ، وارض عنا ، وتقبل منا ، وأدخلنا الجنة ، ونجنا من النار وأصلح لنا شأننا كله " قال: فكأنما أحببنا أن يزيدنا قال : "أوليس قد جمعت لكم الأمر " [1]

جـ كما ورد عنه ﷺ في الدعاء قوله " ... وأسألك القصد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيماً لا ينفد ، وأسألك قرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ... " [2]

وكذا من دعائه ﷺ " ...وأسألك الرضا بالقضاء " [3]

---

(1) أخرجه ابن ماجة – واللفظ له – جـ٢ ، كتاب الدعاء ، باب:دعاء رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٣٨٨١) ؛ وأبو داود جـ٤ ، كتاب: الأدب ، باب: قيام الرجل للرجل ، حديث رقم (٥٢٣٠) ، ولم يذكر دعائه ﷺ ؛ وأحمد في منسده ، ٢٥٣/٥-٢٥٤

إسناده : قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٧٢/١٠ وفيه المسعودي وقد اختلط ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

وكما هو معروف فإنه يُعمل بالضعيف في المستحبات من الأعمال .

(٢)سبق تخريجه ص ٢٣٨

(٣)سبق تخريجه ص ٢٣٧

تنبيه :

مـــن الأدعية التي وردت في الكتب الستة ونُص فيها على رضا الله ، دعاء حفظ القرآن الكريم ... فقد ورد فيه لفظ "وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني " ولفظ " وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني "

لكن هذا الدعاء ليس له أصل ثابت في السنة وحديثه منكر شاذ [1] كما أن صفة الصلاة به والدعاء غريبة لذلك لم أذكره ضمن هذه الأدعية، وكذا دعاء حديث صلاة الحاجة فان فيه لفظ (أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنـــيمة مـــن كل بر والسلامة من كل أثم لا تدع لي ذنباً إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ولا حاجة هي لك رضاً إلا قضيتها يا أرحم الراحمين) وهو حديث متروك [2]

ولقـــد جرى التنبيه على هذين الحديثين إبراءً للأمانة العلمية ، والتزاما مني بما ورد في الكتب الستة من أحاديث بلفظ الرضا والغضب – والله أعلم –

([1]) هذا الحديث تفرد به الترمذي من أصحاب الكتب الستة حيث أخرجه في جـ٥، كتاب:الدعوت،باب:في دعاء الحفظ، حديث رقم(٣٥٧٠)،كما أخرجه الحاكم في المستدرك،٣١٦/١،والمنذري في الترغيب والترهيب،٣٣٥/٢ من رواية الترمذي والحاكم،جميعهم من حديث علي كرم الله وجهه .

إسناده : قال فيه الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم ؛ وقال الحاكم في المستدرك : صحيح على شرط الشيخين ؛ وتعقبه الذهبي فقال: هذا حديث منكر شاذ وقد حيرني والله جودة سنده ؛ وقال المنذري ، ٢١٣/٢ ، في ترجمة سليمان الدمشقي : وقال:وهو مع نظافة سنده حديث منكر جداً في النفس منه شيء .

فعلى ذلك فإن الحديث منكر شاذ .

([2]) هذا الحديث أخرجه الترمذي جـ٢ في أبواب الصلاة ، باب ماجاء في صلاة الحاجة حديث رقم (٤٧٩) ، وقال : هذا حديث غريب وفي إسناده مقال ، فائد بن عبدالرحمن يضعف في هذا الحديث ؛ وأخرجه ابن ماجة جـ١ كتاب إقامة الصلاة والسنة باب ما جاء في صلاة الحاجة حديث رقم (١٣٨٤)، ولفظه (خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : من كانت له حاجة إلى الله أو إلى أحد من خلقه ..الحديث) وفي سنده فائد بن عبدالرحمن أيضاً وهو ضعيف .

وهو أبو الورقاء فائد بن عبدالرحمن الكوفي العطار قال عبدالله بن أحمد عن أبيه متروك الحديث وقال الدوري عن ابن معين ضعيف ليس بثقة وليس بشيء ، قال البخاري : منكر الحديث ، وقال الحاكم روى عن أبي أوفى أحاديث موضوعة (تهذيب التهذيب ٢٢٩/٨-٢٣٠) قال عنه الحافظ في تقريبه متروك اتهموه (ترجمة رقم ٥٣٧٣).

ورواه الحاكم في مستدركه كتاب صلاة التطوع (٣٢٠/١) بلفظ من كانت له حاجة إلى الله أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ .. الحديث) وقال عنه : فائد بن عبدالرحمن كوفي عداده في التابعين ، وقد رأيت جماعة من أعقابه وهو مستقيم الحديث وتعقبه الذهبي وقال : بل هو متروك .

حكمه : فعلى ذلك فسند الحديث ضعيف جداً وعلته فائد بن عبدالرحمن .

ب. الأذكار:

فلقد ورد في السنة المطهرة عدد من الأذكار التي نصَّ على رضا الله على قائلها على صفات مخصوصة حيث ورد الحث الشديد على ترديدها خلال اليوم والليلة

١- فمن أذكار الصباح والمساء رغب ﷺ أمته على التلفظ برضا الله تعالى في الصباح والمساء فيبدأ يومه ويختمه بـإعلان رضـــاه بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً . ويرتب على هذا الذكر إرضاء الرب تعالى له غاية كل مؤمن حيث يقول ﷺ " من قال إذا أصبح وإذا أمسى : رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، إلا كان حقاً على الله أن يرضيه " [١]

٢- ومـــن أذكار مابعد الأذان - حيث استجابة الدعاء - يعلن المؤمن رضاه عن الله تعالى فيرغب المصطفى ﷺ المؤمن أن يتلفظ بالرضا عن الله تعالى بعد كل أذان ... فيردد ذاك الرضا خمس مرات في اليوم والليلة قال ﷺ : من قال حين يسمع المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله رضيت بالله رباً ، وبمحمد رسولاً ، وبالاسلام ديناً غفر له ذنبه) [٢]

---

(١)سبق تخريجه ص ٢٩٤

(٢) سبق تخريجه ص ٢٩٤

٣- وكــذا أذكار الصباح : أن يقول ثلاث مرات بعد صلاة الفجر(سبحان الله وبحمده:عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد [1] كلماته،فإنه يعدل بفضله الذكر منذ الصباح الباكر إلى وقت الضحى .

ففي الصحيح عن جويرية -رضي الله عنها -"أن النبي ﷺ خرج من عندها بُكرةً حين صلى الصبح ، وهي في مسجدها [2] ، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت:نعم ، قال الـنبي ﷺ (لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته"[3]

---

(١) مداد أي مثل عددها وقيل بقدر ما يوازيها في الكثرة ، النهاية في غريب الحديث (٣٠٧/٤) قال الإمام النووي في شرح مسلم (سبحان الله وبحمده مداد كلماته معناها:مثلها في العدد،وقيل في أنها لا تنفذ،وقيل:في الثواب، والمراد:المبالغة في الكثرة،لأنه ذكر أولاً ما يحصره العدد الكثير من عدد الخلق، ثم زنة العرش، ثم ارتقى إلى ما هو أعظم من ذلك وعبر عنه بهذا، أي مالا يحصى عد،كما لا تحصى كلمات الله تعالى أهـ، جـ٤/٧٧

(٢) مسجدها: موضع صلاتها .

(٣) أخرجه مسلم -واللفظ له- جـ٤ كتاب الذكر والدعاء باب:التسبيح في أول النهار وعند النوم ، حديث رقم (٢٧٢٦) ؛ والترمذي كتاب الدعوات باب(١٠٤) حديث رقم (٣٥٥٥)؛ وأبو داود جـ٢ كتاب:الصلاة ، باب: التسبيح بالحصى ، حديث رقم (١٥٠٣) ؛ والنسائي ، جـ٣ ، في التطبيق ، باب(٩٤)نوع آخر من عدد التسبيح رقم (١٣٥٢) ؛ وأخرجه ابن ماجة ، جـ٢ ، أبواب الآداب، باب: فضل التسبيح حديث رقم

(٣٨٥٣) جميعهم من حديث ابن عباس عن جويرية رضي الله عنهم .

٤- ومـــن الذكر المشروع قول "الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه ، كما يحب ربنا ويرضى " بعد العطاس ، وفي الصـــلاة(١) ، وغيرها ، ففي هذه الكلمات الطيبة اليسيرة يكمن رضا الرحمن .. ، يظهر هذا الرضا من خلال سؤال الرسول ﷺ عن قائلها ، واستحسانه لقولها وبيان مبادرة الملائكة ومسارعتها لحملها والصعود بها عند الله ، لينال عليها صاحبها الأجر العظيم .. فقد روي عن رفاعة (٢) ﷺ قال : صليت خلف رسول الله ﷺ فعطست فقلت : الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، مباركاً عليه (٣) كما يحب ربنا ويرضى ، فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف ، فقال: من المتكلم في الصلاة؟فلم يتكلم أحد ثم قالها الثانية : من المتكلم في الصلاة ؟ فلم يتكلم أحد ، ثم قالها الثالثة : من المتكلم في الصلاة؟ ؟ فقال رفاعة بن رافع بن عفراء : أنا يا رسول الله قال : كيف قلت ، قال : قلت : الحمد لله حمداً كثيراً مباركاً فيه مباركاً عليه كما يحب ربنا ويرضى ، فقال النبي ﷺ:والذي نفسي بيده لقد ابتدرها بضعة وثلاثون ملكاً أيهم يصعد بها"(٤)

---

(١)فقد ورد في رواية البخاري السالفة الذكر حديث رقم (جـ١/٧٩٩) أن هذه العبارة كانت بعد الرفع من الركوع ، وباقي الروايات على أنها بعد العطاس في الصلاة .

(٢)رفاعة : هو رفاعة بن رافع الأنصاري ابن أخ معاذ بن عفراء ، روى عنه ابنه معاذ ، الإصابة ، ٤٠٦/٢

(٣) قال الحافظ ابن حجر(فتح الباري٢٨٦/٢)يحتمل أن يكون قوله مباركاً عليه تأكيداً وهو الظاهر وقيل الأول:بمعنى الزيادة،والثاني بمعنى البقاء

(٤) أخرجه الترمذي -واللفظ له – جـ٢ في أبواب الصلاة باب: ما جاء في الرجل يعطس في الصلاة حديث رقم (٤٠٤) وقال : حديث رفاعة حديث حسن ؛ وأبو داود جـ١ كتاب الصلاة باب: ما يستفتح به الصلاة من الدعاء حديث رقم (٧٧٣) بلفظه ، وفي نفس الباب برقم (٧٧٤) بلفظ (عطس شاب من الأنصار خلف رسول الله وهو في الصلاة فقال الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه حتى يرضى ربنا وبعد ما يرضى من أمر الدنيا والآخرة)؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده(٣٤٠/٤) ؛ والنسائي في سننه جـ٢ كتاب الافتتاح باب قول المأموم إذا عطس خلف الإمام حديث رقم (٩٣١)بلفظه .

تنبيه : وقد أخرج البخاري هذا الحديث كتاب: الأذان باب(١٢٦) حديث رقم (٧٩٩)ولم يذكر فيه لفظ (كما يحب ربنا ويرضى) لذا لم أعتمد هذه الرواية ، وليس في رواية البخاري ذكر العطاس ، بل أن هذا الذكر كان ابتداءً بعد الرفع من الركوع .

الحكم : الحديث صحيح لأنه من رواية البخاري وهو من اشترط الصحة ولقد صححه الترمذي في التهذيب (٢٨٣/٣)وقد أورده الألباني في صحيح الترمذي برقم (٣٣١)

وفي قسم الرسول ﷺ على مبادرة الجمع الغفير من الملائكة ومسارعتهم لحملها والصعود بها عند الله إشعارٌ بعظم الأجر المترتب على هذه الكلمات عند الله تعالى ، وعظم رضاه تعالى عمن يعلن هذا الحمد الطيب ، والثناء الحسن ، فكيف بمن يستشعر هذه الكلمات التي صارت ذكراً للمؤمن في الصلاة وغيرها .[1]

المسألة السادسة: جزاء رضاه ﷺ .

لما كان المصطفى ﷺ سيد الراضين حيث حاز أعظم الرضا بالله وأبلغه كما تقرر ذلك في مبحث ارتباط رضاه ﷺ برضا الله حيث امتن عليه تعالى بأعظم رضاً عن خلقه ، بل نص تعالى على إرضائه مبالغة في إكرامه ، فلم يحظ بشر بما حظي به المصطفى ﷺ عند ربه مكانة وقدراً .

ولما كان ﷺ على هذا القدر والمكانة العظيمة عند الله،فلا عجب إذاً أن يرتب الحق تعالى رضاه على رضا المصطفى ﷺ .

واليك ما نص على ترضية الله تعالى لرسوله الكريم .

(١) انظر الأقوال في حكم رفع الصوت بالذكر في الصلاة (فتح الباري لابن حجر ، ٢/٢٨٦ ؛ نيل الأوطار للشوكاني ، ٢/٣٧١)

ترضية الله لرسوله ﷺ:

أ- تحول القبلة نحو البيت الحرام :

قال تعالى {قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ... الآية }(البقرة :من الآية ١٤٤)

ترضاها : أي تحبها وتميل إليها للأغراض الصحيحة التي أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته [١]

قال ابن عباس:كان أول ما نسخ من القرآن القبلة وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود ، فأمره أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها بضعة عشر شهراً وكان يحب قبلة إبراهيم[عليه السلام]فكان يدعو الله وينظر في السماء فأنزل الله{قد نرى تقلب وجهك في السماء..} إلى قوله تعالى{فولوا وجوهكم شطره}[٢]

ب- عظم أجر الصلاة عليه ﷺ :

والصلاة عليه ﷺ نور للعبد ، وسبب في إجابة الدعاء ، وتفريج الهم وهي بركة ورزق ، وقربة يتقرب بها المؤمن لله تعالى ، فهي سبب لرضا الله تعالى عنه ﷺ [٣] ، فترغيب الشارع وحثه على الصلاة عليه ، وجعل أجر من يصلي عليه أن الله يصلي عليه عشراً فيه أعظم دليل على رضاه تعالى على من صلى عليه ﷺ

ففي الحديث "أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبشرى في وجهه فقلنا:" إنَّا لنرى البشرى في وجهك فقال:إنه أتاني الملك فقال:يا محمد! إن ربك يقول:أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحدٌ إلا صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك أحدٌ إلا سلمت عليه عشرا " [٤]

---

(١) روح المعاني ٤٠٨/١ ؛ تفسير النسفي ٨١/١ .

(٢) ابن كثير (٢٤٠/١)

(٣) ولقد عدّ الإمام ابن القيم في كتابه جلاء الأفهام أربعين فائدة يحصل بها العبد عند الصلاة عليه ﷺ ، من أحب الرجوع إليها فليراجعها ص٢٤٦-٢٥٤

(٤) أخرجه النسائي جـ٣ فصل التسليم على النبي ﷺ رقم١٢٨٣ ؛ والدارمي في سننه ، ٣١٣/٢ : كتاب: الرقاق ، باب: في فضل الصلاة على النبي ﷺ ؛ وأحمد في مسنده ، ٣٠/٤ جميعهم من حديث أبي طلحة ﷺ -

إسناده:فيه سلمان ا لهاشمي مولى الحسن بن علي رضي الله عنهما:مجهول كما قال الحافظ بن حجر في تقريبه(ترجمة رقم(٢٦٢٣) وباقي رجاله ثقات . فعلى ذلك فان اسناد الحديث ضعيف ، وصح غيره في معناه .

ولقـــد أمر تعالى العباد بأمر بدأه بنفسه وملائكته الأبرار {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً}(الأحزاب :٥٦)

ويلاحظ قول الله تعالى على لسان الملك للمصطفى ﷺ " أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا... " فيطلب تعالى رضـــاه ﷺ ...، وفي ذلـــك غاية الإكرام والتفضل والعطاء منه تعالى لصفيه وخيرة خلقه ، عليه من الله أفضل الصلاة والسلام

جـ- إرضاؤه ﷺ يوم القيامة بالشفاعة وغيرها :

قال تعالى { ولسوف يعطيك ربك[١] فترضى }(الضحى:٥) وأما عما يعطيه الله للمصطفى ﷺ فقد فُسِرَ بالشفاعة[١] وقيل الشفاعة وغيرها .

قـــال الإمـــام الـــبغوي في تفسيره {ولسوف يعطيك ربك [٢] فترضى} هي الشفاعة في أمته حتى يرضى ، وقيل ولسوف يعطيك ربك من الثواب ومن النصر والتمكين وكثرة المؤمنين [٣]

وأضاف الإمام الطبري : (أعطاه في الآخرة ألف قصر من لؤلؤ تراهن المسك وفيهن من يصلحهن) [٤]

(والظاهر أنه سبحانه يعطيه ما يرضى من خيري الدنيا والآخرة ، ومن أهم ذلك عنده وأقدمه لديه قبول شفاعته لأمته) [٥]

---

(١)ففي الآية إظهار في محل الإضمار فأعيد لفظ الرب لإظهار معنى الرب المربي الرحيم بمن رباه وهو الاسم المستلزم لجميع أنواع العبادات لأن معناه الخالق الرازق المدبر / وهذه الآية من أرجى الآيات لأمة محمد ﷺ لأنه لا يرضى ﷺ وأحد من أمته في النار ، وما بكاءه ﷺ – كما سيأتي قريباً – إلا من أجل ألا يعذب الله أمته .

(٢)الشفاعة : هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه (التعريفات للجرجاني ص١٢٧)

(٣)جـ ٤ ص٩٣ .

(٤)هذا الأثر في تفسير الطبري،٢٣٢/٣ ، عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد عزاه الإمام ابن كثير في تفسيره، كما عزاه إلى ابن أبي حاتم ، ٦٨٥/٤

(٥)فتح القدير ٥٥٨/٥

ومع ذلك فلا يمنع أن يكون هناك عطاء آخر خاصاً به ﷺ يوم القيامة كنهر الكوثر وغيره لأن الكوثر من الكثرة : أي الخـــير الكثير [1] إلا أن إرضاء الله لرسوله بشفاعته في أمته من باب أولى لما ورد من الأحاديث التي صُرح فيها بإرضاء الله لرسوله في أمته ، ففي الحديث "أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في عيسى {إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفـــر لهـــم فإنك أنت العزيز الحكيم}(المائدة:١١٨) ، فرفع يديه وقال (اللهم أمتي أمتي) وبكى فقال الله عز وجل : يا جبريل ! اذهب إلى محمد وربك أعلم ، فسله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال ، وهو أعلم ، فقال الله : يا جبريل : اذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك " [2]

فأعطـــاه تعالى الشفاعة الكبرى والتي يختص بها ﷺ لا يشركه فيها أحد وهي المقام المحمود الذي وعده الله تعالى إياه في قوله تعالى {ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً }(الإسراء:٧٩).

وهذا المقام هو الذي أمرنا ﷺ أن ندعوَ له بـــه وقت إجابة الدعاء بعد كل أذان ، قال ﷺ (من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة)[3] .

---

(١)راجع ابن كثير ، جـ٤ ، ص٦٨٤-٦٨٥.

(٢) تفرد به مسلم من أصحاب الكتب الستة فأخرجه في صحيحه ، جـ١ ، كتاب: الإيمان ، باب:دعاء النبي ﷺ لأمته وبكاءه وشفقته عليهم حديث رقم (٢٠٢) .

(٣) صحيح البخاري ١/ كتاب الأذان / باب الدعاء عند النداء رقم ٦١٤.

والمقام المحمود هو الدعوة التي اختبأها ﷺ لأمته يوم القيامة، قال ﷺ " لكل نبي دعوة مستجابة يدعوا بها وأريد أن أختبئ دعوتي (١) شفاعتي لأمتي يوم القيامة " (٢) .

وقال ﷺ لأبي بن كعب(٣) ﷺ " يا أُبي أرسل إليّ أن اقرأ القرآن على حرف(٤) . فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إليّ الثانية : اقرأه على حرفين ، فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلي الثالثة اقرأه على سبعة أحرف . فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها " فقلت : اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم ﷺ " (٥)

وهكـــذا نرى ... كيف كان المصطفى ﷺ أشد الناس رضا لله فهو متبع له لا يحيد ولا يميل عن نهج ربه القويم ؛ وإن خالفه أهل الأرضين ، فرضا رب العباد غايته في الحياة فيقضي نحبه ويمضي إلى ربه راضياً مرضياً .. ضارباً لنا أروع الأمثلة في الرضا .. فهو سيد الراضين بلا مراء ...، عليه من المولى أفضل الصلاة وأتم السلام

---

(١) معناه مسألة مجابة قطعاً أما باقي الدعوات فمرجوة الإجابة .

(٢) صحيح البخاري ، باب لكل نبي دعوة مستجابة ،حديث رقم ٦٣٠٤

(٣)أبي بن كعب : هو أبا المنذر أُبي بن كعب بن قيس بن عُبيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري ، سيد القُراء ، من أصحاب العقبة الثانية ، شهد بدراً والمشاهد كلها ، وهو أول من كتب للنبي ﷺ ، قال له ﷺ " لِيَهْنِك العلمُ أبا المنذر " وكناه عمر أبا الطفيل بابنه الطفيل ، وكان يقول أبي سيد المسلمين ، قيل توفي في خلافة عمر ، وقيل في خلافة عثمان .. رضي الله عنه وارضاه .
(الإصابة لابن حجر ، ١٨٠/١ ؛ أسد الغابة لابن الأثير ، ٧٩/١)

(٤) حرف : الحرف في اللغة : الطرف والجانب ، وأحد حروف الهجاء والمراد به اللغة واللهجة فكون القرآن على سبعة أحرف أي سبع لغات من لغات العرب مفترقة في القرآن (انظر النهاية في غريب الحديث ، ٣٦٩/١)

(٥) صحيح مسلم جـ١ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه حديث رقم٢٧٣، صحيح مسلم كتاب الإيمان ؛ باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته حديث رقم (٣٤٠)

المبحث الثاني

الرضا بالرسول ﷺ

وفيه مطالب:

المطلب الأول : معنى الرضا بالرسول ﷺ

المطلب الثاني : كيفية تحقيق الرضا بالرسول

المطلب الثالث : علامات الرضا بالرسول ﷺ

من لوازم الرضا بالله الرضا بالرسول ﷺ رسولاً ، فمن رضي به تعالى رباً ومعبوداً وحكماً مدبراً رضي بنبيه الكريم ﷺ الذي ارتضاه تعالى لعباده فأرسله بخير دين ، وأتمّ رسالة ...

والرضـــا به ﷺ رسولاً سبب لاستشعار حلاوة الإيمان في القلب ، يقول ﷺ " ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً " (١)

المطلب الأول : معنى الرضا بالرسول ﷺ :

وعـــلى ذلك فإن الرضا بالرسول ﷺ :يعني الانقياد الكامل ، والتسليم المطلق له ﷺ في حكمه وفي شرعه وقضائه فيأتمر بما يأمر به ﷺ وينتهي عند نهيه ﷺ وذلك بغاية الإذعان والتسليم المشربُ بغاية الحب والتبجيل .

يقول الإمام ابن قيم – رحمه الله – أما الرضا بنبيه رسولاً فيتضمن كمال الانقياد له والتسليم المطلق إليه ، بحيث يكـــون أولى به من نفسه ، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته ، ولا يحاكم إلا إليه ، ولا يُحكّم عليه غيره ، ولا يرضى بحكم غيره البتة) (٢)

---

(١) سبق تخريجه ص ١٧٥

(٢) مدارج السالكين ، ٢/١٨٠

وكيف لا يرضى المرء به ﷺ رسولاً ، وهو خير نبي رضيَّه الله تعالى لأفضل رسالاته وخير أديانه - والله أعلم حيث يجعل رسالته - وامتن به تعالى على الأمة المحمدية أفضل رسول .. فقال تعالى {لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين }(آل عمران:١٦٤) وقال تعالى {كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون • فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون} (البقرة: ١٥١-١٥٢)

وقال {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم} (التوبة:١٢٨)

ومن تمام الرضا به ﷺ طاعته ، فقد جعل الله طاعته طاعةً لله فقال تعالى { من يطع الرسول فقد أطاع الله} (النساء:من آية ٨٠)

فمن رضي بالله تعالى رباً : وجب عليه الرضا به ﷺ رسولاً ونبياً إذ جعله الله تعالى مشرعاً للعباد فالقرآن ا لكريم والسنة المطهرة هما مصدري التشريع الإسلامي ، فكما يتقرب المؤمن لله تعالى باتباع القرآن الكريم ويتعبد الله به ؛ كذلك يتعبد الله تعالى باتباع سنة المصطفى ﷺ وتنفيذ أحكامه لأنه ﷺ كما قال تعالى { وما ينطق عن الهوى • إن هو إلا وحي يوحى}(النجم:٣)

المطلب الثاني: كيفية تحقيق الرضا بالرسول ﷺ

يحصل المؤمن على الرضا بالمصطفى ﷺ نبياً ورسولاً إذا خضع له وانقاد ، وقدّمه على نفسه وهواه وأطاعه واتبع هداه .. ، ولا يكون ذلك له إلا إذا أحبه حباً عظيماً يفوق حبه للنفس والأهل والمال لأنه لا يتم الرضا إلا مع الحب .. فإذا أحب المرء الأمر رضي به .. فمنزلة محبته ﷺ عظيمة إذ لا يتم الإيمان إلا بها - ولا يتحصل على الرضا به إلا من خلالها ... وهناك أسباب ودواعي عدة معينة على محبته ﷺ .

دواعي محبته ﷺ:

١] معرفة عظيم قدره وعلو منزلته ﷺ عند الله تعالى .. فقد رفع الله ذكره .. ووضع وزره ، وأعز شانه وغفر ذنبه ، وجعل اسمه مقرونا به تعالى في الشهادة وفي الأذان وفي الصلاة وغيرها..فلا يذكر الله تعالى إلا ويذكر معه الحبيب المصطفى ﷺ ..فكل من أحب الله تعالى أحبَّ أحب الخلق إلى الله المصطفى ﷺ فمحبته تعالى تستلزم محبة كل من يحبه تعالى (١)

٢] أنه ﷺ الهادي من الضلال والمنقذ من مهاوي الشرك والفساد والمخرج من الظلمات إلى النور ، قال تعالى {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم }(الشورى:٥٢) وقال {قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ◦ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم }(المائدة : ١٥-١٦)

وقال تعالى {رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور}(الطلاق:من آية ١١)

---

(١) قال ﷺ " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه " أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ٣٣٦/٤

فكـــل مؤمن موحد من أمته ﷺ مدين له ﷺ بأعظم نعمة ، وأكبر خلة : وهي نعمة الإسلام التي لولاها لكان من حطب جهنم .. ، لذا كان المصطفى ﷺ أولى وأجدر بالحب من كل إنسان فلقد حرص على سعادتنا سعادة أبدية لا شـــقاء فـــيها ، وعلى فوزنا بالفوز الحقيقي الذي لا خسارة بعده حيث هدانا إلى مفتاح الجنة[1] ، قال تعالى {فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز }(آل عمران:١٨٥)

٣]استشـــعار عظيم حبه ﷺ لأمته ، وشدة حرصه على هدايتهم ، وتحمله في سبيل ذلك - بأبي هو وأمي ﷺ - العناء والبلاء .. لسان حاله يقول " اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون" ولقد كان ﷺ أشد الأنبياء حباً لأمته وأحرصهم على هدايتهم وأشدهم حزناً على ضلالهم .. حتى كادت نفسه تتقطع حزناً على كفرهم ..

وكثيراً ما كان يترل القرآن بتسلية المصطفى ﷺ وإزالة ما ألم به من ضيق وحزن شديد ، بتقرير أن الهداية بيد الله يقـــول تعالى { فلا تذهب نفسك عليهم حسرات }(فاطر:٨) وقال {... ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون}(النحل: من آية ١٢٧)

---

(١)مفتاح الجنة : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وبهذه الشهادة قد ضمن ﷺ لكل موحد دخول الجنان ولو بعد دخوله النار للوعد الصادق بذلك ففي صحيح مسلم كتاب: الإيمان برقم (١٩٣) قوله ﷺ " يخرج من النار من قال لا إله إلا الله ..." الحديث .

وقـــال تعـــالى {وإن كـــان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين }(الأنعام:٣٥) ، {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء..}(القصص : من آية ٥٦)

وما كانت تلك الحسرات وذلك الحزن الشديد إلا لعظيم حبه ﷺ لأمته وفرط إشفاقه عليهم من النار وإلا فهو ﷺ – أعلم الأمة بأن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وإن كل ذلك في كتاب وإن كل شيء عنده تعالى بمقدار ...

وحـــين يستمع إلى قوله تعالى {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً }(النساء: ٤١) يشـــتد بالبكاء – ﷺ – لأنه لا يشهد إلى على حق فيخشى أن يشهد على آثام وذنوب أمته .. ففي الصحيح أنه قال ﷺ لأحد أصحابه "اقرأ علي" ، قال أقرا عليك وعليك نزل؟ قال : " فإني أحب أن أسمعه من غيري " فقرأت عليه سورة النساء حـــتى بلغـــت {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً } قال:" أمسك" فإذا عيناه تذرفـــان "[1] (ولقد بكى ﷺ رحمةً لأمته لأنه علم أنه لا بد أن يشهد عليهم بعملهم ، وعملهم قد لا يكون مستقيماً فقد يفضي إلى تعذيبهم" [2]

فهـــو ﷺ الرؤوف الرحيم بأمته ...، وحين استعجل كل نبي دعوته المستجابة في الدنيا لنفسه ادخرها ﷺ لأمته يوم القيامة في شفاعته فيهم فقال ﷺ " لكل نبي دعوة يدعو بها وإني ادخرت دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة " [3]

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير برقم (٤٥٨٢)
(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ، ٩٩/٨
(٣) سبق تخريجه ص٣٠٨

وحين يشتد الكرب والبلاء بالعباد يوم الحشر ويكون دعاء الأنبياء نفسي نفسي اللهم سلم ، يكون دعائه ﷺ " اللهم أمتي .. اللهم أمتي ..) [1]

فهـو ﷺ المبعوث رحمةً للعالمين ... ، الهادي إلى الصراط المستقيم الشفيع يوم القيامة .. والمؤمل يوم الدين .. ، نسأل الله تعالى أن يبلغنا شفاعته ، ويسقنا من حوضه ﷺ ، ويحشرنا في زمرته متبعين غير مبتدعين .. إنه على ذلك قدير

٤] وهناك داعي قوي وسبب وجيه - خاص بالمرأة - في حبها للمصطفى ﷺ وهو : ما قدمه ﷺ لها من حق .. وما قرره في حقها من قدر ...فأحياها بعد أن كانت توءَد .. وأورثها بعد أن كانت تُورث .. ، فجعل لها ﷺ حقاً كما جعل لها رأياً ... ومكانةً وقدراً .. ، بل لقد جعلها ﷺ مع الرجل سواء في التكليف والطاعة ... والأجر والجزاء ...

كما أمر ﷺ بالاعتناء بها والاهتمام بشأنها وحسن تربيتها وتعليمها والإحسان إليها، يقول ﷺ "خيركم خيركم لأهله وأنـــا خيركم لأهله"[2] ويكفي اهتمامه ﷺ بالمرأة ووصيته بها خيراً وهو على فراش الموت فإلى أن مات ﷺ وهو يوصي بالنســـاء خيراً..،فكل امرأة مسلمة مدينة له ﷺ بكل شرف وعز وبكل مكانة وقدر نالتها في الإسلام على يديه - بأبي هو وأمي - ﷺ

(١) سبق تخريج حديث الشفاعة الطويل ص ٣١

(٢) أخرجه الترمذي في المناقب برقم (٣٨٩٥) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٦٢)

المطلب الثالث : علامات الرضا به ﷺ :

١] تقديمــه ﷺ على النفس والأهل لقوله تعالى {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} (الاحزاب من آية : ٦) ولقوله ﷺ " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين "(١) ولقوله ﷺ لعمر حين قال له : يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي " لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك " (٢)

وهذا التقديم وتلك الأولوية لا تتحقق إلا إذا كان ﷺ أحب إلى العبد من نفسه التي بين جنبيه

فإذا تحققت تلك الأولوية في نفس المؤمن كان الرضا به ﷺ رسولاً .. ومن ثم الانقياد والطاعة له ،

يقــول الإمــام ابن قيم رحمه الله معلقاً على قوله تعالى {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم } (وهذه الأولوية تتضمن أن يكون ﷺ أحبَّ إلى العبد من نفسه ، لأن الأولوية أصلها الحب ونفس العبد أحبُّ إليه من غيره ، ومع هذا يجب أن يكون الرسول ﷺ أولى به منها ، وأحبُّ إليه منا فبذلك يحصل له اسم الإيمان ، ويلزم من هذه الأولوية والمحبة : كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم ، وسائر لوازم المحبة : من الرضا بحكمه ، والتسليم لأمره ، وإيثاره على ما سواه) (٣)

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب:الإيمان برقم (١٥)

(٢)أخرجه البخاري في الايمان والنذور ، برقم (٦٦٣٢)

(٣) [ابن قيم الجوزية ، زاد المهاجر إلى ربه ، تقديم د.محمد جميل غازي ، الطبعة:[بدون] ، مكتبة المدني – جدة]ص٢٣

٢] تبجيله ﷺ وتعظيمه حياً وميتاً :

فمع عظيم الحب والتقديم له ﷺ .. لابد أن يراعى تعظيمه ﷺ وتبجيله .. والتأدب عند ذكره .. فهو ﷺ رسول رب العــالمين ، ولقد أمرنا الله تعالى بإيفاء حقه ﷺ بالتعظيم والتبجيل والتوقير فقال تعالى {إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً • لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرةً وأصيلاً }(الفتح:٧-٨)

كما نهى عن التقدم بين يديه ، ورفع الصوت عليه ﷺ فإن في ذلك سببٌ لغضب الله وإحباط العمل فقال تعالى { يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم • يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون }(الحجرات :١-٢)

وكمـــا يجب التأدب معه ﷺ حياً يجب التأدب معه ﷺ ميتاً بتوقيره وتبجيله وإظهار الأدب عند التلفظ بأقواله ﷺ وسننه ، كما يجب التورع عن كل ما من شأنه إنقاص قدره ﷺ – لو ظاهراً – كنسبة الخطأ والجهل والمعصية له ﷺ .. وفي هذه المعاني الرائعة حول الإرشاد إلى كيفية التأدب مع سنته ﷺ بعد وفاته .

يقـــول القاضـــي عياض[١] - رحمه الله - : (يجب على المتكلم على النبي ﷺ أن يلتزم في كلامه عند ذكره عليه الصـــلاة والسلام توقيره وتعظيمه ، ويراقب حال بيانه ، وتظهر عليه حالات الأدب عند ذكره ، فإذا ذكر ما قاساه عليه السلام ظهر عليه الإشفاق والغيظ على عدوه ، ومودة الفداء للنبي ﷺ لو قُدر عليه ، والنصرة لو أمكنته ، وإذا أخـــذ في أبواب العصمة ، وتكلم على مجاري أعماله ، وأقواله عليه السلام تحرى أحسن اللفظ ، وآداب العبارة ما أمكنه ، واجتنب بشع ذلك ، وهجر من تلك العبارة ما يُقبح ، كلفظة الجهل ، والكذب ، والمعصية ، فإذا تكلم في الأقـــوال قـــال: هل يجوز الخلف في القول ، والإخبار بخلاف ما وقع سهواً أو غلطاً ، ونحوه من العبارة وتجنب لفظة الكذب جملة واحدة وإذا تكلم عن العلم قال : هل يجوز أن لا يعلم إلا ما عُلم ؟ ، وهل يمكن أن لا يكون عنده علم مـــن بعض الأشياء حتى يوحي اليه ؟ ولا يقول يجهل لقبح لفظه وشناعته ، وإذا تكلم في الأفعال قال : هل يجوز منه المخالفـــة في بعض الأوامر والنواهي ؟ ومواقعة بعض الصغائر ؟ فهو آدب وأولى من قوله هل يجوز أن يعصى ؟ أو أن يذنب؟ أو أن يفعل كذا وكذا؟ من أنواع المعاصي .. فهذا في حق توقيره عليه الصلاة والسلام ، وما يجب له من توقير وإعظام وقدر [٢]

(١)القاضي عياض : هو الإمام العلامة القاضي : أبو الفضل : عياض بن موسى بن عمرو بن موسى اليحصبي ، كان إمام وقته في الحديث وعلومه ، عالماً بالتفسير ، فقيهاً أصولياً ، عالماً بالنحو ، حاز من الرياسة في بلده ما لم يصل ليه أحد من أهل بلده ، وما زاده ذلك إلا تواضعاً وخشية ، له تصانيف بديعة ، منها : إكمال المعلم في شرح مسلم ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، التنبيهات ، مشارق الأنوار ، الالماع وغيرها كثير ، توفي عام ٥٤٤هـ (طبقات المفسرين للداودي ، ٢/٢١ ؛ ذيل تذكرة الحافظ للذهبي ، ٤/١٣٠٤)

(٢)[القاضي عياض : عياض بن موسى بن عمرو اليحصبي ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، الطبعة :[بدون] ، دار الفكر ، بيروت- لبنان ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م] ص٢٥٢-٢٥٣

٣] طاعته ﷺ واتباع هديه :

وطاعته ﷺ واتباعه أعظم دليل على محبته ﷺ ، والرضا به نبياً ورسولاً ولقد جعل تعالى أتباع المصطفى ﷺ دليل محبة العـــبد لله ، وطريق محبة الله تعالى لهذا العبد المتبع لهجه ﷺ ومغفرة ذنبه فلا يَصدُّق العبد في دعواه محبة الله إلا إذا اتبع هدي المصطفى ﷺ .

قال تعالى{قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم }(آل عمران:٣١)

(فتثبت محبة الله باتباع المصطفى ﷺ في أعماله ، وأقواله ، وأخلاقه ، فبحسب هذا الاتباع يكون منشأ هذه المحبة وثباتها ، وقوتها ، وبحسب نقصانه يكون نقصانها ، فليس الشأن في أن تحبَّ الله إن الشأن في أن يحبك الله ، ولا يحبك الله إلا إذا اتبعت حبيبه ﷺ ظاهراً وباطناً ، وصدقته خبراً ، وأطعته أمراً ، وأجبته دعوة ، وآثرته طوعاً ، وفنيت حكم غـــيره بحكمه ، وعن محبته غيره من الخلق بمحبته ، وعن طاعة غيره بطاعته ، وإن لم يكن ذلك فلا تتعنَّ . وارجع من حيث شئت، فالتمس نوراً ، فلست على شيء) [١]

وهكـــذا نرى أن اتباع المصطفى ﷺ وهو دليل محبة العبد لله .. وهو ثمرة حب الله .. ومن أعظم صور اتباعه ﷺ تحكيم شرعه ﷺ والرضا بحكمه ، فالرضا بحكمه ﷺ دليل الرضا به ﷺ ،

---

(١)مدارج السالكين ، ٣٩/٣

ولقد أقسم تعالى أنه لا يتم إيمان المرء حتى يحكّمه ﷺ في أمره كله ، ثم لا يخالج نفسه تجاه حكمه ﷺ أدنى تسخط أو ضيق أو شك أو ريب بل لا بد من التسليم التام الكامل للمصطفى ﷺ ، فيخضع لأمره وينقاد ، وذلك لأن في كمال طاعته ﷺ الهداية والفلاح ، قال تعالى { وإن تطيعوه تهتدوا ..}(النور:٢٤)

ولقد وصف الله المؤمنين بعظيم الطاعة والاتباع للمصطفى ﷺ الناتجة عن عظيم الرضا به ﷺ رسولاً فقال تعالى {إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا .. }(النور:من آية ٥١)

وقال تعالى { وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم..}(الأحزاب:من آية ٣٦)

يقول الإمام ابن تيمية – رحمه الله – في وجوب طاعته ﷺ :

(والرسول – ﷺ – طاعته فرض على كل أحد ، في كل وقت وفي كل مكان ، وفي سره وعلنه وجميع أحواله ، وقد أوجب الله طاعة الرسول على جميع الناس في قريب من أربعين موضع من القرآن فطاعته طاعة لله) [1] ولقد أقسم تعالى على أنه لا يتم إيمان العبد حتى يحكمه ﷺ ثم يرضى بحكمه فقال تعالى { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما }(النساء:٦٥)

---

(١)مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ٢٦١/١٩

وعند تأمل هذه الآية نرى أن الله تعالى قد أكّد وجوب طاعته ﷺ واتباعه بعده مؤكدات كل واحد منها كاف في بابه ، وهذه المؤكدات[1] كما جمعها العلماء هي :

أولها : تصديرها يتضمن المقسم عليه المنفي وهو قوله " لا يؤمنون " وهذا منهج معروف في كلام العرب إذا أقسموا على شيء منفي صدروا جملة القسم بأداة نفي ، وافتتاح القسم بأداة النفي يقتضي تقوية المقسم عليه وتأكيده وشدة انتفائه .

ثانيها : تأكيده بالقسم

ثالثها : تأكيده بالمقسم به : وهو إقسامه بنفسه لا بشيء من مخلوقاته .

رابعها : تأكيده بانتفاء الحرج : وهو وجوب التسليم

خامسها : تأكيد الفعل بالمصدر في قوله " ويسلموا تسليما "

وهذا التأكيد البالغ من الله تعالى - بعدة وجوه - جميعها تدل على وجوب طاعته ﷺ وتقديمه على من سواه ، بل وتقديمه على النفس والهوى ، وبذلك تتحقق أولويته التي فرضها تعالى على كل مؤمن حيث قال تعالى {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ..}(الأحزاب من آية:٦) وهذه الأولوية تستوجب طاعته ﷺ وتحكيمه والرضا بحكمه .

---

(١)هذه المؤكدات لابن قيم الجوزية في زاد المهاجر إلى ربه ،٢١-٢٣ ، باختصار

يقـــول الإمام ابن قيم الجوزية : (ويلزم من هذه الأولوية أن لا يكون للعبد حُكم على نفسه أصلاً ، بل الحكم على نفسه للرسول ﷺ يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده أو الوالد عن ولده ، وليس له في نفسه تصرف قط إلا ما تصرف فيه الرسول ﷺ الذي هو أولى به منها ، فيا عجبا! كيف تحصل هذه الأولوية لعبد قد عزل ما جاء به الرسول ﷺ عن منصب التحكيم ، رضي بحكم غيره ، واطمأن إليه أعظم من اطمئنانه إلى الرسول ﷺ ، وزعم أن الهدى لا يـــتلقى من مشكاته ، وإنما يتلقى من دلالة العقول ، وأن الذي جاء لا يفيد اليقين ، إلى غير ذلك من الأقوال التي تتضمن الإعراض عنه ، وعما جاء به ، والحوالة في العلم النافع إلى غيره ، ذلك هو الضلال البعيد ولا سبيل إلى ثبوت هذه الأولوية إلا بعزل كل ما سواه ، وتوليته في كل شيء ، وعرض ما قاله كل أحد سواه على ما جاء به ، فإن شهد له بالصحة قَبِله ، وإن شهد له بالبطلان ردّه ، وإن لم تتبين شهادته له لا بصحة ولا ببطلان ، جعله بمنزلة أحاديث أهل الكـــتاب ، ووقفه حتى يتبين أي الأمرين أولى به ، فمن سلك هذه الطريقة استقام له علمه وعمله ؛ ومن العجب أن يدعـــي حصول هذه الأولوية ، والمحبة التامة من كان سعيه ، واجتهاده ، ونصبه في الاشتغال بأقوال غيره وتقريرها ، والغضب والمحبة لها ، والرضا بها ، والتحاكم إليها ، وعرض ما قاله الرسول ﷺ عليها ، فإن وافقها قَبِلهُ ، وإن خالفها الـــتمس وجـــوه الحـــيل ، وبالغ في ردّه ليّاً وإعراضاً وقد قال تعالى {.. وأن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً }(النساء من آية:١٣٥)) (١)

---

(١)زاد المهاجر لابن قيم الجوزية ، ٢١-٢٣ ، بتصرف كبير

فعلى ذلك :

فـإن محـبة الرسـول ﷺ والرضا به تستلزم طاعته ﷺ وموافقته ﷺ في حب جميع ما يحب من الأعمال والأقوال وموافقته كذلك في بغض وكره جميع ما يبغضه ﷺ من قول أو عمل فيتحقق في العبد الائتمار بأمره والانتهاء عند نهيه وذلك حقيقة الرضا به ﷺ نبياً ورسولاً ،

فـلا يكـون (المؤمن مؤمناً حتى يقدم محبة الرسول ﷺ على محبة جميع الخلق ومحبة الرسول ﷺ تابعة لمحبة مرسله ، والمحـبة الصـحيحة تقتضي المتابعة والموافقة في حب المحبوبات ، وبغض المكروهات قال تعالى{قل إن كان آباؤكم وأبـناؤكم وإخوانكـم وأزواجكـم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضـونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا ..}(التوبة:٢٤) ، فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله ، ويكره ما يكرهه الله ورسوله ، ويرضى ما يُرضي الله ورسوله ، ويسخط ما يُسخط الله ورسوله ، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض) [١] .

---

(١)جامع العلوم والحكم لابن رجب ، ٣٩٣-٣٤٠

ولقد علم الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - أنه لا يتم لهم إيمان ، ولا يتحقق لهم رضا الرحمن حتى يحبوه ﷺ حباً يفوق حبهم للنفس والمال والولد ، حيث أوجب تعالى محبته ﷺ وتعظيمه .. فأحبوه ووقّروه وفدوه بأنفسهم وأبنائهم .. وتفانوا في طلب رضاه ﷺ .. فضربوا أروع الأمثلة في الحب والتعظيم له ﷺ مما سبّب دهشة قريش وعظيم استغرابها .. فيقول قائلهم مستعجباً (يا قوم والله لقد وفِدت إلى كسرى وقيصر والملوك فما رأيتُ ملكاً يعظمه أصحابه : ما يعظمُ أصحابُ محمدٍ محمداً ، والله ما يُحدّون النظر إليه تعظيماً له ، وما تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فيدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده) (١)

وها هو ذا أبا هريرة ﷺ يعلن هذا الحب العظيم والاصطفاء له حتى أنه ينسب إليه الخلة والمحبة فيقول بلسان مفعم بالحب الذي ترجم حبه إلى العمل بسنته ﷺ واتباع هديه " أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت :صوم ثلاث أيام من كل شهر ، وصلاة الضحى ، ونوم على وتر " (٢)

وكثيراً ما يرددون للمصطفى ﷺ – بأبي أنت وأمي ، فقد فدوه بكل غال ورخيص ، ففي غزوة أحد يشرف ﷺ لينظر إلى المسلمين فيخشون عليه ويقول أحدهم له " بأبي أنت وأمي - لا تشرف ، يصيبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك " (٣)

---

(١)هذا الأثر أخرجه البخاري تعليقاً عن عروة بن المسور ومروان ، جـ١، كتاب الوضوء ، باب:البزاق والمخاط في الثوب

(٢)أخرجه البخاري كتاب التهجد ، برقم (١١٧٨) من حديث أبي هريرة ﷺ

(٣)أخرجه البخاري في المغازي برقم (٤٠٦٤) والقائل هو أبو طلحة ﷺ

فلقد فدوه بآبائهم وأمهاقم وأنفسهم وأبنائهم رضوان الله عليهم

ويقول غيره مبيناً ما في صدره من عظيم الحب له ﷺ المشرب بعظيم التبجيل والتوقير (... ما كان أحد أحبَّ إلي من رسول الله ﷺ ولا أجلَّ في عيني منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت ، لأني لم أكن أملأ عيني منه) [1]

وإذا ما غضب صحابة رسول الله ﷺ – من الأنصار – لفواقم حظ من حظوظ الدنيا ، جاء التوجيه النبوي الكريم بـأن الرضا به ﷺ هو الغنى الحقيقي ، والكنز العظيم .. الذي من فاته فقد فاته الخير ، ففي الصحيح : قالت الأنصار يوم فتح مكة [2] – وأعطى قريشاً : والله إن هذا لهو العجب . إن سيوفنا لتقطر من دماء قريش وغنائمنا تُردُّ عليهم! فـبلغ ذلـك النبيَّ ﷺ فقال :" ما الذي بلغني عنكم؟ " وكانوا لا يكذبون ، فقالوا : هو الذي بلغك ، فقال: (أوَلا ترضون أن يرجع الناس بالغنائم إلى بيوقم وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم ؟ " [3] وفي رواية " فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به " [4]

---

(١)أخرجه مسلم ، جـ١ ، كتاب:الإيمان ، برقم (١٢١) من حديث عمرو بن العاص ﷺ

(٢)قال الحافظ بن حجر (١١١/٧) قوله : يوم فتح مكة : أي عام فتح مكة لأن الغنائم المشار إليها كانت غنائم حنين وكانت بعد الفتح بشهرين .

(٣) أخرجه البخاري – واللفظ له – جـ٤ ، كتاب:المناقب ، باب:مناقب الأنصار .. حديث رقم (٣٧٧٨) ؛ ومسلم ، جـ٢ ، كتاب:الزكاة ، باب:إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ، حديث رقم (١٠٥٩) بنحوه ؛ والترمذي ، جـ٥ ، كتاب:المناقب ، باب: في فضل الأنصار ، حديث رقم(٣٩٠١) ؛ جميعهم من حديث أنيس رضي الله عنه .

(٤)رواية لمسلم بنفس رقم الحديث

ولقد علم الصحابة لكرام رضوان الله عليهم أن الرضا به ﷺ خير من الدنيا وما فيها فجاء التطبيق العملي للرضا به وذلك في الرضا بقضائه وحكمه ﷺ متمثلاً في القصة التالية لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما :

ففي الصحيح " كان رجل عنده إبل هيم [(١)] فذهب ابن عمر رضي الله عنه فاشترى تلك الإبل من شريك له .. فجاء إليه شريكه فقال: بعنا تلك الإبل فقال: ممن بعتها؟ قال:من شيخ كذا وكذا فقال : ويحك! ذاك والله ابن عمر فجـــاءه، فقال إن شريكي باعك إبلاً هيماً ولم يعرفك، قال:فاستقها [(٢)] قال: فلما ذهب يستاقها قال: دعها رضينا بقضاء رسول الله ﷺ لا عدوى) [(٣)]

فها هو ذا ابن عمر ﷺ يرفض استرجاع الإبل المرضى بعد أن علم مرضها مرضاً معدي - رضاً بقضاء رسول الله ﷺ وحكمه بأنه " لا عدوى " وفي هذا الرضا بقضائه ﷺ رضاً به لأن من رضي به ﷺ نبياً حكمّه في أمره ورضي بحكمه ﷺ

٤] اتباع هديه ﷺ والاقتداء به :

فســـيرته العطـــرة ﷺ هي منهجٌ لكل مؤمن موحد من أمته ﷺ وهي في أقواله وأفعاله وأخلاقه وشأنه كله .. فمن خالفه ﷺ في فعله .. فقد خالف فعله قوله من ادعاء محبته ﷺ والرضا به ..

فالبخـــيل مـــثلاً .. والمتكبر والفظ الفاحش البذيء من أبعد الناس عن هديه ﷺ لأنه كان ﷺ كريماً جواداً رحيماً متواضعاً غير فاحشٍ ولا متفحشٍ ..

---

(١) إبل هيم : أي مراضاً جمع أهيم وهو الذي أصابه الهيام : وهو داء يكسبها العطش فتمصُّ الماء ولا تروى (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ، ٢٨٩/٥)

(٢) استقها : من الاستياق أي : إذا كان الأمر كما تقول فارتجعها (فتح الباري لابن حجر ٣٢٢/٤)

(٣) هذه القصة بلفظ رضينا بقضاء رسول الله انفرد بها البخاري فأخرج الحديث في صحيحه ، جـ٣ ، كتاب: البيوع ، باب: شراء الإبل الهيم أو الأجرب ، حديث رقم(٢٠٩٩) ، وأخرج لفظ " لا عدوى .." ابن ماجة ، جـ٢ ، كتاب: الطب ، باب: من كان يعجبه الفأل ويكره الطيره ، حديث رقم(٣٥٨٥) بلفظ " لا عدوى ولا طيرة ولا هامه .." كلاهما عن ابن عمر رضي الله عنهما -

٥]المبادرة إلى السنن والمندوبات :

وتعظيم سنته ﷺ من تقوى القلوب .. فالحرص على السنن من النوافل والقيام بالمندوب من أوجه البر والقربات مما حث عليه ﷺ ورغب فيه - من غير الواجبات دليل على عظيم محبته ﷺ والرضا به نبياً ورسولاً فمحبة السنن والتقرب بها إلى الله هي ترجمان الرضا به ﷺ رسولاً ..

ولقـــد أسلفت قول أبي هريرة ﷺ " أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت : صوم ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى ، ونوم على وتر .. " ، فلقد ترجم أبو هريرة ﷺ محبته للرسول ﷺ بالاقتداء بهديه ومحبة سننه في النوافل من الطاعات بقوله " لا أدعهن حتى أموت " [1]

ولقـــد كـــان عبدالله بن عمر ﷺ شديد المحبة للمصطفى ﷺ شديد الاقتفاء لأثره حيث ضرب لنا أروع الأمثلة في الاقتداء به والاقتفاء لأثره ﷺ في المباحات والمندوبات فضلاً عن الواجبات فقد كان (يحفظ ما سمع من رسول الله ﷺ ويســـأل من حضر إذا غاب عن قوله وفعله ، وكان يتبع آثاره في كل مسجد صلى فيه ، وكان يعترض براحلته في طريق رأى النبي ﷺ عرض ناقته ، وكان لا يترك الحج ، وكان إذا وقف بعرفه يقف في الموقف الذي وقف فيه رسول الله ﷺ ،وروى عنه أنه ما ذكر ابن عمر رسول الله ﷺ إلا بكى ، ولا مر على ربعهم إلا غمض عينيه) [2]

---

(١)سبق تخريجه ص ٣٢٤

(٢) الإصابة لابن حجر ، ١٦٠/٤

٦] كثرة الصلاة عليه ﷺ :

فالصلاة عليه دليل المحبة والرضا ..

ولقد أمرنا الله تعالى بذلك أمراً بدأه بنفسه تعالى وملائكته الأبرار فقال تعالى {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما }(الأحزاب:٥٦) وكما قيل ما أحب المرء شيئاً إلا أكثر ذكره .. فإذا صدق العبد في محبة المصطفى ﷺ والرضا به جرى ذكره على لسانه وأكثر من الصلاة عليه ﷺ ليل نهار .

٧] ذب الكذب والافتراء عن حديث المصطفى ﷺ :

وذلك بخدمته سنته ﷺ القولية .. بتخريج أحاديثه ﷺ وتمييز صحيحها من ضعيفها ومقبولها من المردود منها لأجل العمل بالمقبول وفي هذا العمل من الأجر والقدر عند الله تعالى ما لا يخفى إذ بهذا العمل الجليل يكشف المرء الافتراء والكذب وينقي سنته ﷺ مما قد يلابسها مما ليس منها .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لخدمة سنة رسوله ﷺ وأن يجعلنا ممن صدق في دعوى محبته والرضا به ﷺ نبياً ورسولاً ..،

فنا ل بذلك أعظم الأجر .. اللهم آمين

المبحث الثالث

الرضا بالإسلام ديناً

وفيه مطالب:

المطلب الأول : معنى الرضا بالدين

المطلب الثاني : كيفية تحقيق الرضا بالدين

المطلب الثالث : علامات الرضا بالدين

تمهيد

مـــن لـــوازم الرضا بالله رباً وبالمصطفى ﷺ نبياً ورسولاً : الرضا بالإسلام ديناً فمن رضي بالله خالقاً ومالكاً وإلهاً واحداً لا سواه ؛ رضي بدينه ، واطمئن لحكمه وشرعه فأتمر بأمره وانتهى عند نهيه لأنه يعلم أن هذا الكون إنما كان بتدبير مدبر ، وتقدير حكيم كل شيء عنده بميزان .. ، لا يختل ولا يجور .. ، لا يضلُّ ربي ولا ينسى .

كمـــا أن من رضي بالله تعالى وجب عليه أن يرضى بكل ما يُرضى به الله تعالى ، وأعظم ما يرضي الرب تعالى : الرضـــا بالدين باتباع الإسلام ، فقد رضيه تعالى ديناً للعباد .

قال تعالى {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً}(المائدة :٢)

وقـــال تعـــالى {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذيـــن من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم } (سورة النور من آية : ٥٥) كما نص تعالى بعدم رضاه عـــن الكفـــر فقال تعالى { ولا يرضى لعباده الكفر ..}(الزمر:٧) ، فعلى ذلك فإن الرضا بالله تعالى يستلزم الرضا بـــالدين كما أن الرضا بالرسول ﷺ يستلزم الرضا بالدين : فمن رضي به ﷺ نبياً ورسولاً : رَضي بحكمه وابتع هديه ، وسار على نهجه القويم .

المطلب الأول : معنى الرضا بالدين

ومعنى الرضا بالإسلام ديناً : التسليم الكامل ، والخضوع والعمل بكل ما يأمر به الله تعالى ورسوله الكريم واجتناب وترك كل ما نهى عنه الله تعالى ورسوله الكريم فيسكن فؤاده و ينشرح صدره لحكم الله رسوله ، لا ينشرح لغير حكمهما، فلا يبتغي غير الإسلام ديناً ،

وهذا من وفقه الله تعالى للخير والهداية فشرح صدره للإسلام وأرضاه به ، قال تعالى {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعد في السماء}(الأنعام:١٢٥)

فالمؤمن منشرح الصدر راضي النفس بشرع الله تعالى ودينه الإسلام أما الكافر والمنافق فإن صدره ضيقاً لحكم الله لأنه لم يعرف الرضا إلى قلبه سبيلاً .

يقول الإمام ابن قيم – رحمه الله – في معنى الرضا بالإسلام ديناً :

(هو ألا يبتغي المؤمن بهذا الدين بديلاً ، فإذا قال أو حكم أو أمر أو نهي رضي كل الرضا ، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه ، وسلم تسليماً ، ولو كان مخالفاً لمراد نفسه أو هواها)[1]

يردد دوماً {قل أغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً }(الأنعام:١١٤)

---

(١)مدارج السالكين ، ٣٦٨/٢ ، بتصرف

المطلب الثاني :كيفية تحقيق الرضا بالدين :

ويتمكن المرء من الحصول على الرضا بالدين .. إذا التزم شعائره .. وخالج قلبه فصار ترجماناً لهذا الدين ..

وقد يدعي الكثير رضاهم بالدين .. لكنهم عند التمحيص يتساقطون ليبقى قليل ممن وفقه الله مصدّق عمُله قولَه من الذين قال الله عنهم {ثلة من الأولين وقليل من الآخرين}(الواقعة:١٣-١٤)

وأولى دلائـــل الرضا بالدين إتباع شرعه .. والاحتكام إليه وليس الشأن في اتباع أوامر الشرع الموافقة للهوى ، فـــإن اتـــباعها أمـــر سهل يسير على النفس - إنما الشأن في الأمر أو النهي المخالف للهوى ، إذ به يكون الاختبار والتمحـــيص وبه يظهر من صدق مع الله في ادعائه الرضا بدينه ، قال تعالى {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً }(النساء:٦٥)

وقال تعالى {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم}(الأحزاب:٣٦)

والمرضيُّ ديناً : من عُرِف باستقامة دينه وصلاح نهجه فكان مقبولاً عند الله وعند الناس (١)

ولقد رضي هذا الدين كل من آمن بالله ورسوله ، وخلع عنه رجس الأوثان ، فعن عامر بن شهر (٢) قال : خرج رسول الله ﷺ فقالت لي همدان (٣) : هل أنت آت هذا الرجل ومرتاد لنا ..، فإن رضيت لنا شيئاً قبلناه ، وإن كرهت شيئاً كرهناه ، قلت : نعم ، فجئت حتى قدمت على رسول الله ﷺ فرضيت أمره وأسلم قومي ..)(٤)

وهكذا نرى أن عامر بن حوشب ﷺ كان له رأي سديد وأمر رشيد يعرفه به قومه لذلك انتدبوه إلى الذهاب إلى المصطفى ﷺ لمعرفة هذا الدين .. فما كان منه – لوافر عقله وعظيم حكمته – إلا أن اختار طريق الحق فرضي بالإسلام ديناً واتبع هدي المصطفى ﷺ ، ورضي برضاه قومه بالإسلام فدخلوا في دين الله أفواجاً ..

---

(١) فالرضا بالدين ركن في الشهادة المقبولة ، فلا تقبل إلا شهادة الرضي ، وفي هذا المعنى قوله تعالى {واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء }(البقرة:٢٨٣) ، ومن السنة قول ابن عباس ﷺ " شهد عندي رجال مرضيون ، وأرضاهم عندي عمر ..) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة برقم (٥٨١)
وقد ذكرت هذه النصوص هنا لأن الشهادة من المعاملات بين البشر .. لكن لما كانت مرتبطة بالرضا بالدين فقد ذكرتها لذلك جرى التنبيه .

(٢)هو عامر بن شهر الهمداني : يكنى أبا شهر ويقال ابا الكنود ، كان أول من اعترض على الأسود العنسي لما ادعى النبوة ، كان أحد عمال النبي ﷺ على اليمن (الإصابة لابن حجر العسقلاني، ٤٧٣/٤)

(٣) همدان : بفتح الهاء وسكون الميم قبيلة من اليمن تركت الكوفة وهي همدان بن أوسله وهمدان بن مالك وهمدان بن ربيعة ، وقيل همدان اسمه أوسله بن خيار بن كهلان بن سبأ ..... وفي همدان بطون كثيرة منها سبيع ويام ومرهبة وأرحب ومن كل بطن جماعة .. (الانساب للسمعاني٥/٦٤٧)

(٤) انفرد به الإمام أبو داود من أصحاب ا لكتب الستة – فأخرجه ، جـ٣ ، كتاب:الخراج والإمارة ، باب:ما جاء في حكم أهل اليمن ، حديث رقم (٣٠٢٧)
إسناده: في إسناده مُجالد بن سعيد بن عمير الهمداني الكوفي ليس بالقوي ، وقد تغير بآخره ، كما قال الحافظ بن حجر في تقريبه ، ترجمة رقم(٦٤٧٨) ؛ كما أن فيه أبو أسامة حمّاد بن أسامة القرشي الكوفي ثقة ثبت ربما دلس ، وكان بآخره يحدث من كتب غيره كما قال الحافظ في تقريبه ، ترجمة رقم(١٤٨٧) ، وأورده الإمام ابن الكيال في الكواكب النيرات ، ص٢٥٤ وقال فيه أثبته ابن حبان في الثقات وقال : كان في آخر عمره يخطئ فيما يروي ، تغير عليه حفظه ، فسماع المتقدمين عنه الذي سمعوا بواسط ليس فيه تخليط ، وسماع المتأخرين عنه بالكوفة فيه أوهام وحديث مُجالد من المتأخرين عنه ففي تهذيب التهذيب لابن حجر (٣٧/١٠) ورد قوله (قال ابن مهدي (حديث مُجالد عند الأحداث أبي أسامة وغيره ليس بشيء ولكن حديث شعبة وحماد بن زيد وهيثم وهؤلاء .. يعني أنه تغير حفظه في آخر عمره) أهـ ، فعلى ذلك فإن رواية مجالد عن أبي أسامة كانت بعد الاختلاط فعلى ذلك فإن سند الحديث ضعيف .

ولقد رضي الله الإسلام ديناً للعباد، وأتم عليهم نعمته بإكمال هذا الدين فجعله تعالى تاماً كاملاً باقياً إلى يوم الدين ..، فأولى بكل عبد أن يرضى به لنفسه ديناً ، قال تعالى {...اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً }(المائدة من آية : ٣)

وهو الدين الحق الذي ختم الله به الأديان وأظهره عليها ، قال تعالى {هو الذي أرسله رسوله بالهدى ودين الحـــق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً }(الفتح:٢٨) وهو الدين القيم والملة الحنيفية التي من اتبعها فقد هُدي إلى الحق ، قال تعالى {قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين}(الأنعام:١٦١)

وكيف لا يرضى المؤمن بهذا الدين ؟ وهو خير دين ارتضاه رب السموات والأرضين لأمة خير المرسلين محمد بن عبدالله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أفضل الصلاة وأتم التسليم .

فلقد (اختار تعالى هذا الدين للأمة المحمدية من بين الأديان وأتم عليهم النعمة بإكمال هذا الدين وهو الدين المقبول .

عند الله الذي لا يقبل سواه [١] ، قال تعالى {إن الدين عند الله الإسلام ...} وقال {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين }(سورة آل عمران :٨٥)

ففـــي قوله تعالى {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ..} (أي اخترته لكم من بين الأديان وهو المقبول عند الله وعليه المدار) وفي قوله تعالى {ورضيت لكم الإسلام ديناً }: يقول جل ثناؤه : أي رضيت لكم الاستسلام لأمري والانقياد لطاعتي ، على ما شرعت لكم من حدوده وفرائضه ومعالمه طاعة منكم لي) [٢]

ولمـــا كانت هذه الآية من أعظم النعم التي نزلت على المصطفى ﷺ إذ بها تعالى بيّن إكمال الدين وإتمام النعمة ، ورضاه تعالى بهذا الدين للمسلمين فإن ما ورد في هذه الآية العظيمة من نعم بالغة الحسن اختص الله بها الأمة المحمدية جمـــيعها، تستحق الشكر عليها ولقد تمنت اليهود أن ينالوا هذه المكانة الرفيعة الشأن التي أعطانا الله تعالى إياها، فله الحمد تعالى أولاً وآخراً،

فعن عمر بن الخطاب ﷺ أن رجلاً من اليهود قال: يا أمير المؤمنين ! آية في كتابكم تقرؤها لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، قال : أي آية؟ قال: {اليوم أكملت لكم دينكم ..} [٣]

---

(١)روح المعاني للألوسي ، ٢٣٣/٣

(٢)جامع البيان للطبري ، ٥٢٢/٩ ، وقال : وإتمام النعمة على المخاطبين بفتح مكة ودخولها آمنين ، وهدم منار الشرك ، والنهي عن حج المشركين وطواف العريان وقيل بإتمام الهداية والتوفيق بإتمام سببها وقيل بإكمال الدين ، وقيل بإعطائهم من العلم والحكمة ما لم يعط أحد

(٣)أخرجه البخاري ، جـ١ ، كتاب:الإيمان ، برقم(٤٥) ؛ ومسلم ، كتاب:التفسير ، حديث رقم (٣٠١٧)

المطلب الثالث :علامات الرضا بالدين :

وهناك علامات ودلائل تبرهن على تحقق الرضا بالإسلام ديناً في نفس المؤمن منها ما يلي :

١] أن يعـــتقد جازماً أن دين الإسلام هو الدين الحق الكامل الذي أنعم الله عليه به ، وهذا الدين هو الذي به صـــلاح البشرية وفي اتباع نهجه القويم خير العالم ، وأن ا لسيادة والتمكين له لا محالة فهو - وإن نازع مكانته اليوم غـــيره مـــن الأديان والنظم - بسبب بُعد المسلمين عند دينهم فإن الخاتمة - بلا ريب - ستكون له والمستقبل لشريعته السـامية ، وهـذا وعـد الله الحـق الذي لا يبدل ولا يغير ، قال تعالى {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصـــاحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ..}(النور: من آية ٥٥)

وهـــناك عـــدة أمور تؤكد أن المستقبل للإسلام وأن الشريعة الإسلامية في الغد القريب - إن شاء الله - ستكون الحاكمة للعالم أجمع وهذه الأمور هي :

(أولاً : أن تطبـــيق الشريعة الإسلامية يعتبر في نظر المسلمين من الدين وجزء من عقيدهم ، ولهذا فهم يحرصون عـــلى تطبيق أحكام الشريعة ويدعون إليها وقد أخذ يشاركهم بعض أولي الرأي . وأكبر الظن أن الحكومات ستلبي هذه الرغبة وتستجيب لهذه الدعوة .

ثانياً : أن القانون في كل أمة يعتبر جزء من ضميرها ومرآة لآمالها وضماناً لعقيدتها ومصالحها ومستقراً لمثلها العليا وأفكارهـا في الحياة ، والقانون الذي يكتب له البقاء وترضى عليه الأمة : هو الذي تتحقق فيه هذه المعاني ونحوها ، والشريعة الإسلامية هي الوحيدة التي تتحقق فيها هذه المعاني .

ثالـثاً : أن الشـريعة الإسلامية - صالحة لكل زمان ومكان - لا تضيق بحاجات الناس وما يستجد من أحوالهم وأمورهم ، ومحققة لمصالحهم المشروعة . ولقد تفطّن لهذه الحقيقة المعنيون بدراسة القانون حيث قرر علماء الغرب أن الشـريعة الإسـلامية تعتبر مصدراً من مصادر التشريع العام وأنها شريعة حية مرنة قابلة للتطور ، وأنها قائمة بذاتها وليست مأخوذة من غيرها ...) [1]

٢] أن يـتحاكم في أمره كله لهذا الدين فيرضى بحكمه ، ويتبع شرعه وإن خالف هواه وشهوته ، لأنه يعلم أنه الدين الحق وغيره ضلال ويخضع لشرعه لأنه يعلم أن شريعته كاملة لا نقص فيها ، عامة لجميع البشر .. ، باقية إلى يـوم الدين ، صالحة لكل زمان ومكان لأنها مستمدة من عند الله تعالى[2] وهو الأعلم بخلقه وما يصلح أمرهم {ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير }(الملك:١٤) فلا يُقدم عليه نظام وضعي فاسد .. يكفي في نقصه وعجزه أنه من صنع البشر .

(١)هذه النقاط الثلاث من [د.عبدالكريم زيدان ، المدخل لدراسة الشريعة ، الطبعة :[بدون] ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ١٤٠١ هـ-١٩٨١م ، تاريخ:[بدون]] ص٧

(٢)انظر المصدر نفسه ، ص٣٩

ولا يستخير عليه غيره من دين أو منهج ، لأنه على نور من ربه ، ولقد وصف الله المنافقين باحتكامهم إلى غير شرع الله ورفضهم لحكم الله وإعراضهم عنه لما انطوت عليه قلوبهم من فسق وضلال فقال تعالى عنهم {يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به }(النساء:٦٠) وقال{وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون}(النور:٤٨)،ولعظم وجوب تحكيم شرع الله ومكانته في الإيمان اعتبر تعالى من لم يحكم شرع الله تعالى من الكفرة الفاسقين الخارجين عن الإيمان..قال تعالى{ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}(المائدة:من آية ٤٤)

٣]أن يستشعر عظيم نعمة الله عليه بالإسلام ، حيث حُرم منه الكثيرون من بني آدم فيحمد الله تعالى ليل نهار على أن منّ عليه ، بأعظم نعمة في الوجود وهي الهداية لهذا الدين القويم ، فأكرمه بأن جعل دينه خير الأديان وشرعه أكمل الشرائع وأفضلها .. ، وجعله من ركب خير الأنبياء والمرسلين وهو لعظيم استشعاره هذه النعمة يخشى على نفسه من الكفر والزيغ والضلال بعد الهداية ، فهو يسأل الله تعالى ليل نهار الثبات على الدين مقتدٍ بخير الأولين والآخرين ﷺ حيث كان كثيراً ما يدعو " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك "[١] وهو لفرط حبه لهذا الدين يكره الكفر ويكره أن يعود إليه .. بعد إذ هداه الله لدين الحق . كما يكره أن يُقذف في النار .

(١)أخرجه الترمذي في الدعوات برقم (٣٥٢٢) وقال هذا حديث حسن ، وأحمد في مسنده ١١٢/٣ والهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٠/٧ وقال : فيه شهر بن حوشب وثق وفيه ضعف وللحديث شواهد أخرى أنظر مجمع الزوائد ٢١١/٧

٤] نتيجة استشعار المؤمن عظم نعمة الإسلام فإنه يكره الكفر ويخشى على نفسه أن يعود إليه كما يخشى أن يقذف في النار (١) ،كما يشفق على أهل الكفر والشرك والنفاق ويخشى عليهم النار والهلاك فيؤدي حق الله في وجوب شكر هذا الدين بنشره بالجهاد في سبيل الله بالسيف والكلمة والقلم .. وما شُرع الجهاد إلا لرحمة العباد بإخراجهم من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد كما يحرص على نشر دينه بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. امتثالاً لقوله تعالى {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن}(النحل:من آية ١٢٥)

٥]أن يدافع عن هذا الدين بكل ما يملك من قوة ، ويفديه بروحه وماله فيُرد على كل زنديق ضال ، أومستشرق حاقد ، أو منافق دخيل يبثُ الشبهات حول هذا الدين .. ، يزرع الشك في النفوس .. ، والريبة في القلوب ، تجاه أحكامه وشريعته .. ، فيتصدى له ويذوذ عن حياض الإسلام فيظهر عظيم إتقانه ، وجمال شريعته ، وكمال أحكامه ..

ليذهب ما علق في النفوس من رجس الشك والشرك بالله ، لتعود للإسلام مكانته في النفوس ، وقدره في القلوب..

٦]أن يشعر بالفخر والاعتزاز وعظيم الشرف بالانتساب إلى هذا الدين ، والذي به أعز الله الأمة المحمدية ، ورفع ذكرها وأعلى شأنها بين الأمم ، فلا عز لها ولا فخر إلا بهذا الدين ، فلا يبتغي العزة إلا من معينها {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ...}(المنافقين: من آية ٨) فلا يلتفت ورائه يبتغي العزة ممن لا عزة له كما يفعل المنافقون فيؤول بالذل والخزي والهوان

---

(١) ففي الصحيح " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ..ثم ذكر " وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار " أخرجه البخاري في الإيمان برقم (١٦)

قـــال تعالى عنهم {الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً}(النساء:١٣٩)

ولقد كان صحابة رسول الله ﷺ كما وصف الله تعالى {أعزة على الكافرين}(المائدة:من آية ٥٤) {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ..}(الفتح: من آية ٢٩)

فهـــم مع عدو الله أقوياء أشداء أعزاء يستمدون عزهم منه تعالى فهم أعزاء وإن لم يُؤتوا شيئاً من متاع الدنيا - والكفار أذلاء .. وإن حيزت لهم الدنيا بأجمعها .

٧] نتيجة حب المؤمن العظيم للإسلام واعتزازه به يحب المؤمن كل من هو مثله على الحق والهدى فيواليه، ويكره ويبغض أعداء الله من غير المسلمين فيعاديهم وإن كـــانوا أقرب الناس إليه، فيوالي ويعادي لله وحينها يـــــحوز أوثق عرى الدين[١]

ومـــن خـــلال عقيدة الولاء والبراء يصدق المؤمن في دعواه محبة هذا الدين وأتباعه ، قال تعالى {لا تجد قوماً يؤمـــنون بـــالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه }(المجادلة:٢٢)

---

(١) ففي الحديث " أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله " أخرجه البغوي في شرح السنة ، ٤٢٩/٣ وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٩٨)

المبحث الرابع :

ثمار الرضا

للرضا بالله تعالى ، وبدينه وبرسوله ﷺ ثمار كثيرة وآثار عظيمة الفائدة للمؤمن .

ومن هذه الآثار والثمار ما يجنيه المؤمن في الدنيا قبل الآخرة مثل استشعار حلاوة الإيمان والهداية إلى الطريق القويم والقناعة باليسير .

ومنها ما يلقاه العبد عند الله تعالى في الآخرة ، { يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون }(الشعراء:من آية ٨٨) فيجد جزاء رضاه فوق الوصف .. ويكفي أن رضا العبد مرهون برضا الله..، وإليك ما نص على أنه ثمرة ونتيجة الرضا [١] :-

(أ) استشعار حلاوة الإيمان:

فإن للإيمان حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ولمذاقه طعم أطيب حسن لذيذ لا يستشعره إلا من سكب الله تعالى في قلبه الرضا فرضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً ..

ففي الصحيح عنه ﷺ قال " ذاق طعم الإيمان ، من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا " [٢]

فمعنى ذاق طعم الإيمان أي (وجد حلاوته ، وذلك عبارة عما يجده المؤمن المحقق في إيمانه المطمئن قلبه به من انشراح صدره وتنويره بمعرفة الله ومعرفة رسوله ومعرفة منة الله عليه أن أنعم عليه بالإسلام ونظمه في سلك أمة محمد خير الأنام ، وحبب إليه الإيمان والمؤمنون وبغض إليه الكفرة والكافرين وأنجاه من قبيح أفعالهم وركاكة أحوالهم وعند مطالعة هذه المنن والوقوف على تفاصيل تلك النعم تطيرُ القلوب فرحاً وسروراً وتمتلئُ إشراقاً ونوراً فيالها من حلاوة ما ألذها ! وحالة ما أشرفها !)[٣]

---

(١) وإلا فان الآثار والثمار الغير منصوص عليها كثيرة نحو الطمانينة وتحقيق العبودية والاستقامة على شرع الله ونحوها . أنظر مدارج السالكين لابن قيم ٢ / ٢١٧ - ٢٣٢ ، القضاء والقدر د. عمر الأشقر

(٢)سبق تخريج الحديث ص ١٧٥

(٣)المفهم شرح صحيح مسلم ، جـ١/١٦٦

لذلك يقول الإمام ابن قيم الجوزية (الرضا يثمر سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور وطيب النفس وسكونها في كــل حــال ، وطمأنينة القلب عند كل مُفزع مهلع من أمور الدنيا ، وبرد القناعة واغتباط العبد بقسمة من ربه ، واستسلامه لمولاه في كل شيء، ورضاه منه بما يجري عليه ، وتسليمه له الأحكام والقضايا ، واعتقاد حسن تدبيره ، وكمال حكمته)[1]

(٣) الهداية :

الهداية مقصد عظيم ، وغاية سامية يتمناها كل مسلم وهي أولى حاجاته ومطالبه من ربه، لأن الهداية مقرونة بالصلاح والتوفيق للصالحات ، ولأهمية حصول الهداية لكل مؤمن - ولأهمية الثبات عليها [٢] علمنا رب السموات والأرضين الدعاء بها في اليوم والليلة سبع عشرة مرة بقول {اهدنا الصراط المستقيم}(الفاتحة:٥) ، فلولا هدايته تعالى لما وفق العبد للطاعات .. ، ولولا هدايته لما صُرف عن السوء والمنكرات ..،

وهــذا المطلب العظيم وهو الهداية - يكرم الله به من ابتغى رضوان الله تعالى فيهديهم إلى صراط مستقيم فحرص في جميع أعماله أن تكون خالصة له تعالى ابتغاء رضوانه تعالى قال تعالى {قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • يهــدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم}(المائدة:١٥-١٦)

ويلاحظ في الآية كيف أن الله تعالى وعد بالهداية لمن طلب رضا الله إلى أمرين :

الأولى : الهداية إلى سبل السلام (أي إلى طرق السلامة من العذاب الموصلة إلى دار السلام) [٣] وذلك من خلال توفــيقهم للطاعــات والصالح من الأعمال حيث يجعل في قلبه نوراً يميز به بين الحق والضلال ، فيخرج من ظلمات الشك والشرك والضلال إلى نور الإسلام ليصلح أن يكون من أهل دار السلام ، [٤]

---

(١)مدارج السالكين ، ص٣٨٠

(٢)هذه هي نوعي الهداية وهي هداية التوفيق للخير ، وهداية الثبات عليه فإن تحقق النوع الأول فإن المؤمن يحتاج النوع الثاني مدى الحياة (انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ٦/١)

(٣)فتح القدير للشوكاني ، ٢٨/٢

(٤)تفسير البغوي ، ٤٢/١

الثانية : الهداية إلى الصراط المستقيم أي : طريق الحق الواضح وهي مطلب كل مؤمن ودعاؤه في صلاته كل يوم كما أسلفت وهذا الصراط المستقيم هو طريقة الأنبياء والمرسلين وهو الذين منّ عليهم بالهداية والتوفيق والاستقامة قال تعالى{أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح...}(مريم: من الآية ٥٨)

وقال تعالى {...فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً }(النساء:٦٩)

فالهداية ثمرة من ثمار رضا الله اليانعة ، وأثر من آثاره العظيمة التي يكرم الله بها أتباعه من أهل الرضوان فما أن يقصد العبد رضا الله تعالى إلا ويكرمه العظيم المنان بالهداية والتوفيق للخير من الأعمال فالهداية مقرونة بالرضا ... فهما متلازمان

لذلك فسر لنا حبر الأمة ابن عباس ﷺ الهداية بالرضا في قوله تعالى {ومن يؤمن بالله يهد قلبه }(التغابن:١١)

(فقال : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم)[١]

(١)أخرجه الطبري في تفسيره ، ٢٨/٨٠ ، وعزاه ابن كثير لابن أبي حاتم (٨/١٦٣)

(٣) الكفاية[1] :

من أعظم علامات السعادة في الدنيا سد حاجات العبد ، وإغناؤه عن الخلق .. ، وهذا الأمر العظيم لا يتحقق إلا لمـــن ابـــتغى رضـــاه تعالى ، فمن ابتغى رضاه تعالى ، كان مع الله ، ومن كان الله معه فهو حسبه وكافيه ، فهو ولي الصالحين ، فمن أرضاه تعالى بسخط الناس كفاه الله تعالى الناس ، ففي الحديث عنه ﷺ " من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس " [2]

فلقد بيّن ﷺ أنه من (طلب رضا الله بسخط الناس ، وكراهتهم لما يصنع من أمر فيه رضوانه تعالى (كفاه الله مؤنة الناس) لأنه جعل نفسه من حزب الله وهو لا يخيب من التجأ إليه ، {ألا إن حزب الله هم المفلحون }(المجادلة:٢٢) وإن مـــن حـــرص على رضا الناس بسخط الله كان عقابه أن (وكله الله إلى الناس) : أي سلط الله الناس عليه حتى يؤذوه ويظلموه) [3]

---

(١) الكفاية : ما فيه سد الخَلة ، وبلوغ المراد في الأمر ، يقال : كافيك فلان أي حسبك (لمفردات للراغب الأصفهاني،٤٣٧)

(٢) أخرجه الترمذي جــ٤ – واللفظ له – كتاب الزهد باب (٦٤) منه حديث رقم (٢٤١٤) قال حدثنا : سويد بن نصر قال : ثنا ابنالمبارك عن عبد الوهاب ابن الورد عن رجل من أهل المدينة قال : كتب معاوية إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن أكتبي لي كتاباً .. الحديث بسنده . ثم قال : حدثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن يوسف عن سفيان الثوري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها كتبت إلى معاوية فذكر الحديث بمعناه ولم يرفعه –

قلت:هذا الحديث إسناد رجاله ثقات رجال مسلم غير الرجل الذي لم يسم فسند الحديث ضعيف للجهالة بالراوي ولكن الحديث يتقوى بالشواهد التالية :

١- حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ (من أسخط الله في رضى الناس سخط الله عليه وأسخط عليه من أرضاه في سخطه ، ومن أرضى الله في سخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه من أسخطه في رضاه) الطبراني في الكبير(٢٦٨/١١) حديث رقم (١١٦٩٦)

٢- وجود متابعان للرجل المبهم الذي وقع في سند الترمذي ، وهما في سنن ابن حبان : المتابع الأول جــ٢٤٧/١ ، باب:ذكر رضا الله جل وعلا عمن التمس رضاه بسخط الناس حديث رقم (٢٧٦) : أنا الحسن بن سفيان قال ثنا عبدالله بن عمر الجعفي قال : ثنا عبدالرحمن المحاري عن عثمان بن واقد العُمري عن أبيه عن محمد بن المنكدر عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ... الحديث بنحوه) وفيه "رضي الله عنه وأرضى عليه الناس " " سخط الله عليه وأسخط عليه الناس " .

المتابع الثاني:ما رواه ابن حبان أيضاً بلفظ قريب من حديث الترمذي : قال أخبرنا الحسن بن سفيان قال : ثنا ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني قال ثنا عثمان بن عمر قال حدثنا شعبة عن واقد بن محمد عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها وساق الحديث (الحديث يليه في نفس الباب والصفحة برقم ٢٧٧ .

فعلى ذلك الحديث يرتقي للحسن لغيره من الشواهد ومتابعاته وإن كان عثمان بن واقد صدوق ربما وهم كما قال الحافظ (تقريب التهذيب ، ترجمة رقم (٤٥٢٦) إلا أن شعبة تابعه على رفعه بالنضر بن شميل كما في رواية البيهقي ، والنضر بن شميل ثقة من رجال الشيخين]أهــ

ولقد أورده الشيخ الألباني في صحيح الترمذي برقم (١٩٦٧)

(٣)انظر تحفة الأحوذي للماركفوري (٨٢/٧)

فمن طلب رضا الله كفاه الله ، ومن استغنى بالله أغناه الله ، ومن توكل على الله كان الله حسبه وكافيه فصار في ولاية الله ولا يذل من والاه تعالى فاستحق أن يرضى الله عنه .. ، فيكافؤه تعالى بالرضا ..، فيقبل منه تعالى الصالحات .. ويرضى عنه .. ، كما يكافؤه تعالى برضا الناس عنه - فيما بعد - وهم الذين أسخطهم فيه تعالى وذلك لأن العاقبة للتقوى ، يقول ﷺ " من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس " (١)

وذلك لأن القلوب بيد الله تعالى ، ومن أحبه الله تعالى ورضي عنه ، حبّب تعالى فيه الخلق فأحبوه ففي الصحيح " أن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل: إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل : إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ويوضع له القبول في الأرض" (٢)

وطلب رضا الله تعالى بسخط الناس من أعظم الفقه في الدين ، وهو من أوثق عرى الإيمان حيث يبلغ المرء أرفع الدرجات حيث يرضى برضا الله وإن أسخط الناس، ويبغض لله وفي الله فيسخط ما يسخط الله تعالى وإن كان فيه رضا الناس جميعاً..، كما أن تقديم رضا الناس على سخط الله دليل على قلة الإيمان وضعف اليقين بالله، ففي الحديث عنه ﷺ "إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله ...الحديث" (٣)

---

(١)هذه رواية ابن حبان السالفة الذكر ، جـ١/٢٤٧

(٢)أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، برقم (٧٤٨٥)

(٣)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/١٠٦) وكذا (١٠/٤١) والبيهقي في شعب الإيمان (١/١٢١) جميعهم من حديث أبي سعيد الخدري وقال البيهقي محمد بن مروان ضعيف قلت كذا في سند البيهقي موسى بن بلال ضعيف ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٤/٢٠١) وعطية العوفي صدوق يخطئ كثيراً كان شيعياً مدلساً (تقريب التهذيب رقم ترجمته ٤٦١٦)
وروى البيهقي عن ابن مسعود مرفوعاً بلفظ (لا ترضين أحداً بسخط الله ولا تحمدن أحداً على فضل الله ..الحديث) .
وأخرجه أبو نعيم في الحلية أيضاً (٤/١٢١)بسنده عن ابن مسعود وفي سنده خالد بن يزيد ذكره الذهبي في الميزان(١/٦٤٦) وقال كذّبه أبو حاتم ويحيى، لكن لم يتفرد به خالد بن يزيد العمري فقد تابعه أبو قره واسمه موسى بن طارق الزبيدي القاضي ثقة كما هو عند البيهقي في الرواية التي تقدمت برقم(٢٠٤)فعلى ذلك يرتقي الحديث من الضعف إلى الحسن بشواهده فحديث ابن مسعود ﷺ شاهد لحديث أبي سعيد الخدري.

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب :

(الـــيقين يتضمن اليقين في القيام بأمر الله وما وعد الله أهل طاعته ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره فإذا رضـــيت بسخط الله لم تكن موقناً لا بوعده ولا برزقه فإنما يحمل الإنسان على ذلك : إما ميل إلى ما في أيدي الناس فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم ، وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة ، إذا أرضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤونتهم)[١]

أما من قدّم رضا الناس على رضاه تعالى فإنه بلا شك قد خسر رضا الله ....، وهو بذلك يظن أنه قد فاز..حيث أرضـــى الناس عنه بمعصيته لله ، وطلب سخطه ...، وما هي إلا لحظات ثم ينقلب رضا الناس عنه سخطاً ، وحبهم له كرهاً ، فيبوء بالخسران فيُمسي وقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ، ويصبح أقرب الناس له أشدهم له بغضاً وكرها وذماً فيعود حمده ذماً عليه [٢]

(١) فتح المجيد للشيخ عبد الرحمن آل الشيخ ص ٢٨٦

(٢)ففي الحديث " من التمس محامد الناس بمعاصي الله عاد حامده من الناس ذاماً " أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٥/١٠) وقال : رواه البزار وفيه قطبة بن العلاء عن أبيه وكلاهما ضعيف .

(٤) السعادة :

الســـعادة أثـــر من آثار الرضا في الدنيا وثمرة من ثماره ، وهي مطلب كل حي في هذه الدنيا فالسعادة الحقة لا يمتلكها إلا أهل رضوان الله تعالى ، الذين رضوا به تعالى وبحكمه وبقدره .

قال ﷺ " من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له " [١]

ففي الرضا بالقضاء والقدر سعادة العبد في الدنيا قبل الآخرة ،

والســـعادة أحـــد معاني الحياة الطيبة التي وعدها الله المؤمنين في الدنيا قبل الآخرة حيث قال تعالى { من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة } (النحل:٩٧)

(فالحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي وجه كانت ، فتشمل السعادة والقناعة والرزق الحلال الطيب) [٢]

ولا تتحقق هذه الحياة الطيبة بالسعادة في الدنيا إلا عند من رزق المعرفة الحقة به تعالى فَعرِفه حق المعرفة ورضي به تعالى إلهاً ومعبوداً ، ونبيه رسولاً وحكماً ، وبالإسلام ديناً وتشريعاً .. فأطاعه تعالى وعبده فلا تطيب الحياة إلا بالعيش في طاعته تعالى . [٣]

والسعادة كذلك لا تتحقق إلا بسرور القلب وفرحه ، وراحة النفس وطمأنينتها وهذا كله لا يتحقق إلا بالرضا بالله تعالى وبأقداره ،

فالسرور والفرح والراحة والطمأنينة التي هي معنى السعادة لا تتحقق إلا عند يقين العبد بالله ، ورضاه بما قدره له تعالى [٤]

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٣٥

(٢) فتح القدير الشوكاني ، ٢٣١/٣

(٣) انظر التفسير العظيم لابن كثير ، ٧١٢/٢ ؛ تفسير البغوي ، ٨٣/٣

(٤)ففي الحديث " إن الله بقسطه جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط "

(٥) رضا الله على العبد :

لمـــا كان الجزاء من جنس العمل ، فلقد جعل الله تعالى جزاء رضا العبد عن الله : رضاه تعالى عنه فمن ثمار رضا العـــبد عن الله : رضا الله تعالى عنه ، وأكرم بذلك فضلاً وكرماً فلا أعظم ولا أجزل ثواباً ولا أكبر نعيماً .. من أن يرضى الله تعالى عن عبده المؤمن .

يقول ﷺ " إن عظم الجزاء مع عظم البلاء [١] وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم [٢] ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخِط فله السخط " [٣]

فإذا ابتلي العبد بالبلايا والمصائب تمحيصاً واختباراً منه تعالى له ،فُوفق للرضا بما قضاه تعالى وقدره عليه ، كان جزاء رضائه : رضا الله تعالى عنه فلقد جعل الله تعالى رضاه مترتباً على رضا العبد -

يقـــول الإمام الطيبي (وفي قوله (فمن رضي فله الرضا) شرط وجزاء فُهم منه أن رضى الله تعالى مسبوق برضى العبد ومحال أن يرضى العبد عن ا لله إلا بعد رضى الله عنه كما قال {رضي الله عنهم ورضوا عنه}(المائدة:١١٩) .

---

(١)البلاء : الاختبار والامتحان ويكون في الخير والشر قال تعالى {ونبلوهم بالخير والشر فتنة } (انظر عارضة الأحوذي، ٢٤٣/٩ ، والمراد به هنا البلاء بالشر .

(٢)قال الإمام الطيبي (الكاشف عن حقائق السنة ، ٣١٠/٣) : (فإن قلت الفاء تفصيلية غير مطابق للمفصل لأن المفصل اشتمل على فريق واحد وهو أهل المحبة والتفصيل على فريقين أهل الرضا وأهل السخط ، قلت : هو من أسلوب قوله تعالى {ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً فأما الذين آمنوا } (النساء ١٧٢-١٧٣) ، فكذا ههنا : أي إذا أحب الله تعالى قوماً وأبغض قوماً ابتلاهم جميعاً : أي اختبرهم بالمحن والرزايا، (فمن رضي) بما ابتلاه به (فله الرضا) منه تعالى وجزيل الأجر (ومن سخط) كره بلاء الله وفزع ولم يرض بقضائه (فله السخط) منه تعالى وأليم العذاب والمقصود الحث على الصبر على ابتلاء بعد وقوعه)

(٣) أخرجه الترمذي جـ٤- واللفظ له - كتاب الزهد باب ماجاء في الصبر على البلاء حديث رقم (٢٣٩٦) ؛ وأخرجه ابن ماجة جـ٢ كتاب الفتن باب الصبر على البلاء برقم (٤٠٨٠) بلفظه بسنده من حديث أنس بن مالك ﷺ إلا أن كل منهما أخذ سنده عن شيخه إسناده : حسنه الترمذي كما حسنه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي (٢٨٦/٢) قلت : اسناد الحديث فيه سعد بن سنان الكندي المصري قال عنه الحافظ في التقريب صدوق له أوهام ترجمة رقم (٢٢٣٨) فعلى ذلك فان اسناد الحديث ضعيف ولعله حسن بشواهده ، وفي تحسينه قال الإمام المباركفوري في تحفة الأحوذي (٦٥/٧) معلقاً على قول الترمذي في الحديث التالي له برقم (٢٣٩٧) هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه : والظاهر أن الترمذي حسّن الحديث الثاني ولم يحكم على الحديث الأول بشيء مع انه أيضاً حسن عنده لأن إسنادهما واحد) فعلى ذلك فإن إسناد الحديث حسن .

ومحال أن يجعل رضا الله ولا يحصل رضا العبد في الآخرة كما قال {يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية}(الفجر٢٧-٢٨) فمن الله الرضا أزلاً وأبداً وسابقاً ولاحقاً أهـ)[١]

فجزاء الرضا رضاه تعالى عن العبد ، وما أن يبتغي المؤمن رضوانه تعالى إلا ويبادره الجواد الكريم بالرضا ، ففي الحديث " إن عبدي فلان يلتمس أن يرضيني فرضائي عليه وإن عبدي فلان يلتمس أن يسخطني ....الحديث "[٢]

وكما يكرم الله العبد الراضي برضاه عليه في الدنيا ؛ كذلك يكرمه تعالى برضاه عنه يوم القيامة فرضاه تعالى عنه ورحمته خير بشارة ، وأكرم مثوبة وأعظم أجر ينتظره يوم الدين ، يقول تعالى عن المؤمنين الصادقين {يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم • خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم }(التوبة:٢١-٢٢

نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن رضي عنهم ورضوا عنه ... اللهم آمين .

(١)الكاشف عن حقائق السنة للطيبي ٣١٠/٣ هامش ص ٣٥٠

(٢)أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ٢٧٩/٥ ؛ والهيثمي في مجمع الزوائد ، ٢٧٢/١٠ وقال فيه : رواه الطبراني في المعجم الأوسط ورجاله ثقات.

(٦) عظيم الأجر والمثوبة:

والرضـــا بالله تعالى وبحكمه في الدنيا ، والحرص على مرضاته تعالى سبب في الأجر العظيم ، والمثوبة الكبيرة التي تلحق صاحبه ، فمن رضي بالله أكرمه الله بعظيم الأجر والثواب .. ، ولقد بيّن تعالى أن طلب مرضاته تعالى في العمل سبب في قبول هذا العمل ، وثبوت الأجر العظيم والثواب الجزيل له .

يقول تعالى{ لاخير في كثير من نجواهم [١] إلا من أمر بصدقة[٢] أو معروف أو إصلاح بين الناس[٣] ومن يفعل ذلك[٤] ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً }(النساء:١١٤)

فلقد وعد سبحانه وتعالى بإيتاء الأجر العظيم لمن ابتغى مرضاته في الأعمال فقال تعالى {ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما} أي من طلب رضا الله تعالى في تلك الأعمال التي أشار إليها من صدقة أو معـــروف أو إصلاح فسوف يؤتيه الله تعالى أجراً عظيماً وهو أجر كبير وثواب جزيل (لا يحيط به نطاقُ الوصف وإنمـــا قيد الفعل بالابتغاء المذكور لأن الأعمال بالنيات ولأن من فعل خيراً لغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان ، ولا يخفى أن هذا ظاهر ، فإن الرياء محبطٌ لثواب الأعمال بالكلية [٥]

فإن (هذه الأقسام الثلاثة من الطاعات وإن كانت في غاية الشرف والجلالة إلا أن الإنسان إنما يُنتفع بها إذا أتى بها لوجه الله وطلب مرضاته، فأما إذا أتى بها للرياء والسمعة انقلبت القضية فصارت من أعظم المفاسد وهذه الآية من أعظم الدلائل على أن المطلوب من الأعمال الظاهرة رعاية أحوال القلب في إخلاص النية [٦]

---

(١)النجوى: هو السر بين اثنين أو الجماعة . انظر : النهاية في غريب الحديث ٢٥/١

(٢)الصدقة المسارة : المراد بها هنا صدقة التطوع لأن الصدقة الواجبة تعلن وتشتهر أصلاً وتطلب جهراً .

(٣)قال الإمام الشوكاني في (فتح القدير ، ٥٩٤/١) : والمعروف : لفظ عام يشمل جميع أنواع البر ، الإصلاح بين الناس: عام في الأموال والأعراض والدماء وكل شيء يقع التداعي به .

(٤)يقول الإمام الألوسي (روح المعاني ، ١٤٠/٢) : ولعل تخصيص هذه الثلاثة بالذكر لأن عمل الخير المتعدي للناس يكون إما بإيصال منفعة أو دفع مضرة ، والمنفعة إما جسمانية وإليه الإشارة بقوله " إلا من أمر بصدقة " أو روحانية وإليه الإشارة بالمعروف ، ودفع الضرر أشير بقوله "إصلاح بين الناس"

(٥)في ظلال القرآن ، ٧٥٩/٥

(٦)التفسير الكبير ، ٤٢/٦

فـــلا بد من ابتغاء وجه الله تعالى ، وطلب رضوانه في جميع الأعمال (فلا يكون هوى في الصدقة على فلان أو الإصلاح بين فلان وعلّان ولا يكون ليشتهر ذكره بأنه رجل طيب يحض على الصدقة والمعروف ويسعى في الإصلاح بين الناس ، ولا تكون هناك شائبة تعكر صفاء الاتجاه إلى الله بهذا الخير فهذا هو مفرق الطريق بين العمل يعمله المرء فيرضى الله عنه ويثيبه عليه والعمل نفسه يعمله المرء فيغضب الله عليه ويكتبه له في سجلات السيئات) (١)

(٧) القناعة والغنى :

فمن ثمار الرضا بالأرزاق : القناعة والغنى ، فالرضا بالرزق والرضا بما قسم الله . يورث في قلب المؤمن القناعة بالمقسوم وان كان قليلاً فإن القناعة هي غنى النفس وهي الغنى الحقيقي الذي حث عليه صلى الله عليه وسلم بقوله " ليس الغنى عن كثرة العرض ، إنما الغنى غنى النفس " (٢)

ولقد أرشد صلى الله عليه وسلم صحابته الكرام إلى الرضا بما قسم الله مبيناً أن العبد بهذا الرضا يكن أغنى الناس فقال صلى الله عليه وسلم "... ارض بما قسم الله تكن أغنى الناس " (٣) ولقد بين صلى الله عليه وسلم أن الرضا عن الله وبالله وبرسوله يورث الغنى(٤)

---

(١)في ظلال القرآن ، ٧٥٩/٥

(٢) سبق تخريجه ص ٢٣٠

(٣)سبق تخريجه ص ٢٣١

(٤) ففي الحديث " من ملأ قلبه رضاً ملأ الله قلبه غنىً ومن أغناه الله كفاه "

(٨) قبول الشفاعة(١):

فمـــن آثـــار وثمار الرضا الأخروية : قبول الشفاعة (٢) فمن رضي عن الله : رضي الله عنه ولا تقبل الشفاعة يوم القيامة: إلا لمن رضي الله عنه فكان من أهل التوحيد والإيمان قال تعالى{..ولا يشفعون إلا لمن إرتضى}(الأنبياء من آيه: ٢٨) أي لا يشفعون إلا لمن رضي الله عنه ممن قال (لا إله إلا الله)(٣)

وقال تعالى{وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى}(النجم: ٢٦)

فقد بين الله تعالى أن كثيراً من الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله شيئاً من الإغناء في وقت من الأوقات { إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى }أي إلا لمـــن أذن لهم في الشفاعة أن يشفعوا لمن يرضى عنه تعالى ويكون أهلاً للشفاعة من أهل التوحيد والإيمان ، أما ما عداهم من أهل الكفر والطغيان فهم من إذن الله بمعزل (٤)

وكذلك قال تعالى { ولا يرضى لعباده الكفر }(الزمر من آيه٧) فالكافر بنص القرآن الكريم غير مرضي عنه عند الله تعالى لذلك فهو ليس أهلاً للشفاعة ، وعليه ينصرف عموم قوله تعالى {ولا يقبل منها شفاعة..}(البقرة:من آيه ٤٨)

يقـــول الشـــيخ الشنقيطي رحمه الله في قوله تعالى{واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة}(البـــقرة من آية ٤٨) : ظاهر الآية عدم قبول الشفاعة مطلقاً يوم القيامة ، لكنه بيّن في موضع آخر : أن الشفاعة المنفـــية هي الشفاعة للكفار ، والشفاعة لغيرهم بدون إذن رب السموات والأرض، أما الشفاعة للمؤمنين بإذنه فهي ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، فنصّ على عدم الشفاعة للكفار بقوله تعالى {ولا يشفعون إلا لمن إرتضى }(الأنبياء: ٢٨) وقد قال تعالى: {ولا يرضى لعباده الكفر }(الزمر:من آية ٧) وقال مقرراً له :{فما لنا من شافعين }(الشعراء: ١٠٠) ، وقـــال{فما تنفعهم شفاعة الشافعين}(المدثـــر: ٤٨) وقال في الشفاعة بدون إذنه : {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه..}(البقرة من آية: ٢٥٥) (٥) .

---

(١) الشفاعة : هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه (التعريفات للجرجاني ، ١٢٧)

(٢) والشفاعة المقبولة المرضية عند الله تعالى هي ما جمعت شروط ثلاثة : (١- رضى الله عن الشافع ٢- رضاه عن المشفوع له – باستثناء الشفاعة العظمى منه ﷺ لجميع الخلائق – ٣ – إذنه في الشفاعة والإذن لا يكون إلا بعد الرضا عن الشافع والمشفوع) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ، ١٦٨/٢

(٣) تفسير البغوي ، ٢٤٢/٣

(٤) روح المعاني ٥٨/٤

(٥)اضواء البيان ٦٤/١ ، ثم قال(وهذا الذي قررناه من ان الشفاعة للكفار مستحيلةً شرعاً مطلقاً يستثنى منه شفاعته صلى الله عليه وسلم لعمه ابي طالب في نقله من محل في النار إلى محل آخر منها كما ثبت في الصحيح فهذه الصورة من تخصيص الكتاب بالسنة أ هـ ففي الصحيح عن أبي سعيد الخدري أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذُكر عنده عمه ابو طالب فقال " لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار ..." صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، حديث رقم ٣٦٠

القسم الثاني: الرضا المذموم

أولاً: الرضا بالدنيا من الآخرة

ثانياً: الرضا بالكفر

ثالثاً: الرضا بالمعاصي

رابعاً: الرضا بالخزي والعار

خامساً: الرضا بالذل والهوان

تمهيد :

لعـــل أول ما يترجح عند سماع كلمة الرضا لدى البشر هو الرضا المحمود .. وذلك لأن أغلب ما يستعمل هذا اللفظ في الوجه الحسن المحمود [1] .. لكن لا يمنع ذلك من وجود وجه آخر مقابل لهذا الرضا ، وهو الرضا المذموم .. الممقوت ديناً وعرفاً منهيٌ عنه ، فليس كل رضاً مطلوب ، مأمور به ،

بل إن هناك رضاً قبيحا مذموما عقلاً وشرعاً ، يأتي في مقابله الرضا المحمود .

فالرضا بالدنيا من الآخرة ، والرضا بالكفر ، والرضا بالمعاصي ، والرضا بالذل والهوان ، والرضا بالعار والشنار ، كلها أنواع لرضاً ممقوت ، وموافقة لأفعالٍ قبيحة نهى عنها الشارع الكريم وحث على النهى عنها

وفيما يلي هذه الأنواع الخمس تحت عنوان : -

الرضا المذموم

(١)وذلك خلاف كلمة الغضب - كما سيأتي - فإن الأغلب في استعمالها هو : الوجه القبيح المذموم وهذا الوجه المحمود - لكلمة الرضا - هو الأغلب إذ بهذا النوع يكون الرضا في مقابل صفة الغضب لذلك أطلّت في هذا القسم : وهو الرضا المحمود ، ثم أتيت بالوجه المذموم وهو: القسم الثاني اكمالاً وتتمه للبحث .

أولاً: الرضا بالدنيا من الآخرة :-

الرضا بالدنيا داء وبيل ، تصاب به الأمم في القديم والحديث ، فالدنيا حلوة خضرة [1] تغري وتفتن ، فكم وقع في شباكها من أناسٍ ، وكم قتلت من شباب وشيوخ ، شربوا منها حتى الثمالة ... ، فصارت إلههم المعبود ، وقبلتهم التي إليها يتجهون فمن أجلها يعيشون ..، ولها كم يكدحون !

ولقد قدّمت الحديث عن الرضا بالدنيا على باقي أقسام الرضا المذموم ، لأن الرضا بها رضا عام يدخل فيه الرضا بالكفر .. وبالمعاصي والشهوات فهي تفصيلات هذا الرضا العام .

فقد بيّن الله تعالى أن سبب رضا الكافر عن كفره : هو الدنيا وحبها قال تعالى { ...وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ...}(إبراهيم:من آية ٢-٣) كما بيّن تعالى سبب الوقوع في معصية التخلف عن الجهاد في سبيل الله ، والرضا بالذل والهوان : هو الرضا بالدنيا والركون إليها ، والفرح بها ، وعدم الطمع فيما عند الله قال تعالى { يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل}(التوبة: ٣٨) فالرضا بالدنيا من الآخرة إذن هو أصل الداء ، ورأس الفساد

---

(١) اخرجه الترمذي جـ ٤ كتاب : الفتن : حديث رقم (٢١٩١) والنسائي ٩١/٥

قال العلماء (1) إنما كان حب الدنيا رأس الخطايا ، ومفسداً للدين لعدة وجوه

أحدها : إن حبها يقتضي تعظيمها وهي حقيرة عند الله ، ومن أكبر الذنوب تعظيم ما حقّر الله .

ثانيها:أن الله لعنها ومقتها، وأبغضها إلا ما كان له فيها، ومن أحب ما لعنه الله ومقته وأبغضه فقد تعرض لمقته وغضبه.

ثالثها: أنه إذا أحبّها صيرها غايته ، ويتوسل إليها بالأعمال التي جعلها الله وسائل إليه وإلى الدار الآخرة فعكس الأمر، وقلّب الحكمة .

رابعاً:أن محبتها تعترض بين العبد،وبين ما يعود عليه نفعه في الآخرة باشتغاله عنه بمحبوبه،والناس في ذلك مراتب، وأقل درجات حبها أن يُشغل عن سعادة العبد،وهو تفريغ القلب لحب الله ولسانه لذكره،فعشقها ومحبتها تضر بالآخرة ولابد .

خامساً : أن محبتها تجعلها أكبر هم العبد (2)

سادسها : أن محبتها أشد على الناس عذاباً بها ، وهو معذب في دوره الثلاث : يعذب في الدنيا بتحصيلها والسعي فيها ، ومنازعة أهلها ، وفي البرزخ بفواتها والحسرة عليها فهذا أشد الناس عذاباً في قبره ثم يعذب يوم لقاء ربه قال تعالى {فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون}(التوبة:55)

---

(1)[ابن رجب ، ابن القيم ، ابو حامد الغزالي ، تزكية النفوس ، الطبعة : [بدون] ، تحقيق : ماجد ابن أبي الليل جمع د.أحمد زيد دار القلم ، بيروت – لبنان ،] ص ١٣٢–١٣٣ بتصرف .

(2)وفي الحديث "من كانت الدنيا همه فرّق الله عليه أمره،وجعل فقره بين عينيه،ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له،ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره،وجعل غناه في قلبه،وأتته الدنيا وهي راغمة" أخرجه ابن ماجة في الزهد برقم(٤١٥٧)وقال فيه البوصيري في زوائد ابن ماجة على الكتب الخمسة ص ٥٣٢ برقم (١٣١٨) إسناده صحيح ورجاله ثقات .

سـابعها : أن عاشـقها ومحبها الذي يؤثرها على الآخرة من أسفه الخلق ، وأقلهم عقلاً إذ آثر الخيال على الحقيقة ، والمنام على اليقظة ، والظل الزائل على النعيم الدائم .

ولقد حذر الله سبحانه وتعالى العباد من الافتتان بالدنيا والاغترار بها في الكثير من الآيات :– قال تعالى { يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور }(فاطر:٥) .

وقال تعالى مبيناً مثل الحياة الدنيا في الآخرة {إعلموا أنما الحياة الدنيا لعبُ ولهو وزينةُ وتفاخرُ بينكم وتكاثر في الأمـوال والأولاد كمـثل غيث أعجب الكفار نباتُهُ ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاعُ الغرور}(الحديد:٢٠)

فمن خلال ضرب هذا المثل يبين الله حقارة الدنيا ، وجهل من يغتر بها .

فما متاع الدنيا إلا لعب ولهو وزينة تتزينون بها ويتفاخر بعضكم فيها على بعض بالخلقة والقوة وبالأنساب وبما أوتي فيها وتكاثر في الأموال والأولاد [1] وهي بكل هذا المتاع – في مقابل الآخرة –كزرع يعجب الناظرين إليه لخضرته وجماله ، ثم ما يلبث أن ييبس ويصير هشيماً ، كأن لم يكن .. ، وكذلك الدنيا عندما تقبل وتفتن تبدوا بأجمل حُلّة ، وأبهى هيئة ،

---

(١) انظر جامع البيان (٢٣/ ١٩٣) ؛ فتح القدير (٥/ ٢٠٩)

فيغتر بها أهلها ، يظنون فيها البقاء والخلود ، فما تلبث أن تنكشف سوأتها ، ويبدو قبحها ، كالزرع الذي يصير حطاماً والسراب الذي يظنه العطشان ماءً فإذا أتاه لم يجده شيئاً ، فهي متاع الغرور ، وهي زاد الجهلة المخدوعين ؟

يقول الإمام الألوسي في تفسير قوله تعالى{وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان} (بعدما بين حقارة الدنـــيا تزهيداً وتنفيراً عن العكوف عليها أشير إلى فخامة شان الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ، ترغيباً في تحصيل نعيمها المقيم ، وتحذيراً من عذابها الأليم ، وقدم سبحانه ذكر العذاب على المغفرة لأنه من نتائج الإنهماك فيما فصل من أحوال الحياة الدنيا) [1]

فالمغفرة من الله والرضوان العظيم (في الآخرة لمن لم ينهمك في الدنيا ففي الآخرة إما العذاب الشديد وإما المغفرة والرضوان {وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور} لمن اغتر بها ولم يعمل لآخرته ولمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة [2])

---

(١)روح المعاني ١٤ /١٨٥ ، بتصرف

(٢)فتح القدير ٥/ ٢١٠ ، بتصرف

فالدنيا بما فيها إنما هي متاع للمغرورين بها والمخدوعين حيث آثروها على الدين .. لذا نجد هذا المعنى يتكرر في مواطن عديدة من كتاب الله تعالى .

- قال تعالى {وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور }(آل عمران من آية:١٨٥)

- قال تعالى {وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع}(الرعد من آية :٢٦)

- قال تعالى { فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل }(التوبة من آية:٣٨)

- قال تعالى { وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون}(العنكبوت:٢٩) - وغير هذه الآيات في التحذير من الدنيا في كتاب الله كثير -

فالدنيا ليست بدار بقاء ، فهي دار الفناء ، والآخرة هي دار القرار التي تستحق أن يتنافس من أجلها المتنافسون ... ، ويَجِدُّ في طلبها المخلصون ... ، والدنيا - لحقارتها - يعطيها الله البرَّ والفاجر لكن الآخرة لا يجعلها تعالى إلا للأبرار . ففي الحديث "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ما سقى منها الكافر شربة ماء " [١]

وكما حذر الله تعالى من الدنيا ، فقد حذر المصطفى صلى الله عليه وسلم أمته من الدنيا ، وخاف عليهم الافتتان بها ، والتنافس عليها - كما حدث للأمم السابقة - فيكون الهلاك رهينهم والضلال طريقهم ، والنار مأواهم .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء في هوان الدنيا حديث رقم (٢٤٢٢) وقال : حديث صحيح .

فقــد ورد في الصــحيح " قدم أبو عبيده بمال من البحرين (١) فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيده ، فوافوا صلاة الفجر مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما انصرف تعرضوا له ، فتبسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قــال : أظنُّكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء ؟ قالوا أجل يا رسول الله قال : فأبشروا ، وأمِّلوا ما يسُرُّكم ، فالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكنى أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم " (٢)

ولقــد وردت نصوص في ذم كل من رضي بالحياة الدنيا من الآخرة .. ، فكانت الدنيا بغيته وأكبر همه .. من أجلها يعيش وبها يفرح ويأنس .. ، ولها يكِد ويكدح .. ، فكم قاتل وكم خاصم من أجلها .. فهي كل مراده وغايةُ أمنيــتَهُ .. ، يقــول تعــالى عــنهم في معرض المقت والذم { إن الذين لا يرجون لقاءَ نا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، والذين هم عن آياتنا غافلون • أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون } (يونس:٧ – ٨).

(فهــؤلاء المذمومون : قد رضوا بالحياة الدنيا عوضاً عن الآخرة ونعيمها وسكنت نفوسهم اليها ، وفرحوا بها ، فهم لا يرجون لقاء الله .. لأنهم قد آثروا الأدنى الخسيس على الأعلى النفيس) (٣)

ويلاحــظ:كــيف عبر القرآن الكريم عن الرضا بالدنيا والتعلق بها : بالاطمئنان إليها ، وكأنهم خالدين فيها أبد الدهر ..

(فالمراد أنهم سكنوا فيها سكون من لا براح له ، آمنين من اعتراء المزعجات ، غير مخطرين ببالهم ما يسوؤهم من العذاب) (٤) فاستحقوا بأن تكون سكناهم النار .

---

(١) البحرين : اسم جامع للبلاد على ساحل البحر الهندي بين البصرة وعمان سميت بذلك من قول العرب أبحر البعير إذا ولع بالماء فأصابه منه داء وقيل من قول أبحرت الروضة إيحاراً إذا كثُر انقاع الماء فيها فأنتب الكلأ وقيل إنما سموا البحرين لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الأحساء (معجم البلدان لياقوت الحموي ، ٣٤٧/١)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، حديث رقم(٤٠١٥) .

(٣)انظر فتح القدير للشوكاني ٢/ ٤٨٥ ؛ روح المعاني للألوسي ٦٩/٦ .

(٤)روح المعاني للألوسي ٦/ ٦٩ .

كما نص تعالى على ذم الرضا بالحياة الدنيا مبيناً عظيم خطره .. فهو السبب الأول في الصدّ والتخلف عن الجهاد ذروة سـنام الاسلام .. يقول تعالى { يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله إثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل }(التوبة:٣٨) .

فمن خلال استفهام الإنكار والتوبيخ في قوله تعالى {أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة } ؟

يـذم تعـالى كل من رضي بالدنيا من الآخرة وآثر الفانية على الباقية ..والمعنى : أي كيف يليق بكم أن ترضوا بالدنيا ؟ وهي دار الفناء عوضاً عن الآخرة ونعيمها ؟

يقـول الإمام الطبري (يقول جل ثناؤه : أرضيتم بحظ الدنيا والدعة فيها عوضاً من نعيم الآخرة ، وما عند الله للمتقين

في جـناته ؟ {فمـا متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل } فما الذي يستمتع به المتمتعون في الدنيا من عيشها ولذاتها في نعيم الآخرة والكرامة التي أعدها الله لأوليائه وأهل طاعته { إلا قليل } يسير ، فاطلبوا أيها المؤمنون نعيم الآخرة وشرف الكرامة التي عند الله لأوليائه بطاعته ، والمسارعة إلى إجابة أمره في النفير لجهاد عدوه) [1]

وهاتان الآيتان : هما اللتان نُص عليهما بلفظ الرضا بالحياة الدنيا .. لكن قد يعبر القرآن عن الرضا بالدنيا بألفاظ أخرى قريبة منه .

(١)جامع البيان ١٤ / ٢٥٢ - ٢٥٣ .

فيأتي السياق القرآني تارة باستحباب الدنيا عن الآخرة وتارة بإيثارها على الدار الآخرة .. ، وتارة بشرائها بالآخـــرة ، ففي المعنى الأول يقول تعالى { وويل للكافرين من عذاب شديد ، الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة }(إبراهيم:٢-٣)

قولــه تعالى {الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة} : (أي يؤثرونها لمحبتهم لها على الآخرة الدائمة والنعيم الأبدي) [١] .وفي معنى إيثارها على الآخرة يقول تعالى{بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرةُ خير وأبقى}(الأعلى:١٦-١٧) بـــل ويصـــل إيـــثار الدنيا على الآخرة ذروته حين يأتي التعبير القرآني ببيع الآخرة بالدنيا ، فبئست البضاعة .. ، وبئســت التجارة ، قال تعالى : { أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يُخفّفُ عنهم العذاب ولاهم ينصرون}(البقرة:٨٦)

وإن كان الكافر والمنافق يبيع دينه بدنياه .. ويرضى بالدنيا عوضاً عن الآخرة فإن المؤمن لا يرضى بدينه بديلاً ، ولا بالآخـــرة عوضـــاً فهو يفديهما بروحه وحياته فكما يشتري أهل الدنيا الدنيا بالآخرة فإن المؤمن يشتري الآخرة بالدنيا يقول تعالى {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة }(التوبة:من آية ١١١) ويقول { ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله }(البقرة:من آية ٢٠٧) .

(١)فتح القدير ، ١١٢/٣

وهؤلاء المذمومون – من أهل الرضا بالدنيا عن الدين – يعطيهم الله بغيتهم في الدنيا ، ويوفيهم حسناتهم حتى لا يبقى لهم في الآخرة نصيب ، ويدل على ذلك قوله تعالى : {من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً}(الإسراء: ١٨) .

فكـــل من أراد العاجلة بعمله عجل الله له فيها ما أراد من التعجيل له منهم حسب ما اقتضته مشيئته تعالى {ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً } مطروداً من رحمة الله بعيداً عنها [١]

وقـــال تعالى { من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحَبِطَ ما صنعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعملون } (هود:١٥ -١٦) .

(فكل من أراد الدنيا بعلمه وعمله ، يوف الله تعالى لهم أجور أعمالهم في الدنيا بسعة الرزق ورفع المكانة ونحوها ، فهم في الدنيا لا ينقص حظهم ، ولا يبخس أجرهم ، فيأتون يوم القيامة وقد فنيت حسناتهم) [٢]

(فمـــن كانت الدنيا همه ونيته وطلبته جزاه الله بحسناته في الدنيا ، ثم يقضي إلى لآخرة ، وليس له حسنات أما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وهذا مصداق قوله تعالى { من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب }(الشورى:٢٠)) [٣]

---

(١) انظر فتح القدير ، ٢٥٨/٣

(٢)تفسير البغوي ٢/ ٣٧٦ .

(٣)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٥٣٥ بتصرف.

وكما نص تعالى بذم الرضا بالدنيا من الآخرة ؛ نص المصطفى صلى الله عليه وسلم على ذم أهل الرضا بالدنيا ؛ كما نص على تسمية أهل الدنيا : عبيدُ الدنيا ، فالدنيا آلهة تعبد من دون الله ، وهؤلاء المساكين لفرط حبهم لها ، وانهماكهم بها ، عبدوها من دون الله تعالى فعبد الدنيا : هو المعتكف على خدمتها ومراعاتها [1] ، فرضاها رضاه ، وسخطها سخطه ، فهو شديد الحرص عليها يتقلب رضاه وسخطه بقدر أخذه منها .

قال صلى الله عليه وسلم " تعس عبدُ الدينارِ، والقطيفةِ [2] ، والخميصةِ [3]، إن أُعطيَ رضي وإن لم يعط لم يرض" [4]

فقوله صلى الله عليه وسلم تعس أي هلك أو بعداً لعبد الدينار والدرهم وهو طالبه الحريص على جمعه ، القائم على حفظه .

وخص العبد بالذكر : ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها كالأسير الذي لا يجد خلاصاً ، وجعله عبداً للدينار والدرهم لشغفه ، وحرصه عليه، فمن كان عبداً لهواه، لم يصدق في حقه {إياك نعبد وإياك نستعين}(الفاتحة:٥) فلا يكون من اتصف بذلك صديقاً [5] فهو عبد لهذه الدنيا ، إن نال من الدنيا ، وأخذ من حظوظها الزائلة الفانية رضي وبات هادئ البال .. ، وإن فاته شيء منها كان السخط والضجر والتبرم ، فقد أشقاهم الله بالدنيا ، وهم يظنون السعادة .

---

(١) المفردات للراغب الأصفهاني ص١٤٦ مادة عَبدَ .

(٢)القطيفة : الثوب الذي له خمل .

(٣)الخميصة : الكساء المربع .

(٤) سبق تخريجه ص ٢٣١

(٥) فتح الباري لابن حجر ، ٢٥٤/١١

يقول تعالى { فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا }(التوبة:٥٥) .

يقول الإمام ابن قيم الجوزية (تعذيبهم بها : هو الأمر المشاهد من تعذيب طلاب الدنيا ومحبيها ، ومؤثريها علـــى الآخرة بالحرص على تحصيلها ، والتعب العظيم في جمعها ، ومقاساة أنواع المشاق في ذلك ، فلا تجد أتعب ممن الدنـــيا أكبرَ همه ، وهو حريص على تحصيلها ، والعذاب هاهنا : هو الألم والمشقة والنصب ، ومن أبلغ العذاب في الدنيا : تشتيت الشمل ، وتفريق القلب ، وكون الفقر نُصب عيني العبد لا يفارقه)[1]

وهـــؤلاء التعســـاء قد نصبوا الدنيا آله لهم من دون الله ، فالدنيا قبلتهم التي إليها يتجهون ومقامهم الذي عليه يعكفون ، فهم في سبيلها لا يبالون بسخط الله وغضبه ، يصبحون بغضب الله ويمسُّون عليه .

نســـأل الله عـــز وجل ألا يجعل الدنيا أكبر همِّنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا غاية رغبتنا ، وأن يجعل الجنة هي دارنا وقرارنا .

---

(١) [ابن قيم الجوزية ، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، تحقيق وتصحيح : محمد حامد الفقي ، الطبعة:[بدون] ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان] ١/٣٦

ثانياً: الرضا بالكفر :

من أنواع الرضا بالمذموم الذي يستوجب لصاحبه النار إن مات بدون توبة : الرضا بالكفر سواء رضيه لنفسه (بالكفـــر أو الردة) أو رضيه لغيره فالرضا به كفر قال تعالى { من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أُكره وقلبُهُ مطْمئنٌ بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذابٌ عظيم} (النحل:١٠٦) .

فمن كفر بالله معتقداً كفره ، راضياً بهذا الكفر عن الإيمان ، فقد استوجب غضب الله تعالى ، وعظيم عذابه .

قـــال تعالى : بعد أن رفع الحرج عن كفر المكره { ولكن من شرح بالكفر صدراً } (أي اعتقده وطابت به نفسه واطمأنت إليه) [١]

والرضا بالكفر رضا مذموم يتبرأ منه كل مؤمن صحيح الإيمان لأن معناه الارتداد عن الإيمان .

كمـــا في حديث حاطب رضي الله عنه عندما أرسل لأهل مكة يخبرهم بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم اعتذر للنبي صلى الله عليه وسلم عندما سأله سبب فعله قائلاً (يا رسول الله ! لا تعجل عليّ إني كنت امرأً ملصقاً في قريش يقـــولُ : كنـــت حليفاً ، ولم أكن من أنْفَسِها ، وكان معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون أهليهم ، وأموالهم فأحببتْ إذ فاتني ذلك من النَّسب فيهم أنْ أتخذَ عندهم يداً يحمون قرابتي ، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الاسلام .. الحديث) [٢]

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٣٥) .

(٢) سبق تخريجه ص ٨٤

فقــد بــيّن عذره للرسول صلى الله عليه وسلم وعقّب بأن ما صنعه لم يكن عن ردة ولا عن رضاً بالكفر بعد الإيمان ، لذا قال صلى الله عليه وسلم عنه (صَدَقَ) .

والمؤمن الحق لا يرضى بالكفر .. ، لا يرضاه لنفسه ، ولا يرضى بوجوده في الأرض من غيره بل يجاهد من أجل نشر الاسلام ودحر الكفر وأهله ، ويحمد الله ليل نهار أن منّ عليه بأعظم نعمة : نعمة الاسلام .. ، فهو لا يرضى بغير هذا الدين بديلاً .. [1]

ويخشـــى عـــلى نفسه من الكفر ، ويدعوا الله بالثبات على هذا الدين .. [2] ، فهو يكره الكفر ويكره أهله فلا يرضـــى به لأن الله لا يرضاه لعباده قال تعالى { .. ولا يرضى لعباده الكفر ..}(الزمر من آية:٧) .. ، بل يكره أن يعود مـــرة أخرى في الكفر كما يكره أن يقذف في النار .. ، ففي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ... [ثم ذكر] ويكره أن يعود إلى الكفر بعد إذ نجاه الله منه كما يكره أن يقذف في النار " [3]

---

(١)انظر الرضا بالدين

(٢)ففي الصحيح كان صلى الله عليه وسلم يدعو " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " سبق تخريجه ص ٣٣٨

(٣)سبق تخريجه هامش ص ١٧٥

وقد ضل وأضل من قال : إن الكفر والفسوق قد قدره الله على العباد لذا يجب الرضا به .

يقول الامام ابن تيمية في الرد على أمثال هؤلاء (بأي كتاب أم بأي سنة ، أم بأي معقول : علمتم وجوب الرضا بكل ما يقضيه ويقدره ؟ بل بجواز ذلك فضلاً عن وجوبه ؟

فإن من الرضا ما هو كفر كرضا الكفار بالشرك وقتل الانبياء وتكذيبهم ورضاهم بما يسخط الله ويكرهه (ذلك بأنهم اتبعوا ما اسخط الله) فمن اتبع ما أسخط الله برضاه وعلمه فقد أسخط الله

فمــن رضي بكفره أو كفر غيره أو فسقه أو فسق غيره ومعاصيه أو معاصي غيره فليس هو متبعا لرضى الله ولا هو مؤمن بالله بل هو مسخط لربه ، وربه غضبان عليه لاعن له ذام له متوعد عليه بالعقاب .

هــذا كــتاب الله وسنة رسوله ، وأدلة العقول ليس في شيء منها الأمر بذلك ولا إباحته . بل من المقضي ما يرضــى بــه ، ومنه ما يسخطه ويمقته فلا نرضى بكل قضاء ، كما لا يرضى به القاضي لا قضيته سبحانه ، بل من القضاء ما يسخطه ، كما أن من الأعيان المقضية : ما يغضب عليه ويمقت عليه ، ويلعن ويذم [1]

(١) مدارج السالكين ١/ ٢٨٠ فيما عزاه للإمام ابن تيمية

ثالثاً: الرضا بالمعاصي

الرضا بالمعاصي رضاً قبيح مذموم..، ينهى عنه الشارع لما فيه من خطورة على ايمان العبد .. فالرضا بالمعصية والمنكر يسبب تبلد حس المؤمن المرهف تجاه المعصية..ثم إلى استمرائها..والجرأة عليها فيقدم عليها، ويألفها، ويحبها ..

وما يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر باليد واللسان فإن حيل بينهم وبين ذلك فلا أقل من ان تنكر المعصية بالقلب والجنان ..

(يقول الإمام النووي في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

واعلم أن هذا الباب قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة ، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جداً وهو باب عظيم ، به قوام الأمر وملاكه ، وإذا كثر الخبث عمّ العقاب الصالح والطالح ، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم ، أوشك أن يعمهم الله بعقابه ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ، فينبغي لطالب للآخرة ، والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب ، فإن نفعه عظيم ، لا سيما وقد ذهب معظمه ، ويخلص نيته ، ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فإن الله تعالى قال { ولينصرن الله من ينصره }(الحج: من آية ٤٠)

واعلم أن الأجر على قدر النصب ، ولا يتاركه أيضاً لصداقته ، ومودته ، ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه ، فإن صداقته ومودته توجب له حرمةً ،

وحقـــاً، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته ، وينقذه من مضارها ، وصديق الإنسان ومحبة :هو من سـعى في عمارة آخرته ، وإن أدى ذلك إلى نقص دنياه وإنما كان إبليس عدواً لنا لهذا ، وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً أولياءً للمؤمنين ، لسعيهم في مصالح آخرقم وهدايتهم إليها أ هـ) [1]

والرضا بالمعصية من الفتن العظيمة .. والبلايا الكبيرة التي أخبر صلى الله عليه وسلم عن وقوعها في آخر الزمان .. حيث تُقْلَب الموازين .. وتنكّس الفطر السوية فلا يجد المعروف من يأمر به وينصره فيصير منكراً لدى الناس ولا يجد المنكر من ينهى عنه ، بل يجد من يرضى به ويفعله .. فيصير معروفاً لدى الناس ولقد لعن الله بني اسرائيل على لسان أنبيائهم لتفريطهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..

قـال تعـالى { لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون }(المائدة:٧٨-٧٩)

---

(١) شرح صحيح مسلم م١ / جـ٢ / ٢٤

فبيّن تعالى أن سبب لعنهم وطردهم من رحمته وغضبه عليهم هو عدم التناهي عن المنكر ، إذ فينهى الرجل منهم أخـــاه مرة ، ثم إذا لم يستمع لم يمنعه ذلك من مؤاكلته ومجالسته ، والرضا بما يصنع وهو على المنكر .. ، فاستحقوا غضب الله عليهم ، ولعنه لهم على لسان أنبياءه تعالى (١)

ولقد رتب تعالى العقوبة على المجتمع كله إذا عمّ الفساد فلا ينزل البلاء على الظالم خاصة..، فتلحق العقوبة الظالم لظـــلمه كما تلحق العقوبة الصالحين لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى { واتقوا فتنةً لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ... }(الأنفال: من آية ٢٥)

ولقـــد أخـــبر صلى الله عليه وسلم أن الرضا بالمعصية وإن لم يعمل بها سبب في استحقاق صاحب الرضا الاثم والذنب لأن (الأعمال بالنيات) فإن إنكار المنكر باللسان واليد في أرفع المراتب .. ويليه الانكار بالقلب ، حيث يبرأ المؤمن من إثم المعصية ...أما من رضي بها فقد استحق العقاب ...

ففي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن كَره فقد بَرِئَ ومن أنكر سلم ، ولكن من رضي وتابع ....."

في هـــذا الحديـــث أخـــبر صلى الله عليه وسلم بما سيكون في المستقبل من أحوال الامارة بعد الخلافة الراشدة وأحوال الناس في تعاملهم إزاء المعاصي بالإنكار أو الرضا .

(١) ففي الحديث " ان أول ما دخل النقص على بني إسرائيل : كان الرجلُ يلقى الرجلَ فيقولُ : يا هذا! اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعُهُ ذلك أن يكون أكيلَهُ وشريبَهُ وقَعيدَهُ ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله على قلوب بعضهم ببعض ثم قال { لعن الذين كفروا من بني إسرائيل ..الآية} " أخرجه أبو داود في سننه ، جـــ٤ ، كتاب:الملاحم ، حديث رقم (٤٣٣٦)

قال الإمام النووي رحمه الله : (قوله صلى الله عليه وسلم " من كره فقد بَرئ " فظاهره ومعناه : من كره ذلك المنكر فقد برئ من إثمه وعقوبته وهذا في حق من لا يستطيع إنكاره بيده ، ولا بلسانه فليكرهه بقلبه وليبرأ أما رواية " فمن عرف فقد برئ " [1] أي فمن عرف المنكر فلم يشتبه عليه فقد صارت له طريق إلى البراءة من إثمه وعقوبته بأن يغـيره بـيده أو بلسانه ، فإن عجز فليكرهه بقلبه – وقوله صلى الله عليه وسلم " ولكن من رضي وتابع " معناه : لكن الإثم والعقوبة على من رضي وتابع ، وفيه دليل على أن من عجز عن إزالة المنكر لا يأثم بمجرد السكوت ، بل إنما أثم بالرضا به أو بأن لا يكرهه بقلبه أو بالمتابعة عليه أ هـ) [2]

يؤيد هذا الحديث ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في بيان درجات الإنكار " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " [3]

فهـذا الحديث أصل في وجوب التغيير عند رؤية المنكر فقد قال صلى الله عليه وسلم " من رأى منكم منكراً فليغيره " وتغيير المنكر مخالف للرضا عنه ، وأقل درجات تغيير المنكر " الإنكار بالقلب " وهو أضعف الإيمان يخالف معنى الرضا عن المعصية ،

كما في رواية عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال بعد ذكر إنكار القلب " وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل " [4]

---

(١)أخرجه مسلم – واللفظ له – كتاب: الإمارة ، باب: وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع ، حديث رقم (١٨٥٤) ؛ والترمذي ، جـ٤ ، كتاب: الفتن ، باب:٧٨ ، حديث رقم (٢٢٦٥) ، بنحوه ؛ وأبو داود جـ٤ ، كتاب: السنة ، باب: في قتال الخوارج ، حديث رقم (٤٧٦٠) بنحوه، جميعهم من حديث أم المؤمنين أم مسلمة رضي الله عنها –

(٢)شرح النووي جـ ٦ ، ص٢٤٣ ، هي الرواية التي قبلها في صحيح مسلم في نفس الكتاب والباب حديث رقم (١٨٥٤)

(٣)أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب كون النهى عن المنكر من الإيمان ...حديث رقم (٤٩) .

(٤) هذه الرواية لمسلم لنفس الكتاب والباب ، حديث رقم(٥٠)

كما يبين لنا المصطفى صلى الله عليه وسلم إن العبد يؤاخذ بالمعصية إن رضي بها - سواء حضرها أم غاب عنها فهو بنيته في الوزر سواء وذلك لأن الأعمال بالنيات .. ، فكما أن من شهدها وأنكرها قد برئ منها فكأنه قد غاب عـــنها - كمـــا في الحديث السالف - فان من غاب عنها - حقيقةً -ورضيها بقلبه كان إثمه كمن شهدها حكماً ، ليحذر المرء من الرضا بالمعاصي والخطايا يقول صلى الله عليه وسلم " إذا عُملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها -وقال مرة أنكرها - كمن غاب عنها - ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها " [1]

وفي القرآن الكريم :

فلقد ذم الله تعالى أهل الرضا بالمعاصي جمعاء في ذمه لأهل الرضا بالمعصية العظمى : معصية التخلف عن الجهاد في سبيل الله تعالى ذروة سنام الإسلام ...

فلقد نص تعالى في على أن سبب الوقوع في معصية التخلف عن الجهاد في سبيل الله تعالى هو الرضا بالدنيا ، لذا كان التوبيخ والذم من الله تعالى لكل من آثر الدنيا على الدين قال تعالى{يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل}(التوبة:٣٨) .

(١) أخرجه أبو داود جـــ٤ كتاب : الملاحم باب : الأمر والنهي ، حديث رقم ٤٣٤٥ ، كنز العمال برقم ٥٥٣٧ ، أخرجه التبريزى في المشكاة ، كتاب الآداب رقم (٥١٤٠) ، قال فيه محققه الشيخ الألباني إسناده حسن ، قلت : رجال الحديث ثقات إلا المغيرة بن زياد الموصلي قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب صدوق له أوهام رقم (٦٨٣٤) ، أما أبوبكر بن عياش ثقة عابد إلا أنه لما كبر ساء حفظه وكتابه صحيح التقريب رقم (٧٩٨٥) ؛ وذكره الإمام الكناني في الكواكب النيرات، ص٤٣٩، ولعل الشيخ الألباني حسنه بشواهده .

فقوله تعالى { أرضيتم بالحياة الدنيا }استفهام للتوبيخ والتعجب [1] أي كيف يليق بكم أن ترضون بالدنيا وهي الدار الفانية بدلاً عن الدار الآخرة الباقية .

يقـــول الإمام الطبري (يقول جل ثناؤه : أرضيتم بحظ الدنيا والدِّعة فيها عِوضاً من نعيم الآخرة ، وما عند الله للمـــتقين في جـــناته {فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل } فما الذي يستمتع به المتمتعون في الدنيا من عيشها ولذاتهـــا في نعـــيم الآخرة والكرامة التي أعدها الله لأوليائه وأهل طاعته (إلا قليل) يسير فاطلبوا أيها المؤمنون نعيم الآخرة وشرف الكرامة التي أعدها الله لأوليائه بطاعته والمسارعة إلى إجابة أمره في النفير لجهاد عدوه) [2]

وكذا مقت الله تعالى كل من فضّل الدنيا على الدين والجهاد في سبيل الله فقال عز من قائل :

{ قـــل إن كـــان آبـــاؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسولِهِ وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين }(التوبة:٢٤) .

---

(١) الهمزة تستخدم في الاستفهام ويراد بها الاستعلام مثل : أزيد قادم فلما كان السائل علاّماً بخفايا الأمور وهو الله تعالى ، كان الاستفهام ليس على بابه الأصلي ، إنما خرج لمعاني أخرى كالتوبيخ أو التقرير أو ..

(٢) جامع البيان ١٤/ ٢٥٢-٢٥٣ .

وهكـــذا نرى أن الله تعالى قد جعل الدنيا بكل متاعها وزينتها في كفة .. ، والله ورسوله والجهاد في كفة أخرى وعلى المؤمن أن ترجح لديه كفة حب الله ورسوله والجهاد في سبيله على الدنيا بكل طيباتها وإلا تعرض لغضب الرب تعالى فاستحق العذاب !

وكـــان (التعرض للصفات المذكورة للإيذاء بأن اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحياة الدنيا لا ينافي ما فيها من مـــبادئ المحبة وموجبات الرغبة فيها، وأنها مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل على أن تكون كما ذكر سبحانه{أحب إليكم من الله...})[1]

فعلى المؤمن الشحيح بدينه أن يحذر المعاصي والذنوب ، حتى لا يقع في غضب الله كما عليه أن يحذر كذلك من المكروهات والمشتبهات لأنها طريق إلى المعاصي والذنوب .

يقـــول الحافظ بن حجر (ولا يخفى أن المستكثر من المكروه تصير فيه جراءة على ارتكاب المنهي في الجملة ، أو يحمله اعتياده لارتكاب المنهي غير المحرم على ارتكاب المنهي المحرم أو يكون ذلك تشبه فيه وهو أن من تعاطى ما نهي عنه يصير مظلم القلب لفقدان نور الورع فيقع في الحرام ولو لم يختر الوقوع فيه)[2]

---

(1) روح المعاني للألوسي

(2) فتح الباري ، ١٢٧/١ ، شرح حديث ممن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام – حديث رقم (٥٢)

وفي هـــذا المعـــنى مـــن السنة قوله صلى الله عليه وسلم " إذا تبايعتم بالعينة[1] وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم " [2]

ففي قوله صلى الله عليه وسلم " رضيتم بالزرع " : كناية عن حب الدنيا والتعلق بها حباً أدى إلى ترك الجهاد في ســـبيل الله وحل الكون إليها . حيث كان هذا الانشغال بالزرع في زمن يتعين فيه الجهاد لذلك قال : وتركتم الجهاد أى تركتم الجهاد المتعين فعله في ذلك الوقت[3] ، فإذا كان ذلك منكم أيها المؤمنون كانت العقوبة من الرب تعالى (الذل والهوان الذي لا يَنزعه تعالى حتى يعودوا إلى دينهم)

ثم بـــيّن تعـــالى أن هذا الرضا المذموم – وهو الرضا بمعصية التخلف عن الجهاد في سبيل الله – من أبرز صفات المنافقين وأخص سماقم ، وذلك لخواء قلوبهم من الإيمان حيث آثروا الفانية على الباقية فرضوا بالقعود عن الجهاد كما رضوا بأن يكونوا من الخوالف فورد ذمهم في موضعين من كتاب الله تعالى .

أ-يقول تعالى مخبراً عنهم :

{وإذا أنزلـــت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون}(التوبة:٨٦ –٨٧) .

---

(١)العينة : قال الرافعي (بيع العينة : هو أن يبيع شيئاً من غيره بثمن مؤجل ، ويُسلمه الى المشتري ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن نقد أقل من ذلك القدر . ذكره الشوكاني في نيل الأوطار ٥/ ٣٢٢ ، وحكم هذا البيع محرمفتح الباري ، ١٢٧/١ ، شرح حديث ممن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام – حديث رقم (٥٢)

(٢)أخرجه أبو داود واللفظ له – جـ٣ – ، كتاب : البيوع ، باب : النهي عن العينة ، حديث رقم (٣٤٦٢) .
الحديث إسناده ضعيف لضعف أبي عبد الرحمن اسحاق بن أسيد الخراساني قال فيه الحافظ ابن حجر في تقريبه (برقم ٣٤٢) فيه ضعف قال الزيلعي في نصب الراية ٤/ ١٧ (الحديث من أجله لا يصح لكن للحديث طريق أحسن من هذا ما رواه الامام أحمد في كتاب الزهد عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر بلفظ " إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة ...." وهذا حديث صحيح ورجاله ثقات) ورواية أحمد في المسند ٢/ ٢٨ فعلى ذلك فإن الحديث ضعيف بسنده حسن بشواهده . ، وقد أورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة
برقم ١١ وقال صحيح لمجموع طرقة . وللحديث رواية أخرى في أبي داود في كتاب الملاحم برقم ٤٣٤٥ .
وللدار قطني من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت – لمن باع بالعينة (إن جهاده مع رسول الله صلى اله عليه وسلم قد بطل إلا أن يتوب)
وهي روايات كما قال الشوكاني في نيل الأوطار ٥/ ٣٢٢ يشد بعضها بعضاً .

(٣) نيل الأوطار للشوكاني ٥/ ٣٢٢ بتصرف

يقول أبو جعفر الطبري رحمه الله :

(يقول تعالى ذكره : رضي هؤلاء المنافقون الذين إذا قيل لهم آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أهل الغنى منهم في التخلف عن الغزو والخروج معك لقتال أعداء الله من المشركين أن يكونوا في منازلهم كالنساء اللواتي ليس عليهن فرض الجهاد فهن قعود في منازلهن ، وبيوتهن) (١)

{ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف}أي أن سبب استئذانهم مع الغنى الرضا بالصفقة الخاسرة وهي أن يكونوا مع الخوالف ، ولقد كرر تعالى ذكرهم إمعاناً في بيان غضبه على قبيح صنيعهم وسوء تقديرهم للأمور حيث آثروا العاجلة على الباقية فكان تقديرهم تقدير من لا يفقه ولا يعلم مصلحته ومنفعته فيختارها) (٢)

فبعد أن بيّن تعالى عذره على أصحاب الأعذار في الجهاد برفع الحرج عنهم في قوله تعالى {ليس على الضعفاء ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرجٌ إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفورٌ رحيم}(التوبة :٩١) عقّب بذم هؤلاء المنافقين حيث تخلفوا عن الجهاد بدون عذر فقال تعالى { إنما السبيل على الذين يستأذنوك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يعلمون }(التوبة:٩٢)

إنمـا السبيل : أي بالمعاتبة والمعاقبة على الذين يستأذنونك في التخلف وهم أغنياء واجدون للنفقة قادرون على الخروج معك لرضاهم بمعصية التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغزو فخذلهم الله تعالى فهم لا يعلمون مخافة ما رضوا به عاجلاً ولا ما نجاسة شأنه آجلاً (٣)

---

(١) جامع البيان ، ١٤/٤١٢-٤١٣

(٢) فتح القدير ٢/ ٤٤٧ .

(٣) روح المعاني للألوسي ٦ / ٤ .

ب – كما يقرر تعالى هذا المعنى في موضع آخر حيث يذم المتخلفين عن الجهاد في سبيل الله واصفاً إياهم بالرضا بـــالقعود عن الجهاد آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم بعدم اصطحابهم معه في غزوة أخرى حيث اعتذروا عن الجهاد معـــه واستأذنوه فأذن لهم صلى الله عليه وسلم حيث وكل أمرهم إلى الله فقال تعالى لرسوله { فإن رجعك الله إلى طائفـــة منهم فاستئذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين }(التوبة:٨٣) .

(يقـــول تعالى لنبيه مبيناً غضبه على المنافقين المتخلفين عن النبي صلى الله عليه وسلم في الغزو بدون عذر حيث شغلتهم الدنيا عن الدين فرضوا بالتخلف عن الجهاد في سبيل الله : إن ردّك الله إليهم فقل لهم {لن تخرجوا معيَ أبداً } ما دمتُ وما دمتُم { ولن تقاتلوا معيَ عدواً } من الأعداء وهو إخبار في معنى النهي للمبالغة) [1]

والسبب في ذلك قوله تعالى { أنكم رضيتم بالقعود أول مرة [2] } : فعاقبهم الله بحرمانهم من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لرضاهم وفرحهم بالتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم لا يستحقوا أن يخرجوا معـــه فأمره تعالى أن يقول لهم {فاقعدوا مع الخالفين } (أي المتخلفين لعدم لياقتهم كالنساء والصبيان والعاجزين أو اقعدوا مع الذين قعدوا من المنافقين خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنكم منهم فاقتدوا بـــهديهم) [3]

---

(١) فتح القدير ٤٤٢/٢ ، بتصرف

(٢) تخلفهم أول مرة كان في غزوة تبوك فاعتذروا للرسول صلى الله عليه وسلم عن الخروج .

(٣)انظر جامع البيان للطبري ١٤/ ٤٠٣ ، روح المعاني للألوسي ٤٤١/٥ .

ولقد وصفهم الله تعالى بشدة فرحهم بهذه المعصية العظيمة وذلك لعدم فقههم في الدين ، ولعدم حبهم لله ورسوله فقلّبت عليهم الموازين ففرحوا بالمعصية وكرهوا الطاعة .

قـال تعـالى { فرح المخلفون خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون }(التوبة:٨١)

والفرح بالمعصية دليل على شدة الرضا بها وكرههم للطاعة دليل على عدم رضاهم بها - نسأل الله تعالى المعافاة

أما من قال بأن الكفر والمعاصي وقعت بأقدار الله فيجب الرضا بها لأن الرضا بها رضا بقضاء الله ؛ فإن هذا القول لا يقول به عاقل ، ومن قال به إنما قاله ليسوّغ لنفسه ارتكاب المعاصي والمنكرات ويبيحها بعد تحريمها .

ولقد ضل من قال بذلك ، وقوله هذا باطل ، فإن المعاصي والذنوب - وإن كانت بقدر الله - فإن الله لا يرضى بها ولا يحبها فيجب ألا يرضى بها المؤمن ولا يحبها بل يدفع القدر بالقدر فيدفع المعصية بالتوبة والكفر بالإيمان ، ويأخذ بالأسباب فيحذر المعاصي ، فإن غلبته نفسه الأمارة بالسوء والشيطان استغفر وأناب .. ، وعلى هذا كان خير الأمة وسلفها الأبرار ، ولا يصلح آخر هذه الآمة إلا بما صلح به أولها - والله تعالى أعلم -

رابعاً :الرضا بالخزي والعار :

فالرضـــا بانتهاك الحرام في الأهل والمحارم من الرضا المذموم الذي يرفضه الطبع السليم والفطرة السوية ، وهو ناتج من ضعف الغيرة والحمية الفاضلة في النفس قال العلماء :

(وأمـــا ثمـــرة الحمـــية الضعيفة فقلة الأنفة مما يأنف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة واحتمال الذل من الأخساء واللؤماء ، وهو مذموم إذ من ثمراته عدم الغيرة (١) على الحرم وهو خنوثة تضاد الرجولة ، قال صلى الله عليه وســـلم " إن سعد (٢) لغيور وأنا أغير من سعد والله أغير مني " (٣) وإنما خُلقت الغيرة لحفظ الأنساب عن المخالطة ولـــو تسامح الناس بذلك وغفلوا عنه لاختلطت الأنساب ، ولذلك قيل : كل أُمّة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها) ، فهن يتعففن فالصيانة في النساء تابعة لغيرة الرجال فإذا لم يغاروا رفعت نسائهم حجاب الحياء) (٤)

والرضا بالخزي والعار دياثة في الرجال كما أخبر صلى الله عليه وسلم لا يرضاه المرء عقلاً وعرفاً ..، فضلاً عن أن يرضاه مؤمن بالله استمد عزته منه تعالى فالغيرة واجبة – لا سيما عند الشبهات – كما تجب أن يلي المؤمن ثورة الغضب عند الإعتداء على الأهل والمحارم ، فهذا غضب محمود وغَيْرة مرضية .. ، بل والسكوت عنه والرضا بغيره عار وشنار ...، رضاً مذموم لا يقتضيه العقل ولا الشرع ،

فكثيراً ما نجد بين المسلمين .. ، من يرضى بالدَّنية .. ، باسم التقدم والحرية ويفضّل الخسَّة .. ، على المروءة . . ، فـــيدع زوجـــه تخالط هذا . . ، وتمازح هذا . . ، وتخرج مع ذاك . . ، دون تحفظ ، من دين أو فضيلة ، فإذا وقعـــت الفاحشـــة عضّ أنامل الندم على ما جنته يداه من تفريط .. في حق أهله ، وحق نفسه ودينه . . . ، فهو السبب في إيقاعها فلولا رضاه بالخزي لما وقعت الفحشاء . . ، فلو حافظ على أهله بالغيرة – المعتدلة – والحمية الطيبة لما آل إلى الندم والأسف – والله المستعان –

---

(١) الغيرة : ثوران دم القلب على اكرام الحرم –

(٢) سعد : هو سعد بن معاذ بن امرئ القيس بن زيد بن الأوس الأنصاري الأشهلي سيد الأوس شهد بدراً ورُمى بسهم في الخندق ، فعاش بعد ذلك شهراً حتى حُكم في بني قريظة ثم أجيبت دعوته فانتقض جرحه فمات منه وفيه قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح " اهتز العرش لموت سعد بن معاذ " كان من أعظم الناس بركة لقومه حيث أسلموا بإسلامه ..توفى بعد غزوة الخندق بشهر . رضي الله تعالى عنه وأرضاه

(الإصابة لابن حجر ٣/ ٧٠)

(٣) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم ٢٧٦٠

(٤) إتحاف السادة المتقين ، ٨/ ١٣ ، بتصرف يسير .

خامساً: الرضا بالذل والهوان :

المسلم عزيز النفس قوي الجانب، لا يرضى بالضيم ، ولا يسلم للهوان ولا يخضع إلا لرب السموات السبع والأرضيين الذي خلقه فسواه ونفخ فيه من روحه فلا ينحني جبينه إلا له تعالى ، فيخضع له ويذل . . ، وذله لله تعالى هو العزة الحقيقية التي لا يفهم معناها الكفار . . ، وكلما زاد ذلاً وخضوعاً له تعالى ، كلما زاد عزاً وغنى عن الناس فاستغنى بالله ؛ فكفاه الله الناس . . ، والمؤمن عزيز على الكافرين لأنه يستمد عزته من رب السموات والأرضين القوي العزيز المنان كما يستمد عزته من دينه الذي شرفه الله به تعالى على سائر الأنام فهو يردد في كتاب ربه { ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين}(المنافقون من آية:٨) ، فيستشعر هذه العزة في نفسه وفي المؤمنين جميعاً ، فهو قوي شديد على الكافرين ، رحيم ذليل على المؤمنين كما وصف الله تعالى حيث قال { أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين }(المائدة من آية:٥٤) وقال { أشداء على الكفار رحماء بينهم ... }(الفتح: من آية ٢٩)

والرضا بالذل والهوان على الكافرين رضاً مذموم . يناقضه الدين القويم . . ، والرأي السديد ، والعقل الرشيد ، فهو رضاً قبيح لا يحبه الله تعالى ولا يرضاه ، فعلى المؤمن اجتنابه لأن فيه سخط القوي الجبار . . ،

ومن أمثلة هذا الرضا المذموم :-

١] الرضا باحتلال الكفرة لبلاد المسلمين :-

فالرضا بمستعمر غاشم يحتل البلاد وينهب خيراتها ، ويدنس مقدساتها على أنه قضاء وقدر ، رضاً مذموم ينهى عنه الشرع الكريم الذي يربي المؤمن على العزة والكرامة ، وما شُرع الجهاد إلا لإقامة دين الله في الأرض فيُقاتلون الكفرة وهـم في ديـارهم لكي يخرجون من ظلمات الكفر إلى نور الاسلام ، فكيف بهم وهم يقاتلون المسلمين في ديارهم فيحتلون بلاد المسلمين ، يبدلون دينها ، وينتهكون حرماتها ، ويدنسون تاريخها ومجدها ، لا غَرو أن جهادهم أوجب ، فقـتالهم فريضـة، وتركهم رذيلة ، فالرضا بوجودهم على أن هذا قدر محتوم قد كتبه الله على العباد ، رضا قبيح تناقضه أدلة الشرع ، بل يناقضه العقل السليم والفهم الصحيح لأحكام الإسلام -

وقد قال تعالى { ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً}(النساء:١٤١)

فقد نهى الإسلام أن يملك الكافر المسلم ، فيجوز أن يملك المسلم الكافر ولا يجوز أن يملك الكافر المسلم ، إشعاراً لما يجب أن يكون عليه المسلم من عزة على الكافر ودرءاً من أن يتسلط الكافر على المسلم ، قال تعالى{ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً } (النساء : ١٤١)

يقول الإمام الشوكاني في شرح الحديث " إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً[١] لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم " : ومن أنواع الذل الخراج الذي يسلّمونه كل سنة لملاك الأرض وسبب هذا الذل أنهم لما تركوا الجهاد في سبيل الله الذي فيه عز الإسلام وإظهاره على كل دين عاملهم الله بنقيضه وهو إنزال الذل بهم . . ، فصاروا يمشون خلف أذناب البقر بعد أن كانوا يركبون على ظهور الخيل التي هي أعز مكان)[٢] .

وفي قوله : حتى ترجعوا إلى دينكم : فيه زجر بليغ لأنه نزل الوقوع في هذه الأمور فنزلة الخروج من الدين وتوعد عليه بالذل فإن طلب أسباب العزة الدينية ، وتجنب أسباب الذلة المنافية للدين واجبان على كل مؤمن وقد توعد على ذلك بإنزال البلاء وهو لا يكون إلا لذنب شديد وجعل الفاعل لذلك بمنزلة الخارج من الدين المرتد على عقبه . [٣]

٢] موالاة الكفرة والإقتداء بهم :

موالاة الكفرة والإقتداء بهم تنازل رخيص عن الدين وهو دأب المنافقين – كما أسلفنا ممن ينتسبون إلى الإسلام ، والإسلام منهم براء .

يقول تعالى محذراً المؤمنين من هذه الموالاة ، حيث يجعلها الله تعالى خاصة بالمنافقين دون غيرهم { بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً • الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً }(النساء: ١٣٨ -١٣٩) .

فيقرر الله تعالى – المطلع على القلوب – أن – الولاء – والإقتداء – والمحبة إنما تصرف لمن يطلب منه العزة والمنعة ولما كانت متعذرة في حق الكفرة والمشركين لأنها خاصة له تعالى ، وللمؤمنين وجب إذن أن نوالي الله ورسوله والمؤمنين حيث تؤخذ العزة من معينها –

---

(١) نيل الأوطار ٥/ ٢٢٠ ، بتصرف

(٢) سبق تخريجه ص ٣٧٧

(٣) المصدر نفسه .

وما عليه المسلمون اليوم – من انبهار بحضارة الغرب – ومواكبة الغرب في أفعالهم وأقوالهم ولباسهم وهيئتهم إلا نتـــيجة نبذ الدين وابتغاء العزة – ممن لا عزة له – فكان التقليد الأعمى ، الذي يأباه أي عاقل فضلاً عن من يملك عقيدة وديناً – فباؤوا بالخزي والعار ، والذلة والهوان ، والصغار الذي كتبه تعالى لمن يحذو حذوهم حتى يرجعوا إلى كتاب ربهم .

٣] كذلك التسليم بأفكار الغرب ، والعمل بها – وإن خالفت الشريعة – أو تبديل بعض أحكام الشرع من أجل نظام وضعي كافر – إنما هو رضاً مذموم .

فضلاً عن كون العمل بالشريعة الكافرة كفر بواح يخالف الرضا بالدين فلا يحق لمؤمن أكرمه الله بالهدى ، وأرشده إلى طـــريق الحـــق والصلاح . . ، أن ينبذ من بين يديه من كتاب ربه القويم ، ويلتفت يميناً ويساراً نحو نظام وضعي دخيل ، أو فكر يهودي حاقد . . ، أو رأي علماني ضال لأن لديه من كتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما يغنيه .

ومـــا عليه المسلمون اليوم من تقليد أعمى بغيض لأفكار وآراء ، ولباس وهيئه الغرب إنما هو ترجمة لهذا الرضا المذمـــوم الذي نـــهى عنه صلى الله عليه وسلم وحذر أمته منه . . وصدق صلى الله عليه وسلم حيث قال " لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبرٍ ، وذراعاً بذراع ؛ وباعاً بباع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتم " [١]) [٢]

(١) اخرجه البخاري كتاب الاعتصام : حديث رقم (٧٣٢٠)

(٢) وفي هذا المعنى يقول عمر بن الخطاب ﷺ " نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بدونه ؛ أذلنا الله "

خاتمة :

وهكذا نرى أن المؤمن الحقيقي هو من " رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولا " فعرف عظم ما تحويه هذه الألفاظ من معان وارتضاها لنفسه ، وعاش بها ، فرضي به تعالى ربا وخالقا ومليكا وحاكما فرضي بحكمه كما رضي عنه في قضائه وقدره فصبر في الضراء كما شكر في السراء ، فلم يتسخط ولم يجزع . . بل قابلها بالرضا والقبول ، والتسليم والخضوع . . . ، رضا من تيقن حكمته وتدبيره في الكون ،

وعـلم أنه من لوازم الرضا به تعالى : الرضى بدينه الذي شرعه وارتضاه لعباده فلم يبتغ غير الإسلام دينا ، ولم يلتفت ذات اليمين ، وذات الشمال وراء نظم خرقاء . . . ، وأحكام ضالة .

بل قدّم دينه على نفسه وهواه يردد دائماً { وقالوا ربنا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير }(البقرة:٢٨٥)

كما علَم أنه من لوازم الرضا به تعالى الرضا برسوله صلى الله عليه وسلم الذي اصطفاه ، فيرضى به نبيا ورسولا ومشرعا وقائدا وحكما في كل أمر له في الحياة ، فقدمه صلى الله عليه وسلم على كل من سواه وسار على نهجه صلى الله علـيه وسلم واقتفى أثره ، فتعبد الله تعالى بالرضا به صلى الله عليه وسلم وسأل الله الرضا كما كان يسأل صلى الله علـيه وسلم ، وعاش الرضا في حياته كما عاشه صلى الله عليه وسلم ، فرضى بما رزقَهُ..، وبما قدَّر عليه ..، وبما ابتلاه ..، فكان جزاءه الرضا من الودود الرحمن..، فرضي تعالى عنه وأرضاه..وأثابه الجنان..وفوق الجنان {ورضوان من الله أكبر }

وهذا المؤمن الحق – أكرمه تعالى – بأن قطف ثمار رضاه في الدنيا قبل الآخرة فأكرمه تعالى برضاه – ومن رضي عـنه الله تعـالى وفقه للطاعات والصالحات – ورزقه الكفاية والهداية والسكينة وملأ قلبه نورا وأغناه ، وحبب إليه الإيمان فأكرمه باستشعار حلاوة طعم وحسن مذاق هذا الدين ، فقال صلى الله عليه وسلم ، " ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا " [1] واستغنى بهذا الدين عن كل دين ...

---

(1) سبق تخريجه ص ١٧٥

وفي الآخرة – كذلك – يقطف أعظم الثمر ، وأشهى القطاف ، فإنما يحمدُ القوم السُّري عند الصباح ، فيحمد الله تعالى حين يكرمه بما يفوق الوصف والخيال ، فلا يحيط بعظيم أجره عقل .. ، ولا يدرك كنه ثوابه جنان ..، ولا يملك وصفه لسان فهو في " مالا عين رأت وأذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر " [١]

وفوق ذاك النعيم – الذي يفوق الوصف – نعيم آخر أعظم منه وأكبر..، ألا وهو الرضوان {ورضوان من الله أكبر}

فأكرم به من نعيم ، وأعظم به من أجر ..

وهو مع حرصه على رضا الرحمن ، قد حَذِر من كل رضا مذموم يكون فيه غضب العظيم الجبار ؛ فأكرمه تعالى بالرضا والغفران .

اللهم إنّا نسألك أن تجعلنا من أهل رضاك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين أكرمتهم بدار الرضوان فلا تسخط عليهم أبدا ... اللهم آمين –

وبعد الانتهاء من باب الرضا يجمل بنا أن ننتقل إلى الوجه المقابل للرضا وهو الغضب..حيث ينقسم إلى نوعين هما (غضب الله تعالى ، وغضب البشر) فإلى الباب الثاني بعنوان :

الغضـــــــب.

(١) سبق تخريجه ص ٢٥٣